المجلس الأعلى للثقافة

مخطوطات مسرحيات

محمد لطفى جمعة

الأعمال الكاملة



تقديم ودراسة
د: سيد علــى إسماعيل

المجلس الأعلى للثقافة

اهداءات ٢٠٠٢
مجلس الاعلى للثقافة
القاهرة

مخطوطات مسرحيات

محمد لطفى جمعة

الأعمال الكاملة

تقديم ودراسة

دكتور

سيد على إسماعيل

رئيس قسم الدراسات الأدبيـــة
كلية دار العلوم - جامعة المنيا



محمد لطفى جمعة

مُقدِّمة

عندما توقف قلب الأديب الموسوعى (محمد لطفى جمعة)، عن نبضه فى ١٥/٦/١٩٥٣، توقف بالتالى هذا السيل المنهمر من الكتابات الأدبية الثرية، التى خطت بيد هذا الأديب. وصار أدبه فى طىّ النسيان، إلا من بعض المقالات اليسيرة، التى كانت تدبج فى بعض المناسبات، وخصوصاً من قِبل أوفى أبناء الأدباء، المستشار رابح محمد لطفى جمعة. ذلك الابن الذى حافظ على تراث أبيه المخطوط، أكثر من حفاظه على حياته وصحته. بل ودافع عن أبيه وعن أدبه دفاع المستميت، الذى لا يتورع عن فعل أى شىء فى سبيل الحفاظ على اسم أبيه نقياً، وعن أدبه مرفوعاً إلى عنان السماء.

وإذا قمنا بعملية إحصائية عما كُتب عن لطفى جمعة منذ وفاته وحتى عام ١٩٩٢، سنفاجأ بأنه لا يعدو عدة صفحات فى بعض الصحف والمجلات والكتب التعريفية. أما ما كُتب عن لطفى جمعة، أو طُبع له منذ عام ١٩٩٣ وحتى هذه اللحظة، فهو كثير بالنسبة لما سبق !!

وتفسير هذا الأمر يتمثل فى أن لطفى جمعة له من الإنتاج المخطوط ما يفوق أضعاف إنتاجه المطبوع! وهذا التراث المخطوط، كان أبناؤه يتوارثونه

الابن بعد الآخر أملاً فى تنفيذ وصية والدهم بطبع هذه المخطوطات بعد وفاته. ولكن مشاغل الحياة لم تعطِ الأبناء فرصة تنفيذ هذه الوصية، واكتفى كل ابن بالحفاظ على هذا الإرث الأدبى، حتى يُسلمه لمن يليه .. وهكذا حتى وصل أخيراً إلى الابن .. رابح لطفى جمعة.

فما كان من هذا الابن البار إلا أن استغل كل فرصة ليُظهر هذا التراث والتحدث عنه فى كل مناسبة متاحة، وظل هكذا حتى شاء القدر أن يلتقى بأحد الكُتاب المتخصصين فى نبش قبور الأدباء المنسيين والدفاع عنهم، وإظهارهم بقوة للعيان مرة أخرى .. وهو الكاتب (أحمد حسين الطماوى).

استحضر أحمد الطماوى كل إمكاناته الفكرية الذهنية والشخصية، وركزها تركيزاً شديداً على لطفى جمعة، وعكف على تراثه الأدبى المخطوط منه والمطبوع وأخرج كتاباً وافر المادة تحت عنوان (محمد لطفى جمعة فى موكب الحياة والأدب) عام ١٩٩٣، ليكون أول كتاب درس معظم أعمال لطفى جمعة المطبوعة والمخطوطة، علاوة على كم كبير من مقالاته الموزعة فى الدوريات. ولم يكتفِ الطماوى بذلك، بل ذيل كتابه ببيليوجرافيا - تكاد تكون - شاملة عما كتبه لطفى جمعة، وعما كُتب عنه، لتكون مفتاحاً لأية دراسة تُكتب عن لطفى جمعة بعد ذلك.

وهكذا أخرج الطماوى لطفى جمعة من قبره مرة أخرى، كعنقاء الأدب الحديث .. أو كمارد القمم الذى حُبس فيه لسنوات كثيرة. ومنذ خروج هذا الكتاب، أصبح للطفى جمعة شأن آخر !! فتهافتت أقلام الكُتاب والباحثين وأساتذة الجامعات على دراسة أدب لطفى جمعة، منطلقة من كتاب أحمد حسين الطماوى.

ولعل القارىء يتساءل : ألم يحاول لطفى جمعة فى حياته نشر هذا الكم الهائل من المخطوطات الأدبية، وبالأخص المخطوطات المسرحية ؟!! وألم يحاول من بعده أبناؤه القيام بهذه المهمة ؟!! والإجابة عن هذا التساؤل، تجعلنا - تبعاً لما بين أيدينا من وثائق ومعلومات - أن نقول : لقد حاول الأب وأيضاً حاول الأبناء .. ولكن دون جدوى !!

ففى عام ١٩١٦، وبعد تمثيل مسرحية (قلب المرأة) - من قبـــل جـــوق أبيض وحجازى - أرسل لطفى جمعة خطاباً إلى أحـــد الناشـــرين - وهـــو غرزوزى حبيب - من أجل نشر المسرحية، وقد وضع لطفى بعض الشروط فى هذا الخطاب. وبعد أيام قليلة جاء الرد، وفيه قال غرزوزى : '' ســـيدى الفاضل .... وافانى كتابكم الكريم المملوء من العواطف النبيلة ما يعجز عـــن وصفه الجنان .... أشكركم شكراً وافراً لما أوليتمونى من الجميـــل بإظـــهار ثقتكم بى وثناءكم علىّ، ومن خصوص طبع الرواية فأنـــــا مســـتعد لقبـــول شروطكم وإنما ثمن الورق الآن مرتفع جداً ولا سيما الجيد منه وهو يكـــاد أن يكون معدوماً ولكن ذلك لا يمنع من تهيئة الأصول للطبع وفى أول فرصـــــة مناسبة أبادر بطلبها منكم .... المخلص غرزوزى حبيب ''.

ومرت الأيام والسنون دون أن يطلب الناشر الأصول، وما كان سيطلبها في يوم من الأيام .. لأن أسلوب التهرب من طبع المسرحية، واضح بصورة جلية في الخطاب .. وهذه كانت المحاولة الأولى.

أما المحاولة الثانية، فكانت في عام ١٩٢٣، عندما أرسل أمين الريحاني، رسالة إلى لطفي جمعة، نفهم منها أن لطفي جمعة - في هذه الفترة - كان يائساً من طبع مسرحياته، فيقول له أمين الريحاني في رسالته : " وما أحزنني في كتابك أنه في سؤالك بخصوص طبع رواياتك التمثيلية تقول إن المصريين لا يفهمون إلى الآن معنى **Pieces du Theatre** فإذا كانت لا تفهم عندكم يا أخي يا لطفي أتظنها تفهم في أمريكا .... وهل تفهم في سوريا .... أو في العراق .... لا تيأس يا أخي إن السياسة اليوم مستولية على العقلية المصرية الاستيلاء المطلق التام، وبعد قليل إن شاء الله تعودون إلى الأدب فتطبع إذ ذاك رواياتك ويكون عليها الإقبال الذى تستحقه إن شاء الله " ([1]).

لازم هذا اليأس لطفي جمعة لسنوات طويلة، حتى وصل إلى مرحلة الزهد. فقد قال في مذكراته : " أنني منذ سنة ١٩٤٠ - وهو تاريخ آخر ما نشرت من الكتب - عكفت على الكتابة والاختزان وكففت عن الطبع والنشر وجعلت هذه المخطوطات أمانة عند أولادي، وقد أشركت بعضهم في تحضيرها وتدوينها، وقصدت بهذه المخطوطات - وهي أنواع شتى في الفلسفة والتاريخ والأدب والقصص والمسرحيات والمذكرات - إشباع رغبتي ونهمي في التدوين والانتفاع بالقدرة مادامت،والاعتراف بفضل الله عليّ بتمكيني من الدرس والتأليف فهذا نوع من العبادة والتمجيد لله والعرفان"([2]).

وبمرور الأيام شعر لطفي جمعة بدنو أجله،وبالتالي عدم تحقيق أمنيته في رؤية مخطوطاته مطبوعة ومنشورة، ومتداولة بين أيدي القراء !! فما كان منه إلا أن كتب وصية خاصة بهذه المخطوطات، في شكل خطاب أرسله إلى

([1]) - رابح لطفي جمعة - حوار المفكرين : رسائل أعلام العصر إلى محمد لطفي جمعة خلال نصف قرن (١٩٠٤-١٩٥٣) - عالم الكتب - ط١ - ٢٠٠٠ - ص(٢١٤).

([2]) - محمد لطفي جمعة - شاهد على العصر : مذكرات محمد لطفي جمعة - سلسلة تاريخ المصريين - عدد ١٨٣ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٠٠ - ص(٣).

أحد أصدقائه - وهو محمد خالد صاحب جريدة الدستور - قال فيه :" أشعر بأنك الإنسان الوحيد فى هذه الحياة الذى أستطيع أن أكتب إليه هذه الرسالة طالباً منه تنفيذ ما فيها على بساطته وسهولته .... إننى شعرت بأننى مقبل على الانتقال من هذه الدنيا .... وعندى مسألتان لهما أهمية فى نظرى، الأولى كتبى التى جمعتها والمخطوطات التى أنجزتها على مدى سنوات طويلة .... فالكتب المطبوعة .... فأحب أن تتصرف فيها أنت بشخصك بأن تقدمها هدية إلى إحدى المعاهد العامة هبة بلا شرط ولا قيد سوى عدم تفريقها. المخطوطات التى جرت العادة بتسميتها مؤلفات مبالغة - أن تودعها أيضاً مكاناً عاماً كوديعة يتسلمها أولادى عند بلوغهم سن الرشد خشية أن تبعثر أو تباع بالميزان وقد يكون فيها ما ينفع أحداً من الناس" ([1]).

وبالفعل مرت السنون، وبلغ بعض الأبناء سن الرشد، وشرعوا فى تنفيذ وصية أبيهم، وكانت محاولتهم الأولى فى عام ١٩٦٣، عندما حاولوا نشر المسرحيات المخطوطة. وعن هذه المحاولة يقول رابح لطفى جمعة : " أما المسرحيات المخطوطة فهى أعمال أدبية كاملة كنا قد تقدمنا بها سنة ١٩٦٣ للجنة إحياء التراث بوزارة الثقافة والإرشاد لطبعها وإخراجها إلى عالم النور فظلت باللجنة أمداً طويلاً ثم استرددناها !! " ([2]).

كانت المحاولة الثانية، فى عهد الرئيس أنور السادات، و" يحكى الأستاذ رابح إن الرئيس الراحل أنور السادات، رحمه الله، عرض على المرحوم زكريا لطفى جمعة، وكان عضواً بمجلس الشعب آنذاك، أن يوافيه بكتب والده لتطبع على نفقة الدولة، لكنه للأسف ترك هذه الفرصة تضيع " ([3]).

لم تتوفر أية فرصة بعد ذلك لأبناء لطفى جمعة، كى ينفذوا وصية أبيهم، من خلال طبع ونشر مخطوطاته. وعندما آلت تركة هذه المخطوطات إلى

([1]) - حوار المفكرين - السابق - ص(٥٠٢، ٥٠٣).

([2]) - رابح لطفى جمعة - محمد لطفى جمعة - سلسلة (الأعلام) - عدد ٥ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٥ - ص (١٦٦، ١٦٧).

([3]) - محمد لطفى جمعة - الأسلوب والخطابة عند العرب والإفرنج - عالم الكتب - ١٩٩٩ - المقدمة - ص(٣).

الأستاذ رابح، بدأ فى تنفيذها بصورة جدية. ففى عام ١٩٧٥، أصدر كتاباً عن والده من خلال مذكراته. وفيه نادى بنشر مسرحيات والده المخطوطة، قائلاً: '' الأمل معقود على القائمين على النشر وإحياء النهضة المسرحية أن تخرج هذه المسرحيات والتمثيليات إلى النور، فقد كانت إحدى أمنيات لطفى جمعة أن تطبع هذه المسرحيات وأن تمثل '' ([1]).

وظل هذا النداء أكثر من خمس عشرة سنة، دون مجيب!! ولم ييأس رابح فأتبع نداءه الأول،بنداء ثانٍ - من خلال كتابه الثانى عن أبيه - عام ١٩٩١، قائلاً فيه : '' ترك لطفى جمعة مؤلفات عديدة لاتزال مخطوطة وماثلة للطبع تعد ذخائر ثمينة فى الدين والأدب والتاريخ والاجتماع والفلسفة والتصوف والسياسة والاقتصاد والقصة والمسرح والترجمة الذاتية .... والأمل معقود فى أن تتحرك الهيئة المصرية العامة للكتاب ودور النشر عندنا لطبع هذه المؤلفات المخطوطة المتعددة الجوانب لهذا الرائد من رواد نهضتنا الفكرية والثقافية الحديثة، وتقديمها للجيل الجديد خدمة للفكر والأدب '' ([2]).

وبكل أسف كانت نتيجة النداء الثانى، هى نفس نتيجة النداء الأول .. لا مجيب !! وظلت وصية لطفى جمعة تؤرق الابن رابح ليل نهار .. وبدأ تأثير الزمن يظهر عليه ويهدده وينذره ويدفعه إلى تنفيذ الوصية بكل وسيلة ممكنة، قبل فوات الأوان !! تزامن هذا الشعور مع ظهور أحمد حسين الطماوى، الذى قرأ وفهم ودرس تراث لطفى جمعة المخطوط، قبل أن تمسسه يد الآخرين. هنا قرر رابح أن ينفذ الوصية بنفسه .. !!

فقد عكف على مخطوطات والده، بالقراءة والإعداد والتصحيح والتنقيح والمراجعة .. ومن ثم نشرها وطباعتها على نفقته الخاصة .. واستطاع فى وقت قياسى أن ينشر أغلب تراث والده المخطوط، الذى لم يبقَ منه سوى القليل. هذا المجهود الخارق لهذا الابن البار، كان له محل تقدير واحترام من قبل أعضاء لجنة الدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس الأعلى للثقافة،وذلك من

([1]) - رابح لطفى جمعة - محمد لطفى جمعة - السابق - ص(١٧٠).

([2]) - رابح لطفى جمعة - محمد لطفى جمعة وهؤلاء الأعلام - دار الوزان للطباعة والنشر - ١٩٩١ - ص (١٦).

خلال تكليفهم لى بإعداد هذا المجلد عن مخطوطات مسرحيات لطفى جمعـــة، ليظهر فى احتفالية كبرى يقيمها المجلس الأعلى للثقافة يـــوم ٢٠٠١/١/٢٠، تحت عنوان (لطفى جمعة أديباً موسوعياً).

رحم الله محمد لطفى جمعة وأسكنه فسيح جناته .. ولتسكن روحه هادئـــة فى قبرها .. فقد تم تنفيذ الوصية .. فإذا كان الله قد خلق رابح لطفى جمعـــة ليكون مستشاراً وأباً وزوجاً وإنساناً .. فهذا كله لا يعادل أن خلقه الله ليكـــون ابناً باراً حافظاً لتراث أبيه .. ومنفذاً لوصيته .. !!

والله ولى التوفيق

دكتور

سيد على إسماعيل

رئيس قسم الدراسات الأدبيـــة
كلية دار العلوم – جامعة المنيا
القاهـــــرة فى : ٢٠٠٠/١٢/٣٠

مسرحيات لطفى جمعة

بين الواقع والتاريخ

هرماكيس

بناء على ما بين أيدينا من وثائق – وما كُتب عن لطفى جمعة، وما كتبه لطفى جمعة عن نفسه – نستطيع القول إن بداية لطفى جمعة فى الكتابة المسرحية كانت عام ١٩٠٩، عندما ألف مسرحية (هرماكيس). وفى مذكراته المنشورة، قال عن هذه البداية : " هرماكيس المصرى اسم لرواية تمثيلية فى فصل واحد وضعتها خلال شهر نوفمبر سنة ١٩٠٩ وخلصت منها فى يومين، وهى من حوادث التاريخ المصرى القديم وبطلها نبى جاء قبل موسى، ولكنها لاتزال فى حاجة إلى بعض التنقيح والتصحيح " ([1]).

ومن خلال قراءتنا للمسرحية، نتفق مع المؤلف فى رأيه الأخير، من احتياج النص إلى بعض التنقيح والتصحيح !! فبعض الأحداث تعتبر غير منطقية، ولا مبرر لحدوثها، هذا بالإضافة إلى الجهد الذى يبذله القارىء لتفهم الأحداث، ومتابعة الحوار .. وذلك بسبب عدم اهتمام المؤلف بالإرشادات المسرحية التى تجعل القارىء يجسد الأحداث فى ذهنه .. إلخ هذه الأمور .. التى تحتاج بالفعل إلى تنقيح وتصحيح .. ولكن مات المؤلف دون أن يقوم بذلك. ونحن بدورنا لا نملك هذا الحق !!

([1]) – محمد لطفى جمعة – شاهد على العصر – السابق – ص(٢٠٩).

هذا ما ذكره لطفي جمعة عن هذه المسرحية .. وهنا نتوقف قليلاً .. أليس من المنطقي أن يسجل لطفي جمعة – في مذكراته – الدافع الذي جعله يؤلف أول مسرحية له، ويقتحم جنساً أدبياً جديداً عليه .. ألا وهو المسرح !! فهل تمر مناسبة كهذه دون ذكر لها من قبل لطفي جمعة !! الذي لم يترك شاردة أو واردة عن أعماله الأدبية إلا وقد شرحها وفسرها وأكد عليها ووثقها بكل وسيلة ممكنة، وفي كل مناسبة أيضاً !!

إصراري على معرفة الدافع وراء كتابة هذه المسرحية، جعلني اتفحص مخطوطتها بعناية شديدة، فلاحظت أن الورقة الأولى منزوعة !! وبعد استرجاعها (*)، وجدت لطفي جمعة كتب عليها بتاريخ ١٩٠٩/١٠/٣٠، تحت عنوان (قصة عن تأليف هذه القطعة) : " في مساء ذلك اليوم أعلاه كنت على موعد من فتاة فرنسية (أنطونيا شينو) من شوفاي على نهر الصون ومقيمة في مدينة ليون، فتنزهنا وتعشينا وعادت معي إلى غرفتي بنمرة ١٤ شارع رامبارديني وهي مسترخية مستعدة للغرام، وعند نصف الليل أبيتُ أن أعاشرها وانقطعت لتأليف هذه القطعة ".

وإذا عاد القارىء إلى كتاب مذكرات لطفي جمعة (تذكار الصبا)، سيجد لهذه القصة وجهاً آخر! بل سيلاحظ أن الفتاة اسمها (ماري مادلين) وليست (أنطونيا شينو). والتلاعب بالأسماء الأجنبية شيء اعتاد عليه لطفي جمعة في كتاباته (**)!! والدليل على ذلك التفاوت في الوصف، بين ما كتبه على

(*) – أعاد إليّ الأستاذ رابح لطفي جمعة، هذه الصفحة المنزوعة، مفسراً هذا التصرف من قبله، بأنه انتزعها خشية الإساءة إلى سمعة والده، وخشية تفسير ما فيها من اعتراف تفسيراً يضر بتاريخ والده.

(**) – قال يحيى حقي عن لطفي جمعة : "ولا أنسى ضحكته لي ذات يوم وهو يقول لي : تصورا نشرت في (البلاغ) على التوالي أكثر من خمسين قصة قصيرة ذكرت تحت عنوانها أنها مترجمة عن الأدب الروسي، ولم أذكر للمؤلف اسماً، وهي كلها من عملي ومن تأليفي. *تصور أنني لم أجد أديباً واحداً يمسك بتلابيبي ويقول لي : أدركنا خدعتك فليس* في الأدب الروسي كله شيء مما جئتنا به ". يحيى حقي – قائمة الترشيح – جريدة المساء في ١٩٧٢/٥/٢٩ – نقلاً عن كتاب : مؤلفات يحيى حقي – ناس في الظل وشخصيات أخرى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٤ –ص(١٥٤،١٥٥). ويوضح د.عبد الفتاح الديدي، هذا الأمر، بصورة أخرى، قائلاً : " عندما ظهرت مجلة الرواية طلب

الصفحة الأولى من مخطوطة (هرماكيس)، وبين ما سطره بقلمه عن نفس القصة فى مذكراته !!

قال لطفى جمعة في كتابه (تذكار الصبا) : " .. ثم قلت لها اسمعي يا مادلين! مستحيل أن تنامى على هذا المقعد وإذا سمحت لي فإننى أضطجع بجانبك! قالت باختيارك أم تورطاً؟ فضحكت وقلت مختاراً راجياً بإلحاح. وقامت فأطفأت المصباح ونامت .... ولكننى أنا لم أنم وأنا الذى تمنيت طول الليل وزوال النوم ووقوف الصبح عن الطلوع، وأنا الذى استمتعت بجوارها وترديد أنفاسها وعبق عطر الأنوثة منها، وأنا الذى سهرت على نومها فلم تأخذنى سنة، ولا أمنت الظلام عليها وعجبت لاطمئنانها واستسلامها وتقلبها، ما أعظم تلك اللذة من كل شيء، أن ترى الفاكهة الناضجة وتشمها وتضمها وتلمسها ثم تصونها وتكتفى بلونها ورائحتها ويعز عليك أن تخدش قشرتها بيدك أو أسنانك " [1].

قلب المرأة

مرت سنوات عديدة، لم يقتحم فيها لطفى جمعة التأليف المسرحي، حتى أعاد الكرة مرة أخرى فى عام ١٩١٥، عندما كتب مسرحيته (قلب المرأة). وإذا كانت المرأة الغربية كانت الدافع وراء كتابته لهرماكيس، فامرأة غربية أخرى كانت أيضاً وراء مسرحيته قلب المرأة .. ولكن شتان بين هذه وتلك!!

فالمرأة الأولى كانت عابرة، لم تترك إلا بعض صفحات فى مذكراته، أما المرأة الأخرى .. فكانت كل المذكرات .. وكل الإبداعات .. ولولاها ما أنتج لطفى جمعه معظم أعماله الأدبية والإبداعية.. ولولا مساعدتها له ما نجح فى

الزيات من محمد لطفى جمعة ترجمة عدد من القصص الأجنبية لشغف القراء بالتراجم من الروايات والقصص خاصة وأن اسم لطفى جمعة لم يشتهر بين القصاصين. فألف لطفي جمعة عدداً من القصص تحت أسماء كتاب روس وأوروبيين وبدأ نشرها بمجلة الرواية تباعاً حتى بلغت الخمسين قصة وكلها من اختراعه بأسمائها وأجوائها الأجنبية ولا مقابل لها فى أعمال هؤلاء المؤلفين. د.عبد الفتاح الديدى – ينابيع الفكر المصرى المعاصر – مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٨٢ – ص(١٠٢).

[1] – محمد لطفى جمعة – تذكار الصبا (ذكرى ١٩ مارس) – عالم الكتب – ١٩٩٩ – ص(٦٨).

أوروبا .. ولولا وجودها فى حياته ما كان له من وجود أدبى .. ولولا شبح هذه المرأة الذى يطل علينا فى مُجمل إنتاج لطفى جمعة الأدبى .. ما كان اهتمامنا الآن به ولا بأعماله الأدبية. فهذه المرأة هى الأديبة الروسية (أوجستا دامانسكى فيليبوفنا)، التى قال عنها لطفى جمعة فى مذكراته :

" أسجل فضل الله علىّ وأحمده على رزق كريم، وقد صادف مجيىء هذا الرزق معرفتى بهذه السيدة .... لأن هذه السيدة أدت إلىّ من الفضل والجمائل ما لا يحصى وتحمّلتْ بسببى آلاماً كثيرة واستهانت فى سبيلى بما لا يستهان به وأدخلت إلى عقلى وقلبى وروحى خواطر ومبادىء ومشاعر تركت فيها آثاراً لا يمحوها الزمن ولم يكن إليها من سبيل أو ذريعة غيرها، وقد تفتّحت فى ظلها كل مواهبى ورغائبى وتجسدت كل حقائق الحياة فى نظرى بفعلها وقوتها وإيمانها، وأرشدتنى إلى مطالعات ودراسات لم أكن أنالُها بدونها وأعانتنى فى قراءات وتحصيل علوم وسهرت علىّ سهر الشقيقة والزوجة والصديقة والأم الرؤوم .... ولكنها حيال هذه النعم كلها أدنتنى بفعلة واحدة من الموت المحقق لولا عناية الله ورحمته، فأزهدتنى فى الحياة أعواماً وأفقدت ثقتى فى جنس الإنسان، وأخرجتنى من حلم الأديب إلى غيظ المنتقم فكتبت (قلب المرأة) وبالغت فى تسويد صحيفتها وما كان ينبغى لى أن أفعل هذا "(١).

إذن كتب لطفى جمعة مسرحية *(قلب المرأة)* بدافع الانتقام من هذه السيدة، التى كتبت اسمه فى سجل الأدباء والموسوعيين بحروف من النور. وإذا كان لطفى جمعة ندم على كتابته لهذه المسرحية، بعد أكثر من ثلاثين سنة، إلا أننا سنعود بالقارىء إلى هذا الزمن البعيد لنتعرف على حقيقة ظهور هذه المسرحية، التى تعتبر أول مسرحية للطفى جمعة ترى النور، عندما عُرضت على خشبة المسرح.

بدأت قصة هذه المسرحية فى مناخ المسرح المصرى، عندما ذكرت بعض الصحف،عام ١٩١٥،ما يفيد بأن لطفى جمعة كتب مسرحية باسم (قلب

(١) – تذكار الصبا – السابق – ص(٢٥،١٣٤،١٣٧).

المرأة). بعد أيام أرسل رئيس جمعية النهضة بالتمثيل، خطاباً (*) إلى لطفى من أجل قيام الجمعية بتمثيلها، ولكن هذا الأمر لم يتم.

حضرة الدكتور محمد لطفى بك جمعه
اطلعت على اعلان تقويم الشرق فعلمت أنكم ألفتم
رواية تمثيلية تسمى "قلب المرأة" وبما أنى رئيس جمعية
النهضة بالتمثيل وممن يعجبون بقلمكم ومؤلفاتكم فالتمس
اعطائى هذه الرواية بعد أخذ الإيصال اللازم
لتصفحها وتقرير تمثيلها بواسطة الجماعة ولكم منى
وافر الاحترام
الرئيس

٣٠/٦/١٥

ولعل هذا الخطاب شجع لطفى جمعة على الاهتمام بعرض أعماله المسرحية على خشبة المسارح، لما فى ذلك من شهرة لاسمه بين الجمهور، ومنفعة مادية أيضاً، فاتجه نظره نحو جوق أبيض وحجازى، لما له من صداقة وثيقة بجورج أبيض، وبالفعل تم التعاقد فى ٢٩/١٠/١٩١٥، بين

(*) - ونص الخطاب - المؤرخ فى ٣٠/٦/١٩١٥ - يقول : " حضرة الدكتور محمد لطفى بك جمعة اطلعت على إعلان تقويم الشرق فعلمت أنكم ألفتم رواية تمثيلية تسمى (قلب المرأة) وبما أنى رئيس جمعية النهضة بالتمثيل وممن يعجبون بقلمكم ومؤلفاتكم فالتمس إعطائى هذه الرواية بعد أخذ الإيصال اللازم لتصفحها وتقرير تمثيلها بواسطة الجماعة ولكم منى وافر الاحترام".

لطفى جمعة وبين جورج أبيض وسلامة حجازى، على تمثيل مسرحية (قلب المرأة).

في تاريخه ادناه تعاقد كل من حضرتي الشيخ سلامه حجازي
وجورج افندي ابيض بصفتيهما مديري جوق ابيض وحجازي
فريق اول [illegible] والاستاذ محمد لطفي جمعه فريق ثاني على ما يأتي
اولاً قبل الفريق الاول من الفريق الثاني رواية تمثيلية في
خمسة فصول اسمها قلب المرأة من تأليف الفريق الثاني وذلك
ليمثلها الفريق الاول على المسارح العربية
ثانياً تعهد الفريق الثاني ان لا يعطي هذه الرواية لجوق آخر
ثالثاً تعهد الفريق الاول بتمثيل هذه الرواية في اول مرة في موسم
آخر شتاء هذا العام (الذي يبتدي في ٢٢ ديسمبر ٩١٥ وينتهي في مارس ٩١٦)
رابعاً اتعاب الفريق الثاني ثمناً لحق تمثيل هذه الرواية هو صافي ايراد الليلة
الثانية من تمثيلها بعد خصم مصاريف اجرة التياترو والاعلانات والالات [؟]
التي في الاوبرا يتحمل ثمن النور والاعلانات وغير ذلك من المصاريف الرسمية
التي يعرفها الجوق في تشخيص رواياته في الاوبرا
خامساً للفريق الثاني حق الاشتراك في توزيع الادوار والاشراف على البروفات
سادساً استلم الفريق الاول النسخة الاصلية من الرواية في حالة [illegible]
وعليها تصريح نظارة الداخلية بالتمثيل تاريخ اول اغسطس ٩١٥
تحريراً بمصر في ٢٩ اكتوبر ٩١٥ جورج ابيض سلامه حجازي

وبعد الاستعداد التام لعرض المسرحية، انهالت الإعلانات المختلفة فى الصحف (1)، وكذلك الملصقات، تدعو الجمهور لحضور عرض مسرحية

---

(1) - انظر إعلانات مسرحية (قلب المرأة) فى : جريدة (المقطم) - عدد ٨١٨٦ - ١٩١٦/٢/٢١، جريدة (الأخبار) - عدد ٢٦٢ - ١٩١٦/٢/٢٤، جريدة (الأفكار) - ١٩١٦/٣/٢١، جريدة (المقطم) - عدد ٨٢١٥ - ١٩١٦/٣/٢٥، جريدة (الأفكار) - ١٩١٦/٣/٢٦.

(قلب المرأة) في الأوبرا السلطانية. وبالفعل عُرضت المسرحية في ١٩١٦/٣/٢٥، وقام بتمثيل دور لورنزو جورج أبيض، وبوريس كراشوف عبد العزيز خليل، وشارل راسين عمر وصفي، وجودياس محمود رضا، وجوزيف الخادم أحمد ثابت، والمارجراف توفيق ظاظا، وكترين كراشوف ألمظ أستاتي، والتونيا بلادونا أبريز أستاتي، وكوستيا كراشوف نظلي مزراحي، ومدام راسين أستير شطاح، ومدام جيرمون وردة ميلان، وجانيت ماري كافوري.

تياترو الأوبرا السلطانية
أبيض وحجازي
تحت رعاية عظمة مولانا السلطان
السبت ٢٥ مارس
(ليلة الأحد) (الساعه ٨ ونصف مساء)
الاشتراك الأول
رواية قلب المرأة ٥ فصول
تأليف الأستاذ لطفي جمعة المحامي
جورج افندي أبيض
الشيخ سلامة حجازي
قلب المرأة ومدام سان جين

تياترو الأوبرا السلطانية
أبيض وحجازي
تحت رعاية عظمة مولانا السلطان
الخميس ٣٠ مارس
(ليلة الجمعة) (الساعه ٨ ونصف مساء)
الاشتراك الثاني
رواية قلب المرأة ٥ فصول
تأليف الأستاذ لطفي جمعة المحامي
جورج افندي أبيض
قلب المرأة ومدام سان جين

وبعد العرض الأول، بأيام قليلة نشرت جريدة (المنبر) سلسلة مقالات طويلة، تحت عنوان (قلب المرأة للكاتب الكبير عباس حافظ). وفي هذه المقالات وجدنا كاتبها ينهال على لطفي جمعة ومسرحيته، بطوفان من النقد اللاذع، وبسيل من الشتم الجارح، واصفاً لطفي جمعة بأنه " من الحشرات الأدبية التي تمتص أفكار المنتجين ".

وبعد مقدمة طويلة من الشتائم غير اللائقة، وجدنا عباس حافظ ينبش في تاريخ لطفي جمعة، فيعيد لأذهان القراء كتاب لطفي جمعة (حكم نابليون)، وكتاب (كلمات نابليون) لإبراهيم رمزي، الذي ظهر قبل كتاب جمعة، قاصداً من ذلك اتهام لطفي بالسرقة. ويختتم هذا الموضوع بعبارة " وكانت لهذه المسألة ضجة بين الأدباء والكتاب ".

ثم يتجه عباس حافظ بعد ذلك إلى واقعة مشابهة، قائلاً : " ولم يكتف الأستاذ بهذا، بل عمد بعد ذلك إلى مقال طوال في مجلة أدبية كبيرة بقلم كاتب مصري مفكر كان يدور حول نقد كتاب سر تطور الأمم لمؤلفه جوستاف لوبون، وعربه الأستاذ فتحي زغلول. فاجترأ على انتحال كل آراء الرجل وأفكاره ".

وبعد هذه المقدمة التشكيكية في قدرات لطفي جمعة الأدبية، واتهامه بالسرقة العلمية، فجر عباس حافظ مفاجأته بأن مسرحية (قلب المرأة) ليست من بنات أفكار لطفي جمعة، قائلاً : " إن موضوعها لا يمكن أن يكون من ابتكار المؤلف، لأن الروح الأفرنجية مطردة في أكثر أجزائها، وأن الأسماء الروسية والإيطالية والفرنسية تدعو إلى الدهشة والإتهام والاسترابة ولاسيما إذا ذكرنا الحوادث القديمة التي سردناها الآن للناس .... وقد عمدنا إلى البحث والتنقيب فأدركنا أن صاحب رواية اليوم انتحل موضوعها انتحالاً مشوهاً من روايتي أوجييه وهما زواج أولمب وجبريل .... وهناك مصادر أخرى في هذا الموضوع بذاته نخص منها روايات بول بورجيه، وهي قلب المرأة، وجريمة حب، وتقلبات القلب، ورواية ليزالتو رجنيف الروسي".

ويستمر بعد ذلك عباس حافظ في إلقاء إتهاماته على صاحب المسرحية، موجهاً سهامه السامة إلى المسرحية وأشخاصها باسم النقد ([1])، ذلك النقد الهدام. ومن الغريب أن لطفي جمعة لم يرد على هذا الكلام، ولم يسجل في

([1]) – انظر : جريدة (المنبر) – في ١٩١٦/٣/٢٩، وفي ١٩١٦/٣/٣١. ومن الجدير بالذكر إن المقالة الأخيرة قال عباس حافظ في نهايتها : " ونحن عائدون غداً فموفون الكلام على أغراض الرواية والروح الفنية فيها"، ولكننا بكل أسف لم نستطع الحصول على بقية المقالات لفقدان مجلد شهر إبريل الخاص بجريدة (المنبر) من دار الكتب المصرية.

كل ما كتبه أي شيء حول هذا النقد القاسي، أو حول عباس حافظ نفسه. بل ولم يرفع قضية ضده في المحاكم - وهو المحامي الفذ - ولا نعلم سبب هذا الصمت المريب من قبل لطفي جمعة نحو عباس حافظ. على الرغم من أن عباس حافظ أرسل رسالة إلى لطفي جمعة، بعد عام من كتابة هذه المقالات، نشعر منها بأن عباس حافظ نادم أشد الندم على ما كتبه في حق لطفي جمعة، ويبرر ذلك بأنه كان مدفوعاً له (*).

ومن محاسن الصدف أنني وجدت سلسلة أخرى من المقالات (١)، كتبها محمد الهراوي - الكاتب الأول لدار الكتب السلطانية - في جريدة (الأفكار)، هي في الظاهر نقد لمسرحية (قلب المرأة)، وفي الباطن رد على مقالات عباس حافظ. وفي هذه المقالات - التي نشرت يومياً ابتداء من ١٩١٦/٤/٩ إلى ١٩١٦/٤/١٧ - وجدنا الكاتب يؤكد على أن المسرحية، نوع جديد في التأليف المصري لم يسبق إليه قلم عربي، قائلاً بعد ذلك : " ويصح إذن أن

(*) - يقول نص الخطاب المؤرخ في ١٩١٧/٨/٢٣: "صديقي الأستاذ لطفي ستعجب العجب كله إذ تقرأ كتابي هذا وستندهش كيف اجترأت، ولكن أكنت تريد أن أعيش وأنا أحمل كرهك وغضبك عليّ إلى الأبد؟ نعم أنا أخطأت، وما كان خطأي حقداً، وما كان لؤماً، ولكنني اندفعت مع النزق وإن كنت أخلص الناس قلباً وأطهرهم روحاً. ولكن ألا تظن أنه قد يأتي الشر في بعض الأحيان من أيد طاهرة لم تلوث من قبل بالشر؟ إذن فلندفن ذكرى الماضي في مقبرة النسيان ونجدد عقد حب يبقى مع الحياة، ومثلي - لو علمت - أحرص الناس على الود. كنت أحاول منذ نحو عام أن أعود إليك فأراجعك وتقليني من غضبك، وكنت كلما التقيت بك جاهدت النفس على تحيتك، ولكنني كنت أخشى أن يكون غضبك لا يزال على حدته فترفض التحية. والآن وقد عرض لدى عمل يختص بك وهو قضية مدنية في المختلط سألني صاحبها أن أدله على محام كفؤ لها فشئت إلا أن أسميك لكي تكون تلك وسيلة للهجوم عليك بالصلح ولكي أعود إليك صديقاً مفرطاً في الحب كما أفرطت يوماً في الشر، فهل تراك رافضا؟ وهل تأبى إلا أن تحتفظ بضغنك فتدعني وذنبي نضطجع في قطعة من الناحية السوداء في فؤادك؟ ما أظنك مستطيعاً ذلك بعد أن جئتك أحمل العلم الأبيض. إذا كان ما ظننت فأنا الآن في انتظار كلمتك، وأنا الآن على مقربة من مكتبك، فإن شئت أن تعلم فحوى هذه القضية جئتك بها في التوّ والساعة. فقل كلمتك. والسلام عليك من اخيك عباس حافظ". محمد لطفي جمعة - حوار المفكرين - السابق - ص(٤١٠).

(١) - انظر : جريدة (الأفكار) - ابتداءً من ١٩١٦/٤/٩ إلى ١٩١٦/٤/١٧.

تكون هذه الرواية علماً على تلك الأطوار المختلفة التى عمد المؤلف إلى إظهارها للناس (على المكشوف) وأراد أن يذيقهم طعمها (بالكأس المـو) وأن يلمسهم وقعها (بوخز الإبر) وتلك خطة فرنسية محضة احتذى فيها المؤلف ديماس الصغير حذو الكف بالكف ''.

أما إيجابيات وسلبيات المسرحية، فيقول عنها الناقد : '' فمن مزاياها أن المؤلف وأن رمى فيها إلى غرض مقصود فإنه لا يتقيد أمام الجمهور بهذا الغرض. ومنها أنه يطلق للمتفرجين ملكة التفكير وقوة الاستنباط وحرية الإرادة. ومنها أن الرواية، أو الحوادث، هى التى تأخذ مجراها فى النفوس بطبيعتها فلا تثقل بغرض قد لا تنهض به أو لا يخف هو إذا كانت أشد منه ومنها .. ومنها .. وأما مساويها فمنها أن فى كل شيء غرضاً وإذا لم يظهر هذا الغرض فلا معنى لهذا الشيء. ومنها أن صاحب الغرض يجب أن يكون مسئولاً عنه مدافعاً له وحوادث الرواية هى لسان الدفاع. ومنها أن الجمهور يدخل إلى المسرح وفكره محصور فى معرفة غرض الرواية الظاهر منها فإذا خفى عليه اضطرب رأيه بتشويش الحوادث ''.

ومن الجدير بالذكر إن معرفة الآخرين بأن موضوع مسرحية (قلب المرأة)، هو نفسه موضوع قصة حب لطفى جمعة لأوجستا دامانسكى، التى انتهت عام ١٩١٢، ثم كتب عام ١٩٤٧ قصته مع هذه المرأة فى مخطوطه (تذكار الصبا).وقد مسّ محمد الهراوى ذلك عام ١٩١٦، فى مقالاته السابقة، قائلاً:'' فقلب المرأة عبارة عن مجموعة حوادث بعضها قد يكون وقع بالفعل، وبعضها من ذهن المؤلف التمسه التماساً من الخيال بحيث لا يمنعه ذلك إذا وقع،أن يكون مطابقاً لحقيقة الحال.وإن هذه المجموعة يصح أن تكون كل حادثة فيها منفصلة وحدها قائمة بذاتها وهى لو كانت كذلك؟ أى أنها لو لم تكن مرتبطة بأخواتها لكانت أقرب إلى الحقيقة منها إلى الخيال. ولكن ارتباطها هذا جعل التأليف بينها بعيد التصديق وإن كان محتمل الوقوع ''

وهذا الأمر وصل إليه أيضاً إبراهيم رمزى - الكاتب المسرحى وأحد الأصدقاء المقربين للطفى جمعة - فى نقده للمسرحية، عندما قال : '' وكأنى

بها حادثة شهدها أو لابسها [أى لطفى جمعة] أيام كان يدرس القانون بأوروبا لولا ما هناك من أعراض لا تحتملها الحقيقة المنطقية ’’ (١).

ومن الملاحظ أن مقالة إبراهيم رمزى كانت فى نقدها، وسطاً بين هجوم عباس حافظ، وبين مديح محمد الهراوى. ومهما يكن من قيمة هذه المقالات فى وقتها، إلا أنها تدل على أن المسرحية لاقت نجاحاً كبيراً، والدليل على ذلك أن جوق أبيض وحجازى، أعاد عرضها مرات عديدة، بعد أيام قليلة من عرضها الأول (٢).

وآخر عرض لهذه المسرحية، وقفنا عليه، كان فى عام ١٩٢٣، عندما قالت جريدة (مصر)، تحت عنوان (حفلة أدبية خيرية) : ’’ لمساعدة دار التربية العلمية والأخلاقية يقيم حضرة الفاضل توفيق أفندى عزوز صاحب ومدير مدرسة التربية العلمية والأخلاقية حفلته السنوية بمسرح كازينو البسفور بميدان باب الحديد يوم السبت ١٥سبتمبر الجارى حيث يمثل أعضاء النهضة التمثيلية رواية(قلب المرأة)لأول مرة فنرجو أن يكون الإقبال على هذه الحفلة عظيماً لأن دخلها مخصوص لمساعدة هذه المدرسة المجانية’’(٣).

المسرحيات الكوميدية

والمتتبع لإنتاج لطفى جمعة الأدبى – فى تلك الفترة – ربما كان يظن أنه سيتجه فى تأليفه المسرحية بعد ذلك إلى هذا اللون الاجتماعى النفسى الفلسفى، التى تميزت به مسرحيته (قلب المرأة). ولكن ما حدث كان مخالفاً لكل التوقعات. فقد وجدنا لطفى جمعة يتجه نحو الكتابة المسرحية، متخذاً اللون الكوميدى،وبلغة عامية،وبأسلوب مبتذل.لدرجة أن من يقرأ بعض إنتاجه المسرحى بعد قلب المرأة، يُصاب بالتعجب ويتساءل:هل مؤلف مسرحية

(١) – مجلة (الأدب والتمثيل) – الجزء الثانى – رواية قلب المرأة – مايو ١٩١٦.
(٢) – انظر إعلانات عرض مسرحية (قلب المرأة) بتياترو برنتانيا فى : جريدة (المقطم) – عدد ٨٢٤٩ – ١٩١٦/٥/٥، جريدة (الأفكار) – ١٩١٦/٥/٥، جريدة (مصر) – ١٩١٦/٦/١٤، جريدة (الوطن) – ١٩١٦/٦/١٤، جريدة (الأفكار) – ١٩١٦/٦/١٥، جريدة (الأخبار) – ١٩١٦/٨/٩، جريدة (الوطن) – ١٩١٦/٨/٩.
(٣) – جريدة (مصر) – ١٩٢٣/٩/٥.

(قلب المرأة)، هو نفسه مؤلف المسرحيات الهزلية (حبيب القلب وحبيب الجيب)، (كانت لقيّة مقّندلة)، (خضر أرضك) أو (خضر زرعك) .. إلخ هذا اللون، الذى رفضت الرقابة بعضه من التمثيل (*)؟!!

والواقع المجهول،حول هذا التحول الخطير،يتمثل فى وثيقة غير منشورة، عبارة عن عقد اتفاق بين لطفى جمعة وعزيز عيد،تمّ فى ١٩١٧/٢/١١. ونص هذا العقد يقول : '' اتفق كل من محمد لطفى أفندى جمعة طرف أول وعزيز أفندى عيد مدير فرقة الكوميدى العربى فى الأبيه دى روز طرف ثانى على ما يأتى:أولاً: يقدم محمد أفندى لطفى جمعة الطرف الأول روايتين الأولى ذات فصلين والثانية ذات فصل واحد وهما مختارتان من الروايات الفرنساوية من نوع الكوميدى وذلك فى ميعاد أقصاه ١٨ فبراير سنة ١٩١٧ لتمثيلهما بواسطة فرقته المسماة فرقة عزيز فى تياترو الأبيه دى روز. ثانياً: يتعهد الفريق الثانى بتمثيل الروايتين بعد خمسةعشر يوم من تاريخ استلامهما ويدفع للفريق الأول عشرة فرنكات عن كل يوم يمضى بعد حلول هذا الميعاد إذا لم يمثل الروايتين. ثالثاً: حقوق تأليف الروايتين المذكورتين هو خمسة عشر جنيهاً تدفع على قسطين الأول نصف مجموع إيراد ليلة التمثيل الأولى مخصوماً منها الثلث الذى يتناوله الخولجة روزاتى مؤجر التياترو ولا يخصم أى شيء آخر والبقية من حقوق تأليف الروايتين يدفعها عزيز أفندى عيد للمؤلف بعد شهرين من تاريخ تسليم الروايتين ليد عزيز أفندى عيد. رابعاً: ليس للفريق الثانى حق رفض الروايتين المذكورتين بحال من الأحوال أو الرجوع فى أى بند من بنود هذا الكونتراتو وإذا حصل منه ذلك يلزم بدفع مبلغ١٥خمسة عشر جنيهاً من تاريخ ١١ مارس سنة ١٩١٧. خامساً: لعزيز أفندى عيد حق تمثيل هاتين الروايتين طول حياته وليس للفريق الأول حق إعطائها لغيره. سادساً: الروايتان المذكورتان مختارتان من أولاً رواية (بوبوروش) تأليف كورتلين – ثانياً من (البورتفويل) تأليف هرفيو.سابعاً: إذا ظهرت واحدة من هاتين الروايتين أو الاثنين معاً بقلم كاتب آخر على مرسح عزيز أفندى عيد وبواسطة فرقته فعزيز أفندى ملزم بدفع ١٥ جنيهاً للفريق

(*) – فى الصفحة الأولى من مخطوطة مسرحية (كانت لقية مقندلة)، كُتبت تأشيرة الرقابة فى ١٩١٨/٩/٦، وجاءت فيها هذه العبارة (ممنوع تمثيل هذه الرواية).

الأول. تحريراً في يوم ١١ فبراير سنة ١٩١٧ بنسختين [توقيع] الفريق الأول محمد لطفي جمعة، الفريق الثاني عزيز عيد".

اتفق كل من محمد لطفي افندي جمعه طرف أول وعزيز
و[illegible] مدير فرقة الكوميدي العربي في تياترو ابيه دي روز
طرف ثاني على ما يأتي:

أولاً: يقدم محمد افندي لطفي جمعه الطرف الأول روايتين الأولى
ذات فصلين والثانية ذات فصل واحد وهما
مختارتان من الروايات الفرنساوية من نوع الكوميدي
وذلك في ميعاد أقصاه ١٨ فبراير ١٩١٧ لتمثيلها
بواسطة فرقة المسماه فرقة عزيز في تياترو ابيه
دي روز

ثانياً: يتعهد الفريق الثاني بتمثيل الروايتين بعد خمسة
عشر يوم من تاريخ استلامها ويدفع للفريق الأول
عشرة فرنكات عن كل يوم يمضي بعد حلول هذا
الميعاد اذا لم يمثل الروايتين

ثالثاً: حقوق تأليف الروايتين المذكورتين هو خمسة عشر
جنيهاً تدفع على قسطين الأول نصف مجموع ايراد
ليلة التمثيل الأولى مخصوماً منها الثلث الذي
يتناوله الخواجه روزاتي مؤجر التياترو وذلك بحضور [illegible]
والبقية من حقوق تأليف الروايتين يدفعها
عزيز افندي عيد للمؤلف بعد شهرين من تاريخ
تسليم الروايتين لعزيز افندي عيد

رابعاً: ليس للفريق الثاني حق رفض الروايتين
المذكورتين بحال من الأحوال او الرجوع
في أي بند من بنود هذا الكونتراتو
واذا حصل منه ذلك يلزم بدفع مبلغ ١٥
خمسة عشر جنيهاً من تاريخ ١١ فبراير ١٩١٧

خامساً: لعزيز افندي عيد حق تمثيل هاتين الروايتين
طول حياته وليس للفريق الأول حق
اعطائها لغيره بالكل

سادساً: الروايتان المذكورتان مختارتان
من الأولى رواية « بوبوروش » تأليف كورتلين --
والثانية من « البورتفويل » تأليف [illegible] -

سابعاً: اذا ظهرت واحدة من هاتين الروايتين
او الاثنتين معاً بقلم كاتب آخر على مسرح
عزيز افندي عيد وبواسطة فرقة عزيز افندي
ملزم بدفع ١٥ جنيها للفريق الأول
تحريراً في يوم ١١ فبراير ١٩١٧ بنسختين

الفريق الأول: محمد لطفي جمعه
الفريق الثاني: [illegible]

وإذا علم القارىء أن فرقة عزيز عيد، فـي تلـك الفـترة، كـانت تقـدم المسرحيات الكوميدية الهزلية ذات الطابع المبتذل، واللغة السوقية، سيتضح له لماذا اتجه لطفي جمعة إلى خوض غمار هذه التجربة، التى أساءت إلى إنتاجه المسرحى كثيراً. هذا بالإضافة إلى أن اختيار لطفى جمعة لعناوين مسرحياته، جاء بصورة مقززة، مثل : (خضر أرضك)، (حبيب القلب وحبيب الجيـب)، (كانت لقيّة مقّندلة)!! فهذه العناوين ربما كانت من اختيار عزيز عيـد، أو أن لطفى جمعة أراد أن يجاريه فى اللون الذى يقدمه. لأن عزيز عيد كان دائمـاً يتعمد إثارة الجمهور ولفت نظره، بعناوين شاذة لعروضه المسـرحية، مثـل (سكّرة بنت دين كلب)، (يا ستى ما تمشيش كده عريانة) .. إلخ.

ENORME SUCCES

SAKRA

AZIZ EID

ROSE EL YOUSSEF

Prix des Places

كازينو دي باريز

سكرة

الاستاذ عزيز عيد

وبالرغم من ذلك، فإن التاريخ يثبت أن مسرحيات لطفى جمعة هذه لم ترَ النورمطلقاً، ولم تُعرض على خشبات المسارح. وقد ثبت أيضاً أن العقد الذى تم بينه وبين عزيز عيد لم يتم تنفيذه، من قبل عزيز عيد، رغم تنفيذه من قبل لطفى جمعة، بدليل وجود مخطوطات هذه المسرحيات إلى وقتنا هذا. والتفسير المحتمل لما حدث أن لطفى جمعة كتب المسرحيات المتفق عليها فى العقد، بل وأكثر منها، ظناً منه أنها ستمثل وستدر عليه ربحاً وفيراً. ولكن من يعرف عزيز عيد، يعرف أنه غير مستقر فى فنه المسرحى!! ففرقته تتكون وما أن تبدأ حتى تتوقف ويتفرق أعضاؤها.

فإذا كان العقد المبرم بين لطفى جمعة وبين عزيز تم فى فبراير ١٩١٧، فإن التاريخ يقول إن فى مايو عام ١٩١٧، كان عزيز عيد ممثلاً فى فرقة نجيب الريحانى (١). وهذا يعنى أن فرقته قد توقفت قبل ذلك، وربما توقفت بعد كتابة العقد بأيام قليلة. ومن الطريف أن عزيز عيد لم يلبث ممثلاً عند نجيب الريحانى،إلا ثلاثة أشهر،انتقل بعدها ممثلاً فى فرقة جورج أبيض(٢). وفى العام التالى ١٩١٨، انتقل إلى فرقة منيرة المهدية (٣) ... وهكذا.

والسؤال المُلّح الآن .. لماذا أقدم لطفى جمعة على خوض هذه التجربة التى أساءت إليه وإلى إنتاجه المسرحى؟!! الإجابة المحتملة – فى ظنى – هى الاحتياج المادي. فلطفى جمعة فى مذكراته، كان دائماً يشتكى من ضيق ذات اليد، خصوصاً فى هذه الفترة. وعندما أدرّت عليه مسرحيته (قلب المرأة) بعض المال، أراد تكرار التجربة من أجل تكرار إدرار المال عليه، فلم يجد أمامه إلا عزيز عيد، ونوعيته المسرحية الممقوتة والمبتذلة، فسار فى هذا الطريق، تحت ضغط الحاجة المادية.

والدليل على ذلك هذا الكم الهائل من المقالات – المتفاوتة فى القوة والضعف الفنيين والأدبيين – التى نشرت فى الكثير من الدوريات بقلم لطفى جمعة، والتى تؤكد أنه كان يكتبها، بصورة دورية منتظمة، تبعاً لاتفاق بينه

---

(١) – انظر : جريدة (المنبر) – عدد ١١١٨ – ١٩١٧/٥/٢٨.

(٢) – انظر : (جريدة (المقطم) – عدد ٨٦٣٢ – ١٩١٧/٨/٢.

(٣) – انظر : جريدة (المقطم) – عدد ٩٠٣٣ – ١٩١٨/١١/٢٥.

وبين أصحاب هذه الدوريات، مقابل مرتبات مادية يسيرة، ولكنها منتظمة. وإذا قام أحد الباحثين بحصر شامل لهذه المقالات، سيتضح له أن لطفى جمعة كان يكتب فى كل دقيقة، وكل ساعة، وكل يوم .. فى هذه الفترة (*)!!

وإحقاقاً للحق.. فإن لطفى جمعة ندم ندماً شديداً لأنه كتب هذه المسرحيات الكوميدية العامية،ودليلنا على ذلك أنه كان يتهرب منها، بل وكان يحاول بكل قوة عدم ذكرها فى كتاباته أو مذكراته،أو الإشارة إلى الدافع الحقيقى لكتابتها، أو أى شيء يدل عليها أو على وجودها كمخطوطات إلا فى القليل النادر. والدليل على ذلك أننا فوجئنا بها كمخطوطات مازالت محفوظة حتى الآن!!

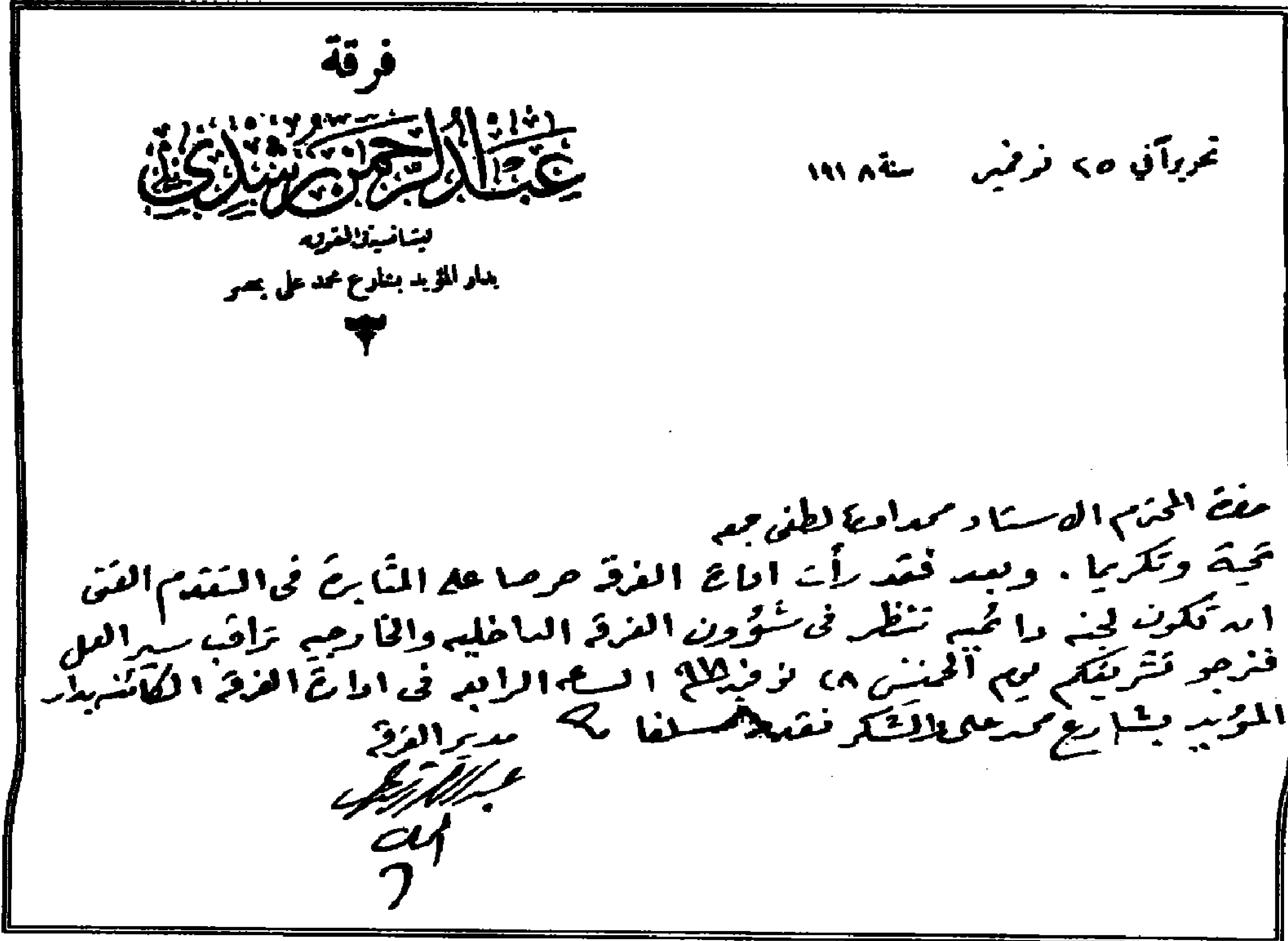
نيرون

كانت تجربة لطفى جمعة مع عزيز عيد، تجربة أليمة، ولكنها لم تبعده عن رغبته فى كتابة المسرحيات من أجل عرضها أمام الجمهور (**). ففى ١٩١٨/١١/٢٥، أرسل عبد الرحمن رشدى المحامى – صاحب إحدى الفرق المسرحية الشهيرة فى ذلك الوقت – خطاباً إلى لطفى جمعة، قال فيه : "*حضرة المحترم الأستاذ محمد أفندى لطفى جمعة*. تحية وتكريماً وبعد. فقد رأت إدارة الفرقة حرصاً على المثابرة فى التقدم الفنى أن تكوّن لجنة دائمة تنظر فى شئون الفرقة الداخلية والخارجية وتراقب سير العمل فنرجو تشويفكم

(*) – يقول د.إبراهيم عوض عن لطفى جمعة : " كان كاتباً متعدد الاهتمامات كثير الإنتاج، بل كان رائداً فى بعض مجالات التأليف كالقصة والمسرحية ودراسة الأدب الشعبى. وإن الإنسان ليتساءل : من أين كان له، فى زحمة اشتغاله بالمحاماة وبالقضية الوطنية فى الداخل والخارج، بالوقت والجهد اللذين يقتضيهما ذلك العدد الكبير من المؤلفات التى خلّفها وراءه مطبوعة ومخطوطة ؟ ". د.إبراهيم عوض – كاتب من جيل العمالقة : د.محمد لطفى جمعة : قراءة فى فكره الإسلامى – عالم الكتب ١٩٩٩ – المقدمة – ص(٥).

(**) – أقام محمد تيمور محاكمة تخيلية كوميدية للطفى جمعة، ونشرها فى جريدة السفور عام ١٩٢٠، وفى نهاية المحاكمة، جاء هذا الحكم : " حكمنا بما هو آت، أولاً : أن يبحث لطفى أفندى جمعة عن جوق جديد يمثل له روايته المقبورة فى درج مكتبه .... وأن يبدأ بتأليف رواية جديدة حالاً ...". محمد تيمور – حياتنا التمثيلية – الجزء الثانى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٧٣ – ص(١٤٢).

يوم الخميس ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ الساعة الرابعة في إدارة الفرقة الكائنة بدار المؤيد شارع محمد على والشكر نقدمه سلفاً. [توقيع] مدير الفرقة عبد الرحمن رشدى المحامى''.



فرقة

عبد الرحمن رشدي

بدار المؤيد بشارع محمد علي بمصر

تحريراً في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٨

حضرة المحترم الأستاذ محمد لطفي جمعه

تحية وتكريما. وبعد فقد رأت إدارة الفرقة حرصا على التمادي في التقدم الفني أن تكون لجنة ما تجمع تنظر في شؤون الفرقة الداخلية والخارجية تراقب سير العمل فنرجو تشريفكم يوم الخميس ٢٨ نوفمبر ١٩١٨ الساعة الرابعة في إدارة الفرقة الكائنة بدار المؤيد بشارع محمد علي والشكر نقدمه سلفا

مدير الفرقة

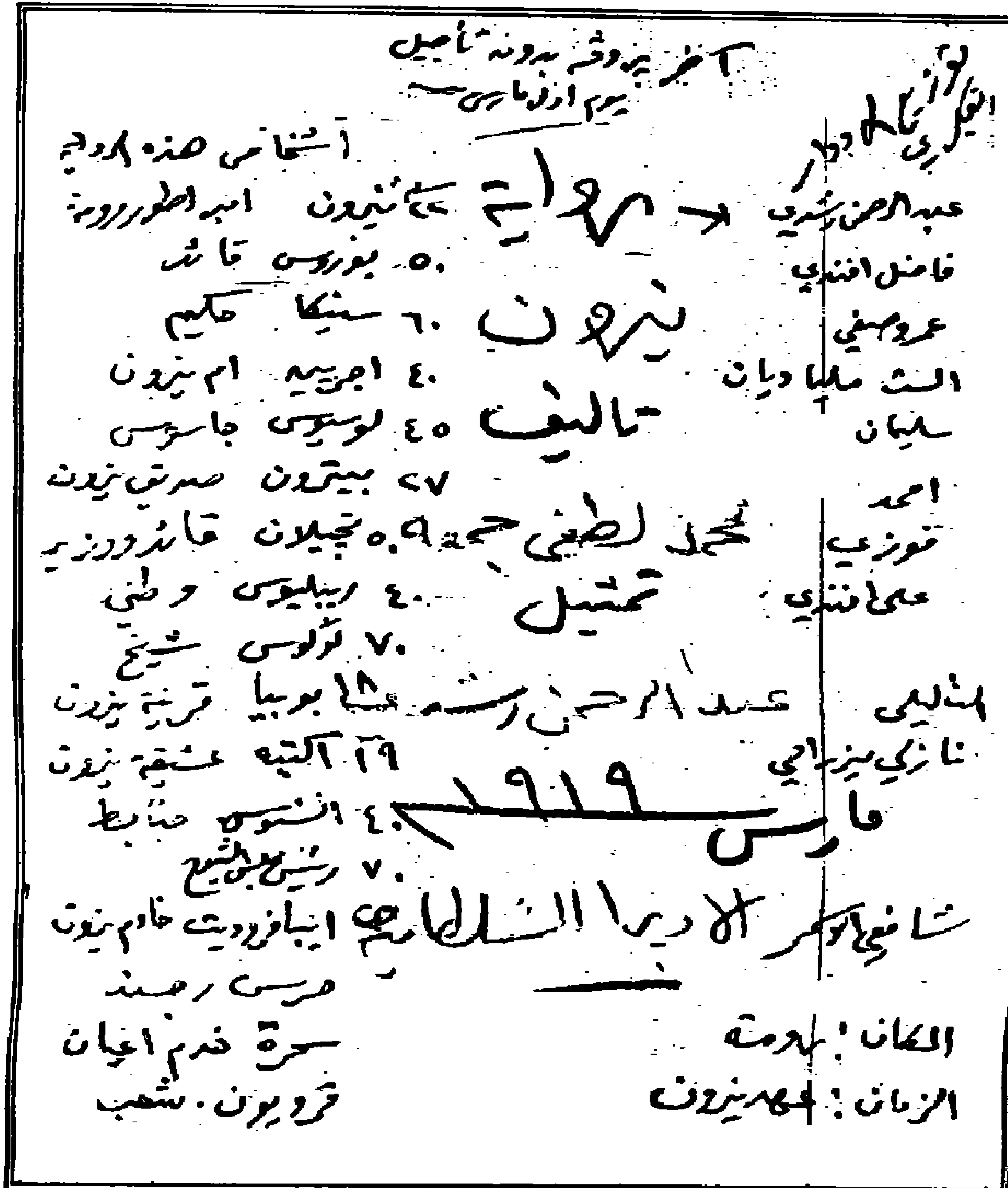
عبد الرحمن رشدي

وعلى الرغم من عدم وجود ما يفيد بحقيقة ما تم فى هذا اللقاء، فإننا نجزم بأن لطفي جمعة عرض فى هذا الاجتماع، علــى عبــد الرحمــن رشــدى، مسرحيته (نيرون) التى انتهى من كتابتها فى ١٩١٨/٩/١١. وبناء على هـذا العرض، وافق رشدى على تمثيلها من قبل فرقته. وهذا الجزم يؤكده إعـلان جريدة (المقطم) فى فبراير ١٩١٩، الذى جاء فيه أن فرقــة عبـد الرحمـن رشدى، ستمثل مجموعة من المسرحيات فى الأوبرا فى شهر مارس، ومنـها (الأجراس - هنرى الثالث - حلاق إشبيلية - نيرون) ([1]).

وبالفعل تم تمثيل المسرحية، وقام بأدوارها كل من : عبد الرحمن رشدى، فاضل أفندى، عمر وصفى، الست ميليا ديان، سليمان، أحمد، فوزى، علـــى

(1) - انظر : جريدة (المقطم) - عدد ٩٠٨٩ - ١٩١٩/٢/٤.

أفندى، الست ليلى،نازلى ميزراحى، شافع الأسمر(*). وأعادت الفرقة عرض المسرحية مرة أخرى فى يونية ١٩١٩، فى تياترو برنتانيا (١). ورغم إعـادة العرض فإننا لم نستطع الحصول على أى نقد لها فى تلك الفترة، بعكس مـا وجدناه من مقالات نقدية كثيرة، لمسرحية (نيرون) تأليف بترو كوستا تعريب حسن صديق، والتى عرضتها فرقة يوسف وهبى عام ١٩٢٧ (٢).


آخر بروفة بدون تأجيل
يوم أول مارس
أشخاص هذه الرواية
رواية نيرون تأليف محمد لطفي جمعة تمثيل
مارس ١٩١٩
عبد الرحمن رشدي — نيرون امبراطور رومة
فاضل افندي — ٥٠ بوروس تاجر
عمر وصفي — ٦٠ سنيكا حكيم
الست مليا ديان — ٤٠ اجربينا ام نيرون
سليمان — ٤٥ لوسيوس جاسوس
احمد — ٢٧ بيترون صديق نيرون
توفيق — ٥٠ تجيلان قائد ووزير
علي افندي — ٤٠ ربيليوس وطني
٧٠ ترلوس شيخ
الست ليلى — ١٨ بوبيا قرينة نيرون
نازلي ميزراحي — ٢٩ اكتيه عشيقة نيرون
٤٠ انسوس ضابط
٧٠ رئيس الشيوخ
شافع الأسمر — ايبافروديت خادم نيرون
حرس رصد
سحرة خدم اعيان
ترويون . شعب
المكان : رومة
الزمان : عهد نيرون

(*) – هذه الأسماء منقولة من صفحة أدوار المسرحية وتوزيع الممثلين الموجودة فى مخطوطـة المسرحية، وجاءت فيها هذه العبارة '' آخر بروفة بدون تأجيل يوم أول مارس''.

(١) – انظر : جريدة (مصر) – عدد ٦٦٩٥ – ١٩١٩/٦/٥.

(٢) – وللمزيد عن هذا الأمر، انظـــر : جريـدة (كوكـب الشـرق) – عـدد ٧٧٠ – ١٩٢٧/٣/٢، جريدة (السياسة) – ١٩٢٧/٣/٦، جريدة (المقطـم) – ١٩٢٧/٣/٦، مجلة (المسرح) – عدد ٦٦ – ١٩٢٧/٣/٢٨، جريـدة (الوطـن) – ١٩٢٧/٣/٢٩، جريدة (الأخبار) – عدد ١٨٥٩ – ١٩٢٧/٤/٧، جريدة (الأهـرام) – ١٩٢٧/٧/٢٤، مجلة (الناقد) – عدد ١٢ – ١٩٢٧/١٢/١٩.

فى سبيل الهوى

انشغل لطفى جمعة عن الكتابة المسرحية، لمدة ست سنوات، لأنه لم يجد الحافز للكتابة. ولكن فى عام ١٩٢٥ فوجئنا بأنه ألف مسرحية جديدة أطلق عليها اسم (فى سبيل الهوى). والمفاجأة تمثلت فى أن هذه المسرحية،ما هى إلا إعادة صياغة لروايته القديمة(فى وادى الهموم)المطبوعة عام ١٩٠٥([1])! وتساءلت : لماذا يُقدم لطفى جمعة على إعادة صياغة رواية قديمة، فى ثوب مسرحى، وهو الأديب الموسوعى غزير الإنتاج ؟! وما الدافع إلى هذه العجلة .. ألم يكن أمامه متسع من الوقت .. ليدبج بقلمه موضوعاً مسرحياً جديداً ؟!

والإجابة عن هذه التساؤلات تكمن فى سطور خطاب أرسله لطفى جمعة إلى طلعت حرب عام ١٩٢٥، قال فيه : ''حضرة صاحب العزة محمد بك طلعت حرب، رئيس شركة ترقية التمثيل العربى، بعد التحية. أتشرف بأن أخبركم بما وصل إلى علمى من أنكم تطلبون روايات تمثيلية مصرية تتناول أخلاق هذه الأمة وتقوّم المعوج منها وتصلح الفاسد من العادات الاجتماعية الشائعة فى بلادنا، وعلمت أيضاً أن عزتكم تتفضلون بمراجعة الروايات التى تقدم لكم بنفسكم لتبدو فيها حكماً عادلاً بما ركز فى طبعكم من أصول المعرفة بالفنون لاسيما ولكم قدم راسخ فى التأليف، وهذه طريقة أفضل من سواها وأضمن. ولما كنت شغفاً بدرس أخلاق أمتنا المصرية، فقد وضعت رواية تنطبق على رغبتكم فى خمسة فصول سميتها (فى سبيل الهوى) وهى من الروايات الاجتماعية المعروفة بأوربا بأنها **COMEDIE SERIEUSE**، فضلاً عن كونها ذات أغراض مبيّنة فى ثنايا مناظرها، فهى فى الواقع تجمع بين الحوادث وبين الأغراض الاجتماعية من قبيل **PIECES A THESE**. وقد سبق لى وضع روايات تمثيلية قد مثلت فعلاً منها رواية قلب المرأة وقد مثلت لأول مرة فى تياترو الأوبرا الخديوية بمعرفة فرقة جورج أبيض فى مارس سنة ١٩١٦، ثم رواية نيرون وقد مثلت فى تياترو الأوبرا أيضاً فى مارس سنة ١٩١٩، ثم رواية (الوالد والولد) و(خضر أرضك) و(الحب والمجد) إلى

([1]) – انظر : أحمد حسين الطماوى – محمد لطفى جمعة فى موكب الحياة والأدب – عالم الكتب – ١٩٩٣ – ص(٢٣٦).

آخره. فترون عزتكم من هذا أنه قد سبق لى ممارسة هذا الفن الجميل. ولما كنت أعلم حقيقة أميال الجمهور المصرى، فقد جعلت فى الرواية كثيراً من مناظرها باللغة العامية، فضلاً عن أنها مكتوبة جميعها بلغة سهلة مفهومة، وجعلت حوادثها موزعة على الأماكن التى تنطبق على وقائعها وأخلاق أبطالها. فالفصل الأول فى ملعب القمار والثانى فى بيت عائلة مصرية شريفة عريقة والثالث فى بيت معشوقة بطل الرواية والرابع فى عيادة طبيب اختصاصى والخامس فى حانة. وترون من هذا التقسيم سعة المجال للبحث فى أخلاق كثيرة. فإن كنتم تتفضلون بقراءة هذه الرواية ويعوزكم بعض التفسير فأنا مستعد لإفصاح اللازم، وإن كنتم تفضلون سماع الرواية بواسطة إلقائى على أفراد أو فى حضرة من تنتخبون، فأنا لا أرى بأساً فى ذلك، وعلى أى حال لا أريد غير اتباع العرف المعمول به عندكم بما فيه ضمانة القراءة بشخصكم مباشرة دون سواكم. وإنى أعتذر عن طول هذا الخطاب وانتظر من عزتكم رداً عن هذه المسألة. وأرجو أن تتفضلوا فى الختام بقبول فائق تحياتى وإخلاصى. [توقيع] محمد لطفى جمعة '' (١).

إذن الدافع وراء إعادة لطفى جمعة صياغة رواية قديمة فى ثوب مسرحى، هو رغبته فى عرض إحدى مسرحياته على الجمهور، كما حدث فى مسرحيتيه (قلب المرأة) و(نيرون)، هذا بالإضافة أيضاً إلى المكسب المادى، الذى سيناله من طلعت حرب نظير تمثيل فرقة عكاشة لمسرحية (فى سبيل الهوى). وبالرغم من ذلك، فإن التاريخ يثبت أن فرقة عكاشة، لم تمثل هذه المسرحية، ولم تمثلها أيضاً أيه فرقة أخرى.

مسابقة التأليف المسرحى

إذا كان لطفى جمعة، لم يوفق مع طلعت حرب وشركته التمثيلية، إلا أن السعى وراء ما يدره المسرح على المؤلفين، كان يشغل لطفى جمعة بصورة ملحة. ففى ١٩٢٥/٣/٤،أرسل لطفى جمعة خطاباً إلى عبد الحميد بدوى باشا قال فيه : '' حضرة صاحب السعادة عبد الحميد بدوى باشا رئيس لجنة بحث الروايات التمثيلية الاستشارية بوزارة الأشغال. تحية وسلاماً وبعد فإنى

(١) - رابح لطفى جمعة - حوار المفكرين - السابق - ص(٣١٩،٣٢٠).

تشرفت بتقديم روايتين تمثيليتين من تأليفى للجنة بحث الروايـــات التمثيليــة الاستشارية وهما : (١) قلب المرأة : وقد سبق تقديمها إلى قسم المطبوعــات بوزارة الداخلية والتصديق عليها فى سنة ١٩١٦ ومثلتها للمرة الأولى بتياترو الأوبرا الملكية فى مساء السبت ٢٥مارس سنة١٩١٦ فرقة الأستاذين أبيـض وحجازى.وقد سلمتها لحضرة سكرتير اللجنة وهى فى مجلد مؤلف من ١٣١ صحيفة من القطع الكبير. (٢) نيرون: وقد سبق تقديمها إلى قسم المطبوعات بوزارة الداخلية والتصديق عليها فى سنة ١٩١٨ ومثلتها مساء ٤ مارس سنة ١٩١٩ فرقة الأستاذ عبد الرحمن رشدى المحامى وقــد سـلمتها لحضــرة سكرتير اللجنة وهى مؤلفة من جزئين الأول فى ١٦٢ صفحة وهــو يشــمل الفصول الأول والثانى والثالث والجزء الثانى فـــى ١١٢ صفحـــة ويشــمل الفصلين الرابع والخامس. وإنى أحيط سعادتكم علماً بأن هاتين الروايتين لــم تُطبعا وهذا الذى ألجأنى للاكتفاء بتقديم نسخة واحدة من كل منـــهما وهـــى النسخة الوحيدة عندى ما عدا النسخة التى يحفظها مدير الفرقة التـــى مثلـــت الرواية. وتفضلوا بقبول تحياتى [توقيع]محمد لطفى جمعة المحامى بمصر''.

القاهرة في ٤ مارس سنة ١٩٢٥
حضرة صاحب السعادة عبد الحميد بدوي باشا رئيس لجنة بحث
الروايات التمثيلية الاستشارية بوزارة الأشغال.
تحية وسلاما.
وبعد فإني تشرفت بتقديم روايتين تمثيليتين من تأليفي
للجنة بحث الروايات التمثيلية الاستشارية وهما :
(١) قلب المرأة - وقد سبق تقديمها إلى قسم المطبوعات
بوزارة الداخلية والتصديق عليها في ١٩١٦
ومثلتها للمرة الأولى بتياترو الأوبرا الملكية
في مساء السبت ٢٥ مارس ١٩١٦ فرقة
الأستاذين أبيض وحجازي. وقد سلمتها
لحضرة سكرتير اللجنة وهي في مجلد مؤلف من
١٣١ صحيفة من القطع الكبير
(٢) نيرون - وقد سبق تقديمها إلى قسم المطبوعات بوزارة
الداخلية والتصديق عليها في ١٩١٨ ومثلتها
للمرة الأولى بتياترو الأوبرا الملكية في
مساء ٤ مارس ١٩١٩ فرقة الأستاذ
عبد الرحمن رشدي المحامي وقد سلمتها لحضرة
سكرتير اللجنة وهي مؤلفة من جزئين الأول
في ١٦٢ صفحة وهو يشمل الفصول الأول والثاني
والثالث والجزء الثاني في ١١٢ صفحة ويشمل
الفصلين الرابع والخامس
وإني أحيط سعادتكم علما بأن هاتين الروايتين لم تُطبعا
وهذا الذي ألجأني للاكتفاء بتقديم نسخة واحدة من كل
منها وهي النسخة الوحيدة عندي ما عدا النسخة التي يحفظها
مدير الفرقة التي مثلت الرواية. وتفضلوا بقبول تحياتي
محمد لطفي جمعة المحامي بمصر

وهذا الخطاب، يعنى أن لطفي جمعة أراد الاشتراك فى أول مسابقة حكومية، فى الكتابة المسرحية، تعقد فى مصر عام ١٩٢٥ (١). وبالفعل كُللت جهوده بالنجاح وفاز بإحدى جوائز المسابقة (*)، والتى تمثلت فى مبلغ نقدى، هو (٦٥) جنيهاً !!

وما كان من صاحب مجلة (المسرح) - محمد عبد المجيد حلمى - إلا أنه كتب مقالة قال فيها : ''.... مضت سنوات طوال على لطفى جمعة، لم يكتب فيها حرفاً واحداً لا بخير ولا بشر. ومرت الأيام، وتألفت فى البلد لجنة حكومية لفحص مجهود المؤلفين المسرحيين وتقدير المكافآت لهم، وظهرت نتيجة عمل اللجنة، فإذا الأستاذ لطفى جمعة قد نال الدرجة الثانية ومكافآتها ٦٥ جنيهاً مصرياً.وكان للجنة فحص الروايات تقرير أصدرته فتسلمه الأستاذ لطفى جمعة، وصبر عليه أياماً، فإذا به قد طلع علينا فى جريدة المقطم بمقالات ضافية في الصحيفة الأولى ينقد بها تقرير اللجنة، نقداً أدبياً فنياً منطقياً بسيكلوجياً ..!! أما أنا فقد حمدت الله طويلاً. لقد نطق الأستاذ، وما أنطقه إلا الـ٦٥ جنيهاً وتقرير اللجنة ... فأنا أدعو الناس أجمعين من أنس وجان إلى تكوين جمعيات تمنح مكافآت، وتصدر تقريرات، حتى يتسع المجال للأستاذ فيكتب. (عرفنا ديتها) يا أستاذ ..!! '' (٢).

خضر زرعك

بعد خمس سنوات، وتحديداً فى عام ١٩٣٠، أنشأت وزارة الأشغال أول معهد مسرحى حكومى فى مصر - وفى الأقطار العربية أيضاً - تحت إدارة زكى طليمات، الذى كان على علاقة ما بلطفى جمعة. وبسبب هذه العلاقة أرسل زكى طليمات رسالة - بصفة رسمية فى ١٩٣٠/٩/١٨ - إلى لطفى

---

(١) - انظر : مجلة (التياترو) - عدد ٧ - إبريل ١٩٢٥ - ص(٤).

(*) - جاء ترتيب الفائزين فى هذه المسابقة، على النحو التالى : إبراهيم رمزى (٧٠) جنيهاً، عباس علام (٦٥)، محمد لطفى جمعة (٦٥)، بديع خيرى (٤٥)، ميخائيل بشارة داود (٤٥)، أنطون يزبك (٤٠)، أحمد رأفت (٤٠)، سليمان نجيب (٤٠)، مصطفى ممتاز (٣٠)، فرنسيس شفتشى (٣٠)، جورج عيد وسيد قدرى (٣٠). انظر تفاصيل هذه المسابقة بصورة كاملة فى جريدة (الأهرام) - ١٩٢٦/٣/٢٦.

(٢) - مجلة (المسرح) - عدد ٢٣ - ١٩٢٦/٤/١٢ - ص(٥).

جمعة، قال فيها، تحت عنوان (بشأن الإذن بدراسة رواية (خضر زرعك) فى معهد فن التمثيل) : '' حضرة الأستاذ محمد لطفى جمعة المحامى. تقضى دراسة فن الإلقاء بمعهد فن التمثيل أن يقوم طلبة المعهد بدراسة وتمثيل أدوار مختلفة من روايات قيمة مما أخرجته الأقلام المصرية فى التأليف المسرحى. وقد رأت الوزارة أن تكون روايتكم المذكورة ضمن الروايات التى تدرس بالمعهد. فاقتضى تحريره إلى حضرتكم رجاء التفضل بموافاتنا بصورة منها. هذا مع العلم بأن هذه الرواية لن يجرى تمثيلها قبل استئذانكم والحصول على موافقة مدير الفرقة الذى يملك حق تمثيلها. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام [توقيع] زكى طليمات، والسكرتير العام ''.

وزارة المعارف العمومية

مدرسة أو قسم معهد فن التمثيل

بشأن الاذن بدراسة رواية "خضر زرعك"

الى معهد فن التمثيل

١٨

حضرة الاستاذ محمد لطفى جمعة المحامى

تقضى دراسة فن الالقاء بمعهد فن التمثيل ان يقوم طلبة المعهد بدراسة وتمثيل ادوار مختلفة من روايات قيمة مما أخرجته الاقلام المصرية فى التأليف المسرحى .

وقد رأت الوزارة أن تكون روايتكم المذكورة ضمن الروايات التى تدرس بالمعهد .

فاقتضى تحريره الى حضرتكم رجاء التفضل بموافاتنا بصورة منها . هذا مع العلم بأن هذه الرواية لن يجرى تمثيلها قبل استئذانكم والحصول على موافقة مدير الفرقة الذى يملك حق تمثيلها .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ..

زكى طليمات — السكرتير العام

وعلى الرغم من عدم التأكد مما ذكر فى هذا الخطاب الرسمى، قد تم أو لا، إلا أننا نعتقد بأنه لم يتم. والدليل على ذلك أن هذه المسرحية، ألفها لطفى جمعة، فى فترة كتاباته المسرحية، على غرار ما تقدمه فرقة عزيز عيد، كما بينا فيما سبق. هذا بالإضافة إلى أن لغتها عامية سوقية .. ولا يُعقل أن معهداً أكاديمياً يستطيع أن يُقدم على تدريس هذه المسرحية لطلابه .. خصوصاً فى مادة (فن الإلقاء)!! وأيضاً لا يستطيع أى معهد أن يُقدم على تمثيل مثل هذه المسرحية – كما جاء فى الخطاب – بسبب موضوعها المبتذل!! وأخيراً لم نجد أية أخبار تتعلق بهذه المسرحية، فيما نشر عن المعهد عامى ١٩٣٠،

١٩٣١ وهى كل فترة وجوده حينئذ (١). وتفسير هـذا الخطـاب، أن زكـى طليمات - من خلال علاقته بلطفى جمعة - أرسل له هذا الخطـاب، دون أن يعلم موضوع المسرحية، بل وقبل أن يقرأها. ولكن بعد القراءة - للأسـباب السابقة - صرف المعهد نظره عن هذه المسرحية (*).

---

(١) - وللمزيد عن بداية ونهاية هذا المعـهد، انظـر: جريـدة مصـر - عـدد ٩٩٧١ - ١٩٣٠/٨/١٢، ومجلة النهاردة - عدد ٥ - ١٩٣٠/٨/١٤، ومجلة المصور - عدد ٣١٤ - ١٩٣٠/١٠/١٧، وجريدة مصر - عدد ١٠٠٥١ - ١٩٣٠/١١/٧، ومجلة المصور - عدد ٣٣٤ - ١٩٣١/٣/٦، وجريدة المقطم - عدد ١٢٩١٤ - ١٩٣١/٨/٥، ومجلـة المصـور - عـدد ٣٥٦ - ١٩٣١/٨/٧، ومجلـة روز اليوسـف - عـدد ٢٠٤ - ١٩٣٢/١/١١، وزكى طليمات - فن الممثل العربي: دراسـة وتـأملات فى ماضيه وحاضره - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - ١٩٧١ - ص (١٣٩،١٤٠)، وزكى طليمات - ذكريات ووجوه - الهيئة المصرية العامة للكتـاب - ١٩٨١ - ص (٧٨-٨٥)، سمير عوض - معهد التمثيل الحكومى - مجلـة الكواكـب - عـدد ٢٢٨٢ - ١٩٩٥/٤/٢٥، د.سيد على إسماعيل - تاريخ المعهد المسرحى بدولة الكويت (١٩٦٤-١٩٩٩) - دار قرطاس للنشر - ط١ - ١٩٩٩.

(*) - ومن الجدير بالذكر إن ماحدث مع زكى طليمات ومعهده بالنسبة لمسرحية (خضـر أرضك)، حدث أيضاً - ومن قبل - بالنسبة إلى فرقة يوسف وهبى، عندما أراد لطفـى جمعة أن تقوم الفرقة بتمثيلها هى ومسرحية (حبيب القلب وحبيب الجيب). فقد أرسـل شقيق يوسف (إسماعيل وهبى) خطاباً إلى لطفى جمعة فى ١٩٢٤/١١/١٠، قال فيـه : "حضرة الأستاذ الفاضل محمد بك لطفى جمعة. بعد التحية - نرجو التشريف بمكتـب حضرة الأستاذ إسماعيل بك وهبى الكائن بشارع سليمان باشا نمرة ٢٣ وذلك طبقاً لقرار لجنة فحص الروايات للنظر فى الروايتين المقدمتين من حضرتكم وهما خضر أرضـك - حبيب القلب حبيب الجيب. وذلك فى يوم الجمعة الموافق ١٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ الساعة ٧ أفرنكى مساء. وأقبلوا فائق احتراماتى. سكرتير اللجنة". ومن الواضح أن هذا اللقـاء كان لإخبار لطفى جمعة برفض رواياته، والدليل أن فرقة يوسف وهبى لم تمثـل هـاتين المسرحيتين. وهذا الأمر تكرر أيضاً وللمرة الثالثة من قبل جمعية أنصار التمثيل، عندمـا أرسلت خطاباً إلى لطفى جمعة بدون تاريخ، قالت فيه : " لقد أعدنا إحياء جمعية أنصار التمثيل، ونرجو منكم المساعدة كما عودتنا، وأول ما نسألك إياه إحضار رواية (خضـر أرضك) التى سبق وقرأتها لى، وإن كان هناك غيرها فلنا الشرف بالإطلاع عليها، وسأمر بمكتبك غداً مساء فى نحو السابعة، فإذا لم تمكنك الظروف من لقائى فأرجو ترك الروايـة بالمكتب لأننا نريد أن نبدأ عملنا قوياً والسلام". ومن الثابت تاريخياً أيضـاً أن هـذه الجمعية لم تمثل هذه المسرحية. انظر نص الخطابين فى كتاب (حوار المفكرين) - السـابق - ص(٣١٠،٣١٤).

يقظة الضمير

من الجدير بالذكر إن لطفي جمعة كانت تربطه علاقة وثيقة بشاعر القطرين خليل مطران. وفي إحدى الرسائل المتبادلة بينهما عام ١٩٣٥، قال مطران : '' حضرة الأخ العزيز الأديب الكبير والمحامي الشهير الأستاذ محمد لطفي جمعة. بعد التحية والإكرام. تلقيت كتابك وتاريخه ١٩٣٥/١٢/٩ وسررت بمطالعته سروري بكل ما يجيء منك، أما ظنك أنني نسيتك فقد أثارني شجناً وهل كان لي أن أنساك في مثل ما نيط بي من الأمر. غير أنني كنت معتقداً أنك صرفت إحدى قواك الفكرية الكبرى عن هذا الفن الذي تشتغل به [يقصد المسرح] ولعل ذلك تأتّى من انقطاعي بضع سنين عما كانت تجود به قرائح أكابر كتابنا الذين عنوا حيناً بالمسرح، أما عملك وإخلاصك فأنا أعرف الناس بهما ومكاني منك كمكانك مني – فيما طال به العهد بيننا – فوق الزلفى أياً كان نوعها وسببها. فرجائي إن اتسع وقتك للقاء أن تعيّن لي موعداً نجتمع فيه ونتباحث فيما تريد أن تتفضل به من النصرة على هذه الفرقة وأنت مشكور كل الشكر على ما يتيسر لي من تلافي التقصير إن كان قد وقع تقصير وحياك الله وأبقاك. لمحبك المخلص [توقيع] خليل مطران ''.

حضرة الأخ العزيز الأديب الكبير
والمحامي الشهير الأستاذ محمد لطفي جمعة
بعد التحية والإكرام تلقيت كتابك
وتاريخه ٩/١٢/٣٥ وسررت بمطالعته
سروري بكل ما يجيء منك. أما ظنك
أنني نسيتك فقد أثارني شجناً وهل كان لي
أن أنساك في مثل ما نيط بي من الأمر. غير
أنني كنت معتقداً أنك صرفت إحدى قواك
الفكرية الكبرى عن هذا الفن الذي تشتغل به
ولعل ذلك تأتى من انقطاعي بضع سنين
عما كانت تجود به قرائح أكابر كتابنا الذين
عنوا حيناً بالمسرح. أما عملك وإخلاصك
فأنا أعرف الناس بهما ومكاني منك كمكانك
مني فيما طال به العهد بيننا فوق الزلفى أياً
كان نوعها وسببها. فرجائي إن اتسع
وقتك للقاء أن تعين لي موعداً نجتمع فيه
ونتباحث فيما تريد أن تتفضل به من النصرة
على هذه الفرقة وأنت مشكور كل الشكر
على ما تيسر لي من تلافي التقصير إن كان قد
وقع تقصير وحياك الله وأبقاك
لمحبك المخلص
خليل مطران

وهذه الرسالة كتبها مطران، وهو مدير الفرقة القومية المسرحية، ولنا عليها عدة ملاحظات : أولاً، أنها رد من مطران على رسالة قد أرسلها لطفى جمعة، وهذا يعنى أن ما فى الرسالة هو إجابات أو تبريرات لأشياء ذكرها لطفى جمعة فى رسالته المُرسلة فى ١٩٣٥/١٢/٩. ثانياً، الرسالة تؤكد أن خليل مطران كان لا يراسل لطفى جمعة لفترة طويلة، لدرجة النسيان .. أى أن خليل مطران كاد أن ينسى لطفى جمعة. ثالثاً، تبرير مطران لنسيان جمعة، راجع إلى اعتقاده بأن لطفى جمعة نسى المسرح وابتعد عنه وانشغل بأمور أخرى. رابعاً، يطلب مطران من لطفى جمعة موعداً كى يتباحث معه فيما يريد لطفى أن يخدم وينصر به الفرقة القومية، تبعاً لما كتبه فى رسالته لمطران.

وهذه الملاحظات فى مُجملها –بالإضافة إلى أسلوب الخطاب – يشتم منها القارىء رائحة تهرب مطران من لطفى جمعة !! فما الشىء الذى عرضه لطفى فى خطابه على خليل مطران، كى يخدم وينصر به الفرقة القومية ؟!! من المؤكد أنه نص مسرحى جديد، يريد لطفى من مطران أن يمثله من خلال الفرقة القومية .. ولماذا لا وخليل مطران هو المدير والصديق القديم للطفى!! وهكذا بدأت قصة آخر نص مسرحى متكامل للطفى الجمعة، وهو نص مسرحية (يقظة الضمير).

ولهذه المسرحية قصة طريفة، فقد أعطى لطفى جمعة نص المسرحية إلى مطران فى أواخر ١٩٣٥، كى تمثلها الفرقة القومية بصورة سريعة، وبالتالى يقبض لطفى الثمن بصورة سريعة أيضاً. ولكن مطران تكاسل بعض الشىء، أو فلنقل كان يتهرب من لطفى جمعة لمدة سنة كاملة، مما جعل لطفى يطلب استرداد النص مرة أخرى. وبالفعل قام سكرتير الفرقة بتسليم النص إليه، ولم يقم بذلك خليل مطران نفسه. وهذا التصرف دليل قاطع على تهرب مطران من لطفى بكل وسيلة ممكنة. وهكذا استرد لطفى النص بعد عام تقريباً – فى أواخر ١٩٣٦ – عندما فقد الأمل فى تمثيلها.

وفى عام ١٩٣٧ شاهد لطفى جمعة أحد الأفلام السينمائية، وهو فيلم (نشيد الأمل) لأم كلثوم، ففوجىء بأن قصة الفيلم، هى نفسها مسرحيته (يقظة

الضمير) بكل ما فيها من تفاصيل وشخصيات وأحداث ..إلخ. وعندما علم أن أدمون تويما هو كاتبها، وأنه أحد رعايا خليل مطران. هذا بالإضافة إلــى أن خليل مطران كانت له يد قوية فى شركة فيلم الشرق، التى أنتجت الفيلـم ..!! أمام هذه الحقائق كلها اتضحت للطفى جمعة خيوط المؤامرة التى دبرها خليل مطران مع أدمون تويما لسرقة موضوع مسرحيته (يقظة الضمير)، مما جعل بعض الأصدقاء يشيرون عليه برفع دعوى قضائية على الشــركة المنتجــة للفيلم وأيضاً على الرجلين ([1]).

ولحسن الحظ أن لطفى جمعة لم يتبع شيطانه، وتمهل فى التفكير، فاهتدى إلى طريقة مسالمة،وهى إرسال رسالة عتاب وتوضيح لصديقه مطران، حتى يبرر له ما حدث. وبالفعل أرسل هذه الرسالة فى ١٩٣٧/١/١٥، قائلاً فيها : '' حضرة أستاذى وأخى عميد الأدب العربى علم المكارم التى لا ترام وفخر مصر والشام شاعر الأقطار العربية خليل المطران بك حفظه الله .... شهدت قصة (نشيد الأمل) .... وقد قرأت فى البرنامج أن كاتب القصة هــو أحـد الأدباء من أصدقائك المشمولين بعنايتك.... فتأكدت أن الحوادث التى أفرغت فى قالب سينمائى ليست مجهولة لدى ولا بعيدة عنى، بل وليســت مجهولــة لديك فما هى يا سيدى الأستاذ الجليل إلا رواية (يقظة الضمير) الدرامية التى تشرفت بتقديمها إلى شخصك الكريم .... وبقيت فى حراســة عزتكـم إلــى ديسمبر سنة ١٩٣٦ فردها إلىّ السكرتير كطلبى .... فما أفظع تهكم القــدر!! إن خمساً وثلاثين سنة تربطنا بمودة أعتقد من جانبى أنها وثيقة، فهل لى أمل بأن أستعين على جلاء هذا الغموض بك؟ وهل تعيننى بما هو معهود فيك من الشرف والأمانة والذمة والصدق وحسن النية على اكتشاف سر انتقال قصتى من كراستى التى كانت فى العهدة إلى الشاشة البيضاء؟ وأنت تعلم يا أستاذى ويا أخى أن فى حرمان الأديب من ثمرة أدبه والمفكر من فائدة تفكيره ذهاب كل نعمة عن الجماعة وتفرق كل كرامة وإجلاب كل ضرر وإدبار كل منفعة والعمل بكل جور وفناء كل حق. فكيف وصلت حوادث هذه القصة إلى غيرنا وكلانا شديد الحرص على هذه الأمانة، أنت لأنك تمثل الشــرف والأمانــة

([1]) – راجع : محمد لطفى جمعة – شاهد على العصر – السابق – ص(٥٨٦،٥٨٧).

والأدب العربى، وأنا لأنى صاحب الرواية ومؤلفها .... أعلـــم يقينـــاً أنـــك تغضب للحق وتثور للعدل وتأبي الظلم وتذود عن الكرامة .... فهل لـــك أن تنهض بالعبء هذه المرة صديقاً وفياً وقاضياً عادلاً وحكماً خبيراً وأخاً كبيراً ومجاهداً كريماً فى سبيل الفن والخلق الكريم .... أننى طبعاً لن أفاتح أحـــداً فى هذا الأمر حتى أرى نتيجة شكواى إليك واستنجادى بك فى حل هذا اللغز ورفع الستار عن هذا السر بما هو معهود فيك من الإيثار والوفـــاء والعـــدل وعلو الهمة '' (١).

وإذا كنا قد اجتزعنا بعض الفقرات من هذه الرسالة المطولة، فإن الأجزاء الأخرى، ما هى إلا عبارات تترادف فى معانيها وأحاسيسها للأجزاء المنقولة هنا. وهذه الرسالة يلاحظ القارىء أن أسلوبها بليغ فى الحوار، حيث تتمـازج كلمات العتاب بكلمات الحب، وكلمات الوفاء بكلمات الغـــدر... إلـخ هـذه الأضداد. ولكن فحواها العام يؤكد على أن لطفى جمعة كان جـاداً وشرسـاً وينوى الانتقام من كل من سلبوه حقه الأدبى. ذلك الحق الذى جعل له لطفـى جمعة لساناً يصرخ بصرخات عاليه من بين سطور الرسالة..!! ومن الغريب أن لطفى جمعة لم يتحدث عن أية حقوق مادية له .. فكل ما يهمـــه حقوقـــة الأدبية .. وعدم اغتيال عقله وأفكاره.

ويظن القارىء أن لطفى جمعة بعد ذلك أقام الدنيا وأقعدهـــا فـــى سـبيل استرجاع حقه الأدبى، وعدم الاستسلام لاغتيال عقله وفكره ومجهوده .. إلخ ما عبر عنه فى خطابه لمطران .. ولكن بكل أسف فقـــد انتـــهت المشـــكلة بصورة لا تنم عن عمق المشكلة .. وجاءت النهاية من خلال أسطر قليلة فى مذكرات لطفى جمعة، قال فيها : '' يقظة الضمير تمثيلية مصرية فى خمسة فصول اشترتها الفرقة القومية فى أكتوبر سنة ١٩٤٠ وكانت أمانة عند خليل مطران وسرق المدعو أدمون تويما الموضوع وجعله باسم (نشـــيد الأمـــل) ومثلته أم كلثوم سنة١٩٣٨،ولكننى أخذت ثمن روايتى بعد ذلك بسنتين'' (٢).

---

(١) – رابح لطفى جمعة – محمد لطفى جمعة وهؤلاء الأعلام – السابق – ص(٤٢٧–٤٣٠).

(٢) – السابق – ص(٤٣٢). وللمزيد عن هذا الموضوع، انظر : محمد لطفى جمعة – شـــاهد على العصر – السابق – ص(٥٩٢–٥٩٤).

وهكذا كانت النهاية، فقد أعطت الفرقة القومية مبلغاً من المال إلى لطفي جمعة، نظير هذه السرقة ولكي يسكت، فرضي لطفي جمعة بهذا المال وسكت .. وتنازل عن كافة حقوقه الأدبية والمعنوية .. وقُبرت مسرحيته (يقظة الضمير)، ولكن يشاء القدر أن تظهر للنور وباسمه في هذا الكتاب !!

الاحتكاك بالحياة المسرحية

إذا كنا قد تحدثنا – فيما سبق – عن ظروف وملابسات جميع مسرحيات لطفي جمعة المخطوطة، والمنشورة في هذا الكتاب، فيجب أن ننبه على أن لطفي جمعة بجانب ما ورد، كان محتكاً بالحياة المسرحية، احتكاكاً كبيراً. فمثلاً في عام ١٩١٥ نجد حسين فتوح – سكرتير جمعية أنصار التمثيل – يرسل له خطاباً من أجل اختياره ليكون من مؤبني محمد عبد الرحيم، رئيس الجمعية، وذلك في الاحتفال الخاص بهذا التأبين.

جمعية انصار التمثيل بالقاهرة

القاهرة في ٢٨ [illegible] سنة ١٩١٥

حضرة الاستاذ محمد لطفي جمعة المحترم

[illegible]

حسين فتوح

سكرتير جمعية انصار التمثيل

وفى عام ١٩١٦ كان لطفى جمعة أحد أعضاء (جمعية الكُتاب التمثيلية)، التى تألفت لتعمل على خدمة الفن المسرحى تأليفاً وترجمة. وهذه الجمعية تألفت من : فؤاد سليم، عبد الحليم دلاور، إبراهيم رمزى، صالح جودت، إسماعيل وهبى، ميخائيل بشارة داود، أحمد رأفت، محمد لطفى جمعة، أمين صدقى"(١).

وفى عام ١٩٣٣ تم اختيار لطفى جمعة ليكون ضمن أعضاء لجنة المؤتمر المسرحى العام، الذى سينظر فى علاج ناجح للحالة المسرحية المتردية، التى وصل إليها المسرح المصرى. وقد أرسل سكرتير اللجنة محمد توفيق المردنلى، خطاباً إلى لطفى جمعة بهذا الشأن.

اللجنة التمهيدية
مؤتمر المسرحي العام

دار الشوارى، شارع الملكة نازلى
رقم ٥٩

حضرة الاديب الفاضل الاستاذ محمد لطفى جمعة المحامى

تحية واحتراما، وبعد فان الحالة السيئة التى وصل اليها المسرح المصرى فى العهد الاخير قد استنهضت هم بعض المشتغلين بالفن فى بلادنا، فاجتمعت الكلمة على ان يعقد مؤتمر مسرحى ينظر فى علاج ناجع لتلك الحالة.

من اجل ذلك تألفت لجنة تمهيدية عقدت جلستها الاولى يوم الاثنين ٦ نوفمبر سنة ١٩٣٣ بعيادة حضرة الدكتور فؤاد رشيد (المبين عنوانها فى صدر هذا).

ولما كنتم من انصار المسرح من عهد بعيد، ومن الذين يلتمس معونتكم للاخذ بيده من عثرته، فقد كلفتنى اللجنة التمهيدية أن ابلغ حضرتكم بوقوع الاختيار عليكم للاشتراك فى اعمالها. فان رأى لكم ذلك، لاكون شاكرا لو تفضلتم باخطارى بالموافقة بعنوانى (بالقسم السياسى بوزارة الخارجية)، مع رجاء التكرم بحضور الجلسة التى تعقد فى منتصف التاسعة من مساء ٢٠ نوفمبر الجارى، بنفس المكان الذى عقدت فيه الجلسة الاولى. هذا وانى انتهز الفرصة فارجو من حضرتكم التفضل بقبول فائق الاحترام.

سكرتير اللجنة
محمد توفيق المردنلى
١٩٣٣/١١/١١

(١) - راجع : جريدة (الأفكار) - ١٩١٦/٤/١٤.

ومن الجدير بالذكر إن احتكاك لطفى جمعة بالمسرح المصرى، لم يقتصر على التأليف أو الاشتراك فى اللجان المختلفة، بل كان أيضاً احتكاكاً عملياً، من خلال عمله فى المحاماة. ففى عام ١٩٢٣ أثيرت ضجة كبيرة حول الممثلة دولت أبيض، التى أنجبت طفلة من جورج أبيض، دون الاقتران به بصورة رسمية (١). ووصل هذا الأمر إلى القضاء، فحاول جورج إصلاح الموقف، ولكن أسرته وقفت أمامه وأمام دولت بالمرصاد. فلم يجد جورج أبيض غير لطفى جمعة كمحامٍ للوقوف بجانب دولت، فأرسل له خطاباً بهذا الشأن.

HOTEL
ASTRE DU MATIN
PROPRIETAIR
GORGES CHABBOUH
BEYROUTH

أوتيل
« كوكب الصباح »
صاحبه : جرجي شبوع
بيروت – البرج

Beyrouth el ______ 192 — بيروت في ٤ [illegible] ١٩٢٣

عزيزي الاستاذ لطفي جمعه

سلاماً وشوقاً ومعذرةً عن هذا السكوت الطويل !... عزيزي
لطفي ، ارجوك ان تبذل مالي وشغلي لراحة نائلة هانم
[illegible] الست دولت بخصوص ابنتها ايفون . الموقف حرج
والأمل في مروءتك وهمتك المعهودتين !... الست دولت واثقة
من مساعدتك وانا اضم رجائي الى رجائها بان تُخرجها مجبورة
الخاطر من هذا الارتباك لان همها الوحيد وشغلها الشاغل وسعادتها
هي ابنتها الوحيدة وقد ضحت كل مالي وسعيها لضمان مستقبل [illegible]
وانكم تريدون ان ينتشلوها من بين ذراعيها !... فاملي بك كبير ولا
تدع هذه الأم المسكينة يتولاها اليأس ولكن دائماً رافقها لانها
حتى [illegible] وتربيتها [illegible] وسلفاً اشكرك
على هذه الخدمة التي لا انساها لك والسلام

جورج ابيض

---

(١) – وللمزيد عن هذا الموضوع، انظر : مجلة (روز اليوسف) – ١٩٢٦/٩/١، مجلة (المسرح) – عدد ٦٤ – ١٩٢٧/٣/١٤.

وفى عام ١٩٢٦، رفع الكاتب والناقد المسرحى محمد أسعد لطفى، قضية ضد فاطمة رشدى، فلجأت إلى لطفى جمعة كمحامٍ لها للدفاع عنها فى هذه القضية. وبالفعل حصل لها على البراءة. تلك البراءة التى باركتها واحتفلت بها مجلة روز اليوسف (١).

حضرة المحامى الأستاذ محمد لطفى جمعه

بعد التحيه قد وكلت حضرتك للمرافعة عنى والمدافعه فى قضيه الجنحه المباشره المرفوعه ضدى من محمد افندى اسعد لطفى المحدد لها جلسه ١٧ ابريل امام محكمه الازبكيه الجزئية

فاطمه رشدى ١٠ مارس ١٩٢٦

والآن نترك القارىء ليستمتع بقراءة مخطوطات مسرحيات محمد لطفى جمعة، الأديب الموسوعى .. تلك المخطوطات التى تُنشر لأول مرة وبصورة كاملة .. تلك المخطوطات التى بدأ لطفى جمعة فى كتابتها منذ عام ١٩٠٩، وحتى عام ١٩٤٥، ولم ترَ النور فى مجملها إلا على يد حارس الثقافة فى مصر ((المجلس الأعلى للثقافة)).

دكتور

سيد على إسماعيل

رئيس قسم الدراسات الأدبية
كلية دار العلوم - جامعة المنيا
القاهـــرة فى : ٢٠٠٠/١٢/٣٠

---

(١) - انظر : مجلة (روز اليوسف) -(قضية الجنحة المباشرة) - عدد ٢٨ - ١٩٢٦/٥/١٢.

هرماكيس

رواية تمثيلية مصرية قديمة فى فصل واحد

سنة ١٩٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المنظر الاول

اشخاص المنظر الاول (٣ و٤ و٥ و٦)

(١) البوتيس (رئيس الكهنة) (٢) حوتب (رئيس حرس الملك) (أربعة) كخمسة جنود

(٧) نيتوكريس (ام هرماكيس)

المنظر - حديقة القصر وفيها شجر الصفصاف وبعض النخيل. وبجده صغيرة ينمو عليها شىء مثل زهر البردى (البشنين) وكان مزدانة بتماثيل ابى الهول وفيها تمثال الملك وبعض مقاعد من الحجر ومن الخشب المنقوش المحفور. وفى احد الاركان القريبة من حافة الملعب شبه منزل الحرس ارضى (٣ و٤ و٥ و٦) وقف حوله اربعة جنود وامامهم (٢) رئيس الحرس (حوتب) - فى آخر الملعب ترى ردهة القصر مضاءة بانوار مشتعلة والملك جالس مع حاشيته وهو يسمع انغاما موسيقية. وحول مجلس الملك حوار وعبيد يحملون جميعا مظلات كبيرة القرب شرفة من جهة القصر مما يلى ذلك.

فى احد اركان الحديقة على مقربة من المنزل تجلس امرأة من الشعب عليها ثياب رثة و عليها آثار الكآبة والالم.

المنظر الأول

المنظر : حديقة القصر فيها شجر الصفصاف وبعض النخيل. وبحيرة صغيرة ينمو على شاطئها زهر البردى (بشنين) وهى مزدانة بتماثيل أبى الهول وفيها تمثال الملك وبعض مقاعد من الحجر ومن الخشب المحفور. وفى أحد الأركان القريبة من حافة الملعب شبه منزل إلى سجن أرضى وقف حوله أربعة جنود وأمامهم رئيس الحرس (حوتب). وفى آخر الملعب ترى ردهة القصر مضاءة بأنوار ضئيلة والملك جالس مع حاشيته وهو يسمع أنغاماً موسيقية. وحول مجلس الملك جوار وعبيد يحملون جميعاً مظلات كبيرة. القمر يشرق من جهة القصر محاطاً بهالة. وفى أحد أركان الحديقة على مقربة من المنزل تجلس امرأة من الشعب عليها ثياب رثة وعليها آثار الكآبة والألم.

حوتب : إنكم ترون اهتمام الملك صاحب مصر العليا والسفلى وسيد الهياكل وابن الشمس بهذا السجين فلا تتأثروا بدموع هذه المرأة ولا تسمحوا له بالصعود طرفة عين. وها أنا ذاهب لاتلقى أوامر من رئيس الحاشية فكونوا جميعاً عيوناً وآذاناً وإياكم أن يفلت من بينكم فقد سمعت فى طفولتى أنه سيأتى رجل حقير ليس له إلا أمه ولكنه سيقهر فرعون مصر وسيفعل المعجزات. وإنى أسأل الآلهة أن لا يكون هو هذا الذى وكلت إلينا حراسته (يخرج).

جندى١ : إن القمر يصعد السماء كأنه امرأة صفراء تتسلق جبلاً عالياً.

جندى٢ : كلا يا أبله يظهر لى إنك لم تقرأ قصائد بنتاؤوريوس شاعر الملك فإن القمر كأنه امرأة دفينة تبعث من قبرها.

جندى٣ : لا تقل هذا القول فإنه يقبض صدرى ويخيل لى أننى أرى شبح امرأة تبعث من قبرها.

جندى٢ : طبعاً فإنك نشأت فى طيبة مدينة العز والرفاهية والجبن ولم تسافر مثلنا إلى أقصى الجنوب فى معية سيد الهياكل وملك مصر عندما كان وزيراً للملك السابق.

جندى٤ : صهٍ إيها الأخوة ولا تذكروا ذلك فى حديقة الملك فإنه قد بثّ العيون والأرصاد ليلقى القبض على كل من يتكلم عن تاريخه.

جنــدى١ : ولماذا .. هل فى تاريخ الملك ما يزعجه ذكره ؟
جنــدى٤ : نعم .. إنه كان وزيراً لدى الملك السابق وتفصيل ذلك أنه ...
جنــدى٣ : إننى كثير الانقباض أيها الأخوة ولست أدرى بماذا تحدثنى نفسى بما يقع فى هذه الليلة. (صوت ضحك وموسيقى من ردهة القصر).
جنــدى٢ : أنا أذكر لك ما يحدث فى هذه الليلة فإن الملك يشرب وكذلك من معه من الندامى وسترقص له ساتينى ثم ينفض المجلس ثم يصيح الديك فيأتى غيرنا من الجند وتنصرف أنت إلى بيتك فتجد فراش زوجك دافئاً ينتظرك أما أنا فسأذهب إلى الثكنة المجاورة للقصر لأقضى ساعات الراحة القليلة ثم تشرق الشمس وهكذا.
نيتوكيس : (بصوت تخنقه العبرات) أيها الجنود الشجعان أليس فيكم ولد يحنّ إلى رؤية أمه؟ أليس فيكم ولد رأى دموع والدة تتدفق من عينها وقت فراقه؟ أليس فيكم ولد يشفق على أم معذبة ويرق لحال امرأة مسكينة؟
جنــدى١ : (إلى أخوانه) إن كلام هذه المرأة وصوتها يؤثران فى نفسى كثيراً (إلى نيتوكيس) ماذا تريدين أيتها المرأة.
نيتوكيس : أريد يا سيدى الجندى أن أرى ابنى هرماكيس طرفة عين. أريد أن أسمع صوته مرة واحدة ثم أموت أريد أن أضمه إلى صدرى ضمة الوداع وأضع على جبينه قبلة حارة. أريد أن أجفف دموعه بطرف ثوبى. أريد أن أرى ولدى.
جنــدى٤ : اصمتى أيتها المرأة وإلا نضطر إلى ضربك وطردك. ألا تعرفين أننا لا نسمع إلا أمر رئيسنا ولا نطيع إلا إرادة الملك.
نيتوكيس : كنت أظن فيكم شهماً يسمع صوت امرأة ويطيع إرادة الآلهة.
جنــدى٤ : لا تتكلمى فإن هذا الإغراء سيء العاقبة.
جنــدى١ : ما خبر هذا السجين؟
جنــدى٣ : أنا ما رأيته وما سمعت صوته.
جنــدى٤ : ما هى قصة ولدك؟ (تندو الأم قليلاً لتحدث الجند لتسترق النظر إلى المنزل)، مكانك وتكلمى لئلا يدخل رئيس الحرس فجأة فيراك فيحرمنا من طعام اليوم وغد ويأمر بجلدنا.

نيتوكيس : إن ابنى ولد يتيم لأن زوجى مات منذ أمد طويل. فعنيت بتربيته على قدر ما كنت أستطيع. غير أنه كان منذ صباه ضعيفاً كثير السكوت قليل الطعام. ولما شب أخذ يتردد على جار له مشهور بكثرة القراءة وملازمته لغرفته. وكان الولد يدخل علىّ فى كل يوم حاملاً ملفات من البردى فيغرق فى القراءة إلى أن يذهب نور الشمس فإن كان نور القمر صعد إلى أعلى المنزل وأخذ يقرأ وإن كان الليل مظلماً قضى معظم الليل فى نور المصباح ثم أخذ يقول لى أشياء كأن يقول ليس هناك إلا إله واحد وليس الملك هو ابن الشمس.

جندى٢ : اخفتى صوتك أيتها الأم الحزينة.

نيتوكيس : وأخيراً أخذ ولدى يخرج فى الطريق ويجمع حوله الفتيان والشبان ويقول لهم ما ذكرت لساعتى. وقد سمعه يوماً أحد الجنود فوشى به إلى الملك وبعد ذلك بقليل أخذوه منى وعلمت أن رئيس الكهنة ناقم عليه أيضاً وهو يطلب من الملك قتله والملك لا يريد ذلك. وقد أودعوه أمداً بسجن المدينة ولكن رئيس الكهنة أمر بنقله خوفاً من أن يؤثر جنونه فى غيره من المسجونين.

جندى٤ : حقيقة إنه مجنون .. ولكن.

جندى٣ : ولكن ماذا ؟

جندى٤ : إذا كان مجنوناً فلماذا يخشون أمره ؟!

جندى٢ : وهل هذا من شأننا ؟ (يسمع وقع أقدام).

جندى٤ : نعم إذا كان القمر يشرق من الشمال أو من الجنوب ليس هذا من شأننا على الإطلاق. ابتعدى أيتها المرأة لأننا غير مسؤولين عن سير الكواكب.

رئيس الحرس : (يدخل رئيس الحرس) لم يصدر لنا أمر جديد أيها الجند (ينظر نحو أم هرماكيس) وأنت أيتها المرأة ألا تزالين هنا.

نيتوكيس : (ببكاء) نعم يا سيدى وهل يسوءك بقاء أم بجانب سجن ابنها.

رئيس الحرس : وماذا تطلبين من سجن ابنك.

نيتوكيس : أريد أن أراه.

رئيس الحرس : (ضاحكا) أتريدين أن ترى قبر ولدك. إنك إذا رأيتـــه فلـــن تعرفيه فقد غيره السجن.

نيتوكيـــــــس : قل لى يا سيدى كيف هو وكيف سجنه.

رئيس الحرس : إن سجنه عبارة عن سرداب تحتانى لا تصل إليه الشـــمس مطلقا وهو يرقد على فراش من القش وتحت رأسه قطعة مـــن الحجر ولا يأكل إلا الخبز الجاف بلا أدام. وقد أبيـض شـــعر رأسه من طول السجن وهو أصفر كلون الشمس عند غيابها.

نيتوكيـــــــس : كفى كفى يا سيدى ولماذا تعذبونه هكذا؟

رئيس الحرس : إن من يعيب فى حق الآلهة وينكـــر علاقتـــهم بـــالملك لا يستحق أقل من ذلك. أتظنيننى جاهلا بحقيقة حال ولدك؟

نيتوكيـــــــس : إنه مجنون يا سيدى فردوه إلى أعالجه وأشفيه. ردوه إلـــى صدر أمه الحنون. (وقع أقدام وأصوات موسيقى دينية).

رئيس الحرس : صه وابتعدى من هذا المكان فهذا رئيس الكهنة جاء يلقـــى الملك فى أمر ذى شأن. (يدخل موكب رئيس الكهنـــة يتقدمـــه خدام الهيكل وأمامه ووراءه بعض الكهنة ويمرون من اليميـــن ويخرجون من الشمال. وفى أثناء مرور الموكب ينظر رئيـــس الكهنة نحو الجند فيحيونه ثم نحو السجن).

نيتوكيـــــــس : (رافعة يديها)يا رئيس كهنة فتاح وخادم الأرباب كلها أرحم أما حزينة ورد إليها ولدها. (ينظر إليها رئيس الكهنة باحتقـــار ويسير إلى طريقه).

رئيس الحرس : إنك أيتها المجنونة ستسببين شقاءنا إذا نطقت بعد هذه المرة بكلمة واحدة سأطردك من هنا أسامعة أنت.

نيتوكيـــــــس : (جالسة باكية) نعم سمعت يا سيدى.

المنظر الثانى

جنـــــــدى٢ : انظر يا سيدى الرئيس إن الأميرة ساتينى عشيقة الملك تدنـــو من هنا فهل نحييها؟

رئيس الحرس : نعم وكيف تسأل هذا السؤال؟ألا تعلم أنها سببت إعدام أربعة من الجند لأنهم لم يحييونها تحية الأمراء. (تدنو ساتينى من البحيرة

وعلى رأسها أكليل من الذهب بشكل الشمس وحول عنقها حليّ من الذهب وثيابها عبارة عن قميص كبير من الحرير الأبيض وفي صدرها زهور زرقاء وبمعصمها أساور من الذهب بأعلاهما وأسفلهما وفي يدها مروحة من ريش النعام محلاة بجواهر ثمينة وليس في معيتها أحد). إنها إذا دنت ارفعوا الرماح ثم اخفضوها ولا ينبس أحدكم ببنت شفة. (تدنو ساتيني ويحييها الجند).

ساتيني : (ناظرة حولها وإلى الجند باحتقار ثم إلى رئيس الحرس) عم مساء يا حوتب. إن الملك راض عنك لأنك مخلص وأمين ألا ترى الجو جميلاً في هذه الليلة. إني وقفت قليلاً بجانب البحيرة أرقب انعكاس ضوء القمر في مرآتها. أتدرى لماذا منع الملك وجود السمك الأحمر في البحيرة. أنا أعلم ذلك إن رئيس الكهنة الذي يخترع في كل يوم شيئاً جديداً أوحى إليه أن إيزيس تحب السمك الأحمر ولا تريد تعذيبه بعرضه على أنظار البشر. مالك ساكت لا تتكلم؟ (يؤثر هذا القول في المخاطب كأنه سحر).

حوتب : إنني يا مولاتي الأميرة صامت أمامك لأن جمالك الفتان وحلاوة كلامك ورقة صوتك تجعلني عاجزاً عن الكلام إن من لا يبهت أمام حسنك إذن فهو جماد.

ساتيني : (عليها علامات الرضى) كنت أحسن الظن بك من قبل يا حوتب ولكنني تحققت اليوم إنك كغيرك ممن يملقونني. إنني تركت مجلس الملك لأنه يفتأ يمدح عيني تارة وجبيني طوراً كذلك فينوس نديمه الثقيل يضايقني بأشعاره التي ينظمها لأن ريح الخمر تفوح منها.

حوتب : حاشا يا مولاتي أن أملقك أو أذكر لك ما لست عليه من الحسن الباهر. إن الملوك لا يحسدون أمنحتب على تاج مصر وعرشها أكثر مما يحسدونه على جمالك الساحر.

نيتوكيس : (تنهض بحزن وتدنو من ساتيني ثم تجثو أمامها) إذا كنت يا مولاتي الأميرة ابنه الملك وتحبين أمك كما تحبك فرُدّي عليّ ولدي الوحيد. إنه يكاد يموت في البرد والوحدة هناك في ذلك السرداب

المخيف. إنه تحت أقدامك فأرحمى أمـــاً جاثيـــة ترحمـــك الآلهـــة وتضىء إيزيس طريقك.

ساتينى : (مندهشة بغير اكتراث تنظر إلى أم هرماكيس باحتقار) من أنـــت وماذا تريدين إننى لست ابنة الملك. من هو ابنك وماذا جرى له.

رئيس الحرس : (حانقاً) أيها الجند أخرجوا هذه المرأة لساعتها فإنها تريد أن تعكر صفو الأميرة بدموعها (يدنو جنديان ويحاولان أن ينتزعاهـــا بقسوة فتستلقى على أقدام ساتينى مستغيثة بها).

ساتينى : (مشيرة بمروحتها إلى الجند) اتركوها فإنـــها لا تكـــدر صفـــوى ودعوها تتكلم.

رئيس الحرس : إنك يا مولاتى تضيفين إلى جمالك فضيلة الآلهة. ابتعدا أيها الجنديان ودعا تلك المرأة تحادث الأميرة (يتقهقر الجنديان).

ساتينـــــى : تكلمى ما هو خبر ابنك وأين هو (تجلس على مقعد قريب).

نيتوكيس : (منتحبة) إن ولدى هرماكيس ليس لدىّ سواه وليس له فى الدنيـــا أحد. أصابه مسّ من الجن فأخذ يهذى ويطعن فى الملـــك والآلهـــة فأخذوه منى ووضعوه هنا فى هذا السجن السحيق. انقذيه يا مولاتى ورديه إلىّ أطعمه وأدفئه وأضمه إلى صدرى فى بيتنا على ضفـــة النهر.

ساتينـــى : أرنى إياه لأنظر هل هو مجنون كما تقول أمه.

حوتـــــب : إن الأميرة إذا طلبت حياتى وهبتها إياها لأنها ملكى. أما السجين فلا أستطيع إخراجه لأنه رهين أمر الملك.

ساتينـــــى : لن يعود عليك ضرر مادمت أنا التى أمرتك. إننى أريد أن أراه طرفة عين.

حوتـــــب : لا أستطيع يا مولاتى الأميرة لأننى لا أريد أن أخـــون جلالـــة الملك الذى وكل إلىّ حراسة هذا السجين وهددنى بالقتل لو أخرجته بدون إذنه.

ساتينـــى : (تنهض واقفة وتدنو من المنزل ثم تعود إلى حيث كانت) إننـــى أمرك باسم الملك أن تخرج هذا السجين.

نيتوكيس : حبذا يا مولاتى لو رأيته مرة واحدة قبل موتى.

رئيس الحرس : صهٍ أيتها المرأة فقد سببت مخالفتى لأمر الأميرة وليس هذا علىّ بهيّن.

نيتوكيس : يا مولاتى إننى لا أريد أن تثكلك أمك ولذا أتوسل إليك أن تجيبى صوت أم حزينة باكية.

ساتينى : (تدنو من رئيس الحرس وتحدق به النظر ثم تضربه بمروحتها على خده) إنك لا تريد أن تعصى أمر الملك. ولكن إذا وعدتك بابتسامة من فمى فهل تطيع أمرى.

حوتب : (متردداً) مولاتى إننى .. أكون طوع أمرك .. لكن إذا جاء الملك!

ساتينى : (تدنو منه أكثر) أقول له إننى طلبت منك إخراج السجين باسمه وإذا أراد عقابك شفعت لديه فيعفو عنك (تسقط المروحة عمداً فيسرع رئيس الحرس إلى التقاطها فتشير إليه بأن يقبلها فيقبل المروحة ويعطيها إياها).

حوتب : أذهبا أنتما أيها الجنديان وليقف كل منكما فى وسط الطريق فإذا سمعتما وقع أقدام أو رأيتما أحداً قادماً فارفعا رمحيكما فى الريح وأنت أيها الجندى الثالث افتح باب المنزل وادع السجين فإن كان نائماً فأوقظه ومره أن يصعد إلى هنا. (ينصرف الجنديان إلى وسط الطريق كما أمرهما رئيسهما وينزل الجندى الثالث. تدنو ساتينى ونيتوكيس من المنزل).

جندى٣ : (يعود مسرعاً ذعراً) مولاى.

رئيس الحرس : ما بالك ماذا جرى؟

جندى٣ : إننى رأيته وحول رأسه هالة من نور فقال لى من أنت أيها القادم ألنت نذير الموت أم رسول الملك فإن كنت نذير الموت فمرحباً وإن كنت رسول الملك فخذنى إليه أقل له الحق فى وجهه.

رئيس الحرس : وكيف يخيفك هذا القول أيها الجبان.

جندى٣ : إن صوته كصوت الوحى المقدس وعيناه مشتعلتان بنار الآلهة.

رئيس الحرس : إنك تهذى. كيف تحمى الآلهة من يذمها. ابتعد عن المنزل وأعلم إنك منذ الساعة سجين إلى أن يُفصل فى أمرك.(إلى ساتينى) ألا تزالين مصممة على رؤية السجين يا مولاتى.

ساتينـــى : (متظاهرة بالغضب مع الخلاعة)وأنت ألا تزال مُصراً على حبى.

رئيس الحرس : انزل أيها الجندى الرابع فإنك أشجع من هـؤلاء الأحـداث وأقل هلعاً.

جنـــدى٤ : (يدنو من المنزل ثم يصعد ووراءه هرماكيس شاب طويل القامـة يلبس قميصاً بسيطاً له شعر منسدل وله لحية كثة، قميصه قصـــير الأكمام وهو حافى القدمين).

المنظر الثالث

(يتقدم هرماكيس برأسه موفوعة وقدم ثابتة إلى وسط الحديقة ثم ينظر إلـــى من حوله. تظهر على رئيس الحرس علامات الوجل مع التجلد. تدنو الأم من ابنها. تنظر ساتينى إليه بإعجاب شديد وتطيل التحديق به).

هرماكيس : (مبصراً أمه يدنو منها بسكوت ويقبل رأسها ويكفكف دمعها، ثم ينظر إلى رئيس الحرس) أين الملك أيها الحارس لأقول له الحـــق وأين رئيس الكهنة لأهديه وأعظه؟ أين الشعب كله يسمع صوتـــى ليلبى نداء إله واحد وليرمى عن كاهله استبداد ملك متأله.

رئيس الحرس : إنك يا هرماكيس هنا فى حضرة الأميرة ساتينى وحـذار أن تتفوه بما ينقل عنك إلى جلالة الملك فيزيد فى عقابك (إلى ســاتينى) هل اكتفيت أيتها الأميرة فنعيده إلى سجنه.

ساتينـــــى : كلا كلا لا تعده الآن ودعنى أكلمه (تدنو منه).

نيتوكيس : أرأيت يا مولاتى إن ولدى مجنون وهو لا يعى ما يقول فلا تتقلى قوله استحلفك بحب أمك إلى جلالة الملك.بل توسلى إليه كما أتوسل إليك أن يرده لى. هرماكيس ولدى لا تقل هذا القـــول وعــد إلـــى رشدك.

هرماكيس : (إلى ساتينى باحتقار ثم إلى أمه) لا تجزعى يا أماه فإننى لســت بمجنون إنى أنطق بصوت سترده الأرض والسماء وسيرن صـــداه فى سائر الأجيال إن الهواء يحمل قولى إلى الشمال وإلى الجنـــوب والشمس تنشر الحق مع ضيائها فى الشرق والغرب.

ساتينـــــى : هدىء روعك أيها الشاب إننى قادرة على إطلاق ســـراحك إذا وعدتنى بأنك تكون طوع إشارتى إننى أشفق على أمـــك الحزينـــة وأريد أن أردك إليها فهل تسمع ما أقول.

هرماكيس : إننى لا أريد أن يطلق سراحى من سجن الملك لأقع فـــى أســـر امرأة فمن أنت حتى أطيع أمرك.

ساتينـــى : أنا ساتينى معشوقة الملك أمنمحتب ومالكة قياد نفسه أنا حبة قلبـه وسلطانة فؤاده.

هرماكيس : (مبتعداً عنها) إذن ابتعدى عنى ولا تحاولى إغوائـــى. فليـــهدك الرب وليتب عليك.

ساتينى : أتبتعد عنى والملك يتمنى قربى ويقبل فى كل ليلة قدمى مائة مرة.

هرماكيس : خفضى أيتها المرأة من كبريائك فإن الملك لا يعـــادل بســلطانه وقدرته مقدار حبة من قدرة الإله الواحد المحرك لهذا الوجود فكيف تفتخرين بحبه وإن ملكاً يقبل قدم معشوقته لا يعد إلا لعبة فى يـــد الشيطان.

ساتينـــى : إننى لا أفتخر بحبه يا هرماكيس إلا لأريك مقدارى لأننى أحببتك أنظر إلىّ وأنا أقبل قدميك ألف مرة.

هرماكيس : إننى شخص زائل لا قدر لى فحبى الله والحق فستضىء حيـاتك وأوعزى إلى مليكك أن يستقدمنى لأقول له الحق فى وجهه.

ساتينـــى : انظر إلىّ يا هرماكيس ولا تطل تعذيبى انظر إلى شعرى الأسود المضفر باللؤلؤ إننى إذا حللته سترى جسدى بأسره انظر إلى جبينى المضىء وعينى الفاتنتين. انظر إلى شفتى اللتين ختمتـــها فينـــوس بخاتمها السحرى. انظر إلى نحرى وحوله تلك الجواهر المضيئـــة. إن خمسة من ندماء الملك قتلوا أنفسهم لأنهم طلبوا منى قبلـــة فلــم أسمح ولو أردت أن يقتل الملك نفسه لفعلت إننى انتزعت من قلبــــه حب أمى التى كان يحبها من قبل فإننى إذا رقصت فتنت عشـــاقى انظر إلى معصمى فقد وهب الملك لى خراج ولاية مقابل تقبيلـــهما. إننى بجمالى وثروتى وحشمى أكون ملكاً لك. إننى أجعلـــك نديـــم الملك أو وزيراً. انظر إلىّ يا هرماكيس.

هرماكيس : عجباً لك أيتها المرأة كم فى المقابر من شعر أجمل من شـــعرك وشفاه أشد إحمراراً من شفتيك وخصور أرق من خصرك. إننـــى لا أريد أن أكون نديم الملك ولا وزيره ولكننى أريد أن أكون معلمـــه

ومرشده. أين الملك سليه أن يسمع قولى وأنا أدعو الله أن يـــهديك ويصلح حالك. وإلا فاذهبى عنى بجمالك وحاولى أن تفتنى ســواى. إننى لا أفتن بحب امرأة لا يشغل قلبى إلا حب الله والحق.

ساتينـــى : هرماكيس لا تردنى عنك تندم إنك تقول هذا القــول لأنــك لا تعرف حب النساء إنك لم تشرب كأس الغرام لـــو علمــت إننـــى سأعطيك روحى وجسمى لو علمت إننى سألقى بنفسى على صدرك وأبثك لواعج حبى لو علمت إننى سأذرف دموع العشق لأطفـــىء لهيب شوقى. لو علمت إننا نصير روحاً فى جسمين لـــو علمــت مقدار حبى ما رددتنى (تدنو منه وتضع ذراعيها حول عنقه وتقبض بيديها على رأسه وتهم بتقبيله على غرة منه).

هرماكيس : (يدفعها) ابتعدى عنى أيتها الحية المطيية. إنك كالدودة فى قلــب الفاكهة الناضجة كذلك حبك فى قلب الملك لو سلاك لأسمعته قولى.

ساتينـــى : (باكية إلى أمه نيتوكيس) قولى لابنك يعشقنى أننـــى أرده لــك على شرط أن أقاسمك إياه إننى أضيف حبى إلى حبك.

نيتوكيس : لست أستطيع أن أغريه بحبك. إنه يقول قولاً حقاً ألا تسمعين.

حوتـــــب : (إلى ساتينى) يا مولاتى هل تعلقت بحب هذا السجين ونســيت وعدك لى.

ساتينـــى : إليك عنى أيها الجندى الثقيل فإننى لا أحبك.

حوتـــــب : ساتينى .. ساتينى .. إننى أحببتك منذ ثلاث سنين وكنـــت لا أحلم بقربك فهل وعدت عبدك ولا تفين بوعدك.

ساتينـــى : (غير مكترثة بحوتب إلى هرماكيس) انظـــر إلـــىّ إن الشـــمس ستشرق عليك من طلعتى وستتجلى أمامك فينوس بجمالها الفتـــان. (ترمى مروحتها وترفع حليها عن رأسها وتترك شعرها ينســـدل) إلىّ يا هرماكيس واختبىء فى هذا الليل الحالك إلىّ إلىّ أحميك فـــى ثنايا ضفائرى من مخالب أعدائك إلىّ إلىّ ومتع نفسك بعطرى.

هرماكيس : (إلى أمه) ويلى يا أماه إذا لم يسمع الملك قولى (إلى ساتينى) إنه لا يختبىء فى شعرك إلا عشاق جسمك. أما أنا فلا أرى أمــلمى إلا روحك. إن روحك مسكينة ضعيفة وقلبك مريض إن جسمك قد يقدر

في نظر الملك بقناطير الذهب والجوهر ولكن روحك لا تقدر في نظري بأكثر من روح امرأة أسيرة شهواتها. ليتب عليك الله ويشفي تلك الروح العليلة. وليقلل من آلام نفسك المعذبة.

ساتيني : ألا تكفيك رؤية شعري. ها أنا أسفر لك عن سائر بدني (تحاول ذلك وتقف واضعة رأسها بين يديها).

هرماكيس : (يدير وجهه نحو حوتب) هل لك أيها الحارس أن تعيدني إلى سجني مادامت هذه المرأة لا تريد أن تعود إلى رشدها.

حوتب : أيها الجند أعيدوا هرماكيس إلى سجنه.

ساتيني : إياكم أن تمسوا شعرة من قدمه. حوتب أيها الحارس العاشق كيف لك أن تخالف أمري إنك إذا أعدته إلى سجنه قتلت نفسي ووقع دمي على رأسك فيقتلك الملك شر قتلة (يسمع صوت نداء الحرس).

حوتب :مولاتي لا يمكن أن تدوم تلك الحال فإن الليل كاد ينتصف وها نحن نسمع صوت حرس القصر ينادون لنداء الحرس بألفاظ خاصة.

ساتيني : (باكية وتدنو من هرماكيس حيث ذهب)أرحم شبابي رق لجمالي. أعطف على قلب امرأة كما عطفت على قلب أمك. (تجثو أمامه) إنني جاثية أمامك عارية البدن. محلولة الشعر خالعة حلي كما أجثو أمام الآلهة.

هرماكيس :لا تسجدي أمامي فإنني لست معبودك إنما أنا مثلك عبد إله واحد.

ساتيني : بلى أنت معبودي، أنت إلهي (يزداد بكاءها) إنني أغسل قدميك بدموعي (تقبض بيديها على قدميه) وأمرغ عليها خدي كما يمرغ الملك وجهه على أقدامي (تمرغ خدها على قدميه).

هرماكيس : (يحاول منعها) ما ظننت إنني أخرج من سجن إلى سجن أشد ضيقاً وأكثر ظلمة. أستودعك الله يا أماه. إنني أريد أن أعود إلى سجني أذهبي إلى بيتك وانشري قولي بين صواحبك يبلغنه أولادهن ويرضعنهم إياه مع اللبن. قولي لهن إن هناك إلاهاً واحداً وأن الملك ليس ابن الآلهة إنما هو مخلوق مثلهم ولكن نفسه أقل من نفوسهم في نظر هذا الإله لأنه فاسد القلب (إلى أمه) أدني مني أقبل جبينك وأضم رأسك لأن نفسي تحدثني بأنني لن أراك بعد هذه الساعة.

نيتوكيس : (تدنو إلى ولدها وتضمه إلى صدرها)ولداه هلا تعود إلى أمك إن فراشك الصغير ينتظرك. وأوراق البردى لاتزال فى ركن الغرفة. إننى أزيل عنها التراب فى كل يوم وأقول لها سيأتى هرماكيس يقلبك كعادته.كنت أشعل المصباح فى غرفتك لأخدع نفسى بأنك لاتزال فيها فلما أنفقت ما كان معى أصبحت لا أملك إلا ما يشعل مصباحاً واحداً فأهملت مصباح غرفتى وأشعل كل ليلة مصباحك وأرقد فى غرفتك.

ساتينى : خذى يا أم هرماكيس كل هذا الذهب وتلك الحلى إننى أملأ بيتك مالاً. إننى أشيد لك قصراً. إننى أهبك ضياعاً. وأسير السفائن فى النيل تحمل خراجها باسمك.

نيتوكيس : احفظى يا سيدتى عليك ذهبك وتمتعى بخيرك إننى وولدى فى أفقر بقاع الأرض وعلى أفقر حال فى غنى عن ملك أمنمحتب وثروة قارون.

ساتينى : إننى لن أخذ منك ولدك ولكننى سأقاسمك حبه.

هرماكيس : الوداع يا أماه.

حوتب : سر أمامى يا هرماكيس

نيتوكيس : (باكية) الوداع يا ولدى (ترتمى على ولدها فيقبلها وتقبله)

ساتينى :(قابضة على أقدام هرماكيس وباكية بصوت عال)إلى أين تأخذونه .. هرماكيس .. أبق لى .. ردّ إلىّ قلبى وصبرى.

هرماكيس : (إلى حوتب) مُرْ الجند يخلصونى من أنياب هذه الأفعى.

حوتب : (يدنو منها) يا مولاتى خففى عنك إن هذا ليس جديراً بك (يخلص يديها من حول أقدام هرماكيس).

ساتينى : (بغضب وبكاء) هرماكيس ..هرماكيس ..إنك لى وستكون لى .. إنك ملكى ولن ينتزعك منى أحد.

هرماكيس : الوداع يا أماه (ينزل إلى السجن وساتينى تتعلق بقميصه ثم يخلص منها).

ساتينى :(تدنو من المنزل وتطل عليه)ها هو قد نزل إننى أسمع وقع أقدامه وأشعر بها كأنه يسير على قلبى .. كيف يعيش فى تلك الظلمة ؟

حوتـب : خففى عنك يا مولاتى وكفي هذا البكاء إن مجنوناً كهذا لا يستحق تلك الدموع الغالية (يدنو منها ويتناول يدها).

ساتينى : إليك عنى وإلا ذكرت للملك إنك تدعونى إلى خيانته.

حوتـب : ساتينى هل نسيت عهدك. ساتينى ألا تجيبين صوت حبى.

ساتينى : (فى حلق المنزل) هرماكيس .. ألا تسمع صوتى .. ألا تسمع دقات قلبى .. ألا تصلك نار تنهدى وزفير صدرى. هرماكيس يا ربى ومحبوبى أجب ندائى ألا تعى قولى.

حوتـب : ساتينى ألا تجيبين توسلى بنظرة .. ها أنا أقتل نفسى.

ساتينى : هرماكيس يا حياتى ويا وجودى إننى أقبل آثار أقدامك (تقبل آثار أقدامه) إننى أقبل رأس أمك إننى ألمس ملمس فمك (تقبل رأس أم هرماكيس بعنف).

حوتـب : (يقتل نفسه) ساتينى انظرى إلىّ نظرة قبل موتى.

ساتينى : هرماكيس هل تسمع صوتى ..

جنـدى٤ : مولاتى إن رئيس الحرس يقتل نفسه.

ساتينى : (تنظر إلى حوتب باحتقار) ويحه! كيف يقتل نفسه. هرماكيس إننى أقبلك عن بعد وأعطيك نفسى. إن أعضاء بدنى ترتجف إذا سمعت أنفاسك تتردد وحياتى تعود إلىّ لو نظرت إلىّ هرماكيس ..

جنـدى٤ : مولاتى اسرعى وانهضى إنى أرى شبحاً قادماً فى الظلام وقد رفع الجنديان رمحيهما.

ساتينـى : فليأت من يأت .. هرماكيس هل تسمع صوتى.

يومـا : (تنظر إلى ابنتها باندهاش ثم تنظر إلى من حولها) ساتينى ويحك ماذا جرى انهضى يا بنيتى إن الملك يسأل عنك.

ساتينـى : ها أنت يا أمى .. إن هرماكيس لا يسمع صوتى ..

يومـا : أى هرماكيس .. هل أنت مجنونة أقول لك إن الملك يطلبك (تنهضها وتعيد إليها حليها وترى ثوبها الممزق فتعطيها ثوباً من ثيابها. وساتينى تجلس على مقعد قريب من السجن وتظهر عليها علامات الغضب والذهول). انظرى فى شأنك إن الملك يطلبك (صوت موسيقى ووقع أقدام من بعيد وقدوم جندى)

جنـــدى : الملك قادم (يقف الجند موقف التحية).

المنظر الرابع

(يدخل الملك وحوله الحاشية والندامى ووراءه عبيد يحملون المراوح وعبيد آخرون مدرعون).

نديـــم : انظر يا جلالة الملك إلى هذه الحديقة فكأنها ملتقى العاشقين وتلك البحيرة دمعة من عين إلهة الغرام.

نديم ثانى : هذه هى الأميرة ساتينى كأنها غارقة فى بحر عميق من الأفكار إن من يراها هكذا يظن أن الملك يهجرها.

الملـــك : ساتينى ماذا أتى بك إلى هنا ولماذا قضيت معظم ليلك بجوار الجند فى مكان قصى ونحن نطلبك (يرى السجن فيرتعد) هيا بنا إلى مجلسنا فإن كؤوس النبيذ تنتظرنا وهبكيس النديم نائم على مقعده من شدة سكره كأنه وحش البقر قبل ذبحه.

فينـــوس : لا يقدر على الشراب قدرته على الحرب وقهر الأعداء سوى ملك عظيم اصطفته الآلهة.

تــــاو : إن مديحك لجلالة الملك يقلل من سخافة شعرك.

الملـــك : (ضاحكاً) لقد سكرتما وكان ينبغى أن نتركا مع هبكيس فى فراش واحد (يسمع صياح ديك ونداء جندى من شرفات القصر) ها هى الديكة تصيح منذرة بقدوم الشمس بنورها الوضاء. ولسنا نود أن نعود إلى ردهة القصر فلنجلس هنا قليلاً .. يا غلمان علينا بالكؤوس. (تدور الكؤوس مرة). اقربى يا ساتينى واشربى أمامى كأسك. (تدنو ساتينى بانكسار وضجر وتشرب).

ساتينى : لله ما أحلى الخمر فى هذه الليلة. إننى أستوعب فيها طعماً ما ذقته من قبل.

نديـــم : هذا يا مولاتى لأن جلالة الملك أدناك ونظر إليك وأنت تشربين فذابت نظرة من نظراته الملكية فى كأسك.

فينـــوس : لا بأس بهذا يا تاو هذه أول مرة أسمعك تقول شيئاً حسناً.

تــــاو : إذا صمت الأغبياء نطق ذوو الفطنة ولو كنت تكلمت قبلى ما أوحت إلىّ الآلهة تلك الدرارى.

الملــــك : ساتيني دعينا من هذين المهذارين واشربي معي كأسك الثانية.

ساتينـــي : (تشرب) إنها يا مولاتي ألذ من الكأس الأولى. لقد عرفت الليلـــة سر الخمر (ثم تشرب كأساً ثالثة وتظهر عليها علامات السرور).

الملــــك : ارقصي يا ساتيني وانشديني الأغنية التي أنشدتنيها ليلـــة قربـــك الأولى ونحن في السفينة.

ساتينـــي : إنني سعيدة ومجنونة ولكنني لا أريد أن أرقص ولا أغني.

يومـــــا : كيف لك أيتها البنية أن تخالفي إرادة الملك.

تــــــاو : دعوها تتدلل .. تدللي ما شئت فأنت واثقة بحب الملك والـــدلال مباح لمن يثق بالحب.

ساتينـــي : لست أتدلل

الملــــك : ارقصي يا ساتيني وانشدي.

ساتينـــي : لست أستطيع يا مولاي.

الملــــك : عجباً هل ينقصك شيء حتى ترفضي طلبي ؟

فينـــوس : لا أظن في مطالب الأميرة ساتيني نقصاً ولطالما حسدتها علـــى نعمة التمتع بقرب جلالة الملك طالما وددت أنا أن أكون فتاة جميلة.

الملــــك : (ضاحكاً) صهٍ أيها المهذار إنك لو كنت فتاة لوهبتك لأحد العبيـــد أو قدمتك ضحية لأبيس.

تــــاو : إنه أن لم يصلح الآن لأحد العبيد فإنه لايزال يصلح ضحية لأبيس.

الملــــك : ساتيني أمرتك أن ترقصي.

ساتيني : يا مولاي إن الرقص والغناء كسرور النفس ليس لأمر الملك عليها نفوذ. مر بقتلي ولا تأمرني بالرقص في هذه الليلة (تشرب كأساً).

الملــــك : اطلبي مني ما تشائين أهبك إياه.

ساتيني : (كمن يفيق من غشيته) أتعدني يا جلالة الملك بذلك.

الملــــك : نعم أعدك.

ساتيني : (إلى جارية) اذهبي واحضري ثياب الرقص وقوارير العطر.

تــــاو : لعلها تطلب ذبح فينوس فقد شكت لي مراراً من ثقله.

الملــك : (ضاحكاً) لعلها تطلب ذبحكما جميعاً. (تعود الجارية بثياب الرقص وقوارير العطر تلبس ساتيني ثياب الرقص ويعد لها مكاناً فســيحاً

أمام الملك. تبتدىء تغنى وترقص رقصاً مصرياً قديماً). (الأغنية : غابت الشمس من السماء وخيم الليل على النهر أسمع فـــى قلبـــى أنغاماً محزنة ولكن هبوب النسيم يخفف همى يغار النسيم مـــن شـــعرى فهو يخترقه ليقبل نحرى. يا حبيبى لماذا تنظر إلىّ وتهمس فى أذنى كلمات حلوة أتظن إننا فى مأمن من العذال كـــأنك نســيت عيـــون الكواكب. إننا نسير فى النهر كما تسير الشموس والأقمار فى قبـــة الفلك حبنا لا يعرف زماناً ولا مكاناً وقلبى لا يعرف إلا قلبك إننــــا نسبح فى نهر الحياة بين شاطىء الفناء. السماء بعيـــدة ولا يســـمع سكانها صوتى. النهر عميق وهو يكتم سرى. قبلنى يا حبيبى قبلـــة القرب دع سفينتنا تسير على غير هدى وأدن منى أقبلك فـــى هـــذا الظلام الذى لا ينم على العاشقين لقد ملأ حبك قلبى ولكننى حزينـــة لأن المحب كثير الشكوك إلىّ يا حياتى وسعادة نفسى واملأ فـــؤادى الحزين بخمر حبك) .. (تظهر آثار الطرب علـــى الحـــاضرين). (تجلس ساتينى متعبة تحت أقدام الملك فيأخذ وجهـــها بيـــن يديـــه ويقبلها). أحسنت يا ساتينى قولى إذاً ماذا تطلبين ؟

ساتينى : لقد وعدتنى أيها الملك وإنك لا تخلف وعدك.

الملـــك : اطلبى يكن لك ما شئت.

ساتينى : (بوجل وتردد) أنى أطلب ..

تــــــاو : قرب الملك.

ساتينى : إن قرب الملك هو أعظم ما أتمنى ولكننى أطلب ..

الملـــك : ماذا ؟

ساتينى : (بهمة وقوة) رأس هرماكيس (تظهر البغتة على الجميع).

نيتوكيس : ويلاه (يغشى عليها).

الملـــــك : (ببغتة) لا تمزحى يا ساتينى قولى ماذا تطلبين.

ساتينـــى : أنت وعدتنى ولا أظنك تعود فى وعدك إنى لا أطلـــب إلا رأس هرماكيس.

الملـــــك : ويحك يا ساتينى اطلبى ضياعاً أهبك اطلبى مالاً أمنحك اطلبـــى بلداً بأسرها أجب رغبتك اطلبى خراج هيكل يكـــن لـــك ولكـــن لا تطلبى رأس هذا الرجل.

ساتينـــى : لا أريد إلا ما طلبت أريد رأس هرماكيس.

الملـــك : يوما انصحى لابنتك أن تعدل عن طلبها لأنه لابد لو أحد منا أن يرجع فى قوله إما أنا فلا أما بنتك فتقدر على العدول.

يومـــا : لست أدرى بماذا تنفعها رأس هذا الشقى. تخلى يا ابنتـــى عنـها واطلبى حلياً ومالاً اطلبى قصراً على ضفة النيل أو اطلبى ضيعـة تستثمرينها.

ساتينـــى : (إلى الملك) أنت طلبت منى الرقص والغناء ففعلت رغم إرادتـى ووعدتنى أن تجيبنى .. إنى أريد رأس هرماكيس.

الملـــك : (باضطراب) إذاً فليكن لك ما طلبت .. ادعو الجلاد يقطـع رأس السجين (يسود السكون وفـى وسـط السـكون يسـمع عويـل أم هرماكيس) من تكون هذه المرأة.

أحدهـــم : أم السجين. (يدخل جلاد ومعه تابع وفى يده سيف مجرد. تنشـد الموسيقى لحناً محزناً ينزل الجلاد إلى السجن وتظـهر علامـات التأثر على الجميع).

هرماكيس : (من أسفل السجن) هل أنت نذير الموت أم رسول الملك إن كنت نذير الموت فمرحباً وإن كنت رسول الملك فخذنى إليه أقل له الحق فى وجهه.

الجـــلاد : أنا نذير الموت. (جلبة وصرخة " الله والحق " تظهر البغتـة على الجميع ويزداد نحيب الأم). (الجلاد صـاعد وهـو أصفـر يرتجف وقابض بيده على سيف يقطر دماً) لقد تمت إرادة الملك.

الأم : (تدنو رغم مجهود الحرس) أيها الملك العظيم لقد أبيت قتل ولـدى عقاباً على طعنه فى الآلهة وأمرت بقتله إطاعة لرغبة امرأة فاسـقة مر الجند يسلمونى جثته أحفظها وأدفنها فى جنب أبيه.

الملـــك : لك ذلك أيتها المرأة. سلموا إليها جثة ولدها (تسـتخرج الجثـة فعندما تراها ساتينى ترتمى عليها).

ساتينـــى : هرماكيس .. هرماكيس.. ها أنت بين يدى فتكلم يا حبيبى أطفىء شعلة حبى بقبلة من فمك الصامت وهدىء قلبى المروع بنظرة مـن عينيك الناعستين. هرماكيس لقد تمنعت عنى حياً فها أنا أضمك إلى

صدرى ميتاً (وتضم الجثة إلى صدرها). هرماكيس يا أملى كيف قطع السيف عنقك الذى كنت أريد أن أقطعه تقبيلاً. هذا شعرك المجعد وتلك لحيتك الجميلة. هرماكيس أجب صوت عاشقتك أجب ندائى فإننى لا أزال أحبك ستبقى جثتك معى إلى أن أموت (وتقبل وجهه بشغف) إنى أشرب دمك ليطفىء ظمأ قلبى هرماكيس تنفس أنفاسك الأخيرة بين نهدى ولطخ صدرى بدمك. إنى أسمع صوتك وأشعر بأنفاسك مترددة هرماكيس أريد الموت لأدفن معك فيلمس جسدك جسدى لا أريد أن يحنطونى لئلا تحول اللفائف بين صدرى وصدرك. هرماكيس هرماكيس إننى أحبك (تقبله وتبكى).

نيتوكيس : (تدنو من ساتينى فترى رأس ولدها فتمزق ثوبها وترفع يديها إلى السماء وتصرخ ووالداه تسقط ميتة).

الملك : (مضطرباً) ماذا أصاب تلك الوالدة الحزينة.

أحد الجنود : أدامت الآلهة حياة الملك.

الملك : لابد من العناية بدفن جثتها علىّ برئيس الحرس.

الجندى : إنه ليس هنا.

الملك : أين هو ؟

الجندى : قتل نفسه.

الملك : متى ؟ ولماذا ؟

الجندى : منذ ساعة لأن الأميرة ساتينى لم تنظر إليه نظرة الرضى.

ساتينى : هرماكيس أجبنى إننى لا أسمع إلا صوتك ولا أرى إلا وجهك.

الملك : (ناهضاً مستفظعاً. إلى الجند) لقد أهرقت تلك المرأة دماء كثيرة فليمتزج دمها بتلك الدماء الطاهرة. أيها الجند اقتلوها. (تطعنها الجند بالحراب والخناجر).

ساتينى : (تسقط صارخة) هرماكيس أنت تدعونى إليك فها أنا.

تمت الرواية بحمد الله وحسن توفيقه

ليون ١٤ شارع رامبارديني صباح الثلاثاء ١٩٠٩/١١/٢

محمد لطفى جمعة

قلب المرأة

قصة تمثيلية فى خمسة فصول
القاهرة سنة ١٩١٥

الفصل الأول
المشهد الأول : هورتنس - جودياس

هورتنس : أمرتنى السيدة أن أطلب منكما التفضل بانتظارها فإنها على وشك أن تعود.

جودياس : سننتظر ربع ساعة فإن لم ترجع عدنا للقائها فى وقت آخر.

هورتنس : لكما الرأى (تخرج).

المشهد الثانى : جودياس - لورنزو

جودياس : إنها ألحت على أن أستقدمك فهى لا تلقانى إلا ذاكرة لك طالبة منى أن أمهد لها سبيل لقائك ومازلت أمنيها وألطف بها وأعدها وأخلق الأعذار ذلك لما أعلمه من رغبتك عن النساء وحذرك عشرتهن أيها الفيلسوف وحدثتنى نفسى أن أغازلها لا شغفا بها وإن كانت ذات محيا باهر الوسامة ساحر القسامة ولكن لأنجو من لجاجها فى طلب فلانيتها فى الحديث فلم أفلح وكنت أتقى مواجهتها حتى كان أول أمس فاعترضتنى وكادت تأخذ بتلابيبى ولم تطلقنى حتى أقسمت لها أن لا ألقاها بدونك وها نحن جئنا لهذا الغرض فإذا هى مشغولة بسوانا وغائبة عن دارها.

لورنزو : وما شأن تلك المرأة؟ كنت تشغلنى بها على الرغم من عقيدتى فى النساء ونفرتى منهن. بل ماذا تريد منى؟

جودياس : ما يطلب النساء من الرجال.

لورنزو : دع المزح جانبا هل ذكرت لك إنها عرفتنى أو رأتنى قبل اليوم؟

جودياس : كيف لا تذكرها؟ وهى تؤكد لقاءكما وقد وصفتك لى وصفا صادقا وحرصت على مكان اللقاء وزمانه فأمسكت ذكرها.

لورنزو : وهذا الحرص أدعى للريب ولكن قل لى ما سيماها؟ وما صفتـها؟ وهل لها ما تفضل به غيرها من النساء؟

جوديـاس : إن لها جمالا يشوبه الوهن والرقة وكأن وجهها صفحة من سـحر القدماء. وكأن لها فى كل بنان لسانا ناطقا. أما صوتها فيسارع إلـى القلب ويبقى به. وهى عدا ذلك ذكية الفؤاد فصيحة القـول خلابـة الحديث رقيقة الشعر. وهى تهمك فيما تشاء من عبث ولهو.

لورنزو : أراك تصفها بلسان عاشق ومن يسمعك تحكى عنها ما حكيـت لا يرتاب فى أنك ستلقى حتفك فى حبها.

جوديـاس : لو كنت عاشقا ما جلبت مزاحما. لعلك أنت ملاق حتفك فى هـذا السبيل.

لورنزو : لقد أغلظت عليك وأرغمتك. ولعلك تجمعنا لتريها معائبى فـتزهد فى ويخلو لك الجو.

جوديـاس : أنت إذن سىء الظن بى. إننى أعلم بغضك النساء. وقد ذكرت لها إنك رجل لا تستخفك البيض الحسان. وأن فى أغوار نفسك ينفجـر ينبوع من الطهر والتقوى. بل أنت القديس أنطوان.

لورنزو : لقد أتيت الدار من غير بابها يا صاح. وقلت لها ما يزيـد تعلـق المرأة بالرجل ولو عرفت قلوبهن لذكرت لها إنى زير نساء.

جوديـاس : كانت تكذبنى المشاهدة. أى زير نساء يطلق لحية كثة كلحيتـك؟ ويجهل فنون التجمل والتظرف مثلك؟

لورنزو : وهل لها زوج أو مطلقة وما مصدر رزقها؟

جوديـاس : لم أسألها عن زوجها ولم أر رجلا يصحبها سوى ابنها وهو هـذا الطفل النائم.

لورنزو : (عند سرير الطفل) ما أجمله؟ أيشبه أمه؟ هل أقبله؟ .. ما رأيـت أدعى إلى الحنان والحب من طفل نائم. طاب نومك أيها الصغير.

جوديـاس : إذن أخفض من صوتك لئلا تقطع عليه أحلامه ... هل هذا حنـان زوج الأم؟

لورنزو : دع عنك المزح. أتعرف مصدر رزق أم هذا الطفل؟

جودياس : أراها في ميسرة ولنفسها كرامة تحرص عليها. وعلمت عرضا أن لها من يمدها بالمال ولعله زوجها.

لورنزو : إذن بينها وبينه قطيعة. إن ما سمعته عنها يحبب إلى لقاءها. ولكن لابد لأمرها من سر

جودياس : (على مقربة من البلكونة) ما قصدك؟ وماذا حل بك؟ ولم تغيرت؟

لورنزو : إننى لا أتطير ولكننى أشعر على رغم إرادتى أن حادثا جليلا يدهمنى.

جودياس : ما تعنى بذلك يا لورنزو؟

لورنزو : لعل الأقدار هيأت لى أمرا واقعا.

جودياس : لا تجعل للأوهام تأثيرا فى نفسك.

لورنزو : إن للنفس إشرافا على المستقبل ورجوعا إلى الماضى.

جودياس : ما هذا القول الذى لم أتعود مثله منك؟

لورنزو : قال لى أبى حين وداعنا إذا شعرت بأن أمرا خطيرا سيقع لك ففر منه فلربما أتقيت بالإدبار سهام القضاء ونجوت بالفرار من الوقوع فى حبائل القدر. فهيا بنا يا جودياس. بل أبق وحدك فإن ظفرت بلقاء تلك السيدة فلاطفها وتودد إليها ولا تجعل لها من اليوم سبيلا إلى سؤالك عنى وقل لها إنى سافرت.

جودياس : سأفعل ..

لورنزو : (عند سرير الطفل) وهنيئا لك حب الساحرة ولكن قبل انصرافى سأقبل هذا الطفل.

جودياس : حذار أن توقظة (تدخل مويلف).

المشهد الثالث : مويلف - جودياس - لورنزو

مويلف : طابت ليلتك يا سيدى. إن من يداعب الطفل بشماله يمسك قلب الأم بيمينه. شكرا لك يا سيد جودياس لقد بررت فى قسمك. تفضلا بالجلوس وأعذرانى عن طول غيبتى وانتظاركما طالما سعيت للقائك. لا تدهشك رغبتى فى لقائك، فقد اجتمعنا قبل اليوم .. ألا تذكرنى؟ إننى لا أنسى لقاءنا الأول حول خوان دى نافا ثم التقينا ثانية على باخرة البحيرة بين أوشى وفيفيان وفى هذه المرة أنعمت

فيّ نظرك وكنت حاسر الرأس ونسيم البحر يعبث بشعرك وكنت تلقي بنظراتك إلى أقصى الأفق وكأنك تبصر سراب حلم لم يحقق أو ترقب أمنية تداعب خيالك.

لورنزو : (عند سرير الطفل) لا أذكر هذا اللقاء يا سيدتي .. وددت لو ذكرته.

مويلف : وللمرة الثالثة التقينا في متنزه مونبون عند مدخل جسر شودرون فثبت فيّ نظرك وكأني بك كنت تسائل نفسك أين رأيت تلك السحنة؟

لورنزو : عفوا ..

جودياس : إذا تعارفكما قديم.

لورنزو : ما أوهن ذاكرتي. بيد أنه يخيل إلى أنني أذكر لقاء مونبون كرؤية طال عليها القدم.

جودياس : حديثكما طلي ومجلسكما لا يمل ولكن لا يخدع دقات ساعتي.

لورنزو : سرني تعارفنا يا سيدتي فشكرا لك ولصديقي.

مويلف : وأنت أيضا تتركني! ربما كان السيد جودياس نؤوما. أرى في عينك أنه لم يحن وقت انصرافك. فأبق قليلا. أرجه يا سيد جودياس أن يبقى معي هنيهة. ما سلمت حتى ودعت!

جودياس : أبق يا صديقي. أما أنا فعرضت عذري.

لورنزو : لا بأس إلى الملتقى.

جودياس : إلى الملتقى إلى الملتقى .. لا تترك السوداء تتسلل إلى قلبك. (يخرج جودياس).

المشهد الرابع : مويلف - لورنزو

مويلف : نستطيع الآن أن نتحادث بلا رقيب. مالك سكت؟ هل ألمك انصراف صاحبك؟

لورنزو : كلا! قد يظهر بي بعض انفعال وهو نتيجة حوادث الليلة.

مويلف : وأنا أشد انفعالا وتأثرا وأوشك أبكي وكنت انتظر هذا عند لقائك.

لورنزو : لماذا؟ هل أحزنك حضوري؟

مويلف : كلا! من الناس من يحقق لقاؤهم أعظم الآمال أو يكذبها.

لورنزو : وما هو أعظم آمالك؟

مويلف : أقصى آمالى ظفرّى بنفس تكون شقيقة نفسى ألتمسها منذ شـــعرت بوجودى.

لورنزو : وكيف تسعين لتحقيق أمنيتك؟

مويلف : ليت تحقيقها طوع إرادتى ولكننى عاهدت نفسى أننا إذا التقينـــا لا نفترق!

لورنزو : رغم عقبات الحياة ومتاعبها!

مويلف : الإرادة الصادقة فوق كل شيء وليس للإرادة مظهر أعظـــم مـــن تطلع النفس للسعادة وليس للسعادة من وسيلة سوى الحب.

لورنزو : أراك تلتمسين السعادة والحب وغيرك يراه مصدر الشقاء.

مويلف : الحب حبان، حب رشد وحب ضلالة.

لورنزو : كيف تمييزهما؟

مويلف : قلبك يقودك ولا يخدعك.

لورنزو : ألا ترين الصداقة إذا توثقت عراها بين نفسين شقيقتين قامت مقام الحب؟

مويلف : إن الصداقة بين رجل وامرأة وسيلة لا غاية. أتؤمن بحب ينقـــض على شخصين انقضاض الصاعقة؟

لورنزو : وما هذا الحب الرائع؟

مويلف : ليس رائعا إنما هو حب قوى لا يعرف النفاق ولا الحيلة ولا يطيق الصبر فلا يخدع ولا يخدع بل يدفع بالنفســين كمـــا يدفـــع مولـــد الكهرباء بتيارين قويين.

لورنزو : إنما أعرف أن شخصين يلتقيان للمرة الأولى فيشعر أحدهما بـــأن صلته بالآخر ترجع للأزل وأن صوته صاعد مـــن أعمـــاق قلـــب الزمان لشدة اطمئنان السمع وسكون القلب إليه.

مويلف : أيطول مقامك بهذا البلد؟

لورنزو : ربما طال أسبوعا لأننى سأشتو بباريس.

مويلف : وأنا أشتو بها ولكن لن أبرح لوزان قبل شهر.

لورنزو : أى شيء يحملك على طول الإقامة؟

مويلف : إن حياتى مرتبطة بأمور شتى منذ انفصلت عن زوجي.

لورنزو : إذن أنت وحيدة؟

مويلف : منذ ثلاث سنين ولا رجاء فى العودة إلى حياة العيلة.

لورنزو : ألم يكن الصلح خيرا لأجل هذا الطفل؟

مويلف : لقد حدث بعد الزواج خلاف شديد بينى وبين زوجى وكان سببه الفرق البعيد فى المزاح والطبع وخلق الزوجين.

لورنزو : ألا تؤلمك الوحدة؟

مويلف : إن الوحدة ذاتها لا تؤلم ولكن المؤلم الموجع حقا هو أن بعض الرجال يعتقدون باطلا أن امرأة فى عنفوان شبابها مادامت بغير رجل يحميها تمسى ملكا مشاعا ومتاعا مباحا لكل الرجال.

لورنزو : خففى عنك إنه لا يظن هذا الظن إلا الأنذال.

مويلف : إذن كان أنذالا معظم من لقيت من الرجال ويحدث أن الرجل الذى لا نشتهيه يلقى بنفسه على أقدامنا والرجل الذى نميل إليه لا يشعر بهذا الميل ولا يدركه إلا بعد فرار الفرصة، وحينئذ يندم! (يسمع صفير قطار).

لورنزو : آن يا سيدتى أن أودعك فقد طال مقامى.

مويلف : بل أبق. لماذا اخترت الفراق بعد صفير القطار؟ إنه رمز القطيعة والبعد فلا تفارقنى عقيبه. حدثنى عن نفسك شيئا فقد حدثتك عن نفسى كل شيء.

لورنزو : كل ما أستطيع أن أقول إننى طالب طب وأن مدينة فيزنرة وطنى وأسرتى وسط بين الأسر وأبى كهل ضعيف الحول والحيلة وأمى تدبر شئون أسرة كبيرة وقد فضل أبى أن أرضع لبان العلم مع ما فى هذا من الغضاضة عليه على أن أبقى بجانبه يشد بى أزره فى تجارته وإسعاد أخواتى (يبدو عليها التأثر) لماذا تتأثرين من هذا الكلام الهين؟ (تبكى) أتبكين أيضا إذن فرغت من قصتى.

مويلف : كلا .. بل استمر. إنك لا تدرى مقدار السرور الذى تدخله على نفسى بهذا الحديث.

لورنزو : وقد قضيت عامين فى درس الطب وبقى لى عامان أقضيهما فى غربتى.

مويلف : ولماذا كان يظهر عليك الحزن حين التقينا ببيت دى نافا؟

لورنزو : منذ أن أفقت من غشية الطفولة وتنبهت إلى جد الحياة شعرت باليأس والحزن فزهدت فى الدنيا وتبرمت بالناس.

مويلف : نعم لما بصرت بك قيل لى إن وراء جبينك المكفهر عقلا متقدا وقلبا قلقا ونفسا لا يقر لها قرار. وقد رأيت فيك من روح الحزن والقلق ما حرك كامن دائى. فقلت فى نفسى هذا رجل ينقصه الحب! .. أريد أن أبلغك رسالة.

لورنزو : أية رسالة تقصدين؟

مويلف : رسالة الربيع إلى القوب. إن الربيع حدث نفسى .. ونفسى حدثتنى إننا التقينا لأن كلانا يحمل للآخر وديعة غالية.

لورنزو : إن قلبى يجسم هذه الوديعة.

مويلف : لورنزو! ألا تشعر فى قلبك بحياة جديدة؟ ألا تشعر بحرارة فى دمك؟ ألا تشعر بحاجة إلى ما يسمونه الحب؟

لورنزو : أشعر بالحب وأمجده ولكن أريد أن أحيا بالعقل لا بالوجدان.

مويلف : إن حاربت الوجدان وازدريته قضيت على نصف الحياة.

لورنزو : إن حياة الفكر والعقل دائمة لا يسبقها ضعف ولا يلحقها ندم وما عداها مصحوب بالحسرات قصير الأجل.

مويلف : إن حياة العقل جليلة جميلة وأى رجل يدعى العلم وهو لم يذق سعادة الحب؟

لورنزو : لم يعقنى عن الحب إلا خوفى من الحب!

مويلف : أنت تخدع نفسك. كل عاطفة فيك تطالب بالحب.

لورنزو : إننى أنتظر الحب ولا أستقدمه.

مويلف : أيها الفتى لا حاجة بك إلى انتظار الحب فهو قريب منك .. إنه بين جوانحك وجوانح إنسان آخر كالنار الكامنة فى تيار الكهرباء اسأل تجب. وأطلب تمنح. كسر قيود قلبك الأسير يقم له الحب أفراحا خالدة!

لورنزو : واغوثاه! لقد تحول قلبى .. ليتنى سمعت نصيحة أبى. كانت نفسى قبل لقائك هادئة قارة كأنها المحيط العظيم فى سكونه، أما الآن فقد

أمست تلك النفس كالبحر .. ذهبت بهدوئه الأنواء ومضت بصفوه الرياح وخلفته العاصفة هائجا مضطربا.

مويلف : اسمع نصيحة قلبك ماذا يقول لك؟

لورنزو : يقول لى قلبى إننى .. أحببتك!

مويلف : إذن أبق بجانبى .. وأنا ما وقعت عينى لأول مرة عليك حتى عشقتك وكنت قبل ذلك لا أعرف ما الهوى وكنت أحسب الحب لعبة وملهاة فأصبحت فى حباله أسيرة.

لورنزو : ما اسمك؟

مويلف : اسمى كاترين.

لورنزو : اسمعى يا كاترين إننى قاسى فى حبى .. شديد الغيرة مستأثر لأننى أحب فى العمر مرة واحدة.

مويلف : هذا ما يتطلبه قلبى .. أريد حبا قاهرا قاتلا!

لورنزو : قد آن أن أذهب. دعينى أفكر ليلتى. إننى أخشى أن يستيقظ الطفل أو يفاجئنا أحد.

مويلف : دع التفكير للغد ولابد من خلوتى بك الليلة. هيا بنا من هذا المكان الذى لا يطمئن إليه.

لورنزو : أين ألقاك؟

مويلف : المحطة موعدنا بعد لحظة.

لورنزو : إلى الملتقى (يخرج).

المشهد الخامس : مويلف - الخادم هورتنس

تدق مويلف الجرس لاستدعاء الخادم – تدخل هورتنس

هورتنس : سيدتى !

مويلف : إن أمرا ذا بال يقتضى غيبتى. سأترك كوستا فى حراستك.

هورتنس : لك الأمر يا سيدتى.

مويلف : أين قفازى؟ .. إذا استيقظ فأخبريه أنى بجواره.. وحذار أن يبكى أو ينكشف عنه الغطاء .. إلى الملتقى يا هورتنس.. اسمعى إذا جاء أحد فانقلى كوستا فى الغرفة المجاورة.

هورتنس : إلى الملتقى يا سيدتى (لنفسها) ما بالها ملهوفة تتعثر بأذيالها وتترك ولدها فى هذه الساعة من الليل؟ (يطرق الباب).

هورتنس : من بالباب؟ ادخل. (يدخل الطاهى جوزيف بثياب الفراغ).

المشهد السادس : **هورتنس - جوزيف**

جوزيف : عزيزتى هورتنس أنت وحدك هنا.

هورتنس : ما الذى جاء بك فى هذا الوقت؟ هل وصل بك إقدامك الأعمى إلى اقتفاء آثارى فى غرف السكان؟ اخرج.

جوزيف : ارحمينى لم يقدنى إليك إقدامى الأعمى بل قادنى حبى البصير.

هورتنس : خير أن تخرج يا جوزيف فقد تيقظ الطفل بضوضائك وثرثرتك.

جوزيف : إذا رضيت عنى فلا أكترث لشيء.

هورتنس : ثق أننى لا أرضى عنك مادمت تسلك هذا الطريق.

جوزيف : أى طريق تقصدين؟

هورتنس : معاكسة امرأة ذات بعل وطفل مثلى.

جوزيف : بعلك شيخ قليل الكسب سيىء الخلق.

هورتنس : لا أطيق سماع شتم زوجي وأعد الرجل الذى يغتاب زوجا فى حضرة امرأته نذلا يستحق العقاب.

جوزيف : هورتنس .. ما بالك تشتدين في معاملتي؟ إننى أكفل لك حياة طيبة وأصون جسمك عن تعب العمل وأنقذ نفسك من ذل الخدمة.

هورتنس : وأنا أختار الفقر مع الشرف وأوثره على الغنى مع الابتذال. لأن لى طفلا صغيرا هو اليوم حدث لا يملك لنفسه خيرا ولا شرا ولكنه سيكون غدا فتى ثم شابا ثم رجلا فلا أريد أن أفعل ما يدنس شرفه ولا أريد أن يعيش بين الناس متعثرا فى أذيال الخجل والعار فإن عشت نهرنى وإن مت لعننى فى قبرى.

جوزيف : إن سيداتى وسيداتك لا تبلغ بصائرهن مرمى بصيرتك فما أبعد نظرك!

هورتنس : لا تسخر منى لأننى فقيرة. إن لسيداتى وسيداتك من وفرة المال وبعد الحسب وسعة الجاه ما يغنيهن عن الشرف.

جوزيف : إننى لا ألتمس منك إلا ..

هورتنس : (مقاطعة) خير لك أن تخرج.

جوزيف : إذن إلى الملتقى (يمد لها يده).

هورتنس : إلى الملتقى.

جوزيف : حتى يدك تضنين بها؟ لا أريد أطراف البنان ولكن أريد كفك الناعمة.

هورتنس : أرسل يدى وإلا استغثت.

جوزيف : الوداع يا هورتنس. (يخرج بظهره).

هورتنس : اذهب بسلام (يخرج) .. (لنفسها) مسكين يا جوزيف.

جوزيف : هل دعوتنى؟

هورتنس : كلا. لم أدعك.

جوزيف : يخيل إلى إننى سمعتك تذكرين اسمى.

هورتنس : كيف أطردك وأدعوك فى آن؟

جوزيف : قد يحدث هذا لأننى أرجو وأنت قد ترحمين.

هورتنس : لا تعد إلى هزئك وهذرك. أحبس آمالك على ما هو أنفع لك وأقرب منالا ودع رحمتى فإن زوجى وطفلى أولى بها منك.

جوزيف : (يخرج بظهره) الوداع يا هورتنس العزيزة.. يا هورتنس الجميلة .. يا هورتنس الشريفة .. وسأعاود الكرة فلربما .. وقد جاء فى المثل السائر إن أشد الحصون مناعة... قد ناله .. (يدخل كراشوف فيصدم بطنه بظهر جوزيف فيبهت الأخير ويهرول معتذرا).

المشهد السابع : كراشوف - هورتنس

كراشوف : هذا مسكن سيدة روسية اسمها مدام مويلف؟

هورتنس : نعم يا سيدى؟

كراشوف : وأين هى ؟

هورتنس : خرجت ولا تلبث أن تعود.

كراشوف : هذا ولدها .. أود لو أقبله وأخشى أن يستيقظ. هل تطول غيبتها؟

هورتنس : خرجت قبيل الساعة التاسعة.

كراشوف : سأبقى فى انتظارها. ولكن إلى أين تأخذين هذا الصغير؟

هورتنس : أمرتنى السيدة أن أنقله إذا طرق زائر.

كراشوف : حتى ولو كان الزائر أباه؟

هورتنس : سيدى.

كراشوف : حسن. افعلى ما أمرت به.

هورتنس : الطاعة أولى (تخرج وتدخل مويلف).

المشهد الثامن : كراشوف - مويلف

كراشوف : لاشك يدهشك قدومى بغير علم سابق فقد مضى على فراقنا ثلاث سنين. إنما جئت لأرى الطفل فإذا هو ينقل بأمرك من بين يدى. ولكن أرجو أن يكون الزمن قد ضمد الجراح القديمة. أنت طيبة القلب سريعة النسيان على أن خطأك كان أعظم من خطأى.

مويلف : لم أدهش مطلقا وحق لك أن ترغب فى مشاهدة الطفل. غير أن بعض الجراح لا تلتئم.

كراشوف : ألا تزالين تذكرين صداقك ومصوغك؟

مويلف : لا تذكر هذه السفاسف. إن أكثر الأزواج طامعون فى مال أزواجهن ليبددوه فى تجارة أو قمار وكثيرون يفعلون مثلك يبددون أموال أزواجهم وأبنائهم فى الإنفاق على معشوقاتهم وهذه جريمة لا تقوى المرأة على غفرانها. على أننى نسيت وعفوت وحاولت أن أعيش فى جنبك عيشة راضية ووقفت قلبى وحياتى على إسعادك وتربية ولدى.

كراشوف : وإذن ..!

مويلف : كنت تعود إلى ثملا كريه الرائحة بشع المنظر.. وكنت حينا تعود مهتاجا فتزعج الخدم والطفل وتطرق بابى طرقا مرنولا. وكم مرة حاولت اغتصابى قبيل الفجر.

كراشوف : اغتصابك !! كيف يجرى هذا اللفظ على لسانك؟

مويلف : إن المرأة وإن كانت زوجا ليست لعبة للرجل إنما هى إنسان كالرجل عليها حقوق ولها حقوق وأعز وأغلى حقوقها أن تعامل معاملة الإنسان الحر.

كراشوف : وهل لديك تهمة أخرى؟

مويلف : أتطلب منى أن أذكر لك ما هو أعظم؟

كراشوف : إنك قاسية القلب تنكرين أمورا تدعين إنها ذنوبى وتعرضين عن ذنوبك وهى بالذكر أحرى.

مويلف : وما ذنوبى إليك؟

كراشوف : تزوجت منك وقد ضممتك إلى صدرى ليلة زفافنا ومنيت نفسى بالاستئثار بك والتمتع معك بسعادة الحياة العائلية .. فصدقت آمالي عاما واحدا حتى دهمنا ذلك الشرير الخائن هاكيبوش.

مويلف : أتوسل إليك أن لا تذكر الماضى.

كراشوف : لم أقاطعك فدعينى أتمم حديثى وأندب حياتى التى أوديت بها وشيخوختى التى سودت صحيفتها. لقد دخل الشرير هاكيبوش بيننا فصحبته البغضاء والشقاق لأنه تمكن من التغرير بك فتمكن من قلبك.

مويلف : لا ترفع صوتك إنك تزعج الطفل فى الغرفة المجاورة.

كراشوف : إن حديثنا هذا لا يقطع عليه أحلامه. اشربى كأس الملام حتى آخر عكرها. إنك منذ عرفت هاكيبوش جهلتنى وساء خلقك فأهملت بيتك وهان عليك هجره وكنت إذا جرؤت على سؤالك أقمت مأتما ونهرتنى حتى كدت أتهم نفسى وما زلت بى حتى أذللتنى وأرغمت أنفى فصرت أخافك وجعلت منى مخلوقا جبانا واهن الإرادة وقضيت على شهامتى وإبائى وحاولت أن تقضى على شرفى.

مويلف : كفى .. كفى ! لو علمت أنك ستقيم سوق العتاب والشكوى ...

كراشوف : (مقاطعا) دعينى أشرح لك علة استرسالى فى المعاقرة والمقامرة .. إننى بعد أن رأيت نفسى ضعيف الحول والحيلة .. بدأت أشوب وأطرق أبوابا غير بابى وكنت أشرب لأغرق همومى فى كئوس الخمر المترعة لأننى إذا عدت إليك مبكرا تحولت عنى وادعيت إنك منهوكة القوى وإذا عاودتك متأخرا أقمت مناحة فأمست شيخوختى جحيما لا يطاق.

مويلف : بوريس كراشوف خفض من صوتك. أخشى أن يستيقظ الطفل فينكرك.

كراشوف : دعينى أتكلم كما تكلمت. أتذكرين ماذا حل بك بعد أن قاطعك هاكيبوش؟لقد فقدت بفقد حبه راحتك وهدوء نفسك وحاولت الرجوع إلى طبيعتك الأولى فلم تقتنعي بحب شيخ مثلى فبماذا تطفئين نار هذا الفراق المحرقة؟ أختلقت بدعة السفر إلى باريس فى طلب العلم فلم أصدق عزيمتك وحاولت منعك فتهددتنى بالطلاق وطالبتنى بالصداق فأطعتك مرغما وأعددت معدات السفر.

مويلف : إنك تشوه أعظم الأشياء وأجملها.

كراشوف : دعينى أشوه ما شئت .. لقد أقمت بباريس نصف عام ولم تكتبى إلى إلا طالبة مالا أو مستبطئة ردا.

مويلف : ويلاه من بهتانك واختلاقك!

كراشوف : ويلاه من مكابرتك!

مويلف : أعندك بعد هذا شيء ؟ .. حسبى باعثا على كراهيتى إياك إن كنت لى زوجا!

كراشوف : حسبى سببا لكراهيتى الحياة إن كنت لى أهلا.لقد عدت ولم يمض على عودتك أسبوع حتى وضعت.

مويلف : كراشوف ! أتوسل إليك لا تزد. إن الطفل نائم وأنت تذكر أية إهانة ألصقت بى وبه (تبكى) إنك لا تأمن عاقبة تحمسك ولربما خانك طبعك.

كراشوف : ليس بين الجرائم أفظع من جرمك. إن المرأة التى تحمل من غير ..

مويلف : (مقاطعة) كراشوف ! لا أسمح لك أن تزيد.

كراشوف : لا تقدرين لى على مكروه.

مويلف : احترم بيتى !

كراشوف : لم تراعى لمنزلى حرمة ولم تقيمى لشرفى وعرضى وزنا.إن من تحمل وهى بلا زوج مغفورة الذنب ولكن الزوجة التى تحمل جنينا من الطريق وقد يكون ابن مجرم أو مجنون وتنسه على زوجها الغافل ينشأ فى حجره ويمرح فى نعمته ثم يحمل اسمه ويرث ثروته

مويلف : كراشوف ! إنك تجاوزت الحد.

كراشوف : إن هذه المرأة (يشير إليها) يقصر فى عقابـــها حبـل المشـنقة وكرسى الكهرباء وسكين دبلر!

مويلف : كراشوف ماذا جاء بك هذه الليلة؟ (لنفسها) فـى صفـو الليـالى يحدث الكدر!

كراشوف : لقد صبرت واحتملت كثيرا وأشفقت عليك وعلى طفلك فلم تقنـع نفسك بهذا الصبر وهذا الرضى وعلمت الطفل بغضى واحتقـارى وأرضعته مع اللبن كراهتى واغتررت بصبرى وأردت أن تجعلـى خدرك لكل الناس مضجعا حينئذ ثارت العواطف الكامنة فى نفسـى وبعثت شهامتى من مرقدها وصغرت أعظم الجرائم فـى نظـرى وحاولت قتلك ولم ينقذك من يدى إلا الخدم ورجال الشرطة.

مويلف : وبعد يا بوريس كراشوف!

كراشوف : وبعد جئتك ناسيا أو متناسيا غافرا بعد ثلاث سنين مـن فراقنـا أطلب إليك أن تعودى إلى خدرك فما قولك؟

مويلف : هذا لا يكون أبدا. أتظننى فقدت صوابى حتـى تدعونـى إلـى عشرتك؟

كراشوف : أتقضين حياتك متنقلة تتعثرين فى أذيال الحاجة وتجريـن وراءك هذا الطفل الشقى يتخبط فى ظل الجهل والفساد؟

مويلف : هذا خير من عشرتك. اصنع لنفسك من الجميل ما تريد صنعه لنا.

كراشوف : إذن لماذا كنت تبكين الساعة؟

مويلف : بكيت على الذكرى التى أحييتها فى قلبى لا شفقة عليك ولا حنينا إلى عشرتك.

كراشوف : احذرى عاقبة تهورك لقد جرحتنى جرحا لا يندمل فلا تهرقى دما جديدا.

مويلف : وما شأنى بجروحك الدامية والمندملة؟

كراشوف : أيتها المرأة كاترين كراشوف!

مويلف : لا تدعنى بهذا الاسم الذى دفنته ولا تبعثه من قبره.

كراشوف : هل ذهبت فظاعة ذنوبك بصوابك؟

مويلف : ألقانى حظى بين براثنك ثم أنقذنى.

كراشوف : لا تزيدى أيتها الكاذبة الخائنة.

مويلف : ماذا تريد من امرأة لا تحبك؟

كراشوف : ألِى هذا الحد وصلت بك المجازفة؟

مويلف : قلب المرأة لا يباع ولا يشترى ولا قيمة للعقد الشرعى إذا لم يربط الحب قلب الزوجين وقد أحببتك فى بداية زواجنا إذ قيل لى إنك زوجى وفى حل من جسمى فلما فقهت معنى الحياة ضننت عليك بحبى.

كراشوف : ما هذا الخلط أيتها المرأة؟ لقد اغتلت ثلاث سنين من شبابى! .. اعزيك عن عقلك.

مويلف : إن شباب المرأة حياتها وثروتها.

كراشوف : سأقطع نفقتك لعل الفاقة ترد عليك عقلك (يهم بالخروج فيطرق الباب).

مويلف : ادخل .. ادخل .. ادخلوا .. ادخلن !

المشهد التاسع : لورنزو - مويلف

لورنزو : عفوا إنى منصرف.

مويلف : بل أبق هذا زوجى القديم. ها هو قد انصرف. إنه لا يتلفت .. حبيبى لورنزو ما الذى جاء بك فى هذه الساعة فقد أنقذتنى. إنك ملاكى الحارس. منذ عودتى من خلوتنا الأولى أخذت أسائل نفسى أوقد مضى؟

لورنزو : وددت لو لم أره .. جئت لأن قلبى دفع بى إليك فشئت أن أطمئن عليك قبل رقادى.

مويلف : وأين تذهب؟ أتتركنى؟

لورنزو : نعم وسألقاك غداة غد.

مويلف : هل تركت رؤية هذا الشيخ المجنون فى نفسك أثرا؟

لورنزو : لا تصفيه بالجنون فقد رثيت لحاله!

مويلف : أترثى لشيخ أسير شهواته ولا ترثى لامرأة تحبك .. هذا الشيخ فان وقعت له فتاة تمتع بها أمدا فلما تفهمت معنى الحياة حاولت إطلاق نفسها من ربقة هذا الأسر الشرعى ففرت من سجنها ومازالت تائه

حتى ساقت لها الأقدار رجلها المخلوق لها ولم توشك أن تسعد بلقائه حتى ظهر هذا الشبح المخيف ... فهل من الرحمة أن يتحول قلبك؟ (تبكى).

لورنزو : ولكن لا تبكى.

مويلف : أتلومنى لأننى أفلت من هذا الأسر؟

لورنزو : خففى عليك.

مويلف : كيف تهجرنى؟ إن جسمى لا يزال كليلا من أثر ذراعيك وقد جمعت رعشة الحب بيننا فجعلتنا روحا فى جسمين وهذا القلب المسكين الذى لم يخفق قبل الليلة إلا حزنا ورعبا ذاق للمرة الأولى لذة السعادة التى لا تدرك ولا تنسى. لقد فتحت لى بيدك الباب الذى لا تعبره المرأة فى حياتها إلا مرة واحدة فلم أكن عروسا لغيرك.

لورنزو : لا تزيدى.

مويلف : دعنى أتكلم. دعنى أبح بالسر الأعظم وأصبح أمام الطبيعة الهادئة المتجلية فى الجبال والبحيرة وضوء القمر. دعنى أغرد بذكر حبك كما تغرد البلابل بليالى وصالها الأولى (تبكى) .. أتحبنى؟

لورنزو : نعم.

مويلف : وتبقى معى؟

لورنزو : وسأبقى معك.

مويلف : إلى الأبد.

لورنزو : إلى الأبد.

مويلف : اقسم.

لورنزو : أقسم بالطبيعة والحب ... بكل عزيز مقدس لدى أننى أبقى على حبك طول حياتى.

مويلف : أقسم أنا أيضا؟

لورنزو : اقسمى أو لا تقسمى.

مويلف : أقسم بقبر والدى وبرأس ولدى وأشهد الله ونفسى أننى لن أعرف سواك رجلا لى مادام فى نفس يتردد. وأقسم أننى أحبك على البعد والقرب على الفقر والغنى فى السراء والضراء (تركع) أقسم أننى أحبك (تبكى).

لورنزو : إنك قرينتي مدى الدهر وحليفتي على الأيام تؤلف بيني وبينك الحياة ولا يفرق ذات بيننا الموت، وهذه يمين قد ربطتنا معاً ولكن لا تبوحي بما أوثقنا من ذلك الحلف واجعلي أمره سراً مكتماً. انهضي (يقبلها باكياً ويتعانقان - يسمع صفير القطار ثلاث مرات وتسمع حركة قطار يتحرك) ..(ستار)

الفصل الثاني

المشهد الأول

فندق راسين في جنيف - لورنزو - راسين - مدام راسين

لورنزو : هل تقضون أصيل الأحد بغير لهو وسمر. كنت أحسب البيوت في سويسرا شتاءً حافلة بأنواع المسرات.

راسين : لدينا يا سيدي أسباب شتى للهو واللعب وقد ظهر منذ عشر سنين سبعة وخمسون كتاباً في هذا المبحث الجليل.

مدام راسين : بدأ راسين يحصي ويعد!

راسين : (مستمراً) إنها أربعة وثلاثون تأليفاً وثلاثة وعشرون نقلاً من اللغات الأجنبية عدا سبع رسالات صغيرة واحدة منها عن اللغة الصينية وتسع مقالات في المجلات العلمية ومقالتان في جريدة يومية.

لورنزو : وهل تذكر يا سيدي بعض الألعاب الموصوفة في تلك الكتب؟

راسين : أجل يا سيدي وأستطيع شرح مائتي لعبة على الأقل.

لورنزو : وكم الساعة الآن يا موسيو راسين؟

راسين : بقي على الساعة الثالثة أربع وعشرون دقيقة وثلاث ثوان فتكون الساعة في باريس الحادية عشرة وربعا وخمس ثوان وفي جرينوش التاسعة وخمسا وعشرين دقيقة وفي نيويورك السابعة قبل الزوال وفي سان فرانسيسكو الرابعة بعد الزوال وفي يوكاهاما منتصف الثانية بعد الزوال وفي تمبكتو الثامنة بعد الزوال.

مدام راسين : عزيزي شارل إن السيد لورنزو يسألك عن الساعة هنا في جنيف فلا معنى لتحديد الساعات وتوقيع الأوقات في هوكولوما أو هونولولو اللتين ذكرتهما.

راسين : جان ! إن لكل ذرة من العلم قيمة والعلم بالشيء خير من الجهل به والشيء يذكر بالشيء. أليس كذلك يا سيدى لورنزو؟

لورنزو : ولكل ما يقوله السيد راسين شأن فى نظرى.

راسين : وفضلاً عن ذلك فإننى حر فى أقوالى وأفعالى أى معنى للعلوم الرياضية والفلكية إذا لم نتمتع بها؟ ما قيمة الحياة بدون دقة؟ وكيف الوصول إلى الدقة بدون إحصاء وقياس؟ وكيف الإحصاء والقياس بدون أرقام وأعداد ومقارنات ومقابلات؟

مدام راسين : إنك تضايق الناس باسترسالك فى العد والحصر إلى ما لا نهاية.

لورنزو : ألا تنتهين يا جان؟ إنك تخرجين عن حدودك وتخرجيننى عن حلمى.

مدام راسين : إن خروجى عن حدودى ينبهك إلى أمر ذى بال.

لورنزو : هل يلام أحد على الاهتمام بالعلوم والمعارف؟

راسين : إننى أحفظ عن ظهر قلب كل إحصاء نافع للإنسانية والتاريخ ذلك أننى عضو فى جمعية الإحصاء الدولية ومشترك فى مجلتها وحضرت كل مؤتمراتها التى عقدت فى سويسرا وأستطيع أن أعد لساعتى جميع من تولوا من باباوات رومة وأباطرة الصين ورؤساء وقبائل الهنود الحمر وأصنام شعوب أفريقيا الوثنية وملوك المصريين القدماء ومحطات السكك الحديدية فى سائر بقاع الأرض وأعلم قدرا وافرا من شئون الأمم المعاصرة بفضل الإحصاء. فليحيا الإحصاء!

لورنزو : ما شاء الله !! مرحى ! .. مرحى ! .. إذا كنتم عدلتم عن قضاء الوقت بالسمر فاسمحوا لى أن أقطعه بالمطالعة فى غرفتى.

راسين : هل لديك كتب كثيرة يا سيدى؟

لورنزو : أحمل معى دائما مكتبة متنقلة مؤلفة من أعز كتبى.

راسين : حسنا تفعل ولو أنك قصدت دار الكتب البلدية وجدت بها مائتى ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين كتابا بين مخطوط ومطبوع منها مائة وثلاثة وخمسون ألفا.

جانيت : سيدى بعضهم يسأل عنك بالتليفون.

راسين : ها أنا ذاهب ... وثلاثمائة وأربعون بلغات شتى منها اليونانية والعربية والصينية (يخرج مستطردا) حقا إن موسيو ديبوا يطلبنى (يصافح الجميع) أصافح فى كل يوم من أيام السنة أربعين شخصا ماعدا أيام الأحد فإننى أصافح أربعة فقط فمجموع من أصافح ثلاثة عشر ألفا وخمسمائة شخص موسيو بانجيون عشرين مرة وقد فقد أصبعه فى مصادمة فأصبحت يمينه ذات أربع أصابع فقط على أن هذه المصادمة لم تكن من المصادمات ...

مدام راسين : اسرع يا عزيزى شارل فإن الوقت أزف.

راسين : ها أنا ذاهب وسأقطع من هنا بواسطة الترام طريقا طولها مائة وخمسون مترا فى الساعة فيقطع المسافة ما بين سان جورج وشارع الكوارترى فى سبع عشر دقيقة وثانيتين فأصل لتسع وعشرين دقيقة وثلاث ثوان خلون من الساعة الرابعة ... والآن استودعكم الله جميعا (يخرج).

الجميع : مع السلامة .. مع السلامة !

مدام راسين : أف من زوجى ... اسمحوا لى قليلا أن أتفرغ لتدبير نزلى .. أسعد الله مساءكم. (تخرج).

المشهد الثانى : مويلف - لورنزو

مويلف : أف لراسين .. دعنى يا عزيزى لورنزو أقبلك أربع قبلات، الأولى فى جبينك .. والثانية والثالثة فى خديك .. والرابعة فى فمك .. ثم اثنتان فى عينيك (تقبله).

لورنزو : كفى تقبيلا.

مويلف : لو أحصينا القبل التى تبادلناها منذ تعارفنا كان الإحصاء هكذا .... عرفتك منذ تسعة شهور فلو كان متوسط القبل التى نتبادلها كل يوم خمسين قبلة. وفى التسعة الشهور سبعون ومائتا يوم ..

لورنزو : يجب أن تطرحى أيام الخصام.

مويلف : دعنى أحسب أولا سبعون ومائتان فى خمسين يحصل خمسمائة قبلة وثلاثة عشر ألف قبلة. وإذا طرحنا أيام الخصام يكون ما فاتنا من القبل خمسمائة وقد عوضناها عقيب الصلح.

لورنزو : (يضمها) عزيزتى كاترين ما أعظم سعادتى بقربك وما ألطف روحك وأرق شمائلك. (توقع على البيانو بعض ألحان شوبان). (مستطردا) لشد ما يعرونى الحزن كلما أذكر الرجل الذى كان يحبك وأنت لا تحبينه.

مويلف : أتوسل إليك أن لا تذكره.

لورنزو : أين هو الآن؟

مويلف : إنه بعيد عنا وقد رأته زينا فى بطرسبرج قبيل سفرها وهو بلا ريب ينفق مرتبه فى ملاذه.

لورنزو : ومن هى زينا التى ذكرت لساعتك؟

مويلف : فتاة استقدمتها لتتعهد كوستا وهى من طالبات العلم اللائى قعد بهن الدهر فلم تتمم دروسها. دع عنا هذا كله ولنعد إلى حديثنا الأول ... كيف وقع حبى فى قلبك؟

لورنزو : رأيتك فأحببتك لأن نفسك شقيقة نفسى وقد تعارفنا منذ الأزل وعاقتهما من اللقاء حوادث الأجيال ثم اجتمعتا!

مويلف : كيف يدوم حبنا؟

لورنزو : كيف تصونين نور المصباح فى ليلة ذات ريح عاصفة.

مويلف : أحوط الشعلة بيدى فلا يطفئها الهواء.

لورنزو : كذلك الإخلاص والوفاء يحفظان الود. فحوطى بهما حبنا المقدس.

مويلف : أعاهدك وأقسم لك إننى سأحوط حبنا بالإخلاص والوفاء مادمت حية (تدخل جانيت تحمل خوان الشاى).

مويلف : شكرا لك يا جانيت .. اتركى الشاى فسأتولى الخدمة بنفسى. (تطعم لورنزو وتسقيه الشاى) يا طفلى المعزز.

لورنزو : شكرا لك يا حبيبتى. (تدق الساعة الخامسة).

مويلف : الساعة الخامسة أن عودة كوستا من نزهة الجبل سأذهب للقائه.

لورنزو : هل أصحبك؟

مويلف : كلا .. أفضل أن أعود لألقاك لأننى أشعر عقيب كل فراق ولقاء بلذة لا توصف إلى الملتقى.

لورنزو : سأبقى.

المشهد الثالث : تدخل أنطونيا

أنطونيا : جئت أبحث عن مدام راسين لأمر ذى شأن.

لورنزو : تفضلى فاجلسى.

أنطونيا : ليس هذا وقت السمر.

لورنزو : وهل للسمر وقت معين؟ إننا فى الحياة كالسفن الماخرة عباب المحيط لا توشك سفينة أن تلتقى بأخرى حتى تفرق بينهما عاليات الأمواج وعاصفات الرياح.

أنطونيا : كلامك عذب ولكنه يترك فى نفسى حسرة لا تزول.

لورنزو : لم يفتنى أننى فى حضرة آنسة من أرق الأوانس وأعرقهن تهذيبا.

أنطونيا : شكرا لك. لست على شىء مما وصفت إنما أنا فتاة ساذجة لا أعرف شيئا من ألغاز الحياة غير أننى سمعت إحدى رفيقاتى تقول لا يخرج الإنسان من دائرة الجهل الضيقة ويريه الأمور على حقيقتها إلا شىء واحد.

لورنزو : ما هذا الشىء العجيب؟

أنطونيا : قالت تلك الرفيقة لى إنه الحب.

لورنزو : أمر عجيب وهل صدقت هذا القول؟

أنطونيا : كلا.

لورنزو : ولم ذلك؟

أنطونيا : منذ نعومة أظافرى أعرف الحب وأعيش فيه، فأنا أحب أبى وأمى وجدى وبنت عمي وكنت في طفولتي أحب عرائسى التى تهدى إلى حبا جما، ومع هذا كله فلا أزال ساذجة لا أعرف شيئا من أسرار الحياة.

لورنزو : أيتها الآنسة الجميلة اعلمى أن صاحبتك لم تكذبك قط بل وقفتك على الحقيقة بعينها ولم تخدعك بل أرشدتك إلى مصدر العلم والسعادة فى هذه الحياة.

أنطونيا : كيف ذلك؟

لورنزو : إن الحب أيتها الآنسة ... (يدنو منها – تدخل مويلف).

مويلف : موسيو لورنزو أريد أن أقول لك كلمة.

لورنزو : أأذنى لى أيتها الآنسة.

مويلف : أظنك تستطيع أن تسارع إلي فيما أريده فلعل بى حاجة إليك.

أنطونيا : عفوا يا سيدتى ... عفوا يا سيدى (تخرج).

مويلف : آن لك أن تخبر خلقى وترعى وجدانى وعار على مثلك أن يكون له قلبان.

لورنزو : ماذا تقولين يا كاترين؟

مويلف : كيف تجرؤ على مغازلة تلك البنت فى غيبة المرأة التـــى أحبتـــك وبذلت حياتها وسعادتها فى سبيل رضاك؟

لورنزو : لم أكن أغازل تلك الآنسة لأننى لا ألتمس حبى من غير المرأة التى اختارها قلبى، فضلا عن أنها لا تدرك الغزل وما هى إلا فتاة حسنة الظن بالدنيا آخذة بأوفر نصيب من حرية الفكر والقول.

مويلف : بدأت تدافع عنها! إننى لا أريد أن أراك فى صحبة غيرى.

لورنزو : إنك تخطئين لو ظننت الحب حجرا على حرية العاشقين.. متى كان الحب – وهو أشرف العواطف وأسماها – قفصا تسجن فيه الإرادة والوجدان؟ بل متى كان الحب كمامة توضع على أفـــواه المحبيـــن تمنع عنهم الهواء الذى يستنشقونه؟متى كان الحب غشاوة تلقى على أبصار أهل الغرام تعوقهم عن التمتع بالنور الذى به يبصرون؟

مويلف : ألم تقل إنك ملكى؟

لورنزو : نعم ملكك بقلبى وإرادتى لا على الرغم منهما.

مويلف : إذن تريد أن أكون لك وحدك وأنت تكون لكل النساء!

لورنزو : إن الحب قوة من قوى الطبيعة لا يظهر جماله وجلاله إلا إذا كـــان حرا طليقا.

مويلف : إنك تكاد تقتلنى غيظا. إننى لا أدرك الحب بدون استئثار متبادل.

لورنزو : وأنا لا أدرك الحب بدون حرية. وإذا كان حبك يحرمنى أعظم نعم الحياة وهى الحرية فأنا أفضل الحرية على الحب بل على الحيـــــاة (يعرض عنها).

مويلف : لورنزو .. لورنزو أنت تعرض عنى!

لورنزو : حينئذ أستودعك الله (يهم بالخروج).

مويلف : موسيو لورنزو .. لورنزو ألا تجيبنى؟
لورنزو : تريدين أمرا يا سيدتى؟
مويلف : ما هذا الجنون؟ أغضبان أنت؟
لورنزو : كلا ولكننى مبهوت.
مويلف : من أى شىء؟
لورنزو : مما نعانيه فى سبيل الحب.
مويلف : أتريدنى أن أحبك وأحتمل خلوتك بامرأة أخرى.
لورنزو : وأى شر فى ذلك؟
مويلف : وإذا أدت الخلوة إلى الصداقة؟
لورنزو : لا بأس!
مويلف : وإذا أدت الصداقة إلى الحب؟ ألم تكن خلوتنا منشأ صداقتنا بداية الحب؟
لورنزو : نعم ولكن ليس كل حب ناشئا عن صداقة ولا كل صداقة ناشئة عن خلوة.
مويلف : اعلم يا لورنزو أن الحب الصادق حقود وغيور إن كنت تحبنى حبا عريقا فلا تستطيع أن تصادق امرأة غيرى لأن الصداقة المجردة خيانة للحب الصادق.
لورنزو : إن للرجل وحده حق التمسك بهذا المبدأ.
مويلف : لماذا؟
لورنزو : لأنه حى بعقله ثم بقلبه أما المرأة فحية بقلبها ثم بقلبها.
مويلف : وعقلها؟
لورنزو : لا دخل له فى الموضوع فإن خلوت بألف امرأة فلا أتهم بحبهن ولكنك إن خلوت برجل واحد فإن الشك ينفذ إلى قلبى.
مويلف : الحق معك. اعف عنى ولكن لى إليك أمنية.
لورنزو : ما هى؟
مويلف : إن شئت أن تحادث النساء فلا تحادثهن على مرآى ومسمع منى.
لورنزو : لك ذلك.
مويلف : إذن لا تزال تنوى محادثة النساء.

لورنزو : أنا مازح .. إن حديثى مع تلك الآنسة لم يتعد التحية.
مويلف : شكرا لك فقد هدأت روعى.
لورنزو : ليتك سألتنى قبل الحدة فى رفق ولطف (يهم بالخروج).
مويلف : إلى أين؟
لورنزو : لحظة ريثما أحضر رباعيات الخيام.
مويلف : حسن سأنتظرك وسأعد لحنا أوقعه لك عند عودتك. (يخرج وتوقع مويلف بعض الألحان - تدخل جانيت).
جانيت : هذا كتاب للسيد لورنزو. ظننته هنا.
مويلف : كلا إنه فى غرفته.
جانيت : إذن أصعد إليه.
مويلف : لا بأس وإن شئت أعطنى الخطاب فيتسلمه عند عودته.
جانيت : هو كذلك يا سيدتى.
مويلف : (تنعم النظر فى الخطاب وتشمه وتقول لنفسها) هذا الكتاب إلى لورنزو. إن ورقه مطيب وهذا الخط خط امرأة. أيخفى عنى أمرا يتعلق بامرأة سواى؟ إذن لأقرأنه (تهم بفض الغلاف) ... كلا فلربما أغضبه ذلك ولا ينبغى إغضاب رجل فى نهار واحد مرتين. سأصعد إليه وأفاجئه لأقف على الحقيقة ... كلا إن الرصانة فى هذا الموقف أولى (تمزق منديلها غيظا). أين أنت يا آشعة رونتجن الخارقة؟ بئست الاختراعات والاكتشافات إذا لم تستطع المرأة أن تقف على أسرار الرجال. (يدخل لورنزو وبيده كتاب).
لورنزو : هل أعددت اللحن؟
مويلف : (تخفى الكتاب) نعم ووقعته.
لورنزو : (يلحظ عليها أنها ساهمة) مالك؟ هل طال عنك غيابى؟
مويلف : كلا .. اسمع.
لورنزو : ماذا؟
مويلف : إن لك عندى كتابا.
لورنزو : أين هو؟
مويلف : (تظهره وتقلبه)هاكه ولعله من امرأة تعرفك لأنه مطيب وقد تسلمته من جانيت فى غيبتك.

لورنزو : مستحيل أن يكون باسمى وأن يكون من امرأة كما تزعمين. أرينى.
مويلف : (تتردد) ها هو ولكن ما بيننا يسمح لى أن أقرأ رسائلك.
لورنزو : وهل استبحت لنفسى هذا الحق فيما يتعلق برسائلك؟
مويلف : وما الذى يمنعك؟
لورنزو : لا أريد أن أكون رقيبا عليك لأن التضييق يقتل الحب.
مويلف : ولكن هذا الخطاب من امرأة.
لورنزو : من أين لك ذلك؟
مويلف : من خط العنوان.
لورنزو : إن بعض خط النساء يشبه خط الرجال والضد صحيح. هاتى الكتاب أنبئك بما فيه.
مويلف : لا أريد أن أعلم ما تكتبه إليك امرأة أخرى. إن نفسى تحدثنى أن يومى سينتهى بحزن شديد.
لورنزو : إذا كنت تتطيرين منه فها هو بين يديك فأحرقيه.
مويلف : ألا تحقد على إذا أحرقته؟
لورنزو : كلا ! ليس فى الأمر ما يدعو إلى الحقد.
مويلف : سأفعل (تشعل عود ثقاب وتدنيه من الغلاف).
لورنزو : ولكن مهلا.
مويلف : هل تقرع سنك ندما؟
لورنزو : لعل امرأة تطلب المعونة والنجدة.
مويلف : ولعلها تطلب ميعاد غرام!
لورنزو : احرقى .. احرقى فأنت الساعة أدعى إلى الشفقة من أية امرأة سواك.
مويلف : كلا .. خذ كتابك وافعل به ما تشاء. اقرأه واحتفظ به أو احرقه أو مزقه وغض الطرف عن تعرضى لشئونك.
لورنزو : هذا كلام الغضب وغضب العاشقين غيرة ولكن لا بأس (ينعم النظر فى الكتاب) حقا خط أنثوى (يفض الغلاف ويقرأ).
مويلف : هلا قرأت لى كما وعدت؟
لورنزو : كلا.

مويلف : لماذا؟

لورنزو : لأنه من امرأة.

مويلف : وهل تحبك؟

لورنزو : نعم.

مويلف : وهل تحبها؟ (تدخل زينا بلهفة).

زينا : طاب يومك يا سيدى.

لورنزو : لك المثل أيتها الآنسة.

مويلف : هذه هى الآنسة زينا أندريوفسكى مربية كوستا. السيد لورنزو صديقنا (يطرقان تحية) ... ما وراءك يا زينا.

زينا : اسرعى فقد أرسلتنى مدام جاى.

مويلف : هل لحق ولدى سوء؟

زينا : إنه لم يعد وتحسبه ضل الطريق وقد غابت الشمس أو كادت والذى أقلقها أنه يعبر غابة باسى بين الأوف والرون.

مويلف : إذن هيا بنا.

لورنزو : ألا أصحبك لأكون فى خدمتك؟

مويلف : الأمر لك. ولكن أبق فإذا احتجت إليك لا قدر الله أرسلت زينا فى طلبك. (تخرجان – تدخل أنطونيا).

المشهد الرابع : أنطونيا - لورنزو

أنطونيا : هل تسلمت كتابى؟

لورنزو : أى كتاب تقصدين؟

أنطونيا : بعثت إليك بكتاب أو لم تتناوله؟

لورنزو : وماذا أودعته؟ إن لم يكن وصل إلى الساعة فعما قليل يصل.

أنطونيا : لا أستطيع أن أقول أكثر مما كتبت. إننى أخجل لدى الكلام ولكن جرأتى تعاونى عند الكتابة. ظننتك قرأته.

لورنزو : وهل تجعلين لهذا الكتاب شأنا؟

أنطونيا : نعم إنما أنت تريد تعذيبى ومماطلتى وأنت تعلم قصدى.

لورنزو : أى قصد؟ (لنفسه) قد يعترى الرجال من الحمق والخرق ما لا يصدقونه إذا عاودهم رشدهم.

أنطونيا : اسمع يا سيد لورنزو إننى لم أقل هذا لأحد سواك لأننى فتاة ساذجة وأقسم لك أننى طاهرة لم تدنس حياتى ولم يضل قلبى.
لورنزو : لم أرتب فى ذلك لحظة عين أيتها الآنسة.
أنطونيا : لا تقل أيتها الآنسة بل ادعنى باسمى إذا شئت.
لورنزو : عفوا كيف أستبيح لنفسى حرية القول مع آنسة كاملة الخلق لا يربطنى بها إلا التعارف المحض؟
أنطونيا : ولكننى لبلاهتى أظن أن بيننا ما هو أشد من رابطة التعارف المحض. فهل أنت أيضا تشعر بذلك؟
لورنزو : أيتها الآنسة العزيزة إننى أجلك وأحب لقاءك.
أنطونيا : إنك تجلنى وتحب لقائى ... إنك تحرجنى وتؤلمنى بهذه الألفاظ المتكلفة.أنا منذ عرفتك وحادثتك أشعر بأن أمرا جديدا عظيما حدث لى وأن نورا ساطعا يضيىء ظلمات قلبى وإننى أخشى أن يكون هذا التغير نتيجة الأمر الذى تحادثنا بشأنه منذ هنيهة.
لورنزو : تقصدين الحب؟
أنطونيا : نعم. يكاد قلبى يتمزق من الانفعال والقنوط.
لورنزو : لا قدر الله.
أنطونيا : قل لى كلمة واحدة تعد الحياة والأمل إلى.
لورنزو : أيتها الآنسة لقد أحرجت موقفى وأنت لا تدركين معنى ما تقولين وتفعلين وليس لى معك حيلة. أين أمك وأختك مدام كاميل؟
أنطونيا : خرجتا منذ الصباح. لا تدخل بيننا أحدا. ألست عاقلة حرة أتصرف فى حياتى وقلبى كيف أشاء. إننى فتاة ساذجة القلب ولكننى أعلم أن لى حقوقا قبل الحياة والسعادة. غير أننى لا أعرف الطريق ويخيل إلى أننى وجدتها منذ لقيتك.
لورنزو : أى طريق أيتها الآنسة؟
أنطونيا : ألم تحادثنى عن الحب ! ألم تكن تقول لى أشياء عذبة لا أنساها؟
لورنزو : اعلمى يا أنطونيا أننى لا أستطيع أن أقابل حبك بمثله.
أنطونيا : لماذا؟
لورنزو : لأننى أحب امرأة سواك فقد كنت أحبك لو لقيتك قبلها أما الآن فلا أستطيع أن أدخل قلبى عليها أحدا.

أنطونيا : (تركع وتبكى) أنت تحب امرأة أخرى ومن هى قل لى مـن هـى وارحمنى.

لورنزو : (يحاول إنهاضها) ولكن لماذا تركعين وتبكين؟ انهضى.

أنطونيا : لورنزو ! إذن لا وسيلة إلى حبك أكاد أجن اعطنى قبلة واحدة.

لورنزو : (يبتعد وهى تتعلق بأهدابه) وماذا يبقى بعد القبلة يا أنطونيا؟

أنطونيا : لا تريد أن تقبلنى قبلة عشق فقبلنى قبلة إخاء.

لورنزو : عدى أن تعتصمى بالحكمة وأن تخففى عن قلبك سورة الاندفـاع والانفعال.

أنطونيا : أعدك (يقبلها فى جبينها ويحاول إنهاضها) ولكننى لا أنهض حتـى تخبرنى من هى المرأة التى تحب.

لورنزو : هى مدام مويلف.

أنطونيا : (تنهض) أنت تحب تلك المرأة.

لورنزو : صه .. لا تقولى امرأة. إنها سيدة شريفة.

أنطونيا : لا أمل لى فيك فلا تحجر على حريتى.

لورنزو : ليس هذا مبررا لاغتيابها فى حضرتى وأنت لا تعرفينها.

أنطونيا : أعرفها أتم معرفة ولا ينبئك مثل خبير. فإننى أرى خلقها فى زيها، أرى خبثها ومكرها فى تدللها حتى على النساء وهن من جنسها.

لورنزو : ولكننى لا أرى شيئا لما تذكرين من المساوىء ولا أريد أن تنبهينى إليها.

أنطونيا : أنت لا ترى لأن العاشق أعمى.

لورنزو : ما عهدتك حادة المزاج شديدة الانفعال إلى هذه الغاية ولم أحسـبك قادرة على إدراك ما ظهر لى منك.

أنطونيا : إننى تعلمت فى يوم واحد ما لم أعلم طول حياتى وستبقى ذكـرى هذه الواقعة فى نفسى إلى آخر يوم من عمرى... وها أنا أخرج من تلك الغرفة وقد بلغت نفسى أشدها. أودعك الآن الـوداع الأخـير لأننى سأرحل عن جنيف الليلة وكأننى حظيت فيها بالسعادة (تبصر فجأة بقصاصة الغلاف فتلتقطها) لقد كذبتنى أيضا ها هو أثر مـن كتابى أين هو؟هل أعطيته مدام مويلف تقربا إليها هل أهرقت مـاء وجهى لتغسل به قدميها؟

لورنزو : حسن ظنك بى أفضل.

أنطونيا : أتوسل إليك أن ترد كتابى إلىّ.

لورنزو : كلا ! إن المكتوب ملك من يتسلمه اعلمى أنه بين يدى ولم يره أحد سواى.

أنطونيا : أتوسل إليك أن لا تطلعها عليه.

لورنزو : أعدك. عدينى أن تغفرى لى إساءتى إليك وأن تنسى ما أصابك فى سبيلى.

أنطونيا : غفر الله لك! ... الوداع يا لورنزو.

لورنزو : الوداع.

المشهد الخامس : تدخل مويلف

لورنزو : لقد أسرعت بالعودة فلم أتمكن من اللحاق بك.

مويلف : (لاحظت أنطونيا تتصرف) ماذا كانت تفعل هنا هذه المرأة؟

لورنزو : هذه الآنسة كانت تسألنى عن أمر يعنيها.

مويلف : وهل تخفى على هذا الأمر كما أخفيت اسم مرسلة الكتاب ... إنك خائن.

لورنزو : ما تقولين؟

مويلف : إنك خائن تعبث بحبى وتظهر لى الوفاء وأنت على موعد من امرأة.

لورنزو : أنت مخطئة ولا أبيحك أن تصمينى بالخيانة.

مويلف : أينا مخطىء مذنب؟ ... أنا التى بذلت فى سبيل حبك حب زوجى وأسرتى أم أنت الذى تنتهز فرصة غيابى لتغازل النساء وتحمل بين جوانحك كتب الغرام التى يبعثن بها إليك وأنت تعلم أن بجوارك امرأة ترى الدنيا هينة فى جنب رضاك.

لورنزو : هل تسيئين الظن بى؟

مويلف : وأى مجال للشك فى حبك ووفائك أرحب من هذا المجال؟ وأى دليل على خيانتك أظهر من هذا الدليل؟

لورنزو : لا تذكرى الخيانة كأنك لا تعرفين قدر الألفاظ (يلمس زر الكهرباء) إن دوام هذه الحال محال ... أنت تعلمين إنى أشد الرجال عنادا وأكثرهم تصميما فكلما زدتنى إنكارا زدت نفورا وإصرارا. (تدخل جانيت).

جانيت : سيدى.

لورنزو : أعدى حقائبى واحملى إلى جريدة الحساب.

جانيت : هل يسافر سيدى؟

لورنزو : هذا لا يعنيك.

جانيت : هذا يوم مشئوم على مدام راسين فإن مدام كاميل وأختها الآنسة أنطونيا وأمها يسافران اليوم أيضا وقد اعترت الآنسة نوبة فلا تنفك عن البكاء تطلب الرحيل.

مويلف : (لنفسها) إذن هما على ميعاد (إلى لورنزو) لورنزو لماذا طلبت حقائبك؟

لورنزو : هذا أمر يعنينى.

مويلف : أمسافر أنت.

لورنزو : هذا شأنى.

مويلف : إننى أقتل نفسى ... انظر (تبرز قارورة ذات سائل أزرق).

لورنزو : أنت حرة كل له حق التصرف فى حياته.(تفض فدام القارورة وتهم بالشراب فينهض ويخطف منها القارورة ويقبض على يدها).

مويلف : أنت لا تريد موتى ... أنت إذن تحبنى.

لورنزو : يشق على الرجل أن يرى امرأة تنتحر!

مويلف : أعف عنى أعف عمن تحب لأننى لم أستطع أن أخفى عنك الآلام التى تحركها الغيرة فى قلبى ... لقد قضى حبك على كل أمل فلا أستطيع أن أحيا بدونك ولا أن أحب سواك.

لورنزو : ما أعجب قولك يكاد من لا يعرفك يصدقك.

مويلف : إن نفسى تحدثنى بأنك تشتهى امرأة أصبى وأجمل منى، ولكن سوف يؤنبك ضميرك لأننى وهبتك نفسى بلا شروط ولا قيد فأنت لا ترى وسيلة للخلاص منى إلا بأن تتهمنى بشدة الغيرة عليك تارة وطورا بأننى أوقظ الغيرة فى قلبك لأستولى عليه.

لورنزو : ما أعظم الفرق بينك و ... بينها. فإننى وجدت لديها دونك كل ما أتمنى من حاشية لينة وجانب رقيق وفؤاد رحيم وقلب رقيق وشمائل فى عذوبة الماء ورقة النسيم.

مويلف : إنك تكاد تقتلنى بما تسقينى من كئوس الملام وعسى أن أموت قريبا (تبكى) اعلم أننى لن أستطيع ما حييت أن أسعد بقرب رجل سـواك ولن ألقى هناء فى عشرة غيرك ... إنك أن تركتنى أو هجرتنـــى خفت أن أجن لساعتى أو أنتحر ... فتمهل وتأمل! (تبكى).

لورنزو : كفى بكاء. (يدخل راسين).

راسين : أسعد الله وقتك يا سيدى وسيدتى (يطرق تحية).

لورنزو : لك المثل يا موسيو راسين.

راسين : السيد أمر بإعداد حقائبه أتنوى السفر؟ أظنك تقصد مدينـــة ليـون الزاهرة لتقضى فيها ليلتك. ستعجب بها كثيرا لأنها مدينـــة قديمـــة يرجع عهد تأسيسها إلى الرومان وكانوا يسمونها جدونوم.

مويلف : موسيو لورنزو لا يسافر اليوم إنما أعد حقائبه لينتقل إلـــى غرفـــة أخرى (تنظر إليه).

لورنزو : الأمر ما ذكرت السيدة يا موسيو راسين.

راسين : إذا كان الأمر كذلك فسأبعث إليك فورا بزوجتـــى تعـرض عليـك الغرف الخالية لتختار منها ما يلائم ذوقك فقط مسافة المسيرة بيـــن قاعة الجلوس والمطبخ دقيقتان وأربع وثلاثون ثانية (يخرج).

مويلف : أكنت تنوى السفر حقا؟

لورنزو : كنت عقدت النية على الرحيل.

مويلف : لماذا تتمادى فى تعذيبى؟

لورنزو : أنت التى تتمادين فى تعذيبنا معا بهذا الشقاق.

مويلف : هل يغضبك الشقاق. أتظن فى العالم عشقا بغير شحناء. إن الـــحب القوى كالريح العاصفة.

لورنزو : إن هذا الحب الهائج يقتل السعادة.

مويلف : إذن أنت لا تحبنى.

لورنزو : وكيف ذلك؟

مويلف : لو أحببتنى لاحتملت غيرتى واغتبطت بها.

لورنزو : عجبا ! أتعودين إلى أوهامك؟

مويلف : هل عدلت عن السفر؟

لورنزو : نعم رحمة بك وتخفيفا عنك.

مويلف : إذن أنا مسافرة.

لورنزو : يا لك من شقية ! ارحلى إن شئت أما أنا فباق.

مويلف : لا تغضب. الوداع يا لورنزو (تخرج).

لورنزو : (لنفسه) ما أعجب سلوك هذه المرأة. (يلهو بالقراءة حينا - تدخل زينا).

زينا : هل رأيت مدام مويلف؟

لورنزو : نعم منذ هنيهة.

زينا : أتعلم ما حدث لها؟

لورنزو : ماذا جرى لها؟

زينا : تقتل نفسها.

لورنزو : كيف ؟

زينا : حزنا.

لورنزو : عفا الله عنها وخفف آلامها.

زينا : لقد ملكها اليأس وهى تنوى الانتحار لأنك أعرضت عنها وقلت لها ارحلى إلى حيث ألقت وأرسلتنى اعتذر لك عما فرط منها وأطلب إليك أن تجاملها.

لورنزو : قبلت اعتذارك وها أنا أذهب إليها.

زينا : بل ابق فأنت لا تعرف مقرها وسأعود بها فورا. (تخرج ثم تعود بها).

مويلف : عزيزى لورنزو.

لورنزو : حبيبتى كاترين.

مويلف : ما أشد حماقتنا !

لورنزو : لا عيب فيك إلا غيرتك.

زينا : والآن استودعكما الله. (تخرج). .. (ستار)

الفصل الثالث

المشهد الأول : غرفة الطعام فى بيت راسين

مويلف : ما أشد ضجرى فى غيبته (تتمشى ذهابا وإيابا ثم تلمس زر الكهرباء – تدخل جانيت).

جانيت : هل للسيدة حاجة أقضيها؟

مويلف : السيد لورنزو أين هو؟

جانيت : خرج منذ ساعة.

مويلف : هل خرج منفردا؟

جانيت : رأيته وحيدا.

مويلف : ألم يترك لى خبرا وهلا علمت متى يعود؟

جانيت : كلا ولم أسأله.

مويلف : أخبريه حين عودته أننى أنتظره (تقصد الخروج).

جانيت : لك ذلك يا سيدتى (تخرج جانيت ثم تعود فورا فتدرك مويلف قبل خروجها) سيدتى ها هو السيد لورنزو.

مويلف : لا تخبريه بشىء (يدخل لورنزو).

المشهد الثانى

لورنزو : ألم تفاوضك زينا فى أمر معيشتنا فى هذا النزل؟

مويلف : فاوضتنى ولكن رأيك لم يرقنى.

لورنزو : لماذا؟

مويلف : لأننا إذا عشنا فى بيت على حدة لا نستطيع تدبيره بما تحتاج إليه المنازل من الخدم والنفقات.

لورنزو : إن الطير يبنى عشه سالكا سبيل الترقى بالتدريج وأحرى بالإنسان أن يكون قدوة الطير لا الطير قدوة الإنسان.

مويلف : أفهم ما تريد ولكننى لا أستطيع مطلقا.

لورنزو : ما هو المنزل يا عزيزتى؟ أهو الجدران الشاهقة والأركان المشيدة أم تلك البسط الفاخرة والوسائد المبثوثة والحوائط المزخرفة والمقاعد الوثيرة المصففة. إن المنزل هو للقلوب المتحدة والنفوس المتآلفة والأرواح المتفقة والأفئدة الخافقة والأعين القريرة والأيدى

المتصافحة. إنما المنزل يا عزيزتى بناء دعائمه الحب وأساسه الإخلاص وأثاثه المودة المتبادلة وها نحن لا ينقصنا الحب ولا يعوزنا الوفاء.

مويلف : ولكن ينقصنا المال والوقت.

لورنزو : إن ما ننفقه فى تلك الحياة المفلوكة كثير وهو مضيع ويربو على ما نحتاج لو حاولنا القرار فى بيت صغير.

مويلف : إننى لا أستطيع أن أعود إلى النظام القديم ولا أقدر أن أحمل وقر الحياة المنزلية. (تدخل زينا).

لورنزو : زينا .. قولى لمدام مويلف أن تصغى إلى فى الشأن الذى فاوضتك فيه.

مويلف : ما رأيك يا زينا؟

زينا : رأى السيد لورنزو.

لورنزو : إننا نبكر كل يوم إلى السوق فنحمل إلى منزلنا العزيز الثمار الشهية والأزهار الغضة ذات الألوان البهيجة وننتقى صنوف الطعام بأنفسنا.

زينا : (تتحمس) وأنا أبقى فى البيت أغسل الصحون والأطباق وأنظف السمك وأملح اللحم وأغلى الماء للحساء.

لورنزو : وأنا أكتب ألوان الغداء فى جريدة بتصاوير البط والأوز.

زينا : وأنا أعد المائدة وأصفف الأوانى والقنانى وأضع الأزهار فى مزهرياتها ونأكل كل يوم الأحد حساء بورش ونذبح دجاجة ونفلفل أرزا ونشرب كأسا من الفودكا.

لورنزو : وأنا أصف لكما كيف تصنع الشعرية والباذنجان المحشو على الطريقة الإيطالية.

زينا : ثم نشرب الشاى فى بيتنا ونضع فى الطاس ما نشاء من قطع السكر دون أن نخشى مراقبة صاحبة المنزل أو خادمتها التى تتجسس على الأضياف وتزن بعينها كل ما يخرج من الأطباق.

لورنزو : وأنا ...

مويلف : (مقاطعة) كل هذا جميل فى الخيال ولكن إذا شرعنا فى تحقيق هذا الحلم عرضت لنا مصاعب وعقبات شتى، من ذلك أننا إذا عشنا فى بيت خاص بنا لفتنا أنظار الناس فتناولنا ألسنتهم بالسؤال، ومنها أننا إذا انفردنا فى عيشتنا انقطعنا لتدبيره وتخيلنا عن كل ما عداه. أما فى المنزل فحملنا على كاهل غيرنا.

لورنزو : لقد كنت أحب جنيف قبل عشرتنا لقلة الصحب والصديق قفرا بلقعا، والآن أجدها بيتا بغير أثاث وروضا بغير زهر.

مويلف : هل فاتكم أننا من الأقدار على كف عفريت؟ فمن يضمن لنا أن يقر فى جنيف قرارنا؟

لورنزو : كل شيء جائز وممكن الوقوع.

مويلف : إذا كان هذا رأيك فاعلم أنه من السهل علينا إذا دهمنا أمر أو حلت بنا مشكلة ونحن فى نزل أن نشد رحلنا غير آسفين. وقد فاتكما أيضا أمر ذو شأن وهو أن حياة النزل مملوءة بأسباب المسرات ووسائل اللهو وتفريج الهم، ففى كل يوم صادرات وواردات جديدة عدا ما نشاهد من أخلاق الأضياف القادمين والجيران الراحلين.

لورنزو : فصل فى الغيبة والنميمة!

مويلف : أنا لا أغتاب ولكننى أعد لك أصناف بنى آدم من هؤلاء النزلاء.

زينا : (إلى لورنزو) لعلها تضم ابنها إلى الأصناف التى عددتها.

المشهد الثالث : يدخل كوستيا

مويلف : (بغضب) كوستيا ! كوستيا يا ولد. (يسمع صوت صفير ودبدبة ثم يدخل الصبى ممزق الثياب وبعنقه محفظة كتب معلقة وبيديه طوق وعصا).

كوستيا : ماما ماما ماموسيا.

مويلف : (تنظر فى الساعة) كيف خرجت من المدرسة قبل ميعاد الانصراف؟

كوستيا : المعلم ضربنى.

مويلف : لماذا؟

كوستيا : لأننى لم أحفظ جدول الضرب وقال لى إنه وثق بأنى لا أحفظ الضرب إلا بمثله.

مويلف : (مبتسمة) يا لك من طفل محبب! لماذا لم تحفظ ما أمر الأستاذ بحفظه؟

كوستيا : (إلى لورنزو) موسيو لورنزو كيف تكون تسعة فى تسعة بواحد وثمانين؟ وكيف تضع تسعة فى تسعة؟

لورنزو : يا عزيزى كوستيا إذا أكلت فى كل يوم تسع تفاحات أثناء تسعة أيام متوالية.

كوستيا : (مقاطعا) إن أمى لا تعطينى أكثر من تفاحتين فى اليوم الواحد. اسألها.

مويلف : اسمع يا ولدى .. اسمع كلام موسيو لورنزو إلى النهاية.

كوستيا : ألا تريدين يا أماه أن أقول الحقيقة؟

مويلف : (تنهض) هيا بنا يا زينا نسأل ناظر المدرسة عن سبب خروج هذا الشقى فإننى أراه مضطربا وأخاف أن يكون فعل سوءا يخشى التصريح به.

كوستيا : ماما .. ماما ثقى أننى لم أفعل شيئا سوى أننى كسرت قلم بوريس أنيكين وقطعت مطاط دراجة حضرة الناظر ورششت الحبر على ثياب أستاذ الجغرافيا لأنه أعطانى صفرا فى الامتحان فأردت أن أرسم على ثوبه صورة المحيط وبعض الجزائر أما تمزيق قبعة لوسيان الفراش فإن لى فيه شركاء وهم...

مويلف : أيها التعس الشقى أتفعل كل ذلك فى يوم واحد وتنتظر أن تبقى عليك المدرسة تعال معى حتى أنظر فى أمرك.

كوستيا : موسيو لورنزو أتوسل إليك انقذنى من أمى فى عرضك إنها تريد أن تضربنى (إلى أمه ولكن بهيئة المتحفز للتعدى) ولكن إذا ضربتنى فإننى أضربك وأرفسك أيضا وأكسر الزجاج كما كان يفعل أبى.

لورنزو : كوستيا ما هذا القول؟ أهذا ما وصيناك به من احترام أمك؟

مويلف : (إلى لورنزو) إن هذا الولد هو سبب شقائى.

لورنزو : اتركيه فى حراستى ولا تثيرى هياجه (تخرج مسرعة ومعها زينا) كوستيا لماذا هذا الجفاء وأنت غلام ذكى؟

كوستيا : لأغيظ أمى.

لورنزو : وهل جزاء أمك على حبها إياك أن تغيظها؟

كوستيا : كما كان يفعل أبى.

لورنزو : وهل تحب أباك حتى تقلده؟

كوستيا : كلا لأن أمى تقول لى دائما أبغض أباك لأنه ليس أباك وأنا أمك وأبوك.

لورنزو : فهلا أحببت أمك؟

كوستيا : نعم أحبها لأننى قرأت فى الإنجيل أحبوا أعداءكم!!

لورنزو : (ضاحكا ومندهشا) كوستيا ما هذا القول أيها الأحمق هل أمك عدوة لك؟

كوستيا : نعم. ألست تريد الحق؟

لورنزو : وما وجه عدائها لك؟

كوستيا : أولا لأنها تمنعنى زيارة مارتا بنت الفلاحين المجاورين لمنزل مدام جاى وقد ذهبت إلى أم مارتا وأخبرتها بحقيقة اسمى وكنت ذكرت للبنت وأمها أمورا ذات شأن منها أن عندى حصانا وأن أبى غنى جدا وأن عندنا نقودا كثيرة وأستطيع أن أحضر لمارتا كثيرا من الفواكه المسكرة.

لورنزو : تعنى أن أمك أضرت بسمعتك عند الفتاة المختارة؟ ولكن ما قيمة السمعة المبنية على الأكاذيب؟

كوستيا : ثم أن أمى ترغمنى على الذهاب إلى المدرسة مع أن هذا أمر غير ضرورى لأنك أنت مثلا لا تذهب إلى المدرسة وكذلك مدام جاى لا تذهب إلى المدرسة.

لورنزو : لا تخلط يا كوستيا إننى لا أذهب إلى المدرسة لأننى رجل وقد ذهبت إلى المدرسة لما كنت صبيا مثلك، كذلك كانت تفعل مدام جاى إلى أن صارت امرأة ولها بيت وأولاد فلا معنى لذهابها إلى المدرسة.

كوستيا : لنفرض صحة ذلك كما يقول معلم الجغرافيا في إثبات دوران الأرض فأى فائدة فى المدرسة؟ هل استفدت أنت شيئاً (لورنزو يبتسم) إننى أريد أن أعرف هل أهل الإسكيمو قصار أم طوال؟ وهل أهل أمريكا سود أم بيض؟ ولماذا لا تطلع الشمس فى الليل؟ وأهم من هذا كله ما هى فائدة جدول الضرب؟ ولماذا ناظر المدرسة طرد تلميذين لأنهما لم يدفعا أجور التعليم؟ ولماذا لوسيان فراش مع أنه أصغر سناً من الموسيو لاروش معلم التاريخ ووجهه أصبح من وجهه؟ ولم والد مارتا يعلف فرسه فى كل يوم مع أن لوسيان لا يعلف دراجته مطلقا (يسمع من الخارج صوت نداء مصطلح عليه بين الأولاد فيجرى كوستيا فى الغرفة كالمجنون ويقلب فى طريقه الكراسى والأدوات المختلفة وتقع منه الكتب ويغنى) مارييت مابنتيت مابنيت مارييت (يخرج).

المشهد الرابع : مويلف وجانيت ثم مويلف ولورنزو

مويلف : (إلى جانيت)وأحضرى أيضا قليلا من أعواد البسكويت فى غرفتى.

جانيت : ماذا فعلت فى المدرسة إن كوستيا لم يلبث بعد خروجك أن لحق بأقران له دعوه للعب واللهو.

مويلف : وجدت المدرسة على وشك الانصراف وأبقيت الأمر إلى غداة غد.

لورنزو : حسن. ولمن تعدين هذه الوليمة؟

مويلف : ستزورنى آنسة بولونية غريبة الأطوار ... تستطيع قراءة الطوالع وتعرف علم الكف وتستقرىء الورق.

لورنزو : وهل أحضرتها لتقرأ لك طالعك؟

مويلف : كنت عرفتها منذ عدة أعوام فى براج ولقيتها أمس مصادفة فدعوتها لزيارتى ... هل تريد أن تقرأ طالعك؟

لورنزو : إننى كثير الخوف من المستقبل لذلك لا أحب أن أكشف بيدى ما يستره الدهر.

مويلف : ليس لدى شىء أشهى من معرفة المستقبل!

لورنزو : ما ينفعنا علمنا بالنبوءات إن كانت بلا ريب واقعة وما يضرنا جهلنا بها إن كانت غير واقعة؟ على أننى ... (تدخل جانيت).

جانيت : (إلى مويلف) الآنسة فراير تريد لقاء السيدة.

مويلف : (إلى جانيت) فلتتفضل بالدخول واحضرى الشاى فورا. (تخرج جانيت وتدخل فراير فينهض لورنزو لاستقبالها).

فراير : أسعد الله وقتك يا سيدتى.

مويلف : (تنهض وتصافحها) أقدم لك موسيو لورنزو صديقنا. (يتقدم إليها لورنزو بالتحية).

فراير : (فى حياء) سعدت بلقائك يا سيدى. (تدخل جانيت بالشاى. يشرب الشاى بين حديث مهموس وإشارات ترحيب).

مويلف : ألا تزالين متعلقة بعلوم الغيب؟

فراير : قليلا.

مويلف : انظرى فى كف موسيو لورنزو ونبئينا بما يدلك عليه علم الطوالع.

لورنزو : أراك تستعجلين الحوادث وتحرجين صدر الأقدار.

فراير : هل تأذن يا سيدى أن ترى المنجمة صحيفة سعدك؟

لورنزو : لم أتعود تصديق التنجيم ولا أستطيع أن أردك. فهاك يدى.

فراير : (بعد تأمل طويل فى كفه ثم تفتح كتابها وتقرأ) يظهر لنا من علم النجوم أن السائل نارى المزاج ذو طبيعة قلقة لا تثبت ولا تستقر فهو أبدا متحول متقلب متعدد الرغبات غريب الأطوار أسير الخيال.

لورنزو : شكرا لك هذا التنجيم يسر.

فراير : (مستطردة) وفى خلقه عيوب شتى.

لورنزو : الآن نسمع جد الحديث.

فراير : السائل محب للشجار وقد يبحث عنه ثم يلوم خصمه ... وهو مقتصد إلى درجة الشح فى بعض الأحيان ... وهو مخلص وفى فى صداقته.

مويلف : (إلى لورنزو بابتسام) إن شاء الله، إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى الموطن الخشن.

فراير : (مستطردة) ويقضى النصيب الأوفر من عمره مغتربا.

لورنزو : (بابتسام) أولو الفضل فى أوطانهم غرباء! ... نبئينا عن تأثير الحب فى قلب موسيو لورنزو.

لورنزو : دعى عنك هذه السفاسف.
مويلف : قولى أيتها الآنسة.
فرابر : (بتردد) ليس للنساء فى قلب السائل مكان عظيم وهو يحب بعقله وخياله أكثر مما يحب بقلبه، وإن ما فطرت عليه نفس السائل من الضجر من كل قديم وسرعة التعلق بكل جديد يجعله يمل عشوتهن ويأبى التفرغ لهن.
مويلف : (إلى لورنزو) ألم أقل لك؟ أليس الحق بيدى؟ صدق المنجمون ولو كذبوا؟
فرابر : ولكنه يحب امرأة واحدة حبا شديدا قاسيا محفوفا بالأكدار والمخاوف، منفرا للسعادة والاطمئنان وسيكون هذا الحب قصير الأجل.
مويلف : (باضطراب) كفى! كفى أيتها الآنسة كذب المنجمون ولو صدقوا!
لورنزو : استمرى أيتها الآنسة.
فرابر : (بهدوء بسكون) وستترك هذه المرأة الوحيدة فى حياة السائل أثرا عميقا وفى قلبه جرحا لا يندمل وسيكون هذا الحب آخر حب يدخل قلب هذا الرجل.
مويلف : (تنهض باضطراب) القدر خير من فألك أيتها الآنسة. كفى فإننى شديدة التطير!
فرابر : (بسكون) لقد فرغت من قراءة طالعك.
لورنزو : (بسكون) شكرا لك أيتها الآنسة ... هل تستقرأين الورق؟
فرابر : أجل. ولكن هذا مطلب النساء لأنه يدل على الحوادث القريبة. (تشرع فى استقراء الورق).
فرابر : (إلى مويلف) أرى حبا شديدا بينك وبين شاب وأنكما فى فراش واحد وتدخلان من باب واحد ولكنكما ستفترقان قريبا لأن شيخا مريضا يرغب فى لقاء الشاب قبل سفر طويل وهيهات أن يدركه ... وأرى امرأة شقراء تبكى ثم تفرح وامرأة عاشقة تفرح ثم تبكى!
مويلف : لم أفهم شيئا مما تقولين.

فراير : إن المرأة الشقراء تبكى رجلها وحولها أطفال يبكون وقلب الحبيب قد تحول بعد طول الفراق وما هو كائن سوف يكـــون لمـــا قلـــب المحبوب فحائر كأن بعقله مسا من الجنون.

لورنزو : أنا لا أفهم شيئا.

مويلف : وأنا أيضا.

فراير : (تلم شعث الورق وتربطه وتضعه فى كيسها وتنهض وتنظر فـــى الساعة) الآن أستودعكم الله.

مويلف : مع السلامة (تخرج).

المشهد الخامس : مويلف - لورنزو

لورنزو : ألم أقل لك إننا فى غنى عن التنجيم والمنجمين هل يسعى المـــرء إلى نبش الماضى ويكشف النقاب عن الغيب؟

مويلف : هذه أحلام.

لورنزو : ربما صحت الأحلام. ماذا أنت فاعلة إذا نزعتنى يد النوى منـــك ونفسى لديك رهينة فهل تحفظين ودى؟

مويلف : صه .. صه .. ما هذا القول (تضع يدها على فمه) إن قلبى يتمزق من قولك.

لورنزو : إننى أخاف أن تقطعينى وأن تنسى فى شهر ما قضى الحـب فـــى نقشه على صفحات قلبك أعواما وأشـــهرا.

مويلف : كن بى واثقا واعلم إننى إذا سلاك جسمى لا تسلوك نفسى وقلبى.

لورنزو : إن الأقدار أرحم من أن تضرب بينى وبينك بالفراق.

مويلف : لورنزو! لقد عدلت عن رأيى.

لورنزو : فيم؟

مويلف :فيما يتعلق بحياتنا وقد أقنعتنى حجتك وحجة زينا وها أنا ذاهبة أنظر فيما يعرض على الوسطاء من البيوت الصغيرة بشامبل ولانسى.

لورنزو : عزيزتى كاترين إنك تفرحيننى بهذا العزم.

مويلف : شئت أن أفاجئك بهذا الخبر السار بعد إعداد الدار وتنسيقها ولكننـــى بادرت بإخبارك لأذهب عنا نحس المنجمة ... أتحسب يا لورنـــزو أننى أطيق بعدا عنك أو أنى أقسم مهجتى بينك وبيـــن غـــيرك أو أشرك فى محبتى إياك سواك. لا كان وقت يفرق فيه بينى وبينك.

لورنزو : (يخرج من جيبه محفظة يخرج منها أوراقا) هاك يا عزيزتى ما تشاءين من المال لإتمام ما عزمت عليه.

مويلف : (تأخذ الأوراق بنظرات تدلل وسرور تشبه نظرات الأطفال إذا عرضت عليهم الدراهم والحلوى) شكرا لك قد لا أحتاج إلى هذا القدر كله. سأحضر لدى عودتى بنفسجا وورداً أحمر وزنبقا (تقبله وتخرج).

لورنزو : كاترين.

مويلف : (تعود) عزيزى المحبب!

لورنزو : لا تنسى الخزامى والنرجس.

مويلف : لن أنساها. (تعود منفعلة ثم تخرج).

المشهد السادس : تدخل جانيت

جانيت : لك كتاب مؤمن عليه يا سيدى.

لورنزو : أين هو؟

جانيت : مع ساعى البريد وينبغى توقيع الإيصال.

لورنزو : احضرى الإيصال أوقعه هنا.

جانيت : فورا يا سيدى. (تخرج ثم تعود ومعها دفتر كبير والكتاب) وقع هنا يا سيدى.

لورنزو : (يخطف الكتاب خطفا وينظر إلى غلافه) إنه من إيطاليا.

جانيت : وقع أولا يا سيدى إن الساعى ينتظر (لورنزو يوقع).

لورنزو : ... شكرا لك. أعطه هذا الدرهم (يخرج من جيبه قطعة فضية صغيرة) وإذا سأل عنى أحد فلا تخبريه بمكانى ريثما أفرغ من قراءة هذا الكتاب.

جانيت : الأمر لك يا سيدى (تخرج).

لورنزو : (لنفسه) ترى ما فى هذا الكتاب؟ إنه بخط والدتى وقد عودنى أبى أن يكتب لى بيده. هل أفضه أو لا أفضه؟ هل أقرأه أو ألقيه ساعة؟ لا .. بل أفضه فورا فإن كان خيرا زادت ساعات فرحى به وإن كان شرا كسبت وقتا لتدبير أمرى وصنت نفسى من آلام الشك القاتلة. (يفض الغلاف بأناة واحتراس ويقرأ لنفسه ويدنو من النور

ويضطرب ويضع يده على رأسه ويترك القراءة ثم يعـــود إليـــها ويبقى على هذه الحال نحو عشر دقائق ثم يجلس فى ركن ويســـند جبينه إلى يده – تدخل زينا فجأة وهو فى حالة اضطراب).

لورنزو : (متنبهاً من تفكيره) ها أنت يا زينا ... أريد محادثتك فوراً فى أمر ذى بال.... اسمعى يا زينا إننى منذ أيام شعرت بانقبـــاض شـــديد واستولت علىّ الكآبة وأحاط بى الحزن من كل جانب وقد كان مـــا خفت أن يكون!

زينا : ماذا جرى يا سيدى لورنزو؟

لورنزو : نبأ سيىء! لقد وقع فى أسرتى حادث أليم.

زينا : كيف علمت به؟ هل تأتمننى فأشاركك.

لورنزو : جاءنى كتاب أن أبى وهو رأس أسرتنا وعمادها وملجأها قد قضى نحبه بعيداً عن بيته وأمى وحيدة وليس حولها إلا أخواتى وإخوتـــى وكلهم صغير ضعيف وحالنا مرتبكة وها هو الكتاب بخط أمى على أنها لا تقول فيه شيئاً من ذلك خوفاً علىّ وإشفاقاً بى.

زينا : إذن كيف علمت بتلك الأخبار المؤلمة المزعجة؟

لورنزو : قرأتها يا ابنتى بين السطور. أقرأه دائماً بين السطور فإن ما فيـــها أبلغ وأصدق مما تخطه الأقلام وتجرى به الأنامل (يظهر الكتـــاب لها) وأمى تستقدمنى وهى المسكينة لا تعلم أننى أنجزت عملى هنـــا من زمن وأننى أطيل إقامتى لأكون معكم. هذا عقاب من يعيش بين أسرتين أسرة يقيده بها الواجب وأخرى يربطه بها القلب.

زينا : إذن أنت مسافر؟

لورنزو : أخشى أن يكون وقت الرحيل قد دنا.

زينا : إذن أعزيك مقدماً عن مدام مويلف لأن سفرك سيقتلها حتماً.

لورنزو : اصمتى يا زينا.

زينا : مسكينة هذه المرأة إنها وأنت بقربها تكاد تجنّ لو غبت عنها طرفة عين وهى تعلم أين أنت، فما حالها لو علمت بهذا الفراق المفـلجىء الذى لم تتعوده ولم تعدّ إليه نفسها!

لورنزو : إذن ما الحيلة؟

زينا : الحيلة أن لا حيلة. فأخبرها بما وقع.

لورنزو : قلبى لا يساعدنى.

زينا : إذن أترك الأمر للمصادفات.

لورنزو : ويحك! كيف أترك الأمر للحوادث؟ أيفعل ذلك غير المجانين والحمقى؟ وهل لى من الوقت فسحة تسمح بترقب الظروف المناسبة وانتهاز الفرص السانحة؟ إن الأمر شديد سريع والخطب جليل. إن أمى وإخوتى وأخواتى ينتظروننى ويتقلبون على أحر من الجمر وقد يكونون الساعة فى حاجة إلىّ وأنا هنا فى بحبوحة السعادة والحب! ... أترضين هذا يا زينا؟ ألا تعدين الانتظار نذالة والصبر خيانة لأبى وأمى ونقضاً لعهد أسرتى؟ إن الحب يجذبنى والواجب يدعونى (متحمساً) فالنذل الأخرق يطمئن للحب ويكمن تحت جناحه النائم كما ينزوى الكسلان تحت الغطاء فى يوم الجليد، ولكن الرجل الشريف يودع الحب ويلبى نداء الواجب.

زينا : الحق بيدك.

لورنزو : ألم تكن مويلف تعلم أنه لابد لنا من الفراق وأنه إن لم يكن اليوم فغداً.

زينا : إن الفراق هو موت المحبين يظنونه بعيداً وهو منهم قاب قوسين أو أدنى. إنه سهم من سهام القدر يرشق به من ظن سعادة الحب خالدة لا تفنى.

لورنزو : ليس فى الوقت متسع للحكم والمواعظ. اذهبى إليها لساعتك.

زينا : سأفعل ولكن كيف أبدأ بالقول؟ ادع لى بالنجاح.

لورنزو : اذهبى موفقة (تخرج زينا – لنفسه) ماذا أقول؟ وكيف يكون جوابها لى؟ (يعبث بشعره قليلاً ويحل أزرار غلالته ويظهر بمظهر اضطراب وقلق شديد والكتاب فى يده ثم يجلس بظهره نحو الباب بحيث لا يرى الداخل إلا ظهره ولا يلمح وجهه وشعره المضطرب ويبقى هكذا عشر دقائق وعندئذ تدخل مويلف بثياب جميلة زاهية الألوان تحمل أزهاراً جميلة مقطوفة لساعتها فلما تلمح لورنزو تبدو على وجهها علامات الفرح ثم تخفف الوطأ بحيث لا يسمع وقع

أقدامها ثم تلقى الأزهار بسرعة على مقعد ثم تدنو منه وتضع يديها على عينيه ليتفرس من هى فتطول قعدة لورنزو ولا ينهض بسرعة إلى يديها فيقبلها فتتقبض فينهض بقوة ويقف أمامها).

مويلف : لورنزو هذا أنت ماذا جرى؟

لورنزو : لا شيء .. تجلدى.

مويلف : كيف؟ ماذا جرى .. أخبرنى.

لورنزو : لقد تمت نبوءة الساحرة عذاب وفراق وضياع وفناء.

مويلف : واحسرتاه ! (يغشى عليها) .. (ستار)

الفصل الرابع

المشهد الأول : بهو فيلا سيلفيا

كراشوف : هل لديكم مبيت لى؟

جرترود : لا أدرى يا سيدى إن شئت سألت ربة الدار.

كراشوف : أسرعى أيتها الصغيرة. (تخرج وتدخل جيرمون).

جيرمون : هل للسيد حاجة نقضيها؟

كراشوف : أريد مبيتاً.

جيرمون : ليس لدى الليلة غرفة تليق بطول المقام ولكن إذا رضيت المبيت حيثما اتفق نقلتك غداً إلى غرفة حسنة.

كراشوف : لا بأس أريد طعام قليل.

جيرمون : سأبعث إليك بوجبة خفيفة فى غرفتك بالحديقة ... تفضل بذكر اسمك ولقبك وصنعتك وموطنك وتاريخ وصولك (تكتب البيانات).

كراشوف : بوريس كراشوف طبيب روسى من بطرسبرج وصلت من شهرين وقادم من جنيف.

جيرمون : شكراً لك يا سيدى. تفضل أرشدك إلى غرفتك. (يخرجان ثم تعود جيرمون وحدها وتلمس زراً).

جرترود : سيدتى.

جيرمون : لا تنامى لساعتك يا جرترود فلعل هذا الضيف الجديد يحتاج إلى شيء بعد العشاء.

جرترود : هو لك يا سيدتى. (تخرج جيرمون ويسمع دق فتخرج جرترود ثم تعود يصحبها لورنزو).

جرترود : هنا يا سيدى تفضل بالانتظار ريثما أدعو لك مدام جيرمون فـهى تجيبك عن كل شىء (تخرج).

لورنزو : (لنفسه) لست أدرى علة هذا الاضطراب ولم أتعود من قلبى مثـل هذا الخفقان .. لعلها على ما كانت عليه من العافية والجمال ... إن سبعة أشهر لا تغير سيما الإنسان. كيف يكون لقاؤها. ماذا تخبـىء لى من المسرات وملاذ النفس؟ لشدّ ما تطول أحاديثنا عن كل مـا قاسيته فى بعدها بعد سفرى .. لعلها الآن فى غرفتها أو على مائدة الطعام .. كيف يكون وقع خبر قدومى على نفسها؟ .. لقـد كـان الأفضل أن ألقاها على انفراد لا فى هذا المكـان ... أظـن هـزة الجزع التى أصابتنى على ظهر باخرة البحيرة وجلبت إلىّ الأفكـار السوداء والمخاوف نتيجة المتاعب .. أما الآن فأنا أستعيد قوتـى. عزيزتى كاترين ها أنا عدت إليك بعد طول الانتظـار ... كيـف يكون فرحها بالهدايا والتحف التى أحملها إليها؟ (تسـمع أصـوات وضحك واصطكاك كئوس وأوانى ثم تدخل مادم جيرمون).

المشهد الثانى

جيرمون : طاب ليلك يا سيدى.

لورنزو : أريد لقاء مدام مويلف المقيمة هنا .. إننى قادم مـن بـلاد بعيـدة فتفضلى بإخبارها فوراً بمقدمى.

جيرمون : إنها كانت مقيمة فى دارى ولكنها سافرت.

لورنزو : كيف؟ متى؟ إلى أين؟

جيرمون : سافرت منذ أسبوع.

لورنزو : هل سافرت منفردة أم بصحبة أحد؟ أمريضة هى أم معافاة؟

جيرمون : سافرت منفردة لا تشكو داء ولا ضيقاً ولكن شعورها بـالضجر حسن لديها تبديل المكان.

لورنزو : هل خلفت وراءها عنوانها؟ تفضلى بإملائه علىّ.

جيرمون : لا أعلم مقرها بالدقة ولكن أحسبها مقيمة على مقربة من مونتريه ويمكنك أن تستعلم عنها من مكتب البريد.

لورنزو : حسن. لقد خارت قواى من شقة السفر وزادنى هذا الخبر ضعفاً فهل عندك غرفة أستريح فيها من وعثاء رحلتى ريثما أتمكن من الوقوف على ما أريد؟

جيرمون : ما أشد أسفى يا سيدى إن البيت آهل بالأضياف وكنت أود أن أضيفك لأننى أراك فى حاجة للراحة ... على أننى أنصح إليك أن تقصد ساحة المحطة ففيها ما تشاء من الفنادق.

لورنزو : حسن. أستودعك الله يا سيدتى. (يحييها ويهم بالانصراف).

جيرمون : سيدى!

لورنزو : سيدتى.

جيرمون : إن شئت أن ترى مدام مويلف حتماً ...

لورنزو : (يعود مهرولاً) نعم حتماً يا سيدتى ألم تدركى قصدى؟

جيرمون : أظنها تحضر إلينا غداً فى الضحى لتتسلم ما يحمله إليها بريد الصباح.

لورنزو : لماذا لم تبادرينى بهذا النبأ من قبل؟

جيرمون : تذكرته الآن فقط.

لورنزو : لقد عاودتنى شهية الطعام فهل تتفضلين علىّ بلقمة أتبلغ بها؟

جيرمون : ستحضر لك الخادم فوراً ما تشتهى. (تخرج جيرمون ويجلس لورنزو).

المشهد الثالث

(تدخل أنطونيا وتلهو قليلاً بأوراق الموسيقى على البيانو غير ملتفتة إلى لورنزو)

لورنزو : (لنفسه) حقاً إن العالم صغير مهما عظمت مساحته ولابد للأحياء من اللقاء. رب مصادفة خير من ميعاد! (ينهض لورنزو للقاء أنطونيا).

أنطونيا : (تنظر إليه بتأمل ودهشة) موسيو لورنزو! إنك تغيرت كثيراً... إن تقاسيم الوجه لا تتغير ولكنها تتطور.(تدنو منه وتصافحه وهى تتعم

النظر فى وجهه وتستطرد قائلة) ... هل اعترضت سبيلك هموم كثيرة؟

لورنزو : نعم. وهل أنت سعيدة؟

أنطونيا : جد السعادة.

لورنزو : هل ...

أنطونيا : للساعة لم يتم الأمر ولكنه يوشك.

لورنزو : ومن ...

أنطونيا : لعلك رأيته من قبل إن كنت من نزلاء هذه الدار هو الموسيو برنار دى كالفادوس .. كان الأمر هيناً وليس فى القصة طبل ولا زمر .. التقينا فى الشتاء الماضى فى سان رفائيل على شاطىء البحر وأبصرته فملت إليه وهو كذلك .. ثم تحادثنا ثم تصادقنا .. مجمل القول أننى شعرت بعد عشرته طبعاً بأننى لا أستطيع الحياة بدونه.

لورنزو : ما أسعدكما!

أنطونيا : لعل هذه السعادة تدوم .. يظهر لى إنك فى شغل هل أنت مقيم هنا (يشير برأسه إشارة إيجاب) سأنتهز الفرصة لأجمع بينكما .. إلى الملتقى.

لورنزو : إلى الملتقى. (تدخل جرترود وتحمل طعاماً أمام لورنزو – تدخل جابى وتلهو بورق الموسيقى على البيانو ثم تدخل جيرمون).

المشهد الرابع

جيرمون : البارونة جابى تلهو وغيرها ينتحب.

جابى : ألا تعلمين أننى أعزف منتحبة وأن عزفى صدى لصوت أحزانى؟

جيرمون : لقد حضر ذلك السيد الأجنبى عاشق مدام مويلف.

جابى : متى حضر؟ وأين هو؟ وبماذا أجبته؟

جيرمون : حزنت لرؤيته ولكننى لم أستطع أن أوقفه على حقيقة الأمر فقلت له ما طلب إلىّ أن أقول ثم رأيت تلهفه فأشفقت عليه وطلبت إليه أن يعود إلىّ غداة غد ... إنه هنا وسيعود إلى تلك القاعة.

جابى : هل تنوين إخبارها الليلة بقدومه؟

جيرمون : إذا صرفت عنى الحديث معها فى هذا الشأن أضفت هذه الحسنة إلى حسناتك الجمّة.

جابى : (بتأمل) حسن. أبعثى فى طلبها واتركينا على انفراد.
جيرمون : سأفعل. ولا أكتمك أننى بدأت أنفر منها مذ رأيت هذا الشاب ومذ رأيتنى مضطرة أن أقفل فى وجهه باب بيتى بلا علة.
جابى : ولو وقفت على حقيقة أمرها معه كما وقفت لكان نفورك منها أشدّ.
جيرمون : سأدعوه للطعام فى غرفتى ليخلو لكما الجو. (تخرج جيرمون وبعد قليل تدخل مويلف).

المشهد الخامس : جابى - مويلف

مويلف : طاب ليلك يا جابى. لماذا أرسلت فى طلبى؟ ... هل حدث أمر ذو بال؟ لقد أزعجتنى الخادم لما طرقت الباب.
جابى : لماذا؟ ومتى كان طرق الباب يدعو إلى انزعاجك؟
مويلف : إننى طول يومى فى قلق ولم يهدأ بالى طرفة عين وأحسب لدبيب النمل حساباً.
جابى : وما سبب هذا الانزعاج يا ترى؟
مويلف : لعل ذاك الرجل يصل قريباً.
جابى : أى رجل؟
مويلف : الذى حدثتك عنه طويلاً ... ولست أدرى ماذا يحل بى وبه إذا التقينا ليته يحضر غداً.
جابى : اعلمى أنه حضر الليلة وسيحضر للقاتك غداً !!
مويلف : (بجزع) آه .. كيف حضر؟ وأين هو الآن؟ وهل كتمت مدام جيرمون سرى. (تدخل مدام جيرمون).
مويلف : (تفاجيء جابى وجيرمون) لقد علمت بحضوره! (إلى جيرمون) فماذا قلت له؟
جيرمون : (بتؤده) لم أنفذ ما كلفتنى به ثم رثيت لحاله فطلبت إليه أن يحضر للقائك قبيل الظهر غداً.
مويلف : لقد حاولت رده عن عزمه قبل وصوله فأرسلت إليه بكتاب لأثنى عزمه على الحضور ولكنه حضر رغم ما قلت له فى هذا الكتاب (بفرح) ما أشد تعلقه بى!

جيرمون : (بتؤده) وهل تستبيحين اللعب بحياة هذا الشاب؟

مويلف : (ضاحكة) ليس وراء هذا التعذيب لذة.

جابى : لا تقولى هذا القول بحضرة مدام جيرمون فهى تخشى أن يقع ولدها فى يد معشوقة مثلك (باحتقار) والآن طاب ليلك.

مويلف : طاب ليلك يا عزيزتى. (تخرج جابى وكذلك مدام جيرمون بعد أن تنحنى تحية لمويلف)

مويلف : (لنفسها) هاتان المرأتان لا تدركان شيئاً ولا تفقهان معنى الحياة، فواحدة معذبة بحب زوج لا يهواها وأخرى مولعة بحب ابن بعيد عنها تخشى عليه الوقوع فى حبائل الشيطان (تضحك) ولا تدرى واحدة منهما مقدار تعذيبى وحسرتى (تجلس إلى البيانو وتعزف نغمة صاخبة ثم تقوم وتخرج).

المشهد السادس : يدخل كراشوف وجرترود

جرترود : هنا يا سيدى هل أرضاك العشاء؟

كراشوف : لاسيما النبيذ.

جرترود : هل تريد شيئاً؟

كراشوف : شكراً لك أريد أن أنهض مبكراً.

جرترود : طاب ليلك يا سيدى.

كراشوف : ولك المثل. (تخرج ويجلس كراشوف مستعداً للكتابة فيخرج من جيبه محفظة فيها ورق ويقرأ بعض الرسائل بصوت خافت ثم يأخذ فى تحرير كتابة رسالة ويتلوها على نفسه بصوت مرتفع.''عزيزى نوفيكوف .. بلغت الليلة مدينة فيفى ونزلت بأحد فنادقها ولما كنت بجنيف قابلت رجلاً اسمه كارنفسكى وامرأة اسمها بوزنييف وأخبرانى أن المعلونة تطوف أنحاء سويسرا ولا يقرّ لها قرار بمكان واحد وأنها تتخلى عن الولد حيناً بعد حين وتتركه لنسوة مأجورات وأن حاله أشد ما يكون سوءاً وفساداً وأنها تعيش عيشة البذخ والإسراف لا تبقى على درهم مما يصل إليها منى ومن أهلها وتارة تعيش فى فاقة شديدة يطاردها الدائنون والغرماء وينكلون بها وكان لها أكثر من عشيق وقد عولت على اقتفاء أثرها إلى أن ألقاها

فأحاول إنقاذها من نفسها، فإن أفلحت ظفرت وإلا أنقذت الغلام من شرها وكان لى معها شأن ولا تنس أن تقابل آزيف وتطلب إليه أن يحول باسمي على المصرف الوطني بلوزان صكاً بالخمسمائة ألف روبل وأن يكون ذلك قبل آخر الشهر. وابق لأخيك بوريس كراشوف ... حسن جداً العبارة جليلة والخط مقروء (يغلف الكتاب ويضعه فى المحفظة ويشعل سيجارة ثم ينظر فى ساعته) قد آن أن أنهض وأطفيء النور أيضاً (ينهض - ويدخل لورنزو وقد أشعل سيجارة صغيرة بيده ويحيى كراشوف بلا اكتراث ويعمد إلى قبعة ليأخذها ويهم بالخروج فيستوقفه كراشوف).

كراشوف : السيد قادم من بعيد؟

لورنزو : أجل يا سيدى.

كراشوف : وأنا أيضاً قادم من بعيد.

لورنزو : لكل سفر غاية يصل المسافر إليها.

كراشوف : لذة المسير خير من حسرة الوصول ... إن الحياة ذاتها سفرة بعيدة الشقة شديدة المشقة لاسيما إذا كان المسافر ينوء بعبء كعبئى.

لورنزو : (مندهشاً ويستدير ليرى وجهه جيداً) خفف الله عبء الأحمال عن حامليها.

كراشوف : إلا حملى فإنه لن يخف مهما تمنيت لنفسى ومهما دعى لى.

لورنزو : إذن حطه عن كاهلك.

كراشوف : إن الحمل على قلبى وليس على كاهلى وأحمال القلوب لا تحط (يبتسم لورنزو) تبسط فى الحديث ما شئت. إننى أريد الكلام لأخفف عن نفسى ويلات الصمت والانتظار.

لورنزو : هل سيدى .. عاشق؟

كراشوف : (واضعاً يده على شفتيه)صهٍ .. صهٍ .. عاشق؟ كلا! كلا! إنما أنا مقتف أريد الانتقام. لقد ماتت كل عاطفة فى قلبى إلا عاطفة الثأر.

لورنزو : (منزعجاً) تريد الانتقام ممن يا سيدى؟

كراشوف : من امرأة ضالة مضلة خربت حياة زوجها ... امرأة قضت على سعادة أسرة بجملتها ... جعلت من رجل مقدام على كبار الأمور،

صبور على الشدائد كتلة من اللحم والدم بلا إرادة ولا قوة، وجعلت من طفل ذكى الفؤاد بهىّ الطلعة باسم الثغر قوى البنية حاد الذهن كائناً أحمق مصروعاً كئيباً تتتابه الأمراض وتتقاسم العلل جسده الضئيل، ومن بيت عامر آهل طللاً بالياً وأثراً خاوياً وجعلت من نفسها بضاعة تكاد تباع وتشترى وجعلت قلبها مجرد عضلات لا تعرف اللذة والألم إلا من حيث توحى إليها مطالب البدن.

لورنزو : وهل كانت تلك المرأة التى تصف زوجاً لك؟

كراشوف : نعم يا سيدى (يحقن نفسه بالمورفين فى يده ويطرق لورنزو كأنه أدرك أمراً ذا شأن فجأة).

لورنزو : (واجماً لنفسه) واغوثاه لو كان هو ... إنه يحقن ذاته بالمورفين! (إلى كراشوف) والآن أنت تقتفى أثرها لأنك لم تهتد إليها.

كراشوف : لم أهتدِ يا سيدى وسأغدو إلى سان جان جولف فقد هدانى بعض من رأوها إلى تلك القرية.

لورنزو : أنت من بطرسبرج يا سيدى كما يلوح لى من هيأتك ولهجتك.

كراشوف : نعم ... وكان الطب صنعتى.

لورنزو : وتريد الانتقام يا سيدى (لنفسه) أوه .. أوه.

كراشوف : إن الانتقام يدعونى (ينظر إلى لورنزو بدهشة) إنك تنظر إلى بطنى ... تنظر إلى ضخامة جسمى ... إن الشحم يكاد يخنقنى والآن أريد الانتقام ولكن بطنى تعوقنى ... تخمد إرادتى وتشل يمينى (يخرج المورفين ويحقن نفسه) وهذا عدو آخر أشد وطأة من البطن! ... هذا عدو عزيز المطالب لأنه يطلب العقل والروح فينقض عليهما.

لورنزو : ولماذا تمكن هذه السموم القاتلة من نفسك؟

كراشوف : لقد أسلمتنى المرأة لليالى والأيام وهذه أسلمتنى للمورفين والخمر وهما فى جسمى كالنار والماء، لا النار تحرق الماء ولا الماء يطفىء النار!

لورنزو : هذا أمر شنيع (لنفسه) كيف الخلاص من هذا الوحش المعذب (إليه) وماذا أعددت يا سيدى لعدوتك من أدوات الهلاك؟

كراشوف : حقنة سباين البوتاس أحقنها بها على غرّة منها فى أى جزء من بدنها فتموت بعد برهة، ثم هذا (يخرج مسدساً) فإن كانت تستعصى وتستغيث فهذا (يخرج خنجراً) أغمده فى جسدها إن فاجأتها مع معشوقها.

لورنزو : آه !

كراشوف : مالك تدمدم هكذا؟

لورنزو : ألا يقشعر الإنسان من سماع كل تلك المهالك؟

كراشوف : لو رأيت تلك المرأة لاقشعر بدنك بحق أكثر من قشعريرتك ألف مرة.

لورنزو : (بقوة) وإن اعترضك عاشقها ووقف لك وقفة الند للند وكان مثلك متأهباً للدفاع عن محبوبته ولو بالقتل.

كراشوف : أمرّ به مر الكرام ولا أحرك عليه ساكناً .. على أن العاشق الذى أنت تذكره لا يعترضنى إلا إذا كان من البلاهة والحمق بمكان عظيم.

لورنزو : (بحدة) لماذا؟

كراشوف : لأنه حليف يكيد لحليفه ... ما أشد جهالة الرجل الذى ينتقم من زوجته أو معشوقته فى شخص معشوقها ... إنه منتقم من الوحش فى شخص فريسته ... هل المعشوق الآخر إلا فريسة المرأة التى تلعب به ريثما تزهد فيه فتتركه إلى فريسة أخرى ... آه لو رأيت عشيق امرأتى.

لورنزو : ماذا كنت تفعل به؟

كراشوف : كنت أضمه إلى صدرى وأقول له انظر .. انظر أيها الأعمى إلىّ .. انظر ما فعلته بى تلك الأفعى المطيبة الملتفة حول ساقيك وخصرك وصدرك وعنقك تمتص دمك وترتوى بماء حياتك ... بل كنت أرفع إليه إحدى آلات الهلاك تلك وأوعز إليه باستعمالها حتى يدرك جلال الانتقام من المرأة قبل أن تخلعه كما تخلع إحدى نعليها، وحينئذ يأتيها الموت من جهتين .. آه لو كنت أرى هذا المعشوق الشقى الحظ !!

لورنزو : ما اسم تلك السيدة؟

كراشوف : كانت تحمل اسمي ثم صار اسمها ثقيلاً عليها فبحثت في سجل الموتى حتى عثرت باسم جد من جدودها فدعت نفسها مدام مويلف يا سيدى! (يمتقع وجه لورنزو ويضطرب ولكنه يتجلد) أما الولد فاسمه كوستيا وهو تصغير قسطنطين اسم والدى.

لورنزو : وهل عزمت على الذهاب إلى سان جان جولف؟

كراشوف : نعم نعم إنها هناك.

لورنزو : إن الباخرة التى تقصد سان جان جولف تبحر الساعة السادسة يا سيدى ... والآن أستودعك الله. (يخرج منزعجاً).

كراشوف : أحسنت (يدنو من زر الكهربا فتنطفىء بعض المصابيح ثم يسمع وقع أقدام فيعيد النور) أظن نور هذه القاعة يبقى مضيئاً طول الليل. (يخرج وتدخل أنطونيا وخلفها مويلف ولا تدركان كراشوف فيختفى وراء ستار).

المشهد السابع : مويلف - أنطونيا

مويلف : مهلاً أيتها الآنسة. ألم نلتق قبل اليوم فى جنيف؟

أنطونيا : (معرضة عنها) ربما.

مويلف : مالك؟ لا أجد سبباً لهذا الإعراض.

أنطونيا : (بتصنع) لست معرضة أيتها السيدة ولكن خطيبى الموسيو برنار ينتظرنى.

مويلف : (بانزعاج وغيظ مكظوم) أأنت خطيبة موسيو برنار؟

أنطونيا : نعم أنا خطيبة موسيو دى كالفادوس هل تعودت دعوة الرجال بأسمائهم دون الألقاب؟

مويلف : امزجى نبيذك بالماء وهدئى روعك.

أنطونيا : لست فى حاجة إلى أمثالك ووعظك.

مويلف : مهلاً أيتها الآنسة. إن لى معك شأناً أعظم مما يصل إليه ظنك (تنظر إليها أنطونيا باحتقار ثم تخرج - مويلف لنفسها) .. هذا وقع أقدام (تسير إلى نافذة مطلة على الحديقة فتلمح موسيو برنار) موسيو برنار عم مساء تفضل بالدخول إلى قاعة الاستقبال لحظة من فضلك. كلمة واحدة.

برنار : لا أستطيع أن أسهر أكثر مما سهرت.

مويلف : أريد محادثتك فى أمر ذى بال.

برنار : أخشى أن يسمعك أحد وكما يقولون خير قليل وفضحت نفسك!

مويلف : لا شأن لك. ادخل فالقوم نيام وليس لأحد علينا رقابة.

برنار : ولكن يهمنى أن لا يرانى أحد معك.

مويلف : أتوسل إليك أن لا تكسر قلبى وأن لا تنزل بى إلى ما دون ذلك من درك المذلة.

برنار : لقد أجبتك إلى طلبك مراراً وخلونا وتحادثنا وأنت تعلمين أن فى هذا من الشبهات ما فيه.

مويلف : أقول لك قولاً أخيراً لا تطاوعنى غيرة هذه المرة .. إننى أنتظرك منذ الساعة التاسعة ولم أحفل بالنوم وقد أخذ بمعاقد أجفانى بل لم أحفل بما هو أعظم شأناً من النوم لأجلك.

برنار : سأدخل وأبقى معك لحظة.

مويلف : شكراً لك (يدخل) ...

برنار : ما هو الأمر الذى تريدين محادثتى فيه ... لا تطيلى فإننى الآن غيرى بالأمس لأن خطيبتى بالبيت وأخشى أن تفاجئنا فتتهمنى بغير ذنب.

مويلف : ألا تجلس قليلاً؟ ما هذا التعنت؟

برنار : ليس فى الأمر تعنت.

مويلف : إذن ما هذا الدلال؟

برنار : ولا دلال وليس بيننا ما يقتضى أحد الأمرين.

مويلف : ولكن بينى وبينك ما يبيح لى كل شيء (تدنو منه فيبتعد) أتبتعد عنى؟ أيلذ لك تعذيبى إلى هذا الحد؟

برنار : سيدتى إنه لم يخطر ببالى قط أن ...

مويلف : (مقاطعة) لا تزد كلمة واحدة ... واحدة ... إنك تعبث بقلبى ... أتريد أن أقتل نفسى؟

برنار : أنت حرة ولكن انتظرى ريثما أبلغ غرفتى (ينهض).

مويلف : (تتعلق به) كلا انتظر. إننى أمازحك .. لا أريد المـــوت مـــادمت أتمتع برؤيتك ولو عن جفاء. جرب حب امرأة تظن أنك تبغضها.

برنار : سيدتى إن كل هذا لا ينفع.

مويلف : إذن أغير مجرى الحديث ... ما أخبارك يا موسيو برنار؟

برنار : لا تسألى عن أشياء إن تبد لك تسؤك. فقد تناولت من بريد اليـــوم كتاباً يبشرنى بقدوم أهل خطيبتى وسنقضى معاً بضعة أيام متنقليـــن فى الغابات والجبال ثم نعود إلى ليون فأزف إلى عروسى.

مويلف : (تنهض) أهذا آخر قولك لى؟ إنك أن لم تسمع صوت قلبى المعـذب فلن تكون سعيداً فى زواجك ... إننى بعـــد أن عرفـت خطيبتـك سأقتفى أثرك بسخطى وحقدى ... سأنفث لك فى العقد وسأســتنجد بأرواح الشر الكامنة والظاهرة ... إننى امرأة شيطانية؟

برنار : (باستهزاء)ها ها ها أنت لا شك مجنونة.لقد أخطأت إذ أغثت لهفتك وخلوت بامرأة مثلك دقيقة من وقتى ... إن مجرد النظر إلى وجهك وسماع صوتك بعد ما رأيت منك خيانة لعروسى الطاهرة (تبكـــى ممسكة به فيحاول التخلص دون أن يمسها) إنـــك إن أطلــت هـذا الموقف فضحتك بالمناداة على الخدم وأيقظت كل من فى المنزل.

مويلف : (باكية) سامحنى! اعف عنى! لقد جننت بحبك وأفقدنى إعراضـــك صوابى .. اعف عن تهورى ... كن سعيداً أنت وعروسك ... إننى لا أعرفها ولم يقع عليها بصرى قط إنما قلت لك ذلك لأزعجك ... أتوسل إليك أن تنسى كل ما سمعت منى.

برنار : حسن. سأحاول نسيان ما سمعت ... ليلتك سعيدة.

مويلف : أسعد الله ليلك ... اسمع قبل أن تخرج.

برنار : ماذا تقولين هذه المرة؟

مويلف : لا تصدق كلمة واحدة مما قلت. كنت أمازحك. أتحسبنى جادة فيمـــا ذكرت لك.

برنار : ها ها .. وبعد؟

مويلف : لقد حضر الليلة الرجل الذى كنت أنتظره من زمن ... قدم من بلاد قصيّة ولكننى لم أتمكن من لقائه وسألقاه غداً قبل شروق الشـــمس

فأحظى بقربه ثم نرحل إلى حيث المنى تبعث المنى، وهو فتى كريم ومجنون بحبي وأنا كذلك أحبه كثيراً وهو شديد الغيرة على ولم يرد انتظارى خوفاً على من دهشة السرور بلقائه ... انتظر إلى أية درجة من الهيام وصل حبه إياى!

برنار : هنيئاً لكل منكما بصاحبه.

مويلف : إنه جميل جداً وغني وكريم.

برنار : (باسماً) إن كان كما وصفت فهو لا يصلح إلا لك.

مويلف : سافر من أجلى سبعة أيام!

برنار : اعلمى يا سيدتى أنك تخطئين المرمى إذا أردت أن تثيرى غيرتى عليك لأن الغيرة تقتضى الحب وليس بيننا شيء من ذلك طاب ليلك (يهم بالخروج).

مويلف : إنك لم تفطن إلى قصدى .. لم أرد قط أن أثير غيرتك إنك لن ترانى بعد الليلة ... إنك تترك فرصة عظيمة تفلت من يدك وأنت قادر على انتهازها.

برنار : وما هى تلك الفرصة؟

مويلف : (بتردد) امرأة فى الثلاثين من عمرها ذات جسم لا نظير له تهب لك قلبها وروحها وأنت تردها وهى عاشقة مولهة بحبك تريد أن تذيقك لذة لن تذوقها من عروسك الساذجة وأنت ترفض تلك اللذة.

برنار : (خارجاً) طاب ليلك يا سيدتى.

مويلف : برنار قف. (تجرى خلفه) موسيو كالفادوس سامحنى (يقف برنار).

برنار : ماذا تريدين؟

مويلف : أريد أن أقول إن الآنسة أنطونيا ...

برنار : (مقاطعاً) خطيبتى! من أين لك معرفة اسمها؟ أى شأن لك معها؟ هل تعرفينها؟ وأى علاقة بينكما؟

مويلف : أعرفها ولا أعرفها.

برنار : هذا لغز جديد!

مويلف : كلا! أريد أن أقول لك إننى أعرف شخصاً يعرفها جيداً وهى أيضاً تعرفه معرفة تامة.

برنار : من هو هذا الشخص؟
مويلف : هذا سرى لا أبوح به.
برنار : بلى. بوحى به لى وحدى فأنا لا أخونك إذا أئتمنتنى.
كويلف : كلا .. كلا .. إنى مخطئة وأعود أرجع فى قولى.
برنار : هذا لا يكون. هذا لا يليق. لا تذهبى قبل أن تقولى.
مويلف : إنك تشغل نفسك على غير جدوى.
برنار : أنت التى شغلتنى.
مويلف : انس ما قلت لك ولنغير مجرى الحديث.
برنار : لقد تركت بحديثك هذا ما يشغل بالى إن الشكوك تستبد بى وسوف تكبر حتى تنهش قلبى وتنغص حياتى.
مويلف : قلت لك تغيير الحديث أولى. أتعرف موسيو لورنزو؟
برنار : من لورنزو هذا؟
مويلف : ذلك الرجل الحزين اللابس الحداد الكثير الصمت الذى نزل بالدار الليلة.
برنار : كلا لا أعرفه ولم أره.
مويلف : إن شخصاً آخر تعرفه جيداً يعرف هذا الرجل.
برنار : من الذى تعنين؟
مويلف : أعنى شخصاً آخر يعرف لورنزو جيداً ولا يريد أن يعرف أحد عنه ذلك.
برنار : من هو يا ترى؟ كأنك تطرحين علىّ لغزاً.
مويلف : ألم تفهم بعد؟ الأمر مع ذلك سهل لا يحتاج إلى كدّ قريحتك.
برنار : أيتها المرأة ماذا أنت قائلة؟
مويلف : هدىء روعك الأمر كما فهمت وأنا لا أرسل القول جزافاً بل لدى ما يثبت ذلك مما لا شك وراءه.
برنار : أكتب غرام من خطيبتى لهذا الرجل أم ماذا؟
مويلف : نعم. كتب غرام أوقعتها فى يدى المصادفات.
برنار : وأين هى؟
مويلف : لا أستطيع إبرازها إلا إذا وعدتنى.

برنار : بماذا أى وعد تريدين؟ وهل تحاولين الانتفاع بهذه الكارثة؟

مويلف : لا نفع لى ولكن عدنى بالكتمان.

برنار : أعدك ... اعطنى تلك الرسائل.

مويلف : (تخرج من جيبها خطاباً واحداً وصورة) ها هو.

برنار : (يخطفه بسرعة عظيمة) هذا خطها! (يقرأ بتلهف) يا ويلى وويلها ... اغربى عنى أيتها المرأة ... كنت أبغضك مرة واحدة فأمسيت بعد هذا الاكتشاف أبغضك ألف مرة.

مويلف : كنت تزدريني وتقبحنى وتنفر منى وتتيه علىّ حساباً أنك ظفرت بأكرم العذارى وفضلاهن، والآن رأيت بعينك أننا فى الهوى أشباه وأننى كما أحبك كانت فتاتك الصغيرة تحب سواك.

برنار : اصمتى ولا تقولى فيها كلمة.

مويلف : إلاهة هى لا تذكر ولا تمس؟ أم ربة الصون والعفاف يخشى عليها من اللمس.

برنار : كفى .. كفى اتركينى وشأنى ... ولكن أى ثمن تطلبين لتلك الأوراق.

مويلف : بلغنى الثمن وزيادة.

برنار : وما هو؟

مويلف : إن بصرك وقع عليها وأنك علمت ما كنت تجهل من شأنها ... إلى الملتقى يا مسيو برنار (عند خروجها تضع إبهام يمينها على طرف أنفها وتفرد كفها علامة الازدراء - يخرج كل منهما من باب).

المشهد الثامن

يدخل كراشوف قابضاً على قلبه وهو يلهث من التهيج.

كراشوف : آه ! هى هنا هى هنا لقد ظفرت بها بعد طول الاقتفاء (الساعة تدق الثالثة) ... (ستار)

الفصل الخامس

المشهد الأول : بهو فيلا سيليفيا - يدخل لورنزو

لورنزو : طاب يومك يا سيدتي.

جيرمون : طاب يومك. تفضل بالانتظار ريثما تحضر مدام مويلف إإذن لي أن انصرف إلى شئون منزلي. (مويلف تتقدم إلى لورنزو ماشية الهوينى مضطربة وتصافحه).

مويلف : متى حضرت إلى فيفي؟

لورنزو : وصلت ليلة أمس (لنفسه) إنها تغيرت كثيراً وكدت لا أعرفها للوهلة الأولى.

مويلف : خير أن نجلس بجوار الشرفة فإنني أكاد أختنق من شدة الحرّ. (يجلسان بجوار الشرفة وتشرق مويلف بريقها ثم تختنق بما يشبه البكاء ولكنها لا تبكى).

لورنزو : ألم يصل إليك كتابى الذى أرسلت منذ أسبوع؟

مويلف : بلى وصل إلىّ.

لورنزو : انتظرت أن ألقاك فى مرسيليا أو جنيف على الأقل، فحين لم أجدك بإحداهما ظننتك مريضة أو فى حاجة أو أن مانعاً قهرياً عاقك عن لقائى .. لعل كوستيا بخير ولعل أخبار أسرتك سارة.

مويلف : دعنا من كوستيا ومن أسرتى. ألم يصل إليك منى كتاب.

لورنزو : كلا.

مويلف : هذا مستحيل لابد أنك تسلمته.

لورنزو : وماذا جاء به؟

مويلف : لو كنت قرأته ما كلفت نفسك مشقة الحضور ولا حسرة العودة.

لورنزو : ماذا تقولين؟

مويلف : إننى أقول لك خلاصته فى كلمتين ارحل لساعتك فإن الحب الذى كان بيننا قد انقضى والقلوب إذا تنافر ودّها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر!

لورنزو : أتمزحين أم تقولين حقاً؟

مويلف : ليس فى الأمر مزح. إنك طلبت إلىّ يوماً أن أصدقك إذا نزع حبك من قلبى فوعدتك.

لورنزو : إننى إذا عثرت بالكتاب ما عدلت عن الحضور بل إذن تقدمت لأنقذ نفسى من ندم ربما عرانى إذا أعدلت عن لقائك تصديقاً لما جاء فى كتابك.

مويلف : وما يكون معنى حضورك؟

لورنزو : كنت أصل إلى فيفى هادىء الروع مطمئن القلب ضعيف الرجاء فى حبك وتكون سياحتى إليك تضحية فى سبيل الإخلاص والوفاء. (تنهض فينهض).

مويلف : يكاد من يسمع قولك يحسبك موطداً نفسك على الانفصال والقطيعة فأنت قادم لتريح ضميرك.

لورنزو : كنت أرجو لقاءك لأشبع نفسى بحبك ولأفرغ لك فى ليلة ما وسعه فؤادى من آلام الوحدة والفراق خلال سبعة أشهر لم تمر منها لحظة دون أن تمر صورتك بعينى وصوتك بأذنى، لأن نفسى لم تكن تحدثنى إنه بينما كانت النار تضيىء بين جوانحى كنت تخونين عهودى وتحنثين فى أيمانك الوثيقة وتهدمين بمعول الأثرة والشهوات هيكل الحب المقدس!

مويلف : هون عليك. لم أحسب أن لهذا الخبر هذا الوقع.

لورنزو : كاترين! أتمزحين أم تقولين حقاً. كفى مزحاً. حدثينى عن حالك ودعى المزح جانباً.

مويلف : عجيب جداً أنك لا تصدقنى ولا تريد أن تقبل أمراً وقع أما قلت لك إنك تفقدنى بهذا البعد الطويل.

لورنزو : أى بعد تقصدين؟ هل مضى على فراقنا أكثر من ستة أشهر ما أقصر الوفاء عندكن. ألم تذكرى لى أنك عرفت امرأة حفظت ودّ حبيبها خمسين سنة؟ فكيف لم تستطيعى البقاء على ودى نصف سنة؟

مويلف : يظهر لى أنك سابح فى بحر الأوهام أو طائر فى جو الخيال!

لورنزو : هل كانت عهودك وأيمانك لأجل مسمى. هل عجـز قلبـك عـن الوفاء بوعودك أم فقدت العقل والقلب معاً؟

مويلف : لقد أقسمت لك حقاً على أن القسم قد يصدر عن نزعة من نزعات النفس ولا يحاسب المرء عليه إلا نفسه.

لورنزو : إذا كان ما بيننا قد انتهى فكيف تطلبين إلىّ أن أرحل وأى حق لك فى ذلك؟

مويلف : نصحت لك بالرحيل حفظاً لكرامتك.

لورنزو : أتحسبين فى مجيىء رجل يبحث عن امرأة كانت له ما يدعو إلـى احتقاره؟

مويلف : الأمر لك (تهم بالخروج).

لورنزو : اسمعى.

مويلف : تريد أمراً يا سيدى؟

لورنزو : قبل أن تذهبى اقبلى الهدايا التى أحضرتها باسمك.

مويلف : ماذا أحضرت لى؟

لورنزو : احضرت لك حريراً هندياً ودمقساً شامياً وعطراً شرقياً ومصوغـاً مصرياً وأشياء أخرى لا تعد.

مويلف : لا أستطيع قبول هداياك مادمت أردّ حبك.

لورنزو : اقبليها لا عربوناً لحب مقبل ولكن تذكاراً للود القديم.

مويلف : كذلك أقبل.

لورنزو : هذا خاتم ذهبى نقشت عليه اسمك.

مويلف : (تتختم) إنه جميل.

لورنزو : وهذا عقد من اللؤلؤ وهذه العلبة المدلاة فيها صورتك.

مويلف : (تتقلد العقد فيحاول لورنزو ربطه من خلف العنق فترده بيدهـا) شكراً لك فإننى أعرف كيف ألبس الحلىّ.

لورنزو : وهذان هما القرطان اللذان اشتهيتهما يوم كنا معاً فى فلورنسـا. أتذكرين عهد فيزوليه؟

مويلف : (تتحلى بالقرطين) شكراً لك ودعنا من العهود والآن ثق يا موسيو لورنزو أن هذه الهدايا لم تحدث فى الأمر شيئاً وأننى لم أقبلـها إلا إرضاء لك (تهم بالخروج).

لورنزو : (كالمجنون) إلى أين؟

مويلف : هذا شأنى .. ليس لك نهى علىّ ولا أمر.

لورنزو : (يتبعها) عجباً لضجرك وإعراضك!

مويلف : إن الماضى لا يعود.

لورنزو : ألا أصحبك إلى حيث تشاءين؟

مويلف : (تقف فجأة) أتريد أن تقتفى أثرى وتعذبنى كما كان يفعل زوجى.

لورنزو : أقتفى أثرك وأعذبك كما كان يفعل زوجك؟ .. هل وصلت بى الحال إلى هذا الحد. كفى .. كفى .. اذهبى أنىّ شئت ... كاترين ... كاترين ...

مويلف : ماذا تريد منى؟

لورنزو : عودى وابقى قليلاً فإن لى كلمة أريد أن تصغى إليها.

مويلف : (تعود بضجر) هات ما عندك.

لورنزو : (لنفسه) ألخبرها بمقدم زوجها كراشوف .. إننى أخشى أن تنزعج الأولى أن أغريها بالرحيل ثم أفاوضها فى أمره (إلى مويلف) لو علمت أننى لم تغمض لى عين إلا خلسة خلال سبعة أيام بلياليها وأن حمىّ الانتظار والأمل كادت تطحن عظامى وتبدد أعصاب قلبى، ولو علمت مقدار حبى وانشغال نفسى عليك وكيف كنت أبعد مخاوف الوحدة والوحشة عن قلبى بأمل لقائك. لو علمت كيف كان خفقان قلبى واضطرابى حين بلوغ فيلا سيلفيا وخور قواى وانحلال أوصالى عندما سمعت خبر سفرك ويأسى حينما قالت لى صاحبة الفندق إن ساحة المحطة ملأى بالفنادق لفضلت الموت على أن تجنى علىّ هذه الجناية.

مويلف : ما الفائدة من هذا النواح والشكوى؟

لورنزو : طالما ذكرت لى أن حبك إياى إنما هو الحب الأعظم.

مويلف : إن الحب الأعظم هو حب الساعة التى أنت فيها.

لورنزو : لقد قضيت على حياتى وتزيديننى غيظاً!

مويلف : لم أقض على حياتك إن أمامك عمراً مديداً وعيشاً سعيداً. أما أنا فليس أمامى إلا الوحدة والألم.

لورنزو : إذن ما يدعوك للإعراض عن حبى مادمت لن تحظى بالسعادة من اليوم؟

مويلف : تريد أن أعود إليك فتملكني وتشعل من جديد فى قلبى نار حبك بعد أن خبت وهى نار تلتهم الأحشاء وتفنى الروح والجسد ثم تتركنى أتضور من ألم فراقك سبعة أشهر أخرى أو سبع سنين وربما تركتنى إلى الأبد بعد الذى رأيته منى .. كلا! .. كلا! لن يكون ذلك لك.

لورنزو : أعاهدك أن لا أفارقك بل أعيش معك طول حياتى ... لقد جئت لأجل هذا .. جئت لأزف إليك بشرى لقاء لا فراق بعده .. (يبكى).

مويلف : (تبكى) أنت تبكى يا لورنزو ... إن وقع دموعك على نفسى الشقية كسقوط قطر الندى على الأزهار قبل الذبول. إن دموعك أثمن من هداياك النفيسة الغالية ولكن إليك الآن عنى يالورنزو وعد إلى حياتك السعيدة ... اعف عنى واتركنى فقد خنت حبك!

لورنزو : كيف خنت حبى؟

مويلف : نعم خنت حبك وسقطت بين ذراعى رجل غيرك ... لقد يئست من حبك بعد أن يئست من لقائك!

لورنزو : آه ! يا لك من شقية. لقد كنت أعمى غبياً ... ما أشد حماقة من يضع قلبه فى كف امرأة مثلك! إذن كنت تكذبين وأنت تبكين وتستعطفين؟ هل ألقى الحب على بصيرتى غشاوة، فلم أستطع التمييز بين الصدق والكذب؟ هل أعمتنى كلماتك العذبة ووعودك الوهمية (تبكى) أبكى الآن أيتها البائسة؟

مويلف : هل كان حبى عظيماً لديك بهذا المقدار حتى تأسف عليه أسفاً يكاد يقتلك؟

لورنزو : إننى لا آسف على حبك أيتها المرأة ولكننى آسف على الأيام التى قضيتها مخدوعاً بحبك الكاذب! ... ألا تذكرين تلك الليلة التى قضيتها بجانبك فى رابالو أصارع الموت عليك وأنت بين مخالب الحمى ... لقد حاربت الردى بالعلاج والسهر ودرأت بجهادى المتواصل ريح الفناء العاصفة التى هبّت عليك وأنت غارقة فى

ذهول الداء ... وانتشلتك من أظفار المنية بعد أن أوشكت أن تتشبها في روحك ... وآسفاه على أن نفسى لم تشرف على المستقبل لأرى ما تفعلين بى (يجهش بالبكاء ويقع مغشياً عليه فتنتهز مويلف هـذه الفرصة وتهرب – ثم يصلح لورنزو من شأنه ويدخل جودياس).

المشهد الثانى : جودياس - لورنزو

جودياس : هذا أنت يا لورنزو.

لورنزو : جودياس! جودياس ... عزيزى جودياس (يـهم بضمـه) لقـد صادف لقاؤنا غاية فى فؤادى.

جودياس : (مبتعداً) هذه عادة قديمة أزالتها آداب اللياقة الحديثة بين الرجـال وتكفى المصافحة على الطريقة الأمريكيـة دون الضـم والتقبيـل لاسيما وأنك ذو لحية كثة وأنا لا أطيق شعر الذكور.

لورنزو : عفوراً إذا أزعجك اندفاعى ... حسبتك جودياس صديقى القديم.

جودياس : أنا هو إنما الدنيا والأخلاق تغيرت ودوام الأمور علـى حالـها محال ولا يبقى على حال واحدة إلا الحمار.

لورنزو : هل تقيم منذ عهد طويل بفيفى؟

جودياس : منذ بضعة أشهر ليس إلا ...

لورنزو : وهل طاب لك المقام؟

جودياس :على قدر المستطاع فإننى أعيش عيشة الفراغ والشباب وأقطف ما أستطيع من أزهار السعادة وأذوق ما تجود به الحياة من فواكهها.

لورنزو : وهل عشقت أو بقيت بلا عشق يا جودياس؟

جودياس : هل حسبتنى فى عداد المجانين فتسألنى عن العشق ... أى عـاقل يعشق؟

لورنزو : وهل لا يعشق غير المجانين.

جودياس : بلا ريب أن العشق غذاء نفوس الجهال والحمقى.

لورنزو : وماذا يصنع العقلاء الراشدون إذن؟

جودياس : يعيشون مثلى حسب الطلب وعند مقتضى الحال ... ألا كارت يـا مون شير!

لورنزو : ماذا تقصد بهذا التعبير؟

جودياس : إن الطبيعة لم تخلق أوفر عدداً من النساء فأنا أختار مما ألقى في طريقي من تلائم حاجتي لساعتي.

لورنزو : بحب أم بدون حب؟

جودياس : حب الضرورة وأتخلى عنها قبل أن تتخلى عني وأزهد فيها قبل أن تزهدني.

لورنزو : ولو لقيت منهن امرأة تحبك؟

جودياس : إن النساء يبدين غير ما يخفين فلو أدعت امرأة حبي أشكرها ثم أودعها ... خذ لك مثلاً امرأة روسية أظهرت لي حباً يكاد يكون جنوناً ... أوه أظنك تعرفها جيداً لأننا التقينا بها معاً.

لورنزو : أعرفها جيداً! من تكون تلك المرأة؟

جودياس : هي مدام مويلف التي كان لك معها حديث طويل بلوزان.

لورنزو : آه الآن ذكرتها. ماذا تقول؟ هل أحبتك تلك المرأة حباً يقرب من الجنون؟

جودياس : نعم فإنني لقيتها هنا لدى وصولي.

لورنزو : تقول إنها أحبتك؟

جودياس : نعم.

لورنزو : كفى يا هذا فإن حديثك يمل.

جودياس : وهل تطفلت به عليك. على أنه لم يخطر ببالي أنك منهم.

لورنزو : ممن تحسبني؟

جودياس : من عشاق تلك المرأة.

لورنزو : كنا فيما مضى أصدقاء ثم فرقنا الدهر وما كدت أحسب أننا نلتقي على ما نحن عليه.

جودياس : كل هذه الجلبة وهذا الخصام لأجل امرأة أنت تعرفها ما أقل خبرتك بالحياة لقد فطنت لحقيقة أمرك فاسمع نصيحتي .. إذا خانتك فاتركها وخذ سواها ولا تملأ الدنيا نواحاً عليها ولا تأسف عليها وتندب حظك العاثر.

لورنزو : هذه غريزة الوحوش الذين لم تنعم عليهم الطبيعة بنعمة الوجدان الشريف فهم فريسة شهوات أبدانهم على أنني لم أطلب منك نصيحة ولا درساً.

جودياس : لقد أخلصت لك النصح. هل أنت أول من تصيدته تلك المرأة بحبائلها؟ .. إنك لا تستطيع الجواب لئلا تنال منها ... ألا تذكر لقاءكما الأول في لوزان؟

لورنزو : لا تزد أيها الرجل!

جودياس : لعلك تعرف بعض من سبقك إليها وإن كنت لا تعلم عدد من ورد بعدك ومن سيرد.

لورنزو : ويل لك!

جودياس : اشرب كأس الحقيقة حتى آخر عكرها إن معشوقتك التى خانتك كما خانت سواك من قبل سوف تخون غيرك من بعد.

لورنزو : أيها الوغد! (يخرج مسدساً) لأخرقن جبينك ولأخرقن رأسك بنار مسدسى هذا. (يفر جودياس ويتبعه لورنزو).

المشهد الثالث : برنار - أنطونيا - لورنزو

أنطونيا : طاب يومك (يعرض برنار عنها) طاب يومك (يزيد برنار إعراضاً وتغيراً) ما هذا؟ أنت معرض عنى ماذا جرى؟

برنار : اسمعى أيتها الآنسة.

أنطونيا : أيتها الآنسة! لماذا تدعونى هكذا؟ ماذا جرى يا برنار؟ لا تطل تعذيبى.

برنار : إن لى معك حديثاً ذا شأن.

أنطونيا : ما هذا الحديث؟ وما عسى أن يكون حتى تباغتنى معرضاً.

برنار : إن على هذا الحديث يتوقف هناء حياتنا المستقبلة.

أنطونيا : ما تقصد؟

برنار : لا يعنيك قصدى .. يعنينى أن تخبرينى عن الماضى.

أنطونيا : بأى ماض أخبرك؟

برنار : ماضيك أيتها الآنسة.

أنطوتيا : ليس فى سجل حياتى صحيفة لم أطلعك عليها.

برنار : تذكرى جيداً ... ألم تحبى شخصاً قبل تعارفنا حباً يقرب من الجنون؟!

أنطونيا : لا أذكر.

برنار : ألم تكاتبى هذا المحبوب؟

أنطونيا : كلا.

برنار : تصرّين على الإنكار حتى لو رأيت رسالة الغرام التى خطتها يدك. سأعود إليك بالمكتوب لأرى إلى أى حد تبلغ مكابرة المرأة واعلمى أن كل ما كان بيننا قد انتهى وأنك منذ اليوم حرة لا تربطك بى رابطة الخطبة! (يهم بالخروج).

أنطونيا : برنار إلى أين تذهب؟

برنار : سأعود إليك بالأوراق التى تقنعك إقناعاً قاطعاً. (يخرج لاستحضار المكتوب).

أنطونيا : واغوثاه ... ذلك الرجل الحقود الغيور انتقم لنفسه يا لدناءة الرجل!! (يدخل لورنزو).

لورنزو : (لنفسه بعد أن يعود من مطاردة جودياس) يا للجبان! لم أتمكن من اللحاق به ... (يلمح أنطونيا) طاب يومك أيتها الآنسة.

أنطونيا : أتجرؤ أن تحيينى أيها الرجل ... إن قلبك لا يعرف الرحمة وضميرك لا يخشى تأنيباً.

لورنزو : أيتها الآنسة! ماذا أصابك؟ هل فقدت رشدك؟

أنطونيا : نعم فقدت رشدى إذ سخرت يدى فيما دونته لك فبعت كتابى بأبخس الأثمان وهو انتقامك من سعادتى.

لورنزو : أنت تتهميننى ظلماً بإظهار كتابك لخطيبك.

أنطونيا : إلى متى تعبث بسذاجة قلبى؟

لورنزو : يا للهول! الآن أدركت ما حدث ؟! ... هوّنى عليك أيتها الآنسة .. إننى لم أدفع كتابك إلى خطيبك ... إنما عرفت الآن من خاننى وغدر بك ... ولكن اعلمى أننى أذنبت بنية خالصة.

أنطونيا : أخبرنى إذن أسرع بإخبارى إن برنار لا يلبث أن يعود حاملاً تلك الورقة ولا أدرى ما أقوله له.

لورنزو : أتتذكرين تلك المرأة مويلف التى آثرتها على سواك؟

أنطونيا : نعم أذكرها ورأيتها أمس.

لورنزو : هى التى خانت أمانتى وأظهرت كتابك لخطيبك ... لقد جاء يوم ملكت علىّ فيه هذه المرأة قلبى ونفسى ... ثم جاء يوم طلبت فيه كتابك وغيره من الرسائل لتحرقها لتسدل بينى وبين الماضى حجاباً لا تنفذ منه الذكرى ... فأذعنت ودفعت إليها الأوراق!

أنطونيا : الآن فهمت ولكن ما التدبير الآن؟ إن خطيبى قال لى ما كان بيننا قد زال وأن رابطة الخطبة قد حلت. وإذا صدق فى قوله فلا حياة لى بعد اليوم (تبكى).

لورنزو : خففى عنك أيتها الآنسة وأبرحى الآن هذا المكان وأنا الكفيل بعودة المياه إلى مجاريها بينك وبين خطيبك فتعودى إليه رافلة فى حبه ورضاه.

أنطونيا : شكراً لك وغفراناً. (تخرج).

المشهد الرابع : برنار - لورنزو

(يدخل برنار وينظر متلفتاً)

لورنزو : عفواً يا سيدى هل أنت السيد برنار دى كالفادوس؟

برنار : هو أنا. ألك حاجة أقضيها (يضع الأوراق فى جيبه).

لورنزو : اسمى لورنزو لودفيجو .. سيكون بيننا صداقة دائمة .. هل أنت موضع حب امرأة اسمها مويلف؟

برنار : حقاً إن فى هذا المنزل امرأة تدعى حبى.

لورنزو : سأفتح لك قلبى.كنت مولهاً بتلك المرأة فاستولت على رسائل كتبتها إلىّ فتيات طاهرات شريفات فى سويعات جنون الصبى وطيش الشباب وكنت أحرص عليها لأردها لصواحبها وأذكر بين اللواتى كتبن إلىّ فتاة اسمها أنطونيا ... الآنسة أنطونيا بيلادونا ... رأيتها مرة واحدة لا أكثر مع أسرتها ولم تتجاوز علاقتى بها ذلك الحد.

برنار : أتقسم أن علاقتكما لم تتعد ما ذكرت؟

لورنزو : أقسم أنه لم يتمش السوء بينى وبين أنطونيا بيلادونا وأننى لا أحفظ لها إلا ذكرى حب عذرى شريف.

برنار : شكراً لك يا سيدى ... لقد أنقذت سعادتنا ... إن أنطونيا بيلادونا هى خطيبتى وكانت تلك الصحيفة من ماضيها غامضة على والآن جلوت غامضها وأزلت الشك عن قلبى.

لورنزو : هنيئاً لك حبها فإنها خير من عرفت من النساء. والآن ضمنى إلـى صدرك يا برنار (يتعانقان).

برنار : هيا بنا إلى خطيبتى فإنها تنتظر عودتى على أحر من الجمر.

لورنزو : بل اذهب إليها منفرداً ولعلنا نلتقى بعد اليوم.

برنار : الأمر لك ... إلى الملتقى وشكراً لك على ما صنعت من الجميـل (يخرج برنار).

المشهد الخامس : لورنزو منفرداً

لورنزو : (لنفسه) أرى تلك المرأة توقظ الشياطين فى أعماق نفسـى إنـها تستفزنى ... أأقتلها وأشفى غليلى بالقضاء عليها؟أأسلبها نعمة الحياة كما سلبتنى نعمة السعادة والأمل؟ لقد فعلت بى تلك المرأة كل ما لم تكن تحدثنى به نفسى فصدعت قلبى وأشعلت فى فؤادى نار الغـيرة وقالت لى فى وجهى إنها لم تحفظ لى عهداً... لقد آن لى أن أصحو وقد بدأت أبل من علتى، الحب الحب الحب .. قاتل الله الحـب!.. لورنزو لورنزو أفق لنفسك.. لماذا يا رباه لا تزول من نفسى آفـة الحب ولا يبرأ قلبى من محنة الهوى ... إن كل شىء فى الكـون يخلق ثم يتجدد وكل كائن فى الطبيعة يبعث بعد أن يهلك فالبعث يـا رباه! أريد قيامة نفسى...أريد بعث روحى البعث البعث يا رباه ...

المشهد السادس : جودياس - مويلف

جودياس : هل كانت لك بلورنزو دى لودفيجو صلة عشق؟ .. إن الأمـر ذو بال.

مويلف : كلا. من افترى علىّ هذه الفرية؟ لم تكن بينى وبينه صلة كـالتى بينى وبينك.

جودياس : إن عزيمتى قد صحت على الرحيل عن هذا البلد وهـذه الديـار بأسرها.

مويلف : وأنا أيضاً سأرحل فخذنى معك.

جودياس : كلا! لم تصل بنا المودة إلى هذا الحد.

مويلف : أنا لا أطلب إليك أن تعاشرنى.

جودياس : إذن ماذا تطلبين؟ اعلمى قبل كل شىء أننى لا أسـتطيع عشـرة النساء أكثر من السويعات الضرورية.

موليف : أسألك أن تصحبني إلى ما وراء هذا البلد ثم يأخذ كل منا طريقه إلى غايته التي يقصد إليها.

جوديلس : هذا مستحيل يا عزيزتي. أستودعك الله.

موليف : يا لك من نذل خسيس. ما أعظم الفرق بينك وبينه. إذن أسافر منفردة. (تلمس زر الكهرباء - تدخل جرترود).

جرترود : سيدتي.

موليف : أخبري مدام جيرمون أنني تلقيت برقية من ولدى تنبئني باشتداد مرضه وأنني مضطرة إلى الرحيل فوراً ثم عودى إلىّ تجديني في غرفتي فتساعديني في إعداد حقائبي.

جرترود : سأفعل يا سيدتي. (تخرجان كل من باب).

المشهد السابع : كراشوف ولورنزو يدخلان من بابين متقابلين

كراشوف : هذا أنت أيها السيد. ألا من وسيلة للعثور بهذه الخادم فقد دققت لها سائر أجراس المنزل ولم يبق علىّ إلا دق نواقيس المدينة!

لورنزو : وأنا أيضاً أبحث عنها ولعلها تقضي بعض الشئون ثم تعود. هل ظفرت ببغيتك التي كنت تنشدها في سان جان جولف؟

كراشوف : ظفرت ولكن في غير سان جان جولف.

لورانزو : (لنفسه) ترى ماذا يضمر لها من السوء؟ ... لعل لي من ضغن هذا الزوج الموتور انتقاماً يريح نفسي (إلى كراشوف) وهل تقيم في فيفي طويلاً؟

كراشوف : قد يطول مقامي وقد لا يطول ... وأنت؟

لورنزو : إنني أبرح المدينة قبل نصف الليل بساعة.

كراشوف : أتمني لك سفراً سعيداً وإن عثرت بالخادم بعثتها إليك.

لورنزو : شكراً وأدعو لك بالتوفيق. (يتصافحان ويخرج لورنزو وتدخل جرترود تحمل حقائب موليف وهي تلهث من شدة التعب ثم تضعها في وسط القاعة).

جرترود : أف! ما أثقل هذه الحقائب كأن بها رصاصاً أو نحاساً لست أدرى ماذا يضع الأغنياء في حقائبهم ولماذا يحتاجون إلى أمتعة لا تعد ولا تحصى! (تبصر بكراشوف) عفواً يا سيدى.

كراشوف : جرترود أين أنت؟
جرترود : عفواً يا سيدى إننى نسيت الشاى وما أنسانيه إلا سفر الأضياف فى ليلة واحدة أو بقطار واحد. إننى أشكو ثقل هذه الحقائب وكثرتها على أننى لم أنقل إلا متاع مدام مويلف وسأنقل فوراً ...
كراشوف : (لنفسه) إذن هى مسافرة فهل علمت بحضورى أم لم تعلم؟ (إلى جرترود) مسكينة أيتها الصغيرة (يسمع دق الجرس - تخرج جرترود وتدخل مويلف بثياب السفر وعلى وجهها قناع وهى مشغولة بلبس قفاز ثم تنحنى على إحدى حقائبها فتتناول منها شيئاً ثم تنهض فتلقى كراشوف وجهاً لوجه فتضطرب أولاً ثم تعود إليها قوتها).
مويلف : ها أنت يا موسيو كراشوف أى ريح أتت بك؟
كراشوف : (بغضب) ريح السموم ... إلى أين تذهبين؟
مويلف : وهلا تزال تستبيح لنفسك مثل هذا السؤال؟
كراشوف : ربما يطول حديثنا الليلة.
مويلف : أستودعك الله.
كراشوف : (يقف أمام باب الدخول ويحاول إخراج مسدسه) إنى أمنعك الخروج من هنا إلا إلى دار الشرطة حيث ترغمين على مقاسمتى الحياة بحق عقد الزواج الشرعى الذى لا يزال قائماً بيننا. (تدخل جرترود).
جرترود : رسالة برقية إلى مدام مويلف (تمد يدها بالرسالة).
مويلف : من أين يا جرترود (تقرأ بلهفة) ... من آبلس أيضاً (تقرأ) "احضرى حالاً كوستيا مريض جداً. لا تجزعى".
كراشوف : إذن هيا بنا إلى ولدك فلعل قدومك يعيد إليه العافية.
مويلف :أفضل أن أموت أنا وولدى على أن أسايرك فى طريق (تعيد قراءة الرسالة) لا تجزعى ما معنى هذه الكلمة؟ إن هذه الرسالة أدعى إلى إسراعى بالسفر فتخلّ عن طريقى. (تدخل جرترود بلهفة).
جرترود : مدام مويلف ...
مويلف : ما وراءك أيتها الصبية؟

جرترود : رسالة أخرى.

مويلف : (تخطف الرسالة وتفضها باضطراب وتقرأ) أعزيك عن ولدك. ديلا كويزن ... آه! ووالداه! (يدخل لورنزو من باب وبيده أمتعته ومن باب آخر أنطونيا وأختها مدام كاميل وبرنار وينظرون جميعاً إلى مويلف وهى تتضور من الألم ثم تنظر إلى وجوه الواقفين وكلما تعرفت واحداً منها وجمت واضطربت - لنفسها) ويلاه! هل تآمرت الأقدار علىّ فى ساعة واحدة ؟! أى أمل لى فى الحياة؟ إن اليأس قتال لساعته. لخير للمرء أن يموت بغتة تحت صدمة العاصفة من أن يبلى فوق الصخرة المقفرة على مهل (تخرج من سلتها قنينة صغيرة وتدنيها من فمها - تدنو منها مدام كاميل).

مدام كاميل : أيتها السيدة هل لك حاجة أقضيها؟

برنار : كاترين هيا بنا. (يمر جودياس بالغرفة وينظر بلا اكتراث إلى مويلف - تتناول مويلف بفمها ما بالزجاجة).

برنار : ما هذا؟

لورنزو : لقد انتحرت (إلى كراشوف الذى يبقى مبهوتاً) أغث زوجك يا سيدى! ... أدركها بالإسعاف قبل أن تسلم الروح.

مويلف : (إلى لورنزو) آه ! آه ! ها أنت تشهد مصرعى يا لورنزو. (يسرع الجميع إليها نساء ورجالاً).

كراشوف : (يلتقط القنينة الفارغة ويشمها ويقرأ ما هو منقوش عليها) هذا سيانور البوتاس! لا أمل لنا فى حياتها ... إنه سم لا ترياق له (لنفسه) لقد فعلت بنفسها ما كنت أضمر لها وكذلك مات الصبى ... لقد حلت لى الأقدار ما كنت عاجزاً عن حله.

مويلف : آه ! (تضرب وتتبش فى الغرفة بيديها ورجليها وتشهق طويلاً ثم تهمد).

لورنزو : (يدنو منها ويضع قبلة قبل الجميع) أعدّوا لها فراشاً وثيراً من يرغب منكم فى اللحاق بالقطار فليدركه. أما أنا فباق حتى الصباح ... (تنزل الستار)

كانت لقيّة مقندلة

مضحكة تمثيلية فى فصل واحد

اقتباس من أوكتاف ميربو الفرنسى

بقلم : محمد لطفى جمعة

القاهرة فى ١٩١٧

رواية كانت لقيه مقندله

رواية

كانت لقيه مقندله

مضحكه تمثيليه

في فصل واحد

اقتباس من اوكتاف ميربو

بقلم محمد لطفي جمعه

القاهره في ١٩١٧

~~[illegible]~~

المعاون — الماهية [illegible] علينا فيه ميزانية جديدة يا حضرة العمدة

العمدة — ميزانية [illegible] يا جناب المعاون

المعاون — [illegible]

العمدة — [illegible] يا حضرة الجناب

المعاون — [illegible]

العمدة — [illegible]

المعاون — خيره

العمدة — [illegible]

المعاون — عال

العمدة — [illegible]

المعاون — [illegible]

العمدة — [illegible]

~~المعاون [illegible]~~

المعاون — [illegible]

[illegible]

[illegible]

Political Censorship 16.9.918

Suppressed

[illegible]

969

Suppressed

ممنوع تمثيل هذه الرواية

المنظر الأول

الكوميسير : أما حتة طأس ابن دين كلب ما علينا فيش حوادث جديـــدة يـــا مسيو جاك؟

جاك : حوادث يوك يا جناب الكوميسير.

الكوميسير : بأه ماحدش عتب الضبطية الليلة دى.

جاك : شويه مخبرين جرانيل جم ياخدوا أخبار.

الكوميسير : أظن علشان قضية فرانشار إن شاء الله تكون لأيتهم كويس.

جاك : آبلتهم على كيف جنابك ورأ وآلام رصاص والذى منه.

الكوميسير : غيره.

جاك : شوية ولاد زلنطحية وخنأتين تلاتة وعيلين حرامية.

الكوميسير : عال.

جاك : وعلى العموم الحركة نايمة.

الكوميسير : مش بطال.

جاك : اليومين دول البلد هادية.

الكوميسير : مين عارف يا جاك يمكن تكون هادية فى الظاهر والباطن يعلمه الله أنت ماأرتش فى الجرانيل مسئلة هيجان بركان نابولى .. بلاد وعزب وجناين وخضرة من فوق ونار وزيت حار من تحت مـــا علينا حدش جالى شخصياً.

جاك : ما حدش.

صول : كانت كويسه (يخلع الكوميسير بلطوه وكوفيته وعصايته).

الكوميسير : إيه دى يا سيدى.

جاك : رواية الفودفيل الّى جنابك حضرتها الليلة.

الكوميسير : كان التياترو مشحون فوق مستواه على كيفـك همـا هـم مـا بيتغيروش - وواحد من أصحاب الجلالة ملك باتاجونيا.

جاك : آه من التياترو (يقلع البالطو).

الكوميسير : التياترو غشاش زى المرة الماشية اللى عتّأت من اللى بالك فيهم تأفلك كل ليلة أدام المراية وتتحمر وتتبيض وتتكحـــل وتخطـط حواجبها .. لكن على مين على بابا هى هى كذلك التياترو كلمتين

فارغين بينقالوا وينعادوا وكل مرة مافيش يا مونشير رواية مُكـن في موضوع اجتماعي والا حيوى والا عمرانى الحاجـات اللـى بالك فيها.

جاك : إذا كنا احنا بتوع البوليس نألف روايات كانت تبأه حاجة عظيمة أحنا اللى عايشين فى وسط المعمعة.

الكوميسير : أنت بالك (يقعد ويقلب فى أوراقه على المكتب) بدال حـوادث الحب البايخة وقضايا الزنا والأفش اللى بالك منه على المرسح .. خذنى بين ذراعيك حياتى لأجلك .. سأحبك إلى الأبد .. أعطينـى شفتيك المرجانيتين .. يادم تياترو بالهم والبـلا لاحـوه مـافيش مبادىء ولا أفكار إصلاح يا مونشير.

جاك : مافيش حاجة فى التياترو تخلى المتفرج يفكر حبتين.

الكوميسير : حق يحؤلك - لا ياسيدى فيه حاجة تخلى الشيخ يرجع لصبـاه برده في القافية والله يا سيدى لولا سـحن المتفرجيـن وكبشـة النسوان الحلوة ما كان التمثيل يبأله بهجة. نعمل إيه يا جاك أهـو مافيش تمثيل كويس بزيادة الكتاكيت والأطائيط .. إن فاتك اللحـم يا جاك أشبع بالمرأ.

جاك : دا طبعاً.

الكوميسير : (يبص فى الساعة) واحدة إلا ربع لحأنا - أنت عارف أنا مـش عوزك الليلة يا مسيو جاك - حاشتغل لى شوية .. مع السلامة يـا سيدى تصبح على خير.

جاك : أسعد الله مساك (يخرج ثم يرجع) من حق يا جناب الكوميسير.

الكوميسير : (يرفع رأسه) خيراً ؟

جاك : المآلة.

الكوميسير : مآلتك .. آه من حأ أنا آبلت لك مدير البهلول.

جاك : وبعدين.

الكوميسير : وبعدين يظهر أن مقالتك مش تمام مش مليانه مش (يعمل حركة تدل على فكرة) بدى أقولك مش حقيقة لازم المقالـة تكـون ذى السمكة فى المية يتلعب ويتتلوى كده وتفتح النفس. مآلة يعنى بنت باريز.

جاك : لكن يا جناب الـ .. دى مقالة جد دا بحث اجتماعى دا مسئلة عمرانية .. دنا عنيا طلعت لما جمعت المعلومات الهايلة دى عن نظام البوليس والإدارة فى مملكة بطالونيا إزاى يبقى مدير الجرنال عاوز مقالة بنت باريز مين واحد بيكتب له مقالة عن مملكة أجنبية.

الكوميسير : وأنا اعمل لك إيه أنا أنت تعرف.

جاك : يا خى على كل حال أنا أشكر جنابك .. وآل بنشتكى من انحطاط الصحافة.

الكوميسير : صحافة .. صحافة إيه يا شيخ دا كل شىء عندنا منحط الصحافة والتمثيل وذوأ الجمهور والبوليس والدنيا كلها منحطة داحنا عايشين فى زمن يعلم ربنا ولكن ينفع بأيه كتر الكلام - سيبك أهى ماشية .. تصبح على خير (يخرج جاك). (بعد قليل يشتغل الكوميسير وهو يصفر ثم تسمع غوغاء خارج الأوده صوت رجاله وبينهم مره بتستغيث وتصرخ يتصنت الكوميسير ويبرم شنباته ويصلح هيأته زى اللى عاوز النسوان تبصبص له وبعد ذلك يدخل العسكر ساحبين فلورا طانبور).

فلورا : وحوش مجرمين ماتختشوش على عرضكم لما تبهدلوا واحدة حرمة .. ماتعتأونى بأه ياغيلان.

الكوميسير : جرى إيه .. إيه المسألة هو أنت كمان المرة دى.

عسكرى : أيوه يا حضرة الكوميسير هى بعينها ضبطناها الليلة بتعاكس الخلأ أدامنا على رصيف الضبطية.

فلورا : كدابين .. أنتو متوحشين.

الكوميسير : أخرسى .. أنت جنسك إيه؟ فى ليلة ذى دى فى البرد ده والبرنيطة دى دا يمكن ضبطوك عشرين مرة قبل المرة دى.

عسكرى١ : أوأفى ساكتة.

عسكرى٢ : أكتر من عشرين مرة يا جناب الكوميسير يمكن تلاتين مرة بالميت.

فلورا : صحيح.

الكوميسير : دا جزاء طيبان ألبى وحنيتى عليك أكمنك مرة غلبانة.
فلورا : بس سيبونى أذرعتى بتوجعنى مش ناقصة إلا تفأعونى عـــلأة بوليس.
عسكرى١ : ياللا يا مرة يا أرشانة.
عسكرى٢ : هس.
فلورا : يا جناب الكوميسير الحأ مش علىّ الحأ على الوحوش دول.
الكوميسير : اخرسى (إلى العسكر) سيبولى المتهمة أنا ما أخافش من العينـــة دى والله لأشوف لى معاك سكة وأخلص عليـــك. أدام الضبطيـــة ماتختشيش وكمان فى بيت الوالى وتسكرى.
فلورا : أما كده ولا بلاش.
الكوميسير : بتتعدى على أثناء تأدية وظيفتى – حضرتك عاصية ومزبلحـــة. دا اسمه انتهاك لحرمة الآداب يا حرمة.
فلورا : الله .. الله.
الكوميسير : (للعسكرى) دستور أنت وهو وأنت (لفلورا) يا مرة إياك تهيجى علىّ وأنا لوحدى.
فلورا : يا حضرة الضابط بس اسمع لى كلمتين.
الكوميسير : بس هس اسمك إيه (تسمع أصوات جزم العسكر وهم خارجين) انطقى (الاثنين يتصنتوا كويس وأخيراً يضحكوا وتيجى فلورا تقعد على حجر الكوميسير ويحضنوا بعضهم).

المنظر الثانى

فلورا : آه يا كتكوتى .. يا كتكوتى .. يا كتكوتى .. أنت كتكوت مين ..
الكوميسير : كتكوت فلورا الحلوة الغندورة (يضحك) وأنت أطأوطـــه ميـــن أألعى برنيطتك.
فلورا : (تقلع برنيطتها وتوضعها على المكتب وتقلد الكوميسير) هـــس بس اسمك أيه .. دانت تخوف اللـــــى مـــا يخـــافش (يمرجحـــها الكوميسير على ركبته ذى ما يعملوا للأطفال) بس يـــا هيكتـــور بزيادة وحياة أبوك.
الكوميسير : حج حجيج بيت الله .. حج حجيج بيت الله.

فلورا : تعرف أنهم فصصونى الليلة.

الكوميسير : يا ألبى يا أطأوطة - يا كرنبتى يا بدنجانتى - يا أرعتى.

فلورا : تعرف دى جنتى مباعة زى أرض الملايكة.

الكوميسير : دى لوقت نشوف المسألة دى (يجى يمسكها مسكة من الله بـالك فيها فتمانعه وتتخلص منه) الله مالك.

فلورا : لأ ياخويا بزيادة الملعوب دا بأه دول الليلة ستقونى تستيفة طيبة (تقوم تدعك فى دراعها) بكرة تشوف واحد منهم يكسر لى حتة من جسمى وأنت تقولى إنك بتحبنى.

الكوميسير : (ينهض ويقرب منها ويحاول تدليعها) أمال ده إيه ده لما هواش حب ده حب بتاع أهل زمان. حب محفوف بالأخطار والحوادث ذى حب روميو وجوليت بلكونات فى نور القمر وسلم التسليم اللى يطلع عليه الحبيب لحبيبته حب اليوم ذى الخرشوف ألبو فاضى حاجة ماتلذش أنا عاوز حاجة تمام ذى شغل شكسبير.

فلورا : بتأول إيه.

الكوميسير : بؤول زى شكسبير.

فلورا : شكسبير ده إيه - واحد ضابط بوليس زيك.

الكوميسير : يا عيونى على جهلك المطبق يا ألبى على مخك الفاضى (تظهر علامات الكآبة على فلورا) مالك.

فلورا : ما .. ماليش.

الكوميسير : لأ مالك .. لازم فيه حاجة.

فلورا : أأول لك الحأ الحال ده مش عاجبنى.

الكوميسير : آمال عاوزه إيه.

فلورا : يجرجرونى كده فى السكة زى البنات البطالين. دا كان يمكن شىء يضحك فى الأول لكن دلوأت دا شىء بيتعبنى ولا أأدرش عليه.

الكوميسير : وبعدها لك.

فلورا : دا شىء يذلنى وألبى حاسس أنك حتبأه تجينى أقابلك فى عربية المحابيس علشان ده يبأه زى حب أهل زمان بالأوى.

الكوميسير : ما تزوديهاش.

فلورا : نهايته أنه ما بآش فى للحاجات دى.

الكوميسير : وده كله علشان خيالك ما يساعدكيش على فهم لذتها ماتستوعبيش طعمها ما أنتش شاعرة بالفطرة ماعندكيش كيف للعواطف القوية ماأنتش مرة حساسة.

فلورا : أنا (تحسس له فى شعره وتبص له فى عينه) برده مانيش مرة حساسة .. نسيت بالعجل يا هيكتور .. خلى بالك للى بتأوله.

الكوميسير : فاهم برده قصدك لكن بدى أؤول لك إنك ما أنتش حساسة فى الحاجات العقلية أما المسألة الثانية أنا برده واخد بالى أنت كويسة علشان حب السرير أما أنا عاوز الحب الثانى اللى مانيش أأدر أفهمه لك الحب المحفوف بالمهالك الحب الخطر.

فلورا : أعمل أيه أهى خلقتى كده .. أنت .. أنت مايعجبكش العجب ولا الصيام فى رجب.

الكوميسير : تعالى أومى بنا (يسحبها على الكنبة).

فلورا : (تمانع مبدئياً وبعدين تأعد على حجره) عندهم حأ برضه يا كتكوتى لكن أما أقول لك شوف لنا حاجة تانية بأه – لازم تكون تعرف طريقة ثانية .. بيأه عيب وأنت من رجال الأمن العام ولا تعرفش طريقة لمقابلة أرنبتك.

الكوميسير : والله ما عندى فكرة ثانية – ما فيش غير ده يلذنى وكمان لازم أحافظ على مركزى .. واحد زى حالتى ما تهموش نفسه أد ما تهمه وظيفته وكمان مراتى ابتدت تغير وبتبصبص علىّ. وحتى الليلة لأيتها وأنا جى آعدة فى عربية ومتبرأعة ووأفة متربصة لى مع سبق الإصرار علشان تشوفنى حارجع على الضبطية ولا حبات بره لأ ودى مرة جهنمية تأدر على الكبيرة.

فلورا : مراتك – مراتك (تبص له) لكن من حأ قل لى أنت جى منين كده الليلة هيأه أوى وأيافه.

الكوميسير : من التياترو.

فلورا : من التياترو – مراتك (كأنها بتعيط) أنت مابتحبنيش.

الكوميسير : أنا أزاى ماباحبكيش.

فلورا : والله فرغ حبى من ألبك.

الكوميسير : مابحبكيش دنا أعبدك. أدينى حنكك.

فلورا : (تسيب نفسها له) حأه الحاجات دى ما تتأخرش عنها.

الكوميسير : (بهيئه مضحكة) أدينى شفايفك أنا ما أحبكيش هو أنا لو كنت ما أحبكيش كنت أخليكى تستنينى طول الليل على رصيف الضبطية فى المطر والوحل والبرد والتلج ده وكنت أخليكى تتضربى وأسيبك للعسكر دول ولاد الكلب وأعرضك للنزلة الشعبية والسل الرئوى .. بس خلى بالك حبتين يابنتى .. التضحية دى كلها اللى ترقى العقل وترفع الروح .. الإنسان مايطلبش الحاجات دى إلا من الناس اللى يحبهم بكل جوارحه.

فلورا : أهو كلام.

الكوميسير : أنا بأول كده علشان دا شىء طبيعى أنا حاسس به. ما أرتيش روايات بورجيه تملان بخمر التضحية متمتع بآلام الوجع متألم بنعيم الهناء.

فلورا : ده كلام فاضى.

الكوميسير : إزاى كلام فاضى يابت. دى الحقايق البسيكولوجية الطبيعية النفسانية .. اللى بيضايئنى منك اللى بيفلأنى فيك أنك بتحوجينى أأول الحاجات دى ولكن نسوان غيرك من اللى اطلعوا على مؤلفات المسيو بورجيه الواحد مايحتاجش يقول لهم حاجة من دى.

فلورا : يمكن بتحبنى شوية لكن ما بتخدمنيش (يظهر مخالفته لهذا الرأى) وبرضه مهما كانت حالتى لازم تحترمنى شوية.

الكوميسير : إلا كده دى المسألة زادت باين عليك مجنونة. آدى ظلم النسوان ونبذبتهم.

فلورا : لا لا (يحاول مداعبتها) سيبنى أنا باجى هنا فى ميعاد وصال وكأنهم جايبنى على سجن سانلا ذار.

الكوميسير : أهو ده اللى يعجبنى.

فلورا : صحيح ولا بتضحك.

الكوميسير : لا والله بأقول جد أهو ده على موضة شكسبير .. كوني أخليكى تعدى على عساكرى كأنك بنت من بتوع الليل والحقيقة أنك أنت رفيقتى العزيزة .. رفيقتى المعبودة بقا ده كله حب ولا هوش عاجبك هندزى كلامك.

فلورا : هيكتور.

الكوميسير : لا لا دى حالة تكسر القلب وتجرح الخاطر (بتهيج) مين احترمك يا بنت أنت أكتر منى يعنى .. واحترمتك كمان من كل ناحية تقدريش تقولى على يوم أنى دفعتلك فلوس أجرة مقابلتنا.

فلورا : حقا إلا دى.

الكوميسير : أدتكيش يوم صلدى.

فلورا : أبداً.

الكوميسير : طيب أديكى شايفة.

فلورا : لكن ده مش موضوعنا.

الكوميسير : أزاى هو فيه موضوع غير كده.

فلورا : قول اللى يعجبك أنا بيدايئنى المجى هنا وبرده مهما كانت الأحوال باختشى شوية وأنا أأكد لك أن مجيئى هنا بيقطع على لذتى. إلا من حأ ليه مابتجيش أنت عندنا.

الكوميسير : مستحيل.

فلورا : دا بيتى لطيف وكويس وكله حرير أخضر وأحمر ومافيش ريحه دخان ولا عسكرى زى الضبطية بتعتك دى وهو البيت هنا قريب فركة كعب ياللا بينا يا هيكتور.

الكوميسير : مش ممكن.

فلورا : دى أمى تطبخ لك على كيفك.

الكوميسير : لأ .. لأ

فلورا : ده هنا مافيش حاجة أبداً .. طاوعنى وتعالى عندى والا يوم كده ويوم كده عندى ويوم عندك.

الكوميسير : ومراتى ياختى ماهش خاطرالك على بال وإذا كانت مراتى بقا تقفشنا وأحنا الاثنين كده طيب وتقول لى من فضلك يا حضرة الكوميسير افتح محضر زنا لحضرتك.

فلورا : وماله ماهو يبقى شيء يضحك ما أنتش بتقول لي دلوقت أنـــك تحب الإحساسات النادرة والحوادث المهيجة.

الكوميسير : طق طق سيبك من الكلام الفارغ ده أحنا هنا على كيفنا (يمسكها من خصرها) هنا كل شيء على كيفنا.

فلورا : (تبعد أيده عنها) سيبني سيبني أنت ماتستهلش تمســـكني مـن خصري.

الكوميسير : أنا واحد عندي مزاج وعندي خيال بيشتغل وإحساساتي كلــــها مخيخي .. أنا راجل على كيفك متوحش .. أما تخشي على كـــده وشعرك محلول وهدومك مقطعة زي اللي عاملين فيـــك حاجـة وترفصي بايديك ورجليك زي العصفــور المجـروح وحواليـك العسكر المهمين بتوعي دول حالاً بأه كل حتة فيّ تتنبه آهو منظر مبهج منعش مفرح منبه للأعصاب في الحال آهو أنا كده والسـلام (يحاول حضنها).

فلورا : تقوم أنت بتزهأني في عيشتي وفيك .. راجل محـــب لنفســك وخباص عجوز وحلوف كبير ولا بتقوليش إلا كــــلام فـارغ .. ومراتك وأنا مالي ومالها يا سيدي على الجزمة .. وأنـــت حتـى محجوز وأنا أقدر أعرف وأنت حد يوصــل بحـرك علـى أرار (ينهض) دا التياترو يا سيدي .. حضرتك رايح فين رايح التياترو وجي منين جي من التياترو.

الكوميسير : دي أشغال وظيفتي النهاردة.

فلورا : أيوه يا خوية وظيفتك .. وطظ على وظيفتك دي.

الكوميسير : فلورا.

فلورا : اعتقني حل عن كتافي.

الكوميسير : اسمعي يا بت بزيادة بأه فلقتيني .. تعرفي يا فلورا أنني ماحبش الخناق ولو كنت أحب الخناق والردح كنت أقعد في بيتنـــا جنـب مراتي تأدر تردح وتديني لما تلطيني وتزيد كمان.

فلورا : طيب ما تقعد في بيتكم ومين ألك تسيبها.

الكوميسير : فلورا (يجري وراها).

فلورا : طظ.

الكوميسير : اسمعى ..

فلورا : طظ.

الكوميسير : أنا بأقولك أنك غلطانة.

فلورا : طظ .. طظ

الكوميسير : (بتهيج) أنت يا بنت متعرفيش الغضب والعند يعملوا إيـــه فـــى واحد ضابط بوليس زى.

فلورا : ها .. ها .. ها (يسمع أصــوات ووقــع أقــدام فـــى الفســحة فالكوميسير وفلورا يقفوا ويصنطوا).

الكوميسير : وبعدها لك فيه أيه كمان.

فلورا : مين عارف يا سيدى يمكن واحدة رقيقة ثانية جيبنها لك.

الكوميسير : هس أحسن جايين هنا (يجرى يقعد على مكتبه) أقفى مترح مــا كنتى واقفة والبسى برنيطك بالمقلوب بالعجل زعقى لى أشــخطى فيه اشتمينى حتى ولا تخافيش بهدلينى أحرقى لـــى الأخضريــن أتعدى على أثناء تأدية وظيفتى.

فلورا : (بتلبس برنيطتها) صحيح عاوز أعمل فيك كده.

الكوميسير : أمال أنا بقولك أيه من الصبح ياالله شدى حيلك ألعنى لى أرمـــة أبو جدى. (يفتح الباب ويدخل عسكريان ومعهما رجل شــحات) أخرسى أخرسى بقولك أنت مرة مزبلحة.

فلورا : مش صحيح الكلام ده .. دول كذابين .. دول وحـــوش .. دول أتالين أتله دول أطاع طريق وأنت متوحش وعكروت وخشنى.

الكوميسير : كويس كتير مرسى اسمك أيه.

فلورا : هلفوت (العسكر يسيبوا الشحات وعاوزين يهجموا على فلــورا ويشاوروا لها بأيديهم وينظروا لها نظرات وحشة قوى).

المنظر الثالث

عسكرى١ : يا لطيف.

عسكرى٢ : على الحجز.

الكوميسير : سيبوا لى المرة دى لسه ما انتهتش منها دى باين عليها مشاغبة دى الوقت اتنبه لها (يشاور على جونى) ده إيه ده (إلـى جونـى نفسه) أيه المسألة (يبص له كويس) هه هه سحنة مزروتة بتعمـل أيه فى الشوارع فى الوقت ده.

جون : (يرفع برنيطته ويدعك فى دراعه ويبص لفورا بانعطاف ويتكلم بلطف) وأسفاه يا حضرة الكوميسير الفقرة أمثالى مالهمش وقـت يروحوا فيه بيوتهم.

الكوميسير : مالهمش وقت مالهمش وقت بتقول أيـه يعنـى مـن فضلـك متهزأنيش أثناء تأدية وظيفتى (يلتفت للعسكر) وأنتم ليـه يعنـى محطتهش فى الحجز من غير كانى ولا مانى.

عسكرى١ : ده دخل الضبطية لوحده يا حضرة الكوميسير.

الكوميسير : وماله يا سيدى دخول السجن مش زى خروجه يخـش بكيفـه ويخرج بكيفنا أحنا.

عسكرى١ : ده طلب مقابلة حضرتك حالاً (جونى يظهر علامات الموافقة).

الكوميسير : مقابلتى حالاً أما شىء غريب بقى إذا كان يجى كل مجرميـن باريز .. ويطلبوا مقابلتى حالاً فى الساعة ١.٣٠ بعد نصف الليل وأنا بشوف أشغالى فى المكتب تدخلوهم علىّ.

عسكرى١ : لكن يا حضرة الكوميسير.

الكوميسير : امشى اطلع بره (يشك العسكرى مقلب ويخاطب جونى) وأنـت أيه مسألتك حيث أنك دخلت على ..

جونى : (ببطء) الأمر وما فيه يا حضرة الكوميسير (يبتسم) أنا جـايب لحضرتك حاجة لقيتها من قيمة عشرة دقائق على الرصيف.

الكوميسير : على الرصيف كمان (يبص لفلورا) ده شىء يخوف الحاجـات اللى تلقيها الليه على الرصيف فى باريز.

فلورا : وبعدها لك ياسى ..

عسكرى١ : اخرسى يا مرة.

الكوميسير : سيبها سيبها أنا برده واخد بالى وبكتب لها مذكرة (للشـحات) قولى لقيت أيه يا سيدى على الرصيف ..

جونى : اتفضل يا حضرة الكوميسير (يطلع من جيبه محفظة جلد عال).
الكوميسير : أيه ده.
جونى : محفظة يا جناب الكوميسير محفظة جلد وحروفها مفضفضة ..
الكوميسير : محفظة (هأ هأ) شغل البقجة وطبعاً المحفظة فاضية ..
جونى : (بانكسار) اتفضل حضرتك افتحها وشوف ..
الكوميسير : تزعجنى أنا الساعة ١.٣٠ بعد نصف الليل علشان محفظة (يفتحها) إذا كان مافيهاش حاجة أعرف كويس (يطلع منها كبشة بنك نوت ويعدهم) يا سلام ده مش ممكن دهده أيه ده .. أيه يا راجل ده .. دى حوادث زى كتاب ألف ليلة وليلة دى لقية ده كنز عشرة آلاف فرنك حتة واحدة.
جونى : عشرة تلاف فرنك يا جناب الكوميسير أمال.
الكوميسير : يادى الداهية ده مبلغ وقدره دى ثروة ده بيت ملك فى محفظة ينهارك مقندل.
جونى : لما الواحد يلاقى فى جيبهم عشرة تلاف فرنك وماشين يتمخطروا بهم فى الشوارع وأحنا مش لاقين لقمة نأكلها حاجة تغم وتكسر الخاطر.
الكوميسير : وأنت لاقيت الأمانة دى.
جونى : أمال مين يا فندم أنا نفسى.
الكوميسير : لكن ده شيء غريب وأزاى لقيت العبارة دى.
جونى : مسألة بسيطة أدينى ححكى لحضرتك بالتفصيل آه الساعة كانت تيجى كده ١٢.١٥ وكنت ماشى أمام تياترو الفودفيل وقت خروج المتفرجين.
الكوميسير : وأنت حضرتك كمان من اللى بيحضر الروايات أول ليلة.
جونى : أعمل أيه يا جناب الكوميسير العيش عاوز الحركة ولكن المزاحمة بقت شديدة وكنت تعبان طول النهار ولا أكلتش حاجة ولا كسبتش ألا اتنين صلدى أداهم لى واحد خواجة أيافا زى حضرتك محلفط كرافته بيضاء وزرار قميص ألماظ وعصاية ذهب فتحت له باب العربية فآم رمى لى الاتنين صلدى برانى قليل

البخت يلاقى العظم فى الكرشة واحد مليونير زى ده يلقح لى اتنين صلدى مش حرام؟

الكوميسير : شيء محزن لكن حيلاقى مين أفقر منك يدهمله أوعك تكلم فى حق الأغنية أحسن أحنا من غيرهم منساويش بصلة ولو ما كنش فى الدنيا أغنيا كان واحد زيك كهنة يلاقى محفظة فيها عشرة آلاف فرنك على الرصيف فى الليل.

جونى : نهايته لما شفت الصلدين دول البرانى قلت نهار زى بعضه مشفتش يوم زى ده من قيمة ثلاث أسابيع الدنيا أزمة والتجارة واقفة والأحوال ملخبطة.

الكوميسير : خليك فى الموضوع وسبنا من كده.

جونى : (بصوت واطى) وأنا كمان عيان.

الكوميسير : سبنا من عياك دلوقت خلص كلامك.

جونى : الخلاصة أنى أنا ساكن فى ميدان انفرس جهة بعيدة شوية فصممت أنى أروح وقلت يمكن ربنا يرزقنى برجل طيب وألا بنت حلال لأنهم دول هم اللى بالك منهم أن كانوا رجالة وألا نسوان هم اللى بيحنوا علينا.

فلورا : مؤكد.

جونى : قلت يمكن تعطينى اتنين صلدى جوانى المرة دى مش برانى أجيب بيهم رغيف أفطر به الصبح وبعد ما مشيت يجيى بنصف ساعة من غير مقابل حد بصيت لقيت حاجة طرية قلت يمكن حتة زبالة وبعدين قلت يمكن دى حاجة تتاكل حاكم بخت الفقرة زى بعضه والحظ مبيخبلهمش حاجة كويسة ومع ذلك أنا مرة رأيت فى شارع بلنش فخدة أوزى حتة كانت أكلة أمت افتكرت فيها الليلة ووطيت ومسكتها ملقتهاش حاجة تتاكل ولقيت المحفظة دى ختها فى النور وفتحتها لقيت فيها البنك نوت ده ولا فيش حد فى الشارع ولا سريخ ابن يومين وحسيت فى ساعتها بالوحدة والفقر أرصنى حتة أرصة بصيت فى المحفظة ملقتش لا صورة ولا كرت ولا أقل حاجة تدل على شخصية صاحبها قلت فى نفسى دلوقتى أنا

ملزوم أروح على التمن أسلمهم المحفظة دى وأنا تعبان أما ليلـــة زى بعضها ودينى جيت أهه وكنت بدور علــى اثنيــن صلــدى وجدت عشرة آلاف فرنك يا خسارة.

فلورا : أما حتة دين مغفل.

جونى : ودلوقت يا حضرة الكوميسير الوقت راح وأعصـــابى مكســرة ولسه بينى وبين البيت مسافة فاسمح لى حضرتك بالانصراف.

الكوميسير : طيب استنه شوية متقدرش تروح كده دى حدوته أيه اللى حكتها لى دى ومين يصدقها.

جونى : وحياة رأسك ده اللى جرى.

الكوميسير : مصدأك برده باين عليك بتقول الحق ده أنت راجل أمين ده أنت بطل.

جونى : العفو يافندم العفو.

الكوميسير : أنت بطل مافيش شك وأنت راجل جدع.

جونى : ألا يا حضرة الكوميسير على فرض أن حضرة الشويشـــيه دول اللى لقوا المحفظة.

عسكرى١ : أف !

عسكرى٢ : الله أكبر.

جونى : والا الميدموزيل اللطيفة دى.

فلورا : أول للا !

جونى : ولا جنابك.

الكوميسير : أنا كنت أبقى راخر بطل .. عشرة آلاف فرنك فى شارع ضلمة بعد نص الليل أنت كنت تقدر تتصرف لكن الحقيقة أنك بطل.

جونى : ونفعانى بقه البطولة دى أهو أنا برده هو أنا والعيا بيشتد علـــى والأمور هى هى.

الكوميسير : متقلش كده ماتقللش قيمة نفسك ده عمل شريف ده عمل يستاهل الإعجاب دا أنت تستاهل جايزة الخواجة موتون ده أنت تســـتحق جايزة نوبل ألا بالحق اسمك أيه ..

جونى : اسمى جان جونى يا مسيو الكوميسير.

الكوميسير : وكمان اسمك جان جوني دى حاجة زى اللى بنسمع عنها فـــى الكتب وصنعتك بقى.
جونى : من فضلك.
الكوميسير : بتشتغل فى أيه بتعيش من أيه.
جونى : للأسف يا حضرة الكوميسير.
الكوميسير : بس تلاقى محافظ جلد ومليانة بنك نوت ده مش صنعة.
جونى : ماليش صنعة غيرها.
الكوميسير : أزاى ملكش صنعة مالكش حرفة تعيش منها.
جونى : العين بصيرة وجنابك أدرى.
الكوميسير : حضرتك من ذوى الأملاك.
جونى : ولا من ذوى الأربع أنا بعيش من الإحسان.
الكوميسير : (يهرش لنفسه) المسألة خسرت .. دى عبارة تزعل وأنا كنـــت دلوقت باحترمك ومعجب بيك بقى خلينا نتكلم بحرية .. حضرتـك شحات.
جونى : المسألة متقتضيش الافتخار حقول أيه بس أنا كنت أفضل صنعة ثانية.
الكوميسير : كسلان ومتحبش الشغل مقصر فى واجبات الوطن وأنت سـاكن فين.
جونى : ميدان انفير زى ما قلت لحضرتك.
الكوميسير : عدد كام وفى بيت مين؟
جونى : لأ ده أنا مش ساكن فى بيت ده أنا بنام على دكه فى الشارع.
الكوميسير : على دكه ..؟
جونى : أيوه على دكه تحت الشجر.
الكوميسير : أنت بتضحك علىّ.
جونى : لا والله يا حضرة الكوميسير.
الكوميسير : تبقى كمان خالى الصناعة وخالى السكن.
جونى : آه كده.
الكوميسير : المسألة خدت شكل تانى ده أنت لازم يكون لـــك ســكن بــأمر القانون.

جونى : أمر القانون شيء والفقر شيء آخر.

الكوميسير : راجل من غير سكن تعرف ده يبقى أيه.

جونى : يبقى غلبان.

الكوميسير : لا لا ده يبقى واحد مخالف واحد هربان من وجه العدالة واحد مجرم واحد متشرد أنت متشرد دانت مجرم يا جونى.

جونى : أنا مش متشرد ومش مجرم بس المسألة ماليش شغله وماليش ثروة ولما أمدّ إيدى مايدونيش إلا صلدى برانى.

الكوميسير : معلوم لأنك خطر على الأمن العام يا مسيو.

جونى : أنا خطر على الأمن العام يا جناب الكوميسير بص فى خلقتى حبتين بص فى أيدى ورجلى المكسرة دا أنا عجوز ومضحضح وأنا عيان وحالتى عبرة.

الكوميسير : العيا دى مسألة ثانية صحيح عندك مرض ولكن معندكش بيت وبناء عليه تدخل فى عداد المتشردين أنت صحيح بطل لكن بطل متشرد مافيش قوانين تكافيء بطولتك لكن فيه قوانين تعاقب تشردك أظن أنت مفتكرتش حاجة مندى وأنت بتوطى على المحفظة وقلت لنفسك دى مسألة بسيطة كونك تلاقى محفظة وتخدها شفت المسألة وصلت لحد فين.

جونى : أى والله لو كنت عرفت القانون ماكنتش خدتها المحفظة المشئومة كنت سبتها للأغنياء يلقوها.

الكوميسير : كنت تعمل طيب الفلوس بتاعت الأغنياء والأغنياء ياخدوا فلوسهم مترح ما يلقوها.

جونى : صحيح الأغنياء ماهمش زى الفقراء.

الكوميسير : عندك حق دلوأت بتقول كلام تمام لكن الوقت راح.

جونى : يعنى الواحد يتندم على الأمانة؟

الكوميسير : ماحدش قالك كن أمين المسألة مسألة احترام القانون ياتحترم القانون ياتشوف له حيلة وتلعب عليه النطة.

جونى : طبعاً لكن لازم الواحد يبقى غنى عشان يعمل كده.

الكوميسير : آه العبارة كده من المؤكد أنه ناس كثير فى مركزك مـــاكنوش يبينوا المحفظة دى إذا كانوا يلقوها ولا تقلكش أنك أنت مغفل اللى جبتها هنا بالعكس أنت عملك من جهة الأخـــلاق عمـل كويـس وتستاهل عليها مكافأة خمسة فرنك بعد ماتلاقى صاحب المحفظـة ولكن من جهة القانون أنت حطيت نفسك فى حتـة ديـن حفـرة النهاية يعنى قعدت على خازوق.

جونى : فاهم فاهم.

الكوميسير : اسمع منى كويس نصيحة تنفعك فى المستقبل مافيش فى القانون مادة تلزمك بوجود محفظة ماليانة بنك نوت فى الشارع ليلاً (يأخذ فى يده نسخة من القانون) خد اتفضل فتش لى على المادة.

جونى : فاهم يافندم فاهم.

الكوميسير : ولكن فيه مادة تلزمك بوجود بيت ومحل سكن وكان أحسن لـك تلاقى بيت ولا تلاقيش المحفظة دى.

جونى : فاهم كويس وبعدين.

الكوميسير : أنا حاوجد لك سكن على كيفك يابطل.

جونى : صحيح.

الكوميسير : بالشرف.

جونى : كتر خيرك ياسيدى.

الكوميسير : أديك الليلة حتآنس على الأسفلت عندنا حتكوع فى بيت خالتك.

جونى : طيب الأمر لله.

الكوميسير : وبكره الصبح يا بطل من الفجر على السجن العمومى.

جونى : على السجن العمومى.

الكوميسير : أيوه أمال.

فلورا : أما بس بقى دى مكافآته ده ثمن الأمانة عندكم.

جونى : ده أيه ده.

الكوميسير : طلعوا الراجل ده بره حطوه فى الحجز متضربهش كثيراً أحسن ده بطل.

فلورا : يانهار أبيض.

العسكر : ياالله على بره يا بن الـــ (يجرجروا الراجل على وشه).
جونى : أما مصيبة.
عسكرى١ : ياالله يا بطل.

المنظر الرابع

فلورا : أنت بتهزر ولا بتقول جد.
الكوميسير : بهزر فى أيه؟
فلورا : صحيح حتودى الراجل العجوز المسكين فى السجن العمومى.
الكوميسير : مؤكد.
فلورا : بالشرف.
الكوميسير : والله صحيح.
فلورا : أخص عليك.
الكوميسير : متزعقيش العسكر مهماش هنا.
فلورا : لأ المرادى أنا بزعق من قلبى وبشتمك على حســـابى يـــانطع داهية تخبيك أنا مش عوزاك تقرب لى جتك الغم فى خلقتك.
الكوميسير : أنت فلقتينى.
فلورا : أنا فلقتك ولسه أنت شفت منى أيه.
الكوميسير : طيب اتفضلى اطلعى بره أمشى من هنا.
فلورا : لا مش طلعه.
الكوميسير : مش عاوزة تخرجى.
فلورا : لأ مش عاوزه أخرج.
الكوميسير : طيب وهو كذلك.
فلورا : طيبين وهو كذلكين.
الكوميسير : على راحتك (يدق جرس كهربائى).
فلورا : بتعمل أيه.
الكوميسير : دلوقت أوريك. (يدخلو العسكر) .. خدوا المرة دى.
فلورا : الله صحيح ولا بتضحك.
الكوميسير : خدوها على الحجز.
فلورا : الله.

الكوميسير : بكره أشوف مسألتها.
عسكرى١ : دحنا مستنين من الصبح.
عسكرى٢ : أديكى وقعتى (يجرجروها على وشها).
فلورا : لأ ماروحش الحجز.
عسكرى١ : يالله يامرة.
عسكرى٢ : اخرجي.
فلورا : سيبونى ياولاد الكلب يامتوحشين ياقطاع الطريق.
عسكرى١ : اخرسى (يضربها).
الكوميسير : ماتضربوهاش أوى أحسن دى بطلة.
عسكرى٢ : لكن دى متهيجة (يسمع صراخ وبكاء وخلافه) (يدخل جاك).
الكوميسير : (يقلب فى المحفظة) أما مغفل النسوان دول الواحـد مـايقدرش يقعد معاهم أسبوع مستريح (ينهض للخروج).
جاك : من فضلك يا حضرة الكوميسير.
الكوميسير : هو أنت لسه هنا أنت مروحتش.
جاك : يا حضرة الكوميسير.
الكوميسير : اتفضل روح.
جاك : يا حضرة الكوميسير أنا صلحت المقالة خلتها زى السمكة اللـى بتلعب فى المية.
الكوميسير : يالله روأ أدينى عرض أكتافك ولا أحطك أنت راخر فى الحجز (يديله شك مقلب) .. (ستار).

حبيب القلب وحبيب الجيب

تمثيلية مضحكة في فصل واحد

26.9.948

968

[illegible]

[illegible]

المنظر الأول   فردوس - حسني

[illegible] (فردوس [illegible])

فردوس [illegible]

[illegible]

حسني [illegible] يا فردوس [illegible]

[illegible] فردوس [illegible] فردوس

Political Censorship

Passed

فردوس [illegible] يا [illegible]

حسني [illegible] ؟

فردوس [illegible]

حسني [illegible]

فردوس [illegible]

[illegible] OF THE THEATRE [illegible]

حسني [illegible]

[illegible] يا فردوس [illegible]

[illegible]

فردوس [illegible]

حسني [illegible]

فردوس [illegible]

[illegible]

حسني [illegible]

[illegible]

[illegible]

فردوس [illegible] أجرة الخياط . أجرة الخياط [illegible]

قاعة جاوس حديثة باب فى مقابلة المشاهدين وبابين على الشمال واليمين وكنبة وكراسى ومائدة والحوادث فى القاهرة.

المشهد الأول

فردوس – حسنى

جالسين على الكنبة يلعبان ورق كوتشينة (فردوس تعد ورقها)

فردوس : الدوه بواحد والعشرة الطيبة بواحد والسبعة الإسباتى يبأه أربعة و١٢ ستاشر سامع ستاشر العشرة أربت! إألطع الورأ ما تقطع أمال وألا أوم أسهل.

حسنى : (يرمى الورق) الحق بيدك يافردوس أدينى قايم (ينهض ويأخذ عصايته وطربوشه وتنهض فردوس فيجىء بجانبها)، فردوس.

فردوس : (تتركه وتتجه نحو باب الشمال) مع السلامة يا عنيا.

حسنى : على فين؟ إيه.

فردوس : زى ما أنت شايف داخله أودة النوم أستريح لى شوية.

حسنى : طيب أستنى أقلوه لما أنزل يعنى هو النوم وعد.

فردوس : (تقف) اتفضل ورينى عرض أكتافك.

حسنى : (يتضايق ثم يرمى طربوشه وعصايته على الترابيزة) أنا مانيش عارف لك حال يا فردوس ساعة ما جيت قابلتينى بموشح ولما شوفتينى زعلت لاعبتينى كوتشينة ولما زهقت من الكتشينة طردتينى.

فردوس : الحق عليك ليه جيت متأخر بعد ما فات ميعادك.

حسنى : أنا كنت فاكر إنى ألدر أجى زى ما أحب.

فردوس : تجى زى ما تحب محفض بالصالحين هو حضرتك اشتريتنى وسجلت حجتى بالدلعدى. كل إنسان حر نفسه.

حسنى : شايفة بأه طبعك ونا لسه دافع أجرة خمس فساتين لماريه الخياطة والفلوس ملحأتش تبرد مش على الأقل تفرحينى وتخلينى تملى أدفع لك اللى عليك حتى كمان مافيش كتر خيرك.

فردوس : على الشبشب أجرة الخياطة. أجرة الخياطة دى أيه كمان بأه اللى بتعايرنى بها يا راجل.

حسنى : ماتنسيش أنى ماكنتش ملزوم أدفعها دا لطف منى، وأنت عارفة.

فردوس : ده لطف فى عقلك. عارف أيه فلأتنى باللى عارفاه دانت زهأتنى فى عيشتى بأحوالك البيه يصحى من النوم وخاعف وسعادته يتغدى فى اللوكاندة مع أخوانه ويفضل يفنجر فى قهوة الشيشة ياخد نفسين وبعدها يتفسح فى الجزيرة وحلنى على ما يدور ويجى لى يدندن وأنا مربوطة لك هنا لا جواز نعرفه ولا حب بنشوفه ولا فيه يوم تهتم بمصلحتى وتدبر لى حاجة لمستقبلى.

حسنى : مصلحتك ومستقبلك دول أيه كمان.

فردوس : مش كنت قلت لى أنك حتكتب لى نص بيت فى سوق السلاح.

حسنى : أنا والله مشغول اليومين دول وأدينى كنت عند الخياطة.

فردوس : بأه الخياطة عطلتك عن كل شىء كده اتفضل بأه.

حسنى : أما شىء غريب لا مانيش نازل.

فردوس : اتفضل أأعد زىّ ما أنت عاوز (تتركه وتدخل).

المشهد الثانى

حسنى : أما أنا حتة دين مغفل الحق علىّ استاهل ضرب البراطيش زمان كنت هايص مع بنت الكلب دى كان واحد عجوز وغنى حايزها وكان مدايقها فى عيشتنا حبتين ولكن كنت مبسوطة والسلام أمت حضرتى بسلامتى أردت أنى أكون أنا الرفيق الرسمى بعد ما كنت حبيب القلب بقيت حبيب الجيب ليه يعنى ياسى حسنى ما كنت فى نعيم وكنت آعد مستريح على قفا غيرك آل يعنى مسألة عواطف ورقة إحساس معلوم شىء يزهأ ثلاث أشخاص فى بيت واحد راجلين يحبوا مرة واحدة وواحد منهم يستخبا على الثانى لازم بأه المرة تكون بنت حنت ومضربة ولازم يكون الواد حبيب القلب راضع من لبن أمه نهايته زهقت شىء لما يطول يدايق وغير كده طلعت فى دماغى أنى أحسن مركز فردوس وأرقيها وأخليها بنى آدم مثلاً المضروبة كانت ماشافتش أمها بقالها خمس سنين لأن الاتنين زى الضراير ما يقعدوش مع بعض خمس دقائق من غير ما ياكلوا وش بعض قمت صالحتهم وخليت المرة الكبيرة تبقى تجى هنا علشان تونس بسلامتها والبنت برده فهمت قيمة حبى لها ولكن مسألة النقدية مش على كيفها

وحاكم هى زى البلاعة ما تبطلش طلبات كل يوم حاجة جنس لكـــن الواحد يقول الحق البنت مش بدها تأشطنى لا. لكن بدها تنتفنى وأنـــا ما حيش النتف ده لكن برده هى معذورة لأنها سابت العجوز الغنـــى علشان خاطرى وهى لسه صغار وحلوة وأمينة على عرضها أمينـــة تمام لأنها قالت لى إمبارح لما كنا بنتكلم على أيام زمان لـــو كـــانوا يعملوا لى البحر طحينة ما بقتش أرجع زى زمان يعنى تجمع بيـــن راجلين أما كونها كانت بتخون العجوز علشانى دى مسألة نشـــأة لأن جمالى فتنها. أهى دى التسلية الوحيدة (تخرج فردوس وخلفها فـــهمى ماسك خصرها ولكن حسنى لا يراه فتتخلص منه وتقفل عليه بـــاب أودة النوم).

المشهد الثالث

فردوس : الله هو أنت لسه ماتسهلتش؟

حسنى : أظن ما يصحش أنى أمشى من غير ما أسلم عليك بالله تقولى لى يا فردوس ليه يعنى كده مشددة فى خروجى هو أنت خارجة.

فردوس : أبداً.

حسنى : بأه مستنية حد.

فردوس : ولا مستنية حد ولا سبت حأه مافاضلش إلا كده أعمل لى بأه موشح وغير علىّ من غير مناسبة وخانقنى. خذ طربوشك يا حبيبى وســـلم علىّ وأسهل ولا بعدين حتخليها خل ما فيش لزوم بأه اللى جره يكفى.

حسنى : طيب أمرك أمتى أشوفك؟

فردوس : زى ما تحب (يمشى نحو باب الخروج توصله يتردد ثم يخـــرج) أف أهو انكشح. كنت زمان أموت فيه ودلوأت ما أطيقـــش أشـــوف سحنته زى اللى وشه اتقلب (تروح عند باب الشمال) فهمى فهمى.

المشهد الرابع

فهمى – فردوس

فهمى : (تعبان أوى ويتمطع ويتثاءب) لا لا بزيادة بأه ما بقتش أقدر علـــى دى الحال.

فردوس : خليك لطيف يا فهمي مالك مبوز ليه ياالله يا بابا صلح الترابيزة دى لم ورق الكوتشينة وخبيه من قدام عينى أحسن بيفكرنى بالتقيل اللـــى نزل حطه فى الدرج.

فهمي : خدام على آخر الزمن أرتب اللى نكشه حضرته نمرة واحد (يوضب كما أمر).

فردوس : تعالى جنبى بأه بتفكر فى إيه.

فهمي : بفكر فى حالتنا. حالتنا أحنا التلاتة.

فردوس : ده موضوع ما يسليش ما تفكرش فى حاجة زى دى.

فهمي : وأنا كمان رأيى كده إذا كان كده نوقك فى القعاد مع بعضنا طـــول النهار أنا جوه الخزنة دى وأنت وصاحبنا فى الصالة.

فردوس : صاحبنا. أحمد ربنا أحسن لك.

فهمي : يعنى إيه.

فردوس : ما بقتش تأرب هنا يا مضروب والله ماتستاهل كل تعب القلــب ده لسه مبوز أضحك حالاً أفرد بوزك كمان أيوه كده.

فهمي : أنت تحبينى يا فردوس.

فردوس : أيوه أحبك وإذا كنت ما أحبكش ليه أحوشك وأتعلق فيك يعنى مــن كبر كيسك ولا من كتر فلوسك.

فهمي : أدى اللى كنت خايف منه.

فردوس : خايف من إيه حد يخاف من الحق إذا كنت مفلس الحق مش عليك الحق على اللى خلفوك.

فهمي : مفلس.

فردوس : طبعاً الشبان اللى زيك كلهم على الحديدة يا حظ ولكن ما شــفتش حد باطه والنجمة زيك.

فهمي : أنا باطى والنجمة. أنا ما أحبش أسمع الكلام ده ولا أحب أن الحالـــة تستمر على كده يا ستى.

فردوس : يا واد !!

فهمي : مين عارف يا فردوس يمكن أصبح بكره ألاقى نفسى مـــن أربـــاب الأطيان.

فردوس : ربنا يسمع منك مين عارف يمكن تصبح بنكير.

فهمى : كفاية على الواحد تركة تطب له من السما.

فردوس : الواحد روحه تطلع على ما يموت اللى حيورثه.

فهمى : لكن برده بيموتوا الكبار والصغار بيورثوا مهما طال الزمن إيه رأيك يا أموره إذا ورثت لك حتة دين تركة تكفينا أحنا الاثنين نعمل بها أيه؟

فردوس : المسألة فى أيدك أنت.

فهمى : فى أيدى أنا لوحدى.

فردوس : أمال عاوزنى أقول لك أيه معلوم إذا كنت تغتنى وتقدر على مصروفى أسيب الدنيا كلها علشانك.

فهمى : صحيح تسيبى صاحبنا ده نمرة واحد وتبقى لى أنا لوحدى.

فردوس : ده طبعاً وفى ساعتها.

فهمى : كلام شرف.

فردوس : ونص وربع أنا باتمنى اليوم اللى أأدر أعيش فيه وياك بكل حرية ونفرد ألوعنا ونتخلص من البأف ده اللى لازق لى ولكن راخر معذور لأن ده بيته وأنا بتاعته وأنا وإن كنت ما أطيقوش إلا أنى ملزومة أحترمه وبيصعب على فى بعض الأحيان. كنت النهادرة حتخانق أنا وياه وننفصل ولكن رجعت صالحته علشان خاطرك قلت فى نفسى فهمى مش غنى لكن باين عليه ابن عز ولازم أفرفشه شوية فى بيتى أظن إنك منتش فاهم قصدى. الرجالة ما يفهموش الكلام ده. ده شىء نفهمه أحنا يا نسوان.

فهمى : الحال مش عاجبنى والسلام ولازم نعرف أخرتها.

فردوس : حنفضل اللى نعيده نزيده.

فهمى : قلبى حاسس يا فردوس إنك مانتش متهنية. وأنا كمان مانيش مبسوط بالكلية.

فردوس : وبعدها.

فهمى : مش آدر أغمض عينى للدرجة دى.

فردوس : تغمض على أيه.

فهمى : بأه مانتش عارفه هو اللى يحب مرة يطيق واحد تانى يـــأعد وياهـــا جنب منه.

فردوس : وإيه يعنى ما تقدرش تحبس روحك علشانى ساعتين تلاتة هنا مش أحسن من الشارع مين عارف كنت تقضيهم فين الساعتين دول.

فهمى : مش مسألة الوقت يا ستى لازم الواحد يقول لك بالمفتوح دى مســـألة غيرة وعواطف مسألة كرامة وشرف.

فردوس : غيرة وعواطف. هو أنت من اللى يهتموا بشرفهم.

فهمى : حاسبى ما تزوديش أنا شرفى مش لعبة فى إيدك أكمنى باحبك. أنـت بتحبينى صحيح ولكن يظهر أنى ماليش فى عينك أقل اعتبار.

فردوس : بلا كلام يا أهبل.

فهمى : لا لا أنت ما تعتبرنيش أبداً وتعتبرى دكها.

فردوس : لابد أحب واحد واعتبر التانى أنت عاوزه يطلع باطه.

فهمى : طيب أقعدى بالعافية.

فردوس : الله يعافيك يالدلعدى.

فهمى : انتهينا ما بأليش طأطان على دى الحال.

فردوس : اشمعني يعنى.

فهمى : لإنك أولاً متدايقة.

فردوس : مين قال لك.

فهمى : ثانياً أنا ما أطيقش الذل.

فردوس : وقت الكلام ده فات.

فهمى : يانا يا هو.

فردوس : عاوز تضعينى علشان سواد عينيك.

فهمى : أيوه ولا. أقعدى بالعافية يا فردوس.

فردوس : على كيفك الله يعافيك يا عنيا.

فهمى : يانا ياهو فى البيت ده (يخرج).

المشهد الخامس

فردوس : مشى سابنى من غير سبب وأنا لسه باحبه ليه يا عنى هو الحـــال اللى إحنا فيه من أمته ده من زمان وأحنا على كده لازم فيه حاجـــة

مخبيها عليّ آه يا فهمى. حرام عليك تعمل فيه كده من غير ذنب. ما هكذا تورد الإبل يا فهمى إن كنت غلطت سامحنى أول مرة وإن غلطت تانى مرة أضربنى لكن ماتسبنيش كده أبداً ولد حليوة لسه صغار .خفيف الدم ماتزهقش الواحدة من عشرته يا خسارته يا ميت ندامة عليك يا فهمى.

عيوشة : الراجل بتاع البوستة جاب جواب لحضرتك وواحد حمار جايب جواب تانى.

فردوس : شليهم عندك فى المطبخ وأديهم لى الجمعة الجاية.

عيوشة : الواد الحمار واقف على الباب ومستنى الرد وقال أنه من طرف سى فهمى.

فردوس : من طرف فهمى هاتى (تقرأ الجواب) حضرة الست فردوس هانم من بعد مزيد السلام والتحية والإكرام أخبر خضرتك إن عمى المرحوم توفى إلى رحمة الله ولذا لزم تعريفك هذا الخبر السار والمهم فى المسألة أن تركة المرحوم الله يحسن إليه تكفى أنى أعيش مبسوط مع واحدة ست فإذا كنت تحبينى زى ما أحبك فأحسن شىء نتفاهم فى المسألة دى وزى ما كان ماشى صاحبنا أمشى أنا تمام لا زيادة ولا نقصان .. يا حبيبى يا نور عينى عيوشة قولى للحمار يبوس لى البيه من بين عينيه ويشيعه حالاً.

عيوشة : حاضر يا ستى (لنفسها) أنا برده حاحط جواب التانى على الترابيزة علشان لما تشوفه تبأه تفتحه (تخرج).

فردوس : أما حتة عبارة أنا برده كان قلبى حاسس وكنت أقول فى نفسى لازم الواد ده عنده حاجة لأنه كان باين عليه جد ومتدايق من حالته هنا لكن يعنى عملها رسمى وكتب لى جواب ليه ما كلمنيش بلسانه هو فيه مرة تزعل من راجل يعرض عليها حبه وكيسه. لسه الواد أهبل لكن أنا سامحته بكره يدردح (تقصد الترابيزة) أدحنا انتهينا من صاحبنا الأولانى لما يجى فهمى يلائينى حرة نفسى أما أكتب لصاحبنا الأولانى جواب الرفت. رفته بسيط بطريق الاستغناء (تكتب على الترابيزة) يا حضرة النطع البايخ يا كريم على روحك وبخيل على

الناس يا بولسان طويل ويد قصيرة يا أسكندر الأكبر لكتبها يتفلق في كسحه يا أسكندر ذو القرنين بزيادة ما بستهلش النطع ده أكثر من كده الظرف بأه (تنظر تجد الجواب التانى) الله وده فيه جواب تانى دلوقت اقرأه على انفراد (تكتب العنوان) حضرة حسنى أفنــدى الشــربتلى خصوصى ومستعجل نهايته لما أشوف الجواب التانى ده (تتناوله) الله فاتنتى الجميلة ونور عينى فردوس هانم. اسمحى لعاشق متيم أن يعبد جمالك أننى أضع غرامى وشبابى تحت قدميك. إن لى فيك مزاحمين ولكن الحب الحقيقى لا يعرف العقبات كمال البرعى أما كلام لطيـف ومفهوم وحلو كمان. كمال إيه البرعى .. البرعى لازم عليه غنى من الأرياف.

عيوشة : (تدخل) حضرة فهمى بك حضر يا ست هانم.

فردوس : خليه يخش (تأخذ الجواب اللى كتبته للأولانى) خدى ده أرميه فـى البوستة ولا تخليش حد يخش علينا.

المشهد السادس

فردوس : أهلاً يا نور عينى.

فهمى : أهلاً بك يا حتة من قلبى.

فردوس : يامانا متعلقة بك يا خويا.

فهمى : حقه اسكتى وأنت آسية قوى .. عجبك مشروعى.

فردوس : إلا عجبنى.

فهمى : أيوه كده فرحينى بإنك قبلتى.

فردوس : البركة فيك كتر خيرك.

فهمى : أنا ما استاهلش شكر على كده يله نعاشر بعضنـــا بـــإخلاص وأدب ولطف وأنا ما اتأسفش على فلوسى.

فردوس : فلوسك معناها إيه يعنى. أصدك تقول فلوس المرحوم عمـــك. إذا كنت تحبه يالله بنا نطلع عليه الأرافة بشوية قرص وفواكه وريحـــان أهو طلعت رجب أربت. كان اسمه إيه المرحوم.

فهمى : حنطور بيه.

فردوس : الله يرحمه عم حنطور بك.

فهمي : بأه يعنى صحيح بتحبينى وحتطلعى الأرافة على عمـــى ولا انتيـــش متأسفه على صحبك القديم.

فردوس : متجيبليش سيرة حد إن شاالله يجينى خبره أنا ماليش إلا اللى قـدام عينى.

فهمي : خلاص يعنى قلبك مايل لى.

فردوس : قلبى مايل لك دانه وأعه.

فهمي : وهنا بأه زى بيتنا.

فردوس : وأكثر من بيتكم كمان يا حبيب ألبى (تبوسه).

فهمي : (ياخدها على الكنبة) فردوس تعالى جنبى واقعدى نتكلم حبتين يـــالله نتكلم زى الحبايب ومن غير تكليف ولاتجيبيش ســـيرة الفلـــوس ولا كأنى أحبك ولا كأنك بتأبضى ولكن لابد أنك تفهمى إنى وإن كنـــت مش عايز أجرح إحساسك إلا أنه فى مقابل المبالغ اللى حاكعها مـــن الآن فصاعد لابد يكون لى امتيازات وحقوق زى اللى كانت لنمـــرة واحد.

فردوس : ده طبعاً دى عاوزة كلام (تبص له).

فهمي : الله بتبحلأى فيه كده ليه؟

فردوس : هو النظر فى خلقتك بأه ممنوع وألا إيه؟

فهمي : يعنى إذا كنت أنا باجيب سيرة الفلوس ده مش معناه إنى زعلان وإلا ندمان.

فردوس : يمكن بكره تندم مين عارف.

فهمي : خلينى أكمل كلامى. بس يعنى إن شاء الله الفلوس اللى حاكعها تكون بفايدة ولا يكونش نصيبى منك زى نصيب صاحبك الأولانـــى لأنـــه أقولك الحق إن سلوكك معه كان شىء مخزى شىء بارد أنـــا كنـــت مبسوط لأنى كنت المحبوب الحقيقى ولكن أقول لك الحق لـــو أنـــه خطر ببالك إنك توضعينى مطرحه أنا ماعرفش تبقه حالتى أزاى.

فردوس : هم اقف شويه. دور ظهرك إيه ده الهندام ده.

فهمي : مش على كيفك. هندام حشمه وذوق ولايق لى تمام.

فردوس : لكن البدلة متخناك حبتين فى ظنى إنك كنت أنحف وأرق من كده.

فهمى : اسمعى قبله اللى بقول لك عليه.
فردوس : سامعه.
فهمى : إن شاء الله من هنا ورايح بدنا نستفتح بأه بعشرة جديدة ونظام جديد.
فردوس : قرب وطى راسك يا حلاوة شعرة بيضا (تطلعها).
فهمى : بدنا نستفتح بأه بعشرة جديدة.
فردوس : شعرة بيضا فى سنك ده يا رحمة الله على الشباب. يـــالله حســن الختام بالدلعدى.
فهمى : بدنا نستفتح بأه بعشرة جديدة.
فردوس : حأه المرحوم عمك الله يرحمه مات فى الوقــت المناســب مــادام راسك فيها شعر شايب.
فهمى : وبعدين يا فردوس مش عاوزه تسمعى لى.
فردوس : أدينى سامعه يا أخى بس دردش.
فهمى : من هنا ورايح إن شاء الله منتش حتعرفينى لشدتى لأنـــى حــاحرج عليك ماتقابليش حد من غير أذنى وأرتب معيشتك وأخـــرج معـــاك رجلى على رجلك وما أحبش كمان أنك تقرى كتب ساقطة مثل كتاب (أما شيء بارد يا أستاذ. واتقل البت تحبك. وعزبه وادخـــل عليـــها المسا ولمبتها مدغمسة) ومافيش بأه روايات من اللى بالك فيها بزيادة علينا سينما باتيه وإذا كان يهفك الشوق نروح نسمع الشيخ سلامة فى رواية حشمة وألا ناخد لنا لوج عند أبيض.
فردوس : عال عال كل ده كويس أنا فى ديك النهار ولكن أنت ياهل تـــرى نفسك تهاودك على الحاجات الجد والعيشة الراقية دى.
فهمى : بتقولى إيه؟
فردوس : بقول يعنى نفسك تهاودك. أنت جدع هليـــهلى وتحــب الضحــك ويمكن تفهم جرنال السيف لكن بأه نفسك مش طويل فـــى الحاجــات التانية تياترو الشيخ سلامة وروايات جورج أبيض دهده العز ده.
فهمى : سيبينى اتكلم.
فردوس : اتفضل دانا شايفة انك منتش حتقدر تنفذ مشروعاتك دى كلها.

فهمي : وعاوزه تديني كشف بأسامي الستات أصحابك ومحلات سكنهم وأسامي صحابهم إن كان لهم أصحاب لأن معارفك ستات لطاف ولكن سلوكهم مين عارف.

فردوس : أنت عاوزني أعرف برنسسات بأه وألا إيه اتفضل عرفني بنينتك.

فهمي : بس هدى أخلاقك أنا بافتكر أنك لو كنت تمشي كويس هيمكنك تتعرفي بشوية ناس طيبين يعني ستات حشمة أصلهم متجوزين وطلقوا لأسباب مقبولة برده فيه من العينة دي كثير مش عزاب خبط لزق.

فردوس : طبعاً فيه كثير من الصنف ده اللي يدور يلاقي.

فهمي : دول أكثر من الهم على القلب وادحنا حصلنا مسألة دقيقة جداً مسألة دليكات حبتين مسألة الست نينتك.

فردوس : ما لها الست نينتي؟

فهمي : ما بتقابلوش بعض ليه؟

فردوس : مش شغلك يا عزيزي كده أحسن لنا أحنا الجوز.

فهمي : طيب علشان خاطري يا فردوس تبدري بكره وتشأري على الولية الكبيرة وتصالحيها لأنه مفيش عشرة أصلح لك من عشرة والدتك.

فردوس : (تتثاءب) خلاص.

فهمي : أيوه بزيادة كده النهارده لما يهف على بالي حاجة تانية أبأه أقولها لك (تجي تقوم يحوشها) فهمت كلامي كله؟ يا فردوس المسألة بسيطة في كلمة أنا عاوز أني أدى لعشرتنا صبغة شريفة وعاوز كمان أنك تتعلمي الأدب والرقة والترتيب.

فردوس : (تنهض) أطيعه ده حمي وافدة ماهوش خالص في نهاره (تقعد جنب الترابيزة) ألا من حق قول لي أنت سبق جبت لي سيرة أهلك ولكن ماعمركش جبت لي سيرة المرحوم عمك هو مات أمته.

فهمي : من زمان لا مش من زمان أوي خمس ست أشهر.

فردوس : آه فكرتني كنت جيت لي متأخر يوم وقلت أنك كنت في معزة حضرة عمك. هو ده.

فهمي : أيوه الله يرحمه.

فردوس : طيب ليه ماقلتش نهاريها أنك ورثته.

فهمى : أنت عاوزة الحق. أنا كنت متردد فى عشرتك وخفت إذا حكيت لك مسألة التركة يمكن تشبطى فيها وهو كل شىء له أوان.

فردوس : أشبط.

فهمى : أنت بتزعلى من الحق ليه.

فردوس : حد يزعل من الحق ألا أشبط (تضحك) والمرحوم ترك لك أد أيه؟

فهمى : ترك أد أيه!

فردوس : أيوه ترك لك كام فدان ولا كام ألف جنيه؟

فهمى : يجى سبعين ثمانين فدان فى المنوفية.

فردوس : يعنى ثمانين فدان.

فهمى : ثمانين فدان.

فردوس : ثمانين فدان دى عزبة عال.

فهمى : طبعاً عزبة عال لو كنا مانرهنش ولا نبعش ونحوش من الإيراد وألا بعدين تروح من أيدينا.

فردوس : طيب من فضلك سقف لى على عيوشة تجهز لى تربيزتى.

فهمى : أنت خارجة وألا إيه.

فردوس : خارجين سوى نوصّى فرن حسن أبو زيد علشان القُرص وأشوف لى بدلتين وملاية من عند الجمال (تنهض).

فهمى : (لنفسه) بدلتين وملاية من عند الجمال حتة واحدة كده.

فردوس : وأحنا راجعين نفوت على الخواجة مشيل أحسن خاوتنى على القرشين اللى علىّ له.

فهمى : حقا إلا دى. أنا ما أدفعش ديون قديمة.

فردوس : هو أنا قلت لك ادفع لى حاجة. ماتخفش على فلوسك أنا واحدة قنوعة ولانيش طماعة المال ده أن كتر والا قل مالوش فى نظرى قيمة وأظنك لحد إمبارح تعرف أن أيدى سايبة ولا أحاسبش.

فهمى : دينك بتاع مشيل ده كثير.

فردوس : كثير أيه يعنى (تقوم تبعد).

فهمى : (يرجع) مفيش فى نفسك حاجة تكون بسيطة ولا تخربش بيتى وأنا أجيبها لك عاوزة أيه.

فردوس : عاوزة سلامتك.

فهمى : مش عاوزة حاجة.

فردوس : لا .. لقدام شوية لما تحوش لك قرشين.

فهمى : طيب يبقى فيها فرج.

فردوس : تعرفش حد عنده بيت صغير فى سوق السلاح تشتريه وتكتبه على أسمى.

فهمى : اشترى كده بيت أول ما يشطح ينطح.

فردوس : بس ماتزعلش أنا رزقى على الله هو أنا قلت يعنى أنك لا سمح الله بعد عمر طويل إذا ربنا خد وديعته متبقاش روحك قلقانة على وتكون تركت لى حاجة تستحق عليها الرحمة ياما الرجالة بيعملوا لنسوانهم أنت لسا ما سقفتش على الخدامة (يسقف).

فهمى : عيوشة دى تقيلة أبقى قولى لها أنها تغير خطتها معاى وتكلمنى جدّ بقيت دلوقت سيدها ياما سمعتها تقول سى فهى واللا فهمى وقف بزيادة بأه مهزأة من الخدامين خليها تقول البيه من الآن فصاعد.

فردوس : من عينيه يا حبيبى (تسقف).

عيوشة : سى فهمى بتسقف؟

فردوس : يو جتك أيه يا عيوشة أبقى قولى البيه من هنا ورايح.

عيوشة : حاضر سعادة البيه عاوز حاجة.

فردوس : أيوه طلعى الترابيزة والجزمة الجديدة القطيفة وشنطة اليد.

فهمى : حتاخدى وياك مفتاح الشقة.

فردوس : لا مافيش لزوم (تخرج عيوشة) أنت مش معك المفتاح الثانى.

فهمى : أيوه.

فردوس : سلمه لى بقا يا حظ.

فهمى : لا ده بعدك.

فردوس : ماتعملش زى العيال .. مدام بقه البيت بيتك ومفتوح لك رسمى فى أى وقت مفيش لزوم للمفتاح اللى معاك.

فهمى : صحيح مالوش لزوم عندى.

فردوس : (لعيوشة اللى دخلت) بصّى له كده مش سحنته انقلبـــت؟ (تلبـــس ملابسها).

عيوشة : سلامة نظرك ده صحيح سحنته بقت شكل كده.

فردوس : (لعيوشة بصوت واطى) منين الجواب ده اللى كان على الترابيزة.

عيوشة : جدع صغير جابه وترجانى أنى ما قولش عليه لحد.

فردوس : أنا قريته وعرفت اسم الكاتب (تضحك) قولى لســى كــامل ده أن جوابه رقه وذوق وعجبنى أوى.

عيوشة : تحبى يقابلك آهو آعد عندى فى المطبخ.

فردوس : وليه ساكته لحد دلوأت أهو أنت تمللى كده.

فهمى : يا تره بيوشوشوا بعض بيقولوا إيه؟ (يدنو منها) فردوس بتقولى أيــه للبت الخدامة دى.

فردوس : كنت بأوصيها على البيت وأقول لها فتحى عينيك.

فهمى : أنا عشمى فيك إنك ما تهزأنيش أدام الناس.

فردوس : مايصحش ياسى فهمى بلا كلام (تفتح درج الترابيزة) خد فــاتورة الخواجة مشيل حطها فى جيبك وأبقى أديها لى لما تحصل دكانه.

فهمى : خلاص.

فردوس : أنا جاهزة (يخرجان).

المشهد السابع

عيوشة : لازم فيه حاجة لازم فيه حاجة الظاهر أن الست غيرت الـــهياه - أما أفتح للجدع الشقة أوريهاله (تنادى جهة المطبخ) اتفضل يا أفندى.

أدهم : الست فين أمال.

عيوشة : خرجت.

أدهم : خرجت !!

عيوشة : ماعليهش استناها فرغ الكتير ما بقى إلا القليل دى ما قرت جوابك وانبسطت منه.

أدهم : ده طبعاً دنا أعدت أسود وأبيض فى الجواب ده مدة ونقلت نصه مــن تزيين الأسواق.

عيوشة : وأنت عمرك أد أيه يا كتكوت.
أدهم : تمنتاشر سنة.
عيوشة : وما ليكش يا قلبى شغلة غير الجرى ورا الستات؟
أدهم : لا أنا صنعتى كاتب محامى مختلط.
عيوشة : الحق علىّ اللى عرفتك بستى ماكنتش أعرف أنك صغير فى السن كده وماشى فى الهلس وتضيع فلوسك.
أدهم : أضيع فلوس. اللى حيلته حاجة يضيعها ومع ذلك الله يرحم خالى اللى قالها يوم لما كنت فى سنك ماكنتش أحط أيدى فى جيبى أبداً.
عيوشة : وطى حسك أحسن سمعت الباب بينفتح (تبص من الباب) الله دى الست رجعت تانى استخبا ورايه(يقفوا على الشمال فى آخر الغرفة).

المشهد الثامن

فردوس : أما حته دين بأف – نطع منوفى وألا بلاش يعمل لى موشح على عتبة الباب أكمن واحد معرفة شاور لى بيده (تقلع ملايتها).
عيوشة : مين اللى زعلك يا ست؟
فردوس : مين سعادة البيه اللى بيغير علىّ ولا يطيقش الهوى يفوت على خدى.
عيوشة : (تشاور لأدهم يخرج).

المشهد التاسع

فردوس : مين أنت.
أدهم : يا نور عينى وحياة قلبى.
فردوس : أنت اللى كتبت الجواب طيب معلهش كونك تشيع لى جوابات حب لكن كونك تجى عندى بالشكل ده.
أدهم : أول زيارة تدهش والثانية تبسط والثالثة تفرفشك وتبقى بعدها تستنينى علىَ نار.
فردوس : ده ولد عينه قوية أنت طالب أيه يا جدع.
أدهم : طالب رضاك.
فردوس : ده شيء بعيد.
أدهم : لكل مجتهد نصيب.

فردوس : وأيه فى مقدورك تعمله.
أدهم : أحبك.
فردوس : أدى أحسن كلمة قلتها. لكن آبله أنت واد هايهلى والا حزاينى.
أدهم : فرايحى على كيفك.
فردوس : ورفيق.
أدهم : بكره تشوفى.
فردوس : وتغير علىّ.
أدهم : على أيه الدور على نمرة ١ فى الغيرة (تضحك) تسمحى لى أقعد.
فردوس : لا ماتقعدش أحسن نمرة واحد جى حالاً.
أدهم : أبقى خبينى فى الزؤر.
فردوس : أنت ولد مجنون أش عرفك بالحاجات دى لكن معلــهش الشــباب معذور اللى فى عمرك.
أدهم : وفى عمرك يافردوس.
فردوس : كده فردوس وقف أتأدب وألا أطردك.
أدهم : أنت بستغربى من ميلى لك مع أن حبى قديم وقلبى متولع من مدة.
فردوس : من أمته أحكى لى (تقعد).
أدهم : فاكراش نهار ماكنتى خارجة فى الشتا اللى فات من حمام الدهب.
فردوس : حمام الدهب اللى فى الحبانية.
أدهم : أيوه كان يوم جمعة بعد الظهر وكانت الدنيا برد وحتة الحبانية موحلة بعد المطر اللى نزل الضحى وشوية وأنت خارجة من الحمام ووراك خدامتك شايلة البقجة وأنت كنت لابسه ملاية لف وبرقع كريشة ممــزق وعروسة ذهب وقامطة بمنديل حرير زهر العتر. ووشك أحمــر زى صحبة الورد وأديك زى حتة القشطة ومنغزين والملاية اللف محبوكة عليك تمام ومبينه كل حاجة ولما شفت الوحلة قلت لعيوشــة يارتنــا ندهنا عربية ورجلك ازحلقت قمت قلت لك اسم الله يا أرض احفظــى ما عليك قمت أنت ضحكت وقلت يادم كده أيه ده اللى لسه ما طلعش من الأرض وبيفتح عينه وبقه قمت أنا قلت ده زرع بدرى ومشــيت وراك نهاريها لحد البيت وكنت من حين لآخــر تضربينــى نظــرة

تدوبينى بها فقلت فى نفسى دى قلبها طيب وماشـــية علــى مهلــها واتعرف بها ولو أبيع هدومى ولازم أوصل لها.

فردوس : (تضحك) أنا مش فاكرة قصتك دى لكن إذا كان الكلام ده صـــدق تكون الصحبة قديمة قديمة ونص.

أدهم : دنا شفت الغلب لما وصلت لك.

فردوس : بس بقه بزيادة النهارة قوم انزل.

أدهم : الساعة بقت سبعة وأنا مارحتش الشغل والواجب على الناس الطيبـــة أنه إذا أمسى المسا على ضيوفكم يحوشوهم على العشا فياهل تـــرى أنا معزوم الليلة! الأكل من عندك والشرب والحظ مـــن عنـــدى وألا أيه؟ (يسمع كلام).

فردوس : (تتسمع) بس بقه أنت مش سامع الكلام اللى فى الفسحة.

أدهم : أنا عارف مين.

فردوس : مين؟

أدهم : نمرة واحد. الكافية اللى ربنا بيحدفها على العشاق فى وقـــت غـير مناسب.

فردوس : (تبصر) فهمى رجع يا دهوتى (لأدهم) خش يا أدهم استخبا هنا أنا برده قلت الواد واقع ولازم أدوخه.

المشهد العاشر

فهمى : مسا الخير على عيونك يا دوسه.

فردوس : مسا الخير على عيونك يا قلبى أنت جى ليه بعد اللى جرى.

فهمى : أنت لسه زعلانة وخلاص عشرتنا. هو العيش والملح مالوش عنـدك خاطر.

فردوس : العيش والملح يظهر فى أولاد الحلال أنا لابطردك ولا بحوشك.

فهمى : يعنى باطه.

فردوس : وحياة راس المرحوم عمك ماتدايقنيش ورينى عرض كتافك.

فهمى : أشوفك امته؟

فردوس : لما يهفك الشوق.

فهمى : أنت عاوزانا ننفصل.

فردوس : زى بعضه عندى.

فهمى : طيب يالله نصطلح ولاتبقيش تزعلى والحق علىّ فى مسألة الصبح.

فردوس : مافيش داعى للصلح. سيبنى دلوقت أنا حزينة ومكرنكة ولا أحبش حد يضايقنى لما أكون كده يمكن أروق لوحدى.

فهمى : طيب خدى أدى وصل الخواجة مشيل دفعت له القرشين اللى كانوا عليك.

فردوس : بقى إن شا الله فى المستقبل ماتدفعش اللى علىّ ألا بزيطة وزنبليطة وألا إيه إن شاء الله تكون قعدت تقطع فى فروتى عند مشيل.

فهمى : أأقطع فى فروتك هو أنا متعود على الحاجات دى.

فردوس : بقى ماتسليتوش انتو الاثنين على حسابى.

فهمى : أنا كنت والله مهتم بحسابه وكان ظنى أن عملة زى دى تبسطك.

فردوس : انبسط من إيه حبيبى علشان قرشين لا هم طالعين فوق ولا نزلين تحت علشان دين بتاع الكلفة والركامة ده فيه كثير بيحبوا يدفعوا لى خمسين دين مش دين واحد.

فهمى : (لنفسه) دهيا تشيلها وتشيل دينها مبقاش إلا دينها وحسابها وفاتورتها وحصة فى بيت المسألة بقت كلها فلوس فى فلوس.

فردوس : إن كنت عاوز تعاشرنى يا حبيبى أعرف أخلاقى أحسن لك وأحسن لى مش حيفيدك غيرتك ورزالتك دى أنا عملت كل اللى طلبته طردت واحد بيه تمام كان شايف كيفى بمعنى واحد ولا فى الدنيا ماكانش مخلّينى عايزة حاجة حتى لبن العصفور إن طلبته يجيبه وكان واثق منى ولا عمره يخوننى ولا عمريش خنته.

فهمى : فردوس.

فردوس : ماعمريش خنته. أنت سامع فأما تمشى على خطته وألا يجرى لك عكس اللى جرى له يعنى أخونك بالعربى.

فهمى : أنا عاوز يجرى لى عكس اللى جره له أنا مش عاوز أباه زيه أنت نسيت.

فردوس : أنا مش ناسيه حاجة أنا عارفة أنت طلبت منى إيه وأنا وعدتك بأيه أنا ماعمريش وعدتك بحبى الحب ده شيء ماتفهموش وأنا ماعمريش قلت لك أنى من الملايكة. كل إنسان واللى انكتب له ولاحدش خالى من العيوب. وإذا كان حضرتك ناوى إنك تعمل لى موشح كل ما واحد معرفة يسلم على وإلا واحدة ست تزورنى وإلا واحد قريبى يشيع لى جواب دى مسألة ماتهمنيش.

فهمى : دى المسألة وسعت دى مش واحد بس اللى حيزاحمنى دول كل الناس قرايب وحبايب ومعارف.

فردوس : نهايته خلصنا أهى مرة وعدت يالا اتفضل ورينى عرض أكتافك.

فهمى : إزاى؟

فردوس : أنت ناوى تقعد يا حبيبى.

فهمى : طبعاً.

فردوس : اتفضل يا ميت مرحب (تصلح الترابيزة اللى عليها الكوتشينة).

فهمى : رجعنا للكوتشينة زى ما كنت بتعملى للأولانى فردوستى دوسه.

فردوس : مش عايزه أسمع حسك.

فهمى : بس كلمة واحدة.

فردوس : ما فيش فايدة مش حرد عليك اقطع.

فهمى : (بعد ما قعد) أنا عملت غلطة.

فردوس : وهى.

فهمى : كنت آبله مبسوط أكثر من دلوقت.

فردوس : قبله إمتى؟

فهمى : لما ما كنتش لوحدى.

فردوس : خلصنا وأنا عملت اللى طلبته منى وطردت الراجل العدل (إلى عيوشة التى تدخل) خبر إيه يا عيوشة.

عيوشة : البية الأولانى هنا حسنى بيه وبيقول إن حضرتك كتبت له جواب صعب وعاوز يصطلح.

فردوس : سامع يا سى فهمى تقدر تزوغ لو كنت عاوز. إيه رأيك اتكلم صممت على إيه؟

فهمي : أدى اللى صممت عليه (يقوم يستخبا) ترجع ريمة لعادتها القديمة.

فردوس : لا مش من هنا (تقرب من الباب الذى فيه أدهم) أخرج يا جدع من هنا وأوعك تتكلم (يخرج أدهم من اليمين).

فهمي : (من الشمال) الله هو لحقنا جبت لى واحد خلف.

فردوس : (لعيوشة) خلى البيه يخش (يدخل حسنى). (تفتح الورق) أهلاً يـــا عينى كنت بافتح الورق علشان أشوف أنت جى لى أمته.

فهمي : ربنا يديم حبنا.

حسنى : (من الداخل) آه يا مغفل ..

(ستار)

تمت الرواية بحمد الله وحسن توفيقه

الوالد والولد

رواية تمثيلية فى أربعة فصول

الوالد والولد

رواية تمثيلية في اربعة فصول

الفصل الاول

المشهد الاول

السيد - الخادم

السيد (داخلا من الباب) هل عادت مولاتك [illegible]

الخادم ... ان ... [illegible]

[illegible]

السيد (بضجر) [illegible]

على اني استطيع ان ابدل ملابسي [illegible]

الخادم ... ازال

منصبب عرقاً ولا ريب في انك كنت

تجري حاملا الصفر

قبلا . للوقت انتظارا ... الساعة ...

[illegible]

[illegible] من الآن فصاعداً

[illegible]

الفصل الأول
المشهد الأول

السيد (بارنت) - خادمة (جوليا)

السيد : (داخلاً) هل عادت مولاتك؟

الخادمة : (باشمئزاز وسخرية) هل عودتنا قبل اليوم أن تعود فى منتصف السابعة.

السيد : (بضجر) إن سيدتك حرة فيما تفعل فلا تعترضى .. على أننى أستطيع فى غيبتها أن أبدل ملابسى لأننى عرقت من شدة الحر.

الخادمة : (مشفقة كاظمة غيظها) أراك تتصبب عرقاً، ولا ريب فى أنك كنت تجرى حاملاً الصغير قتلاً للوقت فى انتظار عودة السيدة للعشاء أما أنا فقد تعلمت وتعودت سأرجىء من الآن فصاعداً إعداد المائدة لما بعد الساعة الثامنة، والأفضل أن ينتظر الجائع نضج الطعام .. إن التأخير عن ميعاد الأكل بطر مذموم.

السيد : (متصاماً) حسن حسن عاونى الصغير على غسيل كفيه لأنه كان يلعب بالرمل، أما أنا فسأبدل ثيابى كما قلت. أوصى الخادم بتنظيف راحتى الصغير جيداً (يخرج).

المشهد الثانى

الخادمة : (متحسرة) لو كنت رجلاً ما سمحت لزوجتى أن تسحبنى من أنفى كما تفعل بك السيدة زوجك .. لكل إنسان طبع لا يفارقه (تخرج).

المشهد الثالث

السيد : (لنفسه) بدأت هذه الخادمة تكون خطراً جديداً فى الدار، إن بغضها زوجتى ظاهر، وهى كذلك لا تخفى بغضها لبول ليموزان صديق الأسرة الوحيد وصديقى منذ الصبا، وأنى أحبه لأنه نعم الوسيط بينى وبين زوجتى والمانع لصواعق غضبها، ولطالما رأيته يعنفها كلما رآها تشاجرنى بلا سبب، بل هو الذى يخفف عنى وطأة مصائب الحياة التى تدهم أرباب البيوت فى كل يوم .. إن مربيتى جوليا قد خرجت عن حدها حتى أن زوجى أنذرتنى بطردها إذا ساء أدبها بعد الحادثة الأخيرة، ولكنها ترعى جانبها وتجاملها فى معظم الأحيان

لعلمها أنها قريبتى ولكن يلوح لى أن دوام هذه الحـــال محـــال فمـــا العمل؟ .. أأطرد جوليا .. مستحيل .. أأنصرها علـــى زوجتـــى .. مستحيل أيضاً .. بيد أن عيشى بين هاتين المرأتين أصبح أمرّ علـــى نفسى من أحد الحلين .. أأستشير صديقى فى حل هذه المعضلـــة .. ولكن ربما يشير علىّ بطردها حقداً عليها وانتقاماً لكرامتها.

المشهد الرابع

(تدق الساعة السابعة، يحاول قراءة جريدة، ثم يدخل الولد وقد تنظف، فيـأخذ فى تدليله والولد يضحك فرحاً ويهز يديه ورجليه ويصـــرخ مـــن الســـرور والوالد يقبله بحرارة عدة مرات ويضمه إلى صدره)

المشهد الخامس

الخادمة : الساعة السابعة يا سيدى.

السيد : (ينظر إلى الساعة) الساعة السابعة .. هذا صحيح.

الخادمة : ها هى المائدة قد مدت.

السيد : ألم تخبرينى لدى حضورى أنك تعدينها الساعة الثامنة؟

الخادمة : الساعة الثامنة ؟! أترض أنت بذلك؟ .. لو رضيت أنـــا أتقبـــل أن يمتلىء الصغير فى الساعة الثامنة؟ ومتى ينام؟ أتريد به الأذى .. إذا لم يكن لهذا الصغير غير أمه ساءت لاشك حاله .. ما أغرب أطـوار أمهات هذا الزمان! .. إن أعمالها لا تشرفها .. إنها ..

السيد : (بتهديد) جوليا لا أبيح لك اغتياب سيدتك. اسمعى ولا تنسى هـــذا فى المستقبل. (تخرج الخادمة بوقاحة ويعود السيد لمداعبة الصغير)

المشهد السادس

السيد : (لنفسه ناظراً إلى الساعة) ليت دقاتها تقف أو تعـــود امرأتـــى. لا أريد أن تتأخر كذلك لاأتطلع لعودتها خشية لسان هذه الخادمـــة، قـد يحدث ما لم يكن فى الحسبان من الشربينى وبين امرأتى إذا تـأخرت ربع ساعة .. ما أشد بغضى للأصوات المرتفعة والشتائم المتطـايرة. (يعود لمداعبة ابنه ويحكى له أقاصيص خرافية)

المشهد السابع

(تدق الساعة الثامنة، تدخل جوليا)

جوليا : (بهدوء الشخص الذى ينوى الشر) مولاى أننى خدمت المغفور لها والدتك إلى آخر نسمة من حياتها وتعهدتك بالتربية والعناية منذ ولادتك إلى الآن فأستطيع أن أقول عن ذاتى إننى مخلصة لأسرتك.

السيد : هذا صحيح يا عزيزتى جوليا.

جوليا : وتعلم جيدا أننى لم أفضل طول حياتى شيئا على مصلحتكم، وتعلم أننى لم أخن ولم أكذب ولم أستحق ملاما فقد وكلتم إلى تدبير هذه الدار.

السيد : كل هذا صحيح يا جوليا.

جوليا : والآن أقول يا سيدى إن دوام هذه الحال محال .. سأفاتحك بشىء لم أفاتحك به حتى الساعة احتفاظا بصداقتك وودك فتركتك تمرح فى نعيم الجهل، ولكن الأزمة اشتدت وأخذ الناس يضحكون منك، فى سائر الحى. افعل ما بدالك فهذا لا يمنع الناس من التحدث بالحقيقة، وينبغى لى أن أقول الحق وإن كانت نفسى تأبى النميمة والغيبة ولكن اعلم إن امرأتك تتأخر فى العودة إلى منزلها لأنها تفعل ما لا يليق بامرأة طاهرة.

السيد : (باضطراب) صه .. لقد حرمت عليك منذ هنيهة ..

الخادمة : كلا يا سيدى يجب على الآن أن أقول لك كل شىء .. إن امرأتك منذ عهد طويل تخونك مع المسيو ليموزان، وقد رأيته بعينى أكثر من عشرين مرة يقبلها خلف الأبواب وفى أركان الغرف .. وقد علمت أنه لم يعقهما عن الزواج إلا الفقر .. تذكر كيف تم زواجكما تدرك حقيقة الأمر من بدايته.

السيد : (ناهضا وقد ازداد اضطرابه) اصمتى .. اصمتى وإلا ..

جوليا : كلا، سأقول لك كل شىء، إن امرأتك اقترنت بك لثروتك وخانتك مع صديقك فى أول يوم، وكان هذا الأمر متفقا عليه بينهما. يكفى أن تتأمل قليلا فتدرك كل شىء. أنها تزوجت منك بالرغم عنها ولم تكن تحبك، لذا سودت عيشتك وكدرت صفو أيامك حتى انفطر قلبى عليك .. أنا التى ربيتك صغيرا ورأيت مذلتك وشقاءك كبيرا.

السيد : (يدنو منها ليضربها) اصمتى .. اصمتى. (جوليا تتقهقر وتضطرب ولكن الولد يأخذ يصرخ ويبكى ويختفى وراء أبيه، فازداد اضطـراب الرجل وأخذ يهجم على الخادمة ليضربها) واهاً لك أيتـها الشـقية! سيجن الصغير من سوء فعلك (يكاد يلمسها).

جوليا : تستطيع أن تضربنى أنا التى ربيتك، ولكن هذا لا يصون زوجـك ولا يعيد هذا الصغير إلى صلبك وهو لم يخرج منه (يؤخذ الرجـل وتسقط يداه) .. ستكفيك نظرة فى وجه الصغير فتتعرف على أبيـه فوراً .. ويل للأعمى! أليست هذه صورة مصغرة من سحنة صديقـك ورفيق صباك الموسيو ليموزان؟ .. انظر إلى عينيه وجبينـه .. إن الأعمى الذى لا يبصر يتبين شبه أبيه فى وجهه (السيد يدنـو منـها ويقبص عليها ويهزها بشدة).

السيد : أيتها الأفعى السامة القاتلة! أخرجى من هنا وإلا قضيت عليـك .. اخرجى .. اخرجى (تسقط المرأة على الأرض ثم تنهض).

جوليا : ما عليك إلا أن تخرج هذا المساء بعد العشاء ثم تعـود مباشـرة فترى بعينك ما لا تصدق روايته. (تأخذ تجرى وهو يقتفـى أثرهـا حول الغرفة).

السيد : غادرى هذا المنزل لساعتك.

جوليا : لست فى حاجة لأمرك. (تخرج).

المشهد الثامن

السيد : (يعود محطماً مكسور القلب حيث يجد ولده يبكى فيصير كالمجنون من شدة غيظه واضطرابه فيقول لنفسه) لقد تكلمـت هـذه المـرأة بوضوح وقوة وإخلاص بحيث لا أستطيع أن أشك فى نيتها ولكننـى أرتاب فى صدق نظرها فلعلها مخطئة وقد دفعـها إخلاصـها لـى وبغضها لزوجتى إلى هذا الخطأ الشـنيع. (يـهمل الصغـير أثنـاء الاضطراب فيبكى الولد فيأخذه بين ذراعيه ويملأ وجهه بـالقبل) .. جورج ولدى! جورج عزيزى .. جورج .. ولكن ماذا قـالت تلـك العجوز المشئومة؟ قالت إنه ابن ليموزان .. هذا مستحيل ولا أستطيع تصديق هذا القول، إن هى إلا وشاية حقيرة ينبتها الحقد فى قلـوب

الأوفياء .. (يداعب الولد فيكف عن البكاء) .. ولكن إذا كان يشبه ليموزان حقيقة كما قالت (ينظر فى وجه الصغير ويلمس أنفه وجبينه وأنف نفسه وجبين نفسه) تلك العجوز الشقية إن الأعمى يرى الشبه بين الاثنين، إذن لابد من وجود شبه شديد .. لعل فى ملامح الاثنين ما يلفت الأنظار .. إذن يا رباه ماذا يكون هذا الشيء .. ينبغى أن أتبينه فى الصباح .. إننى الآن لا أرى شيئاً لأننى مضطرب ولا أستطيع أن أتعرف على شيء وينبغى أن انتظر حتى الصباح، فإن كان الصغير يشبهنى فقد نجونا معاً أنا وولدى، أنا وهذا الصغير.. آه ها هى المرآة .. كنت عمياً عنها(يسرع إلى المرآة ويبقى واقفاً وولده على ذراعه ويدنى وجهه من وجه الصغير) نعم أن أنفه تشبه أنفى قد يصح هذا ولكن ليس بالتأكيد .. نظرته تشبه نظرتى .. كلا .. كلا .. لأن عينيه زرقاوان يا رباه! أكاد أجن.(يجرى من أمام المرآة، يجلس على كرسى فى طرف القاعة منهوك القوى يبكى ويبكى الصغير).

ستار

الفصل الثانى

المشهد الأول

(يدق جرس باب الدخول – السيد – الزوجة – ليموزان)

السيد : ها هى امرأتى قد عادت. ماذا أنا فاعل. سأفر إلى غرفتى لاتدبر أمرى (يخرج ثم يعود) .. لابد من الشجاعة والثبات فى هذا الموقف الرهيب مهما يكن الرجل جباناً أو طائشاً فى سواه. لابد لى من معرفة الحقيقة (يرتجف) ولكن لماذا أرتجف؟ (يدق الجرس بشدة) هذا أثر الخوف فى نفسى. أألخشاها؟ كلا (يخرج ثم يعود وخلفه امرأته وصديقه).

المشهد الثانى

الزوجة : تؤدى الآن وظيفة فتح الباب! أين جوليا إذن؟ (يحاول أن يجاوب فلا يستطيع) .. هل رماك الله بالبكم؟ أسألك أين جوليا؟

السيد : (باضطراب وتلجلج) إنها .. إنها خرجت.

الزوجة : (ببداية غضب) كيف خرجت وإلى أين ولماذا؟

السيد : (يستعيد شهامته شيئاً فشيئاً) إنها خرجت نهائياً ولن تعود .. لقد طردتها.

الزوجة : أنت طردتها؟ طردت جوليا .. إنك مجنون.

السيد : نعم طردتها لأنها أظهرت وقاحة وأساءت معاملة الصغير.

الزوجة : جوليا؟

السيد : نعم جوليا.

الزوجة : وكيف ظهرت وقاحتها؟

السيد : بشأنك.

الزوجة : بشأنى؟

السيد : نعم لأن النار أحرقت الطهى ولما تعودى.

الزوجة : فما قالت إذن؟

السيد : قالت إن من سوء حظ رجل مثلى أن يتزوج من امرأة مثلك تخلف الميعاد وتزدرى بنظافة الأسرة ولا تعنى بشئون ولدها الصغير وتسيىء إدارة منزلها وهى عدا ذلك زوج سيئة السلوك.

الزوجة : (تخلع قباءها بسرعة وغضب وتلقى به على كرسى وتقصد زوجها مدمدمة) تقول .. تقول إننى ..

السيد : (بهدوء) أنا لا أقول شيئاً يا عزيزتى إنما أعيد على سمعك ما قالت جوليا كما طلبت، وأقول إننى طردتها لهذا.

الزوجة : (بغيظ شديد مكظوم) هل تعشيت؟

السيد : كلا لأننى كنت منتظراً.

الزوجة : (ترفع كتفيها بدون مبالاة واستهزاء) من البلادة والغباوة أن تنتظر بعد منتصف الثامنة، وكان ينبغى لك أن تفهم أنه حدث عائق منعنى عن العودة فى الميعاد أو أننى كنت مشغولة، على أننى كنت اشترى أشياء لا غنى لى عنها من السوق الكبرى بشارع رين، ولدى عودتى لقيت ليموزان بعد الساعة السابعة فى بولفار سان جيرمان فطلبت إليه أن يصحبنى إلى مطعم أتزود فيه بما يتيسر لعدم إمكانى دخول المطاعم بمفردى مهما بلغ بى الجوع بما لا يسمى عشاءً لأننى اقتصرت على الحساء وصدر دجاجة رغبة منى فى سرعة العود.

السيد : لقد أحسنت .. إنني لا أوجه نحوك أقل لوم.

ليموزان : (الذى كان صامتاً ومختفياً تقريباً وراء الزوجة يظهر بوجل ويمد يده إلى السيد) كيف حالك؟ لعلك بخير.

السيد : (يصافحه بفتور) إننى بخير.

الزوجة : (كمن تتذكر قولاً مضى) لوم؟ لماذا تذكر اللوم؟ .. يظهر إنك سيىء النية.

السيد : (معتذراً) كلا إنما أردت أن أقول إننى لم أنزعج لغيابك ولم أعد هذا التأخير خطأ.

الزوجة : (كمن يبحث عن سبب للشجار) تأخير؟ من يسمعك يحسب أنا فى الساعة الأولى من الصباح وأننى قضيت الليل فى غير بيتى.

السيد : كلا ثم كلا يا عزيزتى أقول تأخير لأنه ليس لدى كلمة أخرى أقولها لأن عودتك كانت منتظرة فى منتصف السابعة، فعدت فى منتصف التاسعة، وهذا يسمى تأخر وليس له فى اللغة اسم آخر، وقد علمت السبب ولم يبهتنى تفسيرك، ولكننى لا أستطيع أن أستعمل كلمة أخرى سوى كلمة تأخر.

الزوجة : ولكنك تنطقها بحيث يظن السامع أننى قضيت الليل فى غير بيتى. كلا .. كلا .. (تحاول دخول غرفتها ثم تقف) .. مالى أرى هذا الصغير كئيباً.

السيد : قلت إن جوليا أساءت إليه قليلاً.

الزوجة : ماذا فعلت له هذه الفاجرة؟

السيد : لا شيء تقريباً .. إنها دفعته فوقع.

الزوجة : هذا عجيب جداً .. جوليا تغتابنى ثم تضرب ولدى وأنت زوجى ووالده تجد الأمر طبيعياً.

السيد : كلا .. كيف ذلك لقد طردتها.

الزوجة : حقاً أنك طردتها .. مرحى! مرحى! .. كان يجب عليك أن تقتلها .. كان ينبغى أن تستغيث برجال الشرطة.

السيد : لم أجد يا عزيزتى سبباً قوياً يؤدى إلى هذه الشدة.

الزوجة : ستبقى طول حياتك كالخرقة البالية .. كائن مسكين بدون إرادة عاجز يستحق الشفقة .. بلا قوة ولا عزم .. أظنها قلبت لك ظهر المجن ولم تبق لك كرامة وإلا ما استجمعت شجاعتك لطردها .. كان بودى أن أكون هذا ولو لحظة لأشهد هذا المنظر (تسرع إلى ولدها وتحمله) .. جورجى العزيز! ماذا حل بك يا قطى المحبب يا ملاكى .. يا فرخى الصغير؟ ماذا جرى لك يا قطى فى غيبتى؟

الولد : زوليا ضلبت بابا.

الزوجة : (تلتفت إلى زوجها فى دهشة أولاً ثم تصيبها نوبة ضحك كالجنون فتقهقه) آه آه آه آه .. جوليا ضر .. ضر .. ضربتك؟ ما أضحك هذا؟ ما أضحك هذا؟ .. أسمعت يا ليموزان .. جوليا ضربته .. ضربت زوجي .. ما أضحك هذا !!

السيد : (بتلجلج) كلا .. هذا ليس صحيحاً إنما أنا ألقيت بها إلى الأرض .. أنا ضربتها ولكن نظر الطفل أخطأ.

الزوجة : (إلى ولدها) أعد يا فرخى الصغير ما قلته .. أصحيح جوليا ضربت بابا؟

الولد : نعم زوليا ضلبت بابا.

الزوجة : ولكن الطفل لم يتناول شيئاً .. إنك لم تتعشى يا عزيزى.

الولد : لا يا أماه.

الزوجة : (نحو زوجها بغضب شديد) ما أشد جنونك! الساعة التاسعة ولما يأكل الصغير؟

السيد : كنا يا عزيزتى ننتظرك ولم أشأ أن أتعشى بدونك، وحيث أنك تعودت التأخير فكنت انتظرك اللحظة بعد اللحظة.

هى : (تضع قبعتها على كرسى) حقاً ليس محتملاً أن نعاشر أشخاصاً لا يفهمون ولا يفطنون ويعجزون عن أداء أبسط الأعمال .. أكان الطفل يبقى بلا عشاء إلى نصف الليل لو أننى تأخرت حتى تلك الساعة؟ كأنك لم تفهم بعد الساعة السابعة أنه استجد ما يعوقنى عن العود فى الميعاد.(يبدو الغضب على وجه السيد، فيتداخل ليموزان ليمنع هبوب العاصفة).

ليموزان : أنت ظالمة يا عزيزتى .. إن زوجك لم يكن يعلم أنك ستتأخرين إلى هذه الساعة لأنه لم يتعود هذا منك .. وكيف تنتظرين منه أن يقوم بكل شيء بمفرده بعد أن خرجت جوليا وهو غضبان منزعج؟

هى : ومع ذلك يجب عليه أن يقوم بمفرده بما أهمل من أعمال. (تخرج وينهض ليموزان ويأخذ فى مساعدة بارنت فى رفع الأوانى ويصلح المائدة ويجلس الطفل فى مجلسه المعتاد ويخرج بارنت لإحضار الخادمة الأخرى لتخدم على المائدة، فتعود بالطعام ويجلس بارنت بجوار ابنه وعليه علامات الحزن، ويبدأ بإطعام الصغير ويجتهد فى أن يأكل ولكنه لا يستطيع. يأخذ فى النظر إلى وجه ليموزان ووجه ابنه وكأنه يقارن بينهما ثم يمتنع عن الأكل وتظهر عليه علامات التألم والانزعاج وكظم الغيظ الشديد، ثم يظهر عليه كأنه فى حلم ثم ينتبه فجأة – وتدخل الزوجة).

الزوجة : (إلى ليموزان) أننى جائعة وأنت يا ليموزان. (تعود بروب دى شامبر).

ليموزان : وأنا أيضاً أظننى جائعاً. (يجلسان ويبدأن الأكل بشهية وتظهر عليهما علامات السرور ويراقبهما بارنت خفية وأخيراً يبدو عليه أثر من صحت عزيمته على شيء).

بارنت : يا عزيزتى حيث أننى طردت جوليا فينبغى لى أن أهتم بالبحث عن خادم تحل محلها وسأخرج حالاً لهذا الغرض لتباشر الخادم الجديدة العمل من غداة غد وقد أعود متأخراً.

هى : اذهب إلى حيث شئت، أما أنا فباقية وسيؤنسنى ليموزان فى غيبتك وسنبقى فى انتظارك .. (إلى الخادمة التى لاتزال أمام المائدة) اذهبى وأنيمى الصغير ثم عودى فارفعى أدوات المائدة ثم اذهبى إلى غرفتك.

بارنت : (ناهضاً) إلى اللقاء عما قليل. (يخرج مستنداً إلى الحائط كمن به دوار).

المشهد الثالث

العشيق ليموزان – هنريت الزوجة

ليموزان : الله الله! إنك إذن لمجنونة إلى هذا الحد تتحرشين بالرجل؟

هى : (ملتفتة إليه) اعلم أننى أزدرى فكرتك التى أدت بك أخيراً إلى اعتبار زوجى شهيداً أو فريسة نضحى بها على هيكل حبنا.

ليموزان : (يجلس فى فوتيل ويعلى رجلاً على أخرى بجوار المدفأة) أننى لا أعتبره ضحية ولكن يضحكنى أن شخصين فى مركزنا يزدريان بهذا الرجل فى الصباح إلى المساء بغير ذنب جناه.

هى : (تأخذ لفيفة من الطباق وتشعلها) ولكننا لا نزدرى به بل أنه يهيج غضبى بغباوته وبلادته فأعامله بما يستحق.

ليموزان : ما أسخف خطتك! .. على أنك كغيرك من النساء، هاك رجلاً طيباً بليداً شديد الثقة بنا لا يضايقنا فى شيء ولا يشك فى حقيقتنا طرفة عين وقد تركنا أحراراً هادئى البال وها أنت لا تدخرين وسعاً فى تهييجه لتفسدى علينا حياتنا.

هى : أف لك من جبان كغيرك من الرجال تخشى هذا النذل!

ليموزان : (ينهض بغضب) لقد زدت الطين بلة، أريد فقط أن أعلم ما فعل بك حتى تبغضيه إلى هذا الحد. هل أشقاك؟ هل ضربك؟ هل خانك؟ .. من الشناعة أن تؤلمى هذا المسكين إلى هذه الدرجة وأن تسيئى معاملته لمجرد كونه رجلاً طيباً وأن تبغضيه لأنك ..

هى : (تدنو منه وتنظر إليه) أأنت الذى تأخذ على خيانتى له؟ أنت! أنت! إنك إذن لذو نية سيئة وغدر عظيم.

ليموزان : (بخجل) لا أعيب عليك شيئاً ولا ألومك يا حبيبتى العزيزة ولكن أطلب إليك أن تحسنى معاملة زوجك، والأجدر بك أن تدركى هذا الأمر من تلقاء نفسك.

هى : (تدنو منه كثيراً) إذن أنت لا تدرك يا أبلة أننى أبغضه لكونه زوجى ولأنه اشترانى بماله .. أعلم أن كل ما يقول ويفعل وكل خاطر يمر بنفسه يهيج أعصابى، وأعلم أن غباوته التى تسميها طيبة تغيظنى وثقله الذى تسميه ثقة يقتلنى .. كل هذا لأننى تزوجت منه بدلاً منك .. أننى أشعر على الرغم من بعده أنه بيننا وأن كان لا يضايقنا.. إن عدم ارتيابه فى علاقتنا التى يدركها أبله الناس دليل على أنه بلغ من

الغباوة مبلغاً لا يحسن السكوت عليه .. أريد أن يغار على كغيره من الأزواج وقد أتت على لحظات شعرت فيها برغبة شديدة في أن أصرخ في وجه " ألا ترى يا أكبر الحمير ويا أخس الرجال وأبلههم أنني أعشق بول؟".

ليموزان : (يضحك) الأفضل لنا أن تصمتي ريثما تسنح لك فرصة لتنفيذ هذه الفكرة الطائشة، فإن في تنفيذها فوراً إقلاقاً لراحتنا.

هي : لا تخشى على راحتنا بفضل هذا المغفل. إننا من غفلته في طمأنينة. أف إنك لا تدرك مقدار غفلته في نظري، فلذا أراك عاكفاً على تدليله وتوقيره فتبش له وتصافحه بإخلاص وتسأل عن صحته باهتمام .. ما أغرب أخلاق الرجال.

ليموزان : ينبغي لنا أن نعرف كيف نخفي ما في نفوسنا في بعض الأحيان.

هي : ليست المشكلة إخفاء ما في النفوس ولكنها مسألة عواطف، فأنتم أيها الرجال إذا خنتم رجلاً أحببتموه، أما نحن فخيانتنا تبدأ ببغضنا.

ليموزان : لست أدري لماذا أبغض الرجل الذي أتمتع بزوجته؟

هي : أنت لا تدرك، أنت لا تدرك، لأن الأمر يستدعي دقة النظر وهو ما ينقصكم جميعاً معشر الرجال .. إن هذه أشياء يشعر بها الإنسان ولا يستطيع التعبير عنها .. على أنه أولاً لا ينبغي .. كلا! .. إنك لن تفهم ما أقول .. لا فائدة في الكلام .. أنتم أيها الرجال دوننا بمراحل في دقة النظر (تبتسم ابتسامة لؤم وتضع يديها على كتفيه وتمد له شفتيها ليقبلهما فينحني برأسه ليقبلها ويضمها إلى صدره بيديه ويبقيان هكذا قليلاً).

المشهد الرابع

(يدخل بارنت من أحد الأبواب بدون حذاء، قبعته على رأسه معكوسة، شاحب الوجه،ويداه منقبضتان كمن يريد أن يضرب بكلتي يديه، فينظر إليهما الواحد بعد الآخر، ثم يظهر كأنه مجنون وبدون أن ينطق بكلمة يهجم على ليموزان كالوحش الكاسر ويأخذه بكلتا يديه ويضيق عليه في ركن من أركان الغرفة بقوة شديدة، فيفقد ليموزان توازنه، فيذهب برأسه تضرب في الحائط، فلما ترى المرأة أن زوجها سيقتل معشوقها حتماً تلقي بنفسها على زوجها وتقبض

على رقبته وتتشب أظفارها العشرة فى عنقه وتضغط بكل قوتها حتى يخـوج الدم من لحمه وتأخذ تعض فى كتفه كأنها تريد تمزيقه، فلما يشـعر الرجـل بالاختناق والضيق يترك ليموزان لينجو من زوجته، ثم يقبض على خصرها ويقذف بها بعيداً فترتمى فى آخر الغرفة، ثم يقف الاثنين لاهثين وقد بقى كل منهما فى ركنه).

هو : أخرجا من هنا فوراً .. أخرجا فوراً.

هى : (تدنو منه) أفقدت إذن عقلك. ما الذى حل بك؟ لم هـذا الاعتـداء الفظيع بغير داع؟

هو : (يدنو منها كأنه يريد قتلها) ما أبشع وقاحتك. لقد سمعت كل شـىء أيتها الشقية .. أيها الشقيان .. أخرجا فوراً أنتما كلاكما وإلا قتلتكما.

هى : هيا بنا يا ليموزان إلى منزلك مادام يطردنى من بيته (ليمـوزان لا يتحرك كأنه مأخوذ رعباً).

هو : أخرجا فوراً أيها الشقيان وإلا .. (يبدو عليه الغضـب مـن جديـد فيتناول كرسياً ويأخذ يطوح به ليرمى به أحدهما).

هى : هيا بنا يا صاحبى أنت ترى أنه مجنون .. هيا بنا(تنظر كمن يحاول اختراع أمر جديد للنكاية بزوجها وإغاظته)..لا انتقل بدون ولدى.

هو : ولدك! ولدك! أتجرؤين على أن تطلبى ولـدك بعـد .. مـا أشـنع جسارتك .. أتجرؤين .. أخرجى من هنا أيتها الفاجرة .. اخرجـى. (تعود إليه مبتسمة تقريباً كأنها انتقمت لنفسها وتقول له فى وجهه).

هى : أريد ولدى وليس لك حق فى حجزه عنى لأنه ليس ولدك. أسـمعت إنه ليس ولدك .. إنه ابن ليموزان!!

هو : (كمن فقد رشده) تكذبين .. تكذبين أيتها الشقية.

هى : أيها المغفل الأحمق إن كل الناس قاطبة تعلم ذلك مـاعداك .. أنـا أقول لك ها هو والده ويكفى للأعمى أن ينظر فيتأكد..انظر إلى وجه الولد تعرف الوالد. (يتقهقر بارنت حيال هذا القول ويـأخذ يبحـث كالأعمى عن شمعة ويخرج بها ثم يعود حاملاً على ذراعـه الولـد الصغير متدثراً بالغطاء .. الولد يبكى لأنه تيقظ فجأة فيلقى به بيـن

ذراعى المرأة ثم يدفع بها نحو الباب، فينتهز ليموزان فرصة غيابه فيخرج، فيغلق الباب خلفهما ويعود ويقع على الأرض فى الغرفة).

ستار

الفصل الثالث

فى القهوة – بارنت – موريس

المشهد الأول

زبون : جارسون.

جارسون : سيدى.

زبون : واحد أمير.

جارسون : فوراً يا سيدى (للبوفيه) واحد أمير.

صوت من الخارج : أيكودى .. بارى لى ماتان .. لى جورنال. (تسمع أصوات نفير سيارة وأجراس الترام ودفع عجلات المركبات – صوت يسمع قريباً جداً ثم يدخل القهوة) أيكودى بارى .. لى ماتان.

زبون : لى ماتان (يحصل تبادل بين الزبون وبائع الجرائد).

زبون آخر : لى جورنال (يحصل التبادل ويخرج بائع الجرائد) (يدخل زبون .. ويجلس على مائدة).

الزبون : جارسون .. هات واحد بيرة.

جارسون : لك ذلك يا سيدى .. واحد بيرة (يدخل بارنت وقد تغيرت أحواله الظاهرية كثيراً، انحنى قليلاً وأبيض شعره وهزل جسده وأصفر وجهه وصار قليل العناية بملابسه ولكنها لا تزال تدل على نعمته وتبدو عليه علامات الرجل الذى يسكر والمعذب الذى صار لا يهتم بشيء مع شدة قلقه ومعه شخص آخر فى شكله وسنه تقريباً).

بارنت : (لسيدة جالسة بالقهوة) طاب ليلك يا مدام جاكميه.

جاكميه : ليلتك سعيدة يا سيدى.

زبون : جارسون واحد بيرة.

جارسون : فوراً .. واحد بيرة.

بارنت : (للجارسون) جوزيف .. فيرموت هل وصلت الصحف.

جوزيف : منذ هنيهة.

بارنت : على بالطان.
جوزيف : (لبارنت) فوراً يا سيدى.
زبون : جارسون هات طاسة قهوة.
جرسون : فوراً يا سيدى .. واحد طاسة قهوة.
بارنت : (للرجل الذى دخل معه واسمه موريس) إنها مصادفة غريبة.
موريس : رب مصادفة خير من ميعاد.
بارنت : لو لم أمعن النظر فى وجهك وأتطفل عليك بالسؤال ما تعرفت عليك فقد تغيرت كثيراً !
موريس : وأنت تغيرت أيضاً .. تصور أننا لم نتقابل منذ أكثر من أربعين عاماً! على أننى لو تغيرت فلى العذر، فقد قضيت أكثر من عشرين عاماً فى الحانات والفنادق، إنها حياة تبدل الشخص وتغير الأخلاق.
بارنت : وأنا أيضاً منذ عشرين سنة أعيش عيشة الحانات أصرف فيها ثلاثة أرباع حياتي، بل فى هذه الحانة خاصة.
موريس : ولكن أين أسرتك وأهلك؟ ألم تتزوج؟ أننى أتذكر أننى قرأت فى جريدة يوماً ما خبر زواجك.
بارنت : نعم تزوجت وانفصلت عن امرأتى. وأنت ألم تتزوج؟
موريس : لم أتزوج رأيت أبى مرة يضرب أمى بسوط فتغيرت الدنيا فى نظرى من ذلك العهد وكأن الدهر تبسم لى ثم عبس، وبعد قليل ماتت أمى فتركت أبى وتخيلت عن سائر مشاغل الحياة وأنا الآن أعيش بلا أسرة ولا عمل وأنفق مما تركه لى والداى .. وأنت؟
بارنت : إننى تزوجت وأسست أسرة وولدت امرأتى ولداً ..
موريس : جارسون هات واحد بيرة.
بارنت : (مستمراً فى حديثه) واكتشفت أن زوجتى خانتنى مع أعز أصدقائى وقالت لى فى وجهى إن الولد ليس من صلبى! فطردتها من منزلى .. ما أبعد يومنا هذا عن ماضينا البعيد الجميل .. أتتذكر أيامنا فى مدرسة لويز الرابع عشر فى مونبليه؟
موريس : نسيت كل شىء حتى نفسى.
بارنت : إن المصائب كفيلة بأن تنسى الإنسان نفسه!

موريس : لقد اختارتك الأقدار فأنزلت بك كبرى المصائب .. وماذا فعلت بامرأتك؟

بارنت : اتقيت الفضائح فوكلت أمر النزاع القائم بيني وبينها إلى وكيل أعمالي وانفض الخلاف على مرتب تتقاضاه كل سنة من مالي .. لقد فرق بيننا الفساد ولكن القانون يجمعنا فهي حتى الساعة امرأتي وأنا زوجها!

موريس : وماذا فعلت بحياتك؟

بارنت : عشت في بداية الأمر منفرداً.

موريس : عدت إلى حياة العزوبة؟

بارنت : لم أعرف شيئاً أشد ألماً على نفس الرجل الذى تعود العيشة المنزلية الهادئة من عودته فجأة وبالرغم منه وبفعل امرأة خائنة إلى حياة العزلة والانفراد .. تصور انتقالك من مائدة بيتك إلى مائدة المطعم وخروجك من قيود العائلة الجميلة إلى الحرية المطلقة المرذولة!

موريس : هو الخراب بعينه!

بارنت : الخراب كلمة تقال وتسمع ولكنها لا تنقل إلى ذهن السامع معناها الحقيقى إلا إذا ذاق مرارتها .. لقد خربتنى تلك المرأة بعد عشرة خمس سنين وشاركها فى ذلك صديقى الذى عاشرنى منذ الصبا.

موريس : المرأة سبب كل شيء فى الحياة.

بارنت : على أننى أقول لك شيئاً .. إننى فى المدة الأولى لم أشعر بآلام كثيرة لأننى كنت كالمذبوح لا يشعر بالقتل إلا بعد أن يسيل دمه، ثم أن نظام المعيشة ينسى المصائب، ولكن بعد أن نظمت الفوضى الجديدة بدأت أفكر فى الطفل الذى ولدته امرأتى ونسبته فى اللحظة الأخيرة لعاشقها، فكنت حيناً وأنا فى منزلى يخيل لى أننى أسمع الصغير ينادى بابا، فكان قلبى يخفق وأنهض وأفتح الباب وانظر فى السلم لعل الصغير يكون قد عاد متوهماً إمكان عودته كما تعود بعض الطيور كالحمام، وأقول فى نفسى لماذا يكون الطفل أضعف غريزة من الطيور؟

موريس : ما أصعب هذا على النفس وما أصعب إدراك الحقيقة بعد هذا الوهم المؤلم! لقد ذقت فى حياتى مرارة هذه الأوهام.

بارنت : لقد ملك حب الطفل على نفسى، فكنت أفكر فيه ساعات بل أياماً وأسابيع، وقد مكنتنى الوحدة والفراغ من تحليل حالتى النفسية، فإن شغفى بالصغير لم يكن حباً قلبياً وحسب، بل كان حباً بدنياً أيضاً .. كنت أشعر بحاجة شديدة إلى تقبيله وضمه ومداعبته، وكنت إذا ذكرت تبادلنا القبل الوالدية أشعر بحمى وأكاد ألمس بقوة الخيال شفتيه الصغيرتين وأحس بلمس شعره الناعم يلمس خدى.

موريس : إن الحب واحد لا يتعدد.

بارنت : إن حب الوالد لولده أشد من حب الرجل للمرأة. أتعلم أننى وأنا أسير فى الطريق كنت أتخيل أنه يسير بجانبى كما كان فيما مضى، فانظر فإذا يدى خالية من كفه الصغيرة الناعمة، فتأخذنى هزة البكاء فأنتحب وأشعر كأننى فقدت البصر وأعود أدراجى إلى منزلى حيث أبكى حتى الصباح!

موريس : إن حياتك بعد هذه الكارثة عشرين عاماً معجزة .. لشد ما يحتمل الإنسان من الهموم فى حياته ولا يقضى عليه، وقد يكون هلاكه بأهون الأسباب!

بارنت : على أن سؤالاً واحداً كان يعذبنى ويمزق قلبى .. هذا الطفل من صلبى أو من صلب صديقى الخائن .. لم يكن هذا السؤال الجهنمى يخطر ببالى إلا إذا جن الظلام وأويت إلى غرفة النوم، وحينئذ كانت تلك المشكلة العظمى تتملكنى فتنفر النوم من عينى فانهض كالمجنون وأبقى أسير الأرق والحيرة حتى الصباح.

موريس : كيف ترتاب فى نسبة الولد لذلك الرجل بعد أن قالت لك امرأتك الخئون فى وجهك إنه من صلبه.

بارنت : ارتبت وحق لى أن أرتاب لأن تصريح المرأة فى مثل هذه الحال لا قيمة له، فلعلها أرادت الانتقام منى على هذه الصورة الشنيعة بل كثيراً ما وصلت بالتفكير والتأمل إلى الاعتقاد بأنها كانت كاذبة.

موريس : ذلك الرجل وحده دون سواه هو الذى يعرف الحقيقة ويستطيع أن يقفك عليها.

بارنت :لقد خطر هذا الخاطر كثيراً ببالى وقد حاولت المرة بعد المرة أن أقنع نفسى أن أقصده وأتوسل إليه وأمنحه كل ما يطلب إذا هو صدقنى.

موريس : وما الذى دعاك للعدول عن هذا المسعى؟

بارنت : نفسى حدثتنى بأن العاشق لابد يكذب كما كذبت معشوقته، ألم يتحالفا ضدى؟ ألا يخشى أن أسترد ولدى إذا قال لى إنه من صلبى، فإذا استرددته سقطت النفقة التى تتقاضاها المرأة ويعيشان بها فى رغد من العيش.

موريس : لعلك أخطأت بتسرعك. كان يجوز لك أن تخفى عواطفك وتصبر شهراً أو شهرين لتتأكد من نسب الولد. يكفيك أن تراقب صديقك والصغير فى خلوتهما، فإن الرجل إذا بقى منفرداً مع الطفل فقد ينتهز الفرصة ليقبله قبلة الوالد بشغف وحب وقوة، لأن قبلة الوالد لا تخفى على أحد، أما إذا كان يهمله أو يقبله بلا اكتراث فكنت تثق إذن بأنه من صلبك، وكنت تستطيع والحال هذه أن تطرد المرأة وتحتفظ بالصغير.

بارنت : لقد أعوزنى الصبر عندما علمت بالحقيقة المؤلمة من لسان الخادم، إن الجلد الذى تقترحه على لا يأتى فى وقت الشدة والهياج. على أنه قد خطر ببالى هذا الخاطر بعد الحادثة وقضيت ليالى بطولها فى محاولة تذكر أحوال الرجل مع الطفل فلم أستطع تذكر شىء. كذلك المرأة لم تكن لها عناية بولدها وقد أقنعنى إهمالها إياه بأن الولد من صلبى، لأنه لو كان من صلب عشيقها لكان تعلقها به أشد وعنايتها بتربيته أعظم.

موريس : لقد تعلقت به فى اللحظة الأخيرة ولم تغادر بيتك بدونه.

بارنت : قد يكون هذا من قبيل النكاية أو من قبيل النفع المادى لأن الطفل سلاح فى يديهما وقد حاربانى به وانتصرا.

موريس : ولكن ألم تحاول قط استرداد الطفل؟

بارنت : لقد حاولت ذلك وصحت عزيمتى يوماً على ذلـــك، ولكننـــى لمـــا صممت نهائياً عدت فذكرت إن الخادم أخبرتنى إن عشقها يرجع إلى بداية الزواج وأن المرأة كانت تعشقه عشقاً يكاد يكون جنوناً، والمرأة إذا عشقت وهبت نفسها لعاشقها بكل قواها وأكثر ما يكـــون حمـــل المرأة من رجل تحبه. أما أنا فكان نصيبى منها فى أوقـــات خلوتنـــا نصيب الرجل المكروه الذى تنيله المرأة مأربه منـــها وهـــى نـــافرة متضررة، ويندر أن تحمل المرأة من رجل تبغضه.

موريس : أهذا الذى دعاك للعدول عن استرداد الطفل؟

بارنت : أجل .. قلت فى نفسى إننى إذا استرددته فسوف أبقى دائماً مرتابـــاً فى أنه ابن الآخر ولن أطيق إذن تقبيله أو ضمه إلـــى صـــدرى أو مداعبته، بل لن أطيق سماع صوته ينادينى بابا، وكنـــت إذن أبقـــى طول حياتى معذباً بهذا الشك المؤلم المزعج! ففضلت الوحدة علـــى عشرة هذا الطفل الذى سيجعل حياتى جحيماً دائماً!

موريس : يا لك من ضحية!! إن الإخلاص وحسن الظن بالناس والاستسلام للنساء يؤدى بالإنسان إلى ..

بارنت : (مكملاً) إلى جهنم .. إن هذه الشكوك أطفأت نـــور قلبـــى وآذنـــت بحلول الظلام فى نفسى وروحى، فكنت أفر من ذاتى كمن يفر مـــن عدو مخيف، وأخيراً تجسم هذا الظلام النفسى بحيث صرت أخـــاف الظلام الحقيقى، فإذا ما بدأ الشفق مؤذناً بدنو الليل تدثـــرت نفســـى وقلبى برداء من الرعب والرهبة وتولدت فيهما للخوف أفاعى لاذعة وطغى الغم علىّ كأنه فيضان نهر حالك السواد، وامتدت إلى فـــؤادى براثن اليأس فشعرت كأننى ميت بين الأحياء أو مجنون بين العقلاء، أتعلم مقدار هذه الآلام؟ إن أفكارى أصبحت كالوحوش التى تطـــارد إنساناً مطمئناً فيفر أمامها مهزوماً ثم لا يرى بداً من الاستسلام لـــها فتنشب فيه أظفارها القاتلة وتنهش لحمه حتى تقضى عليه.

موريس : لعل عيشة العزوبة بعد الزواج هى التى أحدثت بك هذا.

بارنت : عيشة العزوبة فى المحل الثانى والمنزل الذى كنا نقطنه فى المحـــل الأول.. المنزل ذلك المنزل الذى حل به الخراب بعد العمران .. ذلك

المنزل الذى كنت أعود إليه فرحاً مستبشراً فأجده مضاءً آهلاً بمن كنت أعتقد أنهم أخلص الناس لى .. حلت بى الكارثة فكنت أعود إليه فإذا هو فى ظلام حالك مملوء بالأشباح المخيفة فكنت أتحاشاه وأتحاشى ما يحيط به من الطرق الضئيلة الأنوار والتجىء إلى الطرق الفسيحة المملوءة بالحركة والحياة والأضواء .. هذا ما كنت أشعر به فى أيامى الأولى .. وكنت إذ ذاك ألجأ للحانات الحافلة بالناس كما يتهافت الفراش على السراج المضيىء فأنتحى ناحية وأطلب الكأس فأحسوها حسواً بطيئاً خوفاً من فراغها ومرور الوقت ودنو ساعة الانصراف والوحدة .. وكلما قام أحد رواد الحانة فكأنه قطعة من نفسى تغادرنى! وأكاد أتمسك به وأتشبث بثيابه وأتوسل إليه أن يبقى معى لأننىّ أترقب برعب شديد تلك الساعة التى يقول لى فيها خادم الحانة آن لنا أن نغلق فتفضل يا سيدى بالانصراف.

موريس : أكنت تبقى إلى تلك الساعة؟

بارنت : نعم أبقى إلى الساعة التى ينصرف فيها آخر إنسان ويشرع الخدم فى نقل الكراسى والمناضد وتغيير معالم المكان، وكنت أرى متألماً صاحب القهوة وأمينة الصندوق يتناقشان الحساب، وطالما سمعت الخدم فيما بينهم يشيرون إلىّ من طرف خفى ويقول أحدهم لاخيه هاك ضيفاً لا يدرى أين يبيت.

موريس : وقاحة الخدم فى تلك الأماكن لا تطاق، على أنهم لا يعرفون مصائبنا.

بارنت : فإذا ما خرجت إلى الطريق المظلمة الباردة فى الساعات الأولى من الصباح عاودتنى وساوسى وأخذت أفكر فى الطفل وأسائل نفسى ذلك السؤال الأبدى الذى تعوده ذهنى ولسانى بحيث أفكر فيه بغير مجهود عقلى وأنطق به بدون أن أحرك لسانى ''هل الطفل من صلبى أو من صلبه؟''.

موريس : يا لنا من شقين.

بارنت :إننى أشعر بأن الهم يسلب حياتى شيئاً فشيئاً تكاد الخمر التى أتجرعها عن غير رغبة والهواء الفاسد الذى أستنشقه اضطراراً يقتلاننى.

موريس : وأين تتناول طعامك؟

بارنت : هنا في هذا المكان أفطر صباحاً وأتغدى ظهراً وأشرب الخمر عصراً وأتعشى ليلاً، وإننى أحمد الساعتين التاليتين للغداء، فإننى بفضل كأسين أتمكن من النوم وناهيك بنوم النهار بعد الغداء فى مكان عام مطروق فإن عينى تغمض جالساً كأننى حارس أختلس النعاس ولا يتحاشى الخدم إزعاجى أكثر من عشرين مرة، وفى الساعة الرابعة يقدم لى أحدهم الجرائد التى قرأتها صباحاً فأعيد تلاوتها عصراً من أول سطر فى الصحيفة الأولى إلى آخر سطر فى الصحيفة السادسة أو الثامنة.

موريس : كان يحسن بك أن تغير نظام حياتك نوعاً.

بارنت : هذا ما حاولت، فقد تركت الدار تنعى من بناها ولجأت إلى غرفة فى فندق واخترت أقرب الطبقات إلى الطريق لأتمكن من سماع صوت الحركة والحياة فأطمئن وأشعر بالإيناس بقربى من الناس .. ما أشد حسد الإنسان فى شقوته للناس الذين يظنهم سعداء!! .. فإننى كلما مررت بغرف جيرانى من قاطنى الفندق ورأيت أحذيتهم بالأبواب أو سمعت أصواتهم وهم يتحادثون أو لمحت وجوههم لدى دخولهم أو خروجهم تخيلت أنهم سعداء وأنهم ينامون الليل الطويل ملء جفونهم ..ذلك الليل الذى تنتهزه الهموم لإشهار الحرب على الأشقياء أمثالى.

موريس : أتردد فى سؤالك سؤالاً مؤلماً .. ألم تر طوال هذه العشرين سنة تلك التى نكبتك أو ذلك الوغد الذى خان صداقتك أو الصغير الذى حرمتك ذكراه لذيذ الرقاد؟

بارنت : نعم .. منذ خمس عشر سنة تقريباً أى بعد الفاجعة بخمس سنين كنت أسير غارقاً فى بحار الهم والضجر ما بين كنيسة مادلين وشارع دورات، فإذا بى بامرأة لفتت نظرى بمشيتها مستندة إلى رجل طويل القامة وبجانبها طفل نام، وكانوا يسيرون أمامى فقلت فى نفسى أين رأيت هؤلاء الثلاثة؟ وأدركتهم لاتحقق منهم، وفى لمحة عين تعرفت على المرأة من إشارة حركت بها يدها، فقلت ها هى تسير إلى جانب معشوقها ومعهما الطفل، ثم خفق قلبى وكدت أقع مغشياً علىّ، ولكننى

لم أقف بل أردت أن انظر إليهم وجهاً لوجه، فتبعتهم وكان من يراهم يتوهم أنهم أفراد أسرة شريفة آمنة وتلك الفاجرة ماسكة بذراع صاحبها تحادثه بحب وحنان وتنظر إليه من حين لآخر فألمح تقاطيع وجهها وحركات شفتيها وابتسامتها وعطفها على معشوقها لدى نظرها إليه.

موريس : يا له من عذاب أليم !! .. والطفل؟

بارنت : الطفل هو الذى لفت نظرى وشغلنى أكثر منهما كليهما .. رأيته وقد نما وظهرت عليه قوة الفتوة فاعترتنى دهشة، أصار الطفل الصغير فتى طويل القامة يسير بجانب أمه كأنه رجل صغير .. وقد وقفوا أمام حانوت يتبينون بضاعة معروضة.

موريس : هل تغيروا كثيراً؟

بارنت : الرجل شاب وضعف وانحنى، والمرأة استعادت شبابها وزاد سمنها، أما الولد فلم أكن لاعرفه لو لم أره فى صحبتهم، فقد تغير تغيراً تاماً.

موريس : هل حادثتهم أو رأوك؟

بارنت : كلا كلا، ولكننى لما دنوت من الطفل شعرت بقوة عظيمة تدفعنى إلى خطفه والفرار به .. أجل الفرار به، فدنوت منه كثيراً وتعمدت لمسه كمن يلمس شخصاً خطأ، فما شعر الولد بجسم أجنبى يلمسه حتى التفت ونظر إلىّ نافراً غاضباً، فلم أتمالك أن فررت من وجهه وكأن نظرة الصغير طعنة خنجر جرحت قلبى، فأخذت أعدو كأننى لص يقتفى أثرى شرطى أو صاحب المال المسلوب وقد أصابنى خوف شديد لئلا تكون المرأة أو الرجل رأيانى وتعرفا على، ومازلت أعدو إلى أن بلغت هذه الحانة فجلست وأنا ألهث من شدة التعب، وفى تلك الليلة شربت ثلاث كئوس من الأبسنت.

موريس : عجباً .. أنت تفر منهم؟ يفر الأمين من الخائن ويهرب الموتور من الجانى .. كم فى الحياة من المضحكات المبكيات؟

بارنت : لقد بقى هذا الأثر المؤلم المزعج عقيب هذا اللقاء فى نفسى أربعة شهور، وكنت فى كل ليلة من هذه الشهور الأربعة أتخيلهم الثلاثة سعداء هانئى البال .. الوالد والوالدة والولد ينفقون عن سعة من مال

الرجل الذى خانوه وخدعوه ويعيشون آمنين فى ظل القانون الذى طالما يوقع العقاب بالأبرياء .. لقد محت هذه الصورة ما سبقها وذهبت كل الشكوك القديمة المؤلمة واستقر اليقين المر القاتل، فغاب عن ذهنى الطفل الصغير الذى كنت مجنوناً بحبه وحل محله فى ذاكرتى صبى نابت نباتاً حسناً كأنه أخوه الأكبر وتأكدت أن حبى فى قلب الصغير قد انطفأت شعلته وانقطعت كل علاقة كانت تربطه بى، ولو أنه رآنى وقالوا له هذا والدك إذن ما سعى إلىّ ولا مدّ ذراعيه الصغيرين ولا فمه الذهبى، بل نفر منى وأنكرنى .. ألم يطعنى بنظرة أحدّ من طعنة الخنجر؟

المشهد الثانى

(يدخل عجوز يبيع الزيتون - بارنت - موريس)

بارنت : هاك الشاعر أوليفيه .. عم مساء يا هوميروس هذا الزمان!

العجوز : الزيتون الجميل .. أتريد بنصف فرنك؟

زبون : أريد بصاديين على شرط أن تنشدنى آخر قصيدة من شعرك.

العجوز : لا أنشد الشعر بأقل من نصف فرنك.

موريس : أتعرف هذا العجوز؟

بارنت : أراه من عشرين سنة .. أنه من أعظم شعرائنا وقد نشر أكثر من عشرة دواوين من الشعر.

موريس : ولماذا يبيع الزيتون؟

بارنت : هذا مصدر رزقه الوحيد ولا أدرى سره، لعله مصاب مثلنا .. موسيو أوليفيه.

أوليفيه : الزيتون الجميل، أتريد بنصف فرنك؟

بارنت : نعم وأنشدنى شعراً (أوليفيه يعطى الزيتون وينشد الشعر الآتى (١)).

أوليفيه : (يتحرك) الزيتون الجميل.

موريس : بعنى أنا أيضاً.

أوليفيه : أتريد بنصف فرنك؟

---

(١) - لم يكتب المؤلف الشعر الذى أنشده أوليفيه وترك مكانه فراغاً.

موريس : وقصيدة (أوليفيه يعطى الزيتون وينشد [١]) (تدخل عجوز تبيع أزهاراً).

زبون : أهلاً بالأم جوليا هل نبتت أزهار الربيع؟

العجوز : أزهار الربيع لا تنبت فى الخريف إنما أبيع الزنبق والأقحوان.

بارنت : وهذه المسكينة جوليا إنها لا تعرفنى.

موريس : من تكون تلك المسكينة؟

بارنت : خادمتى ومربيتى ومسببة مصائبى!!

موريس : كيف لم تعرفك؟

بارنت : أنها تتردد على هذه القهوة منذ خمس سنين وقد ضعف بصرها واضمحلت قواها لأنها تزيد عن الستين ولست أدرى ماذا فعل الدهر بها بعد أن غادرت منزلى.

موريس : بأى عاطفة تشعر نحوها؟

بارنت : ببغض شديد يمازجه عرفان بالجميل .. أنها سببت خراب بيتى ولكنها أنارت بصيرتى.

موريس : أتحب تلك التى سببت لك هذا الشقاء؟

بارنت : إنها لم تسبب شقائى، إن التى سببت شقائى هى تلك التى كانت امرأتى، ولكن هذه فتحت عينى. كيف كانت تكون حالى لو بقيت هذه العشرين عاماً محجوب النظر بغشاوة الخيانة والخديعة؟ أتحب أننى كنت أحمل عار الزوج المخدوع طول عمرى وأربى فى حجرى ولداً ليس من صلبى؟

موريس : أصبت.

بارنت : أننى أحسن إليها ولا أكشف لها عن حقيقة أمرى لقد تغيرنا كلانا! وأنا أشد الاثنين تغييراً.

موريس : أناديها .. أيتها الأم جوليا.

جوليا : أزهار الخريف .. الزنبق والأقحوان.

بارنت : على بزنبق وخذى هذا (يعطيها بارنت نقوداً صامتاً).

---

(١) – لم يكتب المؤلف الشعر الذى أنشده أوليفيه وترك مكانه فراغاً.

جوليا : بارك الله فيك يا سيدى .. أزهار الخريف الزنبق والأقحوان .. (يفتح باب القهوة).

بائع جرائد : جرائد المساء .. لاباترى .. لى سيكل .. لى طان .. لى ديبا .. لاباترى

زبون : لاباترى.

آخر : لى ديبا.

آخر : لى طان. (يوزع ويخرج).

موريس : إن هذه الحياة مؤلمة على النفس. ألا تود يوماً أن تخرج إلى ضواحى باريس. إن تغيير المناظر وتبديل الهواء يفيدك.

بارنت : أننى أشعر منذ عهد قريب بضعف شديد وقد نصحونى أخيراً بالانصراف يوماً إلى الخلاء.

موريس : جارسون .. علينا بجدول بمواعيد القطارات لضواحى باريس.

جارسون : فوراً يا سيدى (يعود به).

بارنت : أى مكان تختار لى؟

موريس : غداً الأحد نذهب معاً إلى سان جرمان.

بارنت : أعرفها فقد قصدتها حين خطبتى مع تلك الخائنة.

موريس : عد إليها فلا بأس بها، نركب قطار الساعة العاشرة فنصل قبيل الظهر.

بارنت : فى وقت الغداء.

موريس : إذن إلى غد الساعة العاشرة إلا ربعاً بمحطة سان لازار.

بارنت : إلى الغد. (تسمع أصوات .. لابارترى .. إكسلسيور ..)

ستار

الفصل الرابع

(بافيون هنرى كاتر – سان جيرمان – بارنت – موريس)

موريس : إنك سعيد الحظ فإن الجو لا يصحو فى هذا الفصل إلا نادراً، لقد كنت فى القطار صامتاً فلم أشأ إقلاقك.

بارنت : إننى أشعر بحزن شديد وأكاد أندم على مغادرة باريس وترك الأماكن التى ألفتها.

موريس : ألم تعجب بالمناظر التى مررنا بها فى القطار؟

بارنت :أنها متشابهة تتكرر ولا تتغير وقد أتعبت نظرى لأننى لم أتعود رؤية الخلاء منذ عهد الشباب، وقد ظمأت وكثيرا ما وددت لو أننى غادرت القطار وقصدت حانة أشرب فيها كأسا ثم أعود إلى باريس.

موريس : تظمأ فى سفرة لم تقتض أكثر من ساعة؟

بارنت : لقد بدت لى هذه السفرة طويلة جدا، وهذا لأننى كنت ساكنا والدنيا تتحرك، ولو أننى بقيت ساكنا وما حولى ساكن لبقيت سنين بدون ملل أو ضجر!!

موريس : ألم يرقك شىء قط؟

بارنت : راقنى نهر السين فكنت كلما مررت بجسر أمعن النظر فى مائه الأخضر وعند جسر شاتو أعجبت بالشباب الذين كانوا يتسابقون فى القوارب وقلت فى نفسى هاك فتيانا لم يملوا الحياة بعد.

موريس : انظر إلى الأفق من هذه الجهة فهاك الوادى الفسيح وقد نشر صحيفته كأنه بحر عظيم وهو مملوء بالقرى الآهلة بالسكان وقد انسابت فيه الطرق البيضاء كأنها أنهار من الفضة،وها هى غابة سان جيرمان الشهيرة تحف بالوادى،وبجوارها هضاب''سانوا وارجنتى''

بارنت : كل هذا جميل،ولكننى لا أشعر بجماله،إنما الذى يهيج نفسى ويؤثر فى عواطفى هو منظر الشمس بأشعتها، فكأننى أراها للمرة الأولى فى حياتى.

موريس : وذلك النسيم العليل المشبع بروائح الأزهار والخضرة الذى يخترق الصدر فيملأ الجسم نشاطا والنفس سرورا .. ألا يروقك؟

بارنت : إن هذه المناظر تؤلمنى لأنها أيقظت نفسى الخامدة، فإننى أنكر تلك العشرين سنة التى قضيت أيامها ولياليها فى الحانات والفنادق .. تلك السنين المملة التى مضت كأنها شهر واحد لخلوها من كل ما يملأ حياة الرجل، وكذلك مضت وكأنها مائة عام لأننى كنت فى كل صبح انتظر الظهر وفى كل ظهر أستقدم الظلام، وفى كل ليل أتطلب النهار.

موريس : أنت الذى فضلت البقاء حيث كنت.

بارنت : كنت أستطيع أن أسافر كما يسافر الناس وأرحل إلى البلاد الأجنبية فأرى الشعوب الغريبة، وكنت أستطيع أن أقيم فى باريس وأتعلق بأهداب الحياة كغيرى فأتسلى بالصيد أو الفنون الجميلة أو العشق.

موريس : وما الذى يعوقك عن طرق إحدى هذه السبل؟

بارنت : الآن؟ أتمزح يا بسكيه .. لقد مرت الفرصة وفات الأوان ولم يبق لى من الحياة إلا تلك الكئوس التى أشربها مرغما استجلابا للنعاس والغفلة، ولن أزال كذلك حتى نهاية أجلى بلا أسرة ولا أصدقاء ولا أمل. (يبكى) .. لقد نشر الحزن لواءه على نفسى وها أنا أشعر بما لم أشعر به منذ عشرين عاما.

موريس : هون على نفسك .. إنما أردت تخفيف آلامك.

بارنت : لقد أيقظت هذه المناظر فى قلبى الخامد كل الأفكار والأحلام والرغبات التى سكنت منذ مصيبتى الكبرى.

موريس : الأفضل لنا أن نبادر بطلب الطعام .. جارسون.

جارسون : سيدى.

موريس : أعد لنا غداء من دجاج وسمك وشواء وبازلاء.

جاسون : أى نبيذ يشرب السيدان؟

بارنت : جراف.

جارسون : والجبن؟

بارنت : كمامبير.

جارسون : والفاكهة؟

بارنت : كريز وشليك .. أملنا أن تسرع فى خدمتنا.

جارسون : لك ذلك يا سيدى.

المشهد الثانى

(يحضر الأكل ويبدآن فى تناول الطعام وتبدأ الأماكن تمتلىء بالقادمين وتظهر حركة فى المكان – يدخل ثلاثة أشخاص ويجلسون على مقربة منهم ويبدأ الخادم يقدم لهم طعاما)

صوت المرأة : جورج ابدأ بتقطيع الدجاجة.

جورج : لك ذلك يا أمى.

بارنت : ما هذا؟ ما أسمع؟

موريس : أى شىء؟

بارنت : هذان الصوتان .. هذا صوت المرأة وذاك صوت الولد لقد أبيض شعرها وبلغت سن الكهولة وتبدو عليها علامة الوقار وهاك الولد .. لقد صار رجلا ذا لحية وقبعة عالية ونظارة زجاجية.

موريس : أمتأكد منهم؟

بارنت : كيف تسألنى هذا السؤال؟ أيجهل رجل امرأة كانت زوجته وولدا نسب إليه خمس سنين؟ .. إنهم لاشك سعداء وألا ما تركوا باريس لتناول الغداء فى تلك الأماكن التى لا تطرقها إلا الطبقات الراقية الغنية. إذن يعيش هؤلاء الثلاثة عيشة هنية راضية، عيشة الأسرة الآمنة فى بيت مطمئن، حافل بكل ما يسعد المتحابين المتآلفين .. لقد عاشوا طوال هذه المدة بفضلى، وينفقون عن سعة من مالى بعد أن خانونى وسلبونى وأضاعونى .. لقد حكم هؤلاء الجناة على أنا البرىء السليم النية المستسلم بكل صنوف الحزن والكدر، وأذاقونى مرارة الوحدة وقضوا على أن أصرف عمرى بين الطرق والحانات، وألبسونى ثوب الآلام النفسية والبدنية .. لقد جعلوا منى - بعد أن كنت رئيس أسرة ورب دار - كائنا لا نفع له، ضائعا، ضالا فى العالم الواسع إلى أن صرت شيخا فانيا لا أجد مسرة فى شىء، وها أنا ذا فى آخر أيامى لو طرقت كل أبواب باريس لا أجد وجها واحدا يبش لى أو فما يبتسم لى أو صدرا حنونا ينشرح لرؤيتى، وهذه جناية هؤلاء الثلاثة .. هذه المرأة الخئون وذلك الصديق الغادر الوغد وذلك الفتى الوقح الذى لا يدرى من يكون أبوه تعسا لهم وسحقا.

موريس : ولكن ما ذنب الولد؟

بارنت : إن حقدى على الولد يعادل حقدى عليهما .. ألم يكن ابن ذلك الأثيم؟ أكان هذا الأثيم يحتفظ به ويحبه ويتولاه لو لم يكن ولده؟ ألم يكن ليسارع إلى التخلى عن المرأة وولدها لو لم يكن الصبى من صلبه؟ أيربى الرجل ابن عدوه .. ها هم الثلاثة الجناة الذين سودوا صفحة حياتى كل هذه السنين الطويلة.

موريس : هدىء روعك وكل لقمة تقويك. اشرب كأسا تسكن سورة غضبك.

بارنت : سأشرب فورا.ألا يغيظك هذا السكون البادى عليهم إن نفسى تحدثنى بقتلهم.أألقى فى وجوههم تلك القنانى فتهشمها؟ألا يكون هذا انتقاما عادلا؟

موريس : حذار أيها الرجل من فعل كهذا. أى نفع لك لو قتلتهم أو جرحتهم؟

بارنت : أأتركهم يعيشون هكذا مرحين فى نعيم السعادة والهناء لا يقلقهم شىء ولا يزعج خاطرهم أمر ما .. لن يكون هذا أبدا.

موريس : ماذا تفعل بهم؟

بارنت : سأنتقم منهم لنفسى حالا ماداموا فى قبضة يدى.

موريس : لا فائدة لك من تنفيذ عزمك.

بارنت : لن تفر هذه الفرصة من يدى. (يقدم جارسون).

جارسون : ماذا يطلب سيدى بعد ذلك؟

بارنت : لا شىء سوى كأس من الكونياك العتيق الجيد.

جارسون : لك ذلك يا سيدى. (يعود بالقنينة – بارنت يسكب الشراب ويشرب ويستطرد قائلا:)

بارنت : .. الآن أعرف كيف أنتقم.

موريس : هيا بنا الآن.

بارنت : لابد من الانتقام .. (تبدأ بعض الناس تنهض وكذلك الثلاثة يقصدون مكانا ظاهرا من المسرح) .. انظر إلى وجهها .. لقد خلع عليها الفجور والكهولة ثوبا من الوقار المصطنع.. من يقول عن تلك المرأة المحترمة فى الظاهر أنها فى عداد المجرمات اللواتى يستحققن عقوبة الإعدام؟ .. وهذا الأثيم ألا يحسبه من يراه سفيرا عاد إلى وطنه بعد خدمته فى البلاد الأجنبية؟ أنه يعطى لذاته بتلك اللحية الموزعة على عارضيه شأنا ليس له، وهذا النغل الصغير الذى لا يعلم من يكون والده .. انظر إلى قبعته كيف لبسها مائلة كأهل البدع؟ .. وانظر إلى تلك اللفيفة الضخمة من طباق هافانا ألا يحسبه الرائى ابن أحد اللوردات؟

موريس : هدىء روعك.

بارنت : اتركني إذا كنت تخشى عاقبة انتقامي من أعدائي.

موريس : لن أتخلى عنك.

بارنت : إذن لا تخشى شيئا. سأنتقم منهم بكلمتين (يتقدم نحوهم، ويحدث نفسه قائلا) .. الإقدام أولى من التردد، الإقدام .. الإقدام .. (يلقاهم وجـها لوجه وهم يتحادثون) هذا أنا .. هذا أنا .. إنكم لم تكونوا تنتظروننـي في هذا اليوم (ينظرون إليه بدهشة - بارنت مستطردا) .. يقول مـن يراكم أنكم لم تتعرفوا على .. أتتكرونني .. أمعنوا النظر في وجـهي .. أنا بارنت .. أنا هنري بارنت .. كنتم تحسبون إن علاقتي بكم قـد انقضت .. كلا .. لقد أخطأتم .. ها أنا قد عدت إليكم ويصح لنـا أن نتفاهم الآن.

المرأة : (مرعوبة تستر وجهها بين يديها) ما هذا يا رباه! (ينهض جـورج ويحاول القبض على بارنت - وليموزان يرتعد).

بارنت : الآن نتفاهم. لقد سنحت الفرصة ولن تفر. لقد خدعتموني وسلبتموني وحكمتم على بالعذاب عشرين سنة وحسبتم أنني لن أدرككم لأقتـص منكم! (يهجم جورج عليه ويقبض على كتفيه ويقول ..)

جورج : ماذا تريد أيها المعتوه؟ سر في سبيلك وإلا ضربتك ضربا مبرحا.

بارنت : ماذا أريد أنا المعتوه؟ أريد أن أقفك على حقيقة هذيـن الشـخصين (جورج يهزه ويحاول ضربه) خل سبيلي أيها الشقي أنـا أبـوك .. انظر إليهما ألا ترى هذين الشقيين قد تعرفا على؟ (جـورج يتركـه برعب ويعود إلى أمه).

بارنت : (للمرأة) قولي له من أنا .. قولي له إن اسمي هنري بارنت وأننـي أبوه مادام اسمه جورج بارنت ومادمت أنت امرأتي ومادمتم تعيشون أنتم الثلاثة من العشرة آلاف فرنك التي تتقاضونها مرتبا سنويا مـن مالي منذ طردتكم .. لأنني فاجأتك مع هذا الشـقي الأثيـم عشـيقك الوغد! .. قولي له من كنت أنا .. ألم تتزوجي بي طمعا في مـالي وخنتني من أول يوم في زواجنا .. قولي له من أنت ومن أنا.

المرأة : بول .. بول .. دعه يكف عن هذا القول بمسمع ولدي.

ليموزان (ينهض بضعف) : اسكت .. اسكت .. ألا تفقه معنى ما تقول؟

بارنت : أفقه جيدا ولكن ليس هذا كل حديثي معكم. إن هناك أمرا أريد الوقوف على حقيقته لأنه سبب حيرتي وعذابي منذ عشرين عاما .. (يلتفت إلى الشاب الذى استند إلى شجرة) اسمع أنت أيها الولد عندما تركت امك بيتي لم تقنع بخيانتي، بل أرادت أن تقتلني بأسا، وقد كنت أنت عزائي الوحيد، فحملتك فلما تمسكت بك أقسمت أنك لست من صلبي وأن أباك هو هذا الأثيم. ولست أدرى منذ عشرين عاما إن كانت كذبت أو صدقت .. (يدنو منها ويرفع يدها التي تخفى وجهها) واليوم آمرك أن تقولي لنا أينا والد هذا الولد هو أو أنا .. زوجك أو عاشقك؟ تكلمي .. (يهجم عليه ليموزان فيصده) .. لقد تشجعت اليوم .. أنت اليوم أشجع من اليوم الذى فررت فيه من وجهي خشية أن اقتلك. إذا كنت لا تريد أن تجيبني هي فأجب أنت. أنت أعرف مني بالحقيقة وتعلم عنها ما تعلم هي.. تكلم ..أأنت والد هذا الولد .. تكلم. (يعود إلى المرأة) إذا كنت تأبين القول على فقولي إذن لولدك .. لقد صار رجلا ويحق له أن يعرف والده، أما أنا فلم أستطع الوقوف على الحقيقة أبدا أبدا، لا أستطيع أن أقول لك شيئا يا ولدى (يرفع ذراعيه) تكلمي .. إنك إذن لا تعرفين .. إنني أخاطر بكل شيء إذا عرفت .. كيف تعرف أينا والدك وكانت امرأة للاثنين معا. هل تعرف امرأة الرجلين أيهما والد ولدها؟ ولن تعلم أنت أيضا شيئا .. اسألها فلن تجيبك. إنها لا تعرف ولا هو ولا أنا ولا أنت ولا أحد في الوجود، ولكن لك الخيار بيننا .. لقد انتهى حديثي إذا أخبرتك أمك بالحقيقة فتفضل بزيارتي في فندق القارات الخمس .. هيا بنا يا صاحبي (يخرجان) .. (ستار)

الفصل الخامس
المشهد الأول

(الوقت مساء – المكان بيت الوالدة هنريت – الوالد ليموزان بول)

الوالدة : (للوالد) كانت رياضتنا مشئومة! ليتنا لم نبارح دارنا. إن نفسي حدثتني بهذه الفاجعة وكنت مضطربة طول ليلة أمس .. أنت الذى ألححت علينا بالذهاب إلى سان جيرمان .. يا ليتنا لم نعمل برأيك.

الرجل : لم أكن أعلم ..ولو علمت .. على أننى منذ عشرين عاما أشير عليك بكل صغير وجليل من شئوننا .. ولم يقع لنا مثل الذى وقع اليوم.

الوالدة : ولكن اليوم كان ما خفت أن يكون .. لقد تم خرابى على يديك .. ها أنا فقدت ولدى إلى الأبد .. لقد تركنا ولم يعد إلى المنزل .. إننى لن أراه بعد اليوم (تبكى) لقد ذهبت متاعبى طول هذه السنين هباء منثورا.

الرجل : لا تبكى إنه حتما سيعود .. إنك تتوهمين أفظع الأشياء ولن يقع إلا.

الوالدة : لقد خرب عشى ولن يعود إلى حاله .. لقد كنت سببا فى خراب عشى مرتين .. المرة الأولى ..

الرجل : هنريت! .. هل وصلنا إلى تلك اللحظة التى يلوم فيها أحدنا رفيقه؟ تعقلى. هدئى روعك وتعقلى. أننى لم أسبب لك خرابا ولا ضررا. إننى على العكس كنت معوانا لك وسندا.

المرأة : إننى لا ألومك ولكن ماذا أقول لك؟ ألا ترى حالتى أين كان ذلك الرجل المشئوم مختبئا هذه السنين كلها؟ أرأيته اليوم؟ لقد شاخ وأشرف على الموت ضعفا وذهولا.

الرجل : لولا ما سببت فعلته من الحزن والضرر لأشفقت عليه.

المرأة (هنريت) : أنت تشفق على بارنت؟ أنت .. بعد الذى فعل؟

الرجل (بول) : كان ينبغى لنا أن نصالحه طالما أشرت عليك بذلك أثناء هذه المدة.

هنريت : أكنت تود أن أعود إلى منزله وأعيش معه عيشة الزوجة؟ .. إذن أنت تبغضنى وكنت تريد التخلص منى بهذه الوسيلة.

بول : كلا يا عزيزتى الصلح شىء والعيشة الزوجية شىء آخر. الصلح والمقابلة من حين لآخر ومشاهدة الطفل وتودده إليه ..

هنريت : كيف كنت تريد أن يرى الطفل ويتودد إليه ثم يتركنا نعيش عيشتنا؟ ألم يكن الولد ليسألنا فى الرابعة عشرة من عمره لماذا لا يعيش مع والده.

بول : كنا نخلق له سببا، كان ذلك أولى من علمه بالأمر فجأة فى سنه هذه وعلى هذه الصورة الشنيعة.

هنريت : يوافق أو لا يوافق إنما كانت القصة تنمو مع الصغير فيتعودها فيصدقها ويصعب نزعها من فكره. طالما طلبت إليك أن أفاتح جورج فى تاريخ أبيه لأبغضه فيه، فكنت تأبى على ذلك وكنت تحتم أن يشب حاسبا نفسه يتيما.

بول : تاريخ أبيه بدون أن يراه ينادى اسمه ويسمع الذم فيه ولا يتطلع يوما لرؤيته كان هذا مستحيلا.

هنريت : ولكن هذا الحديث لن ينسينى ولدى. أين هو الآن الساعة العاشرة .. مضى أكثر من ثمانى ساعات ولم أره. أين هو الآن، أفى قاع السين أم على لوح من ألواح المورج. أتحت العجلات مبدد الأوصال ممزق الأشلاء أم فى الطريق هائما على وجهه لا يدرى أين يقضى ليلته السوداء (تبكى).

بول : خففى عنك. إنك واهمة. إن نفسك تحدثك بأشنع وأفظع ما يتخيله ذهنك المنهوك .. سيعود إلينا مطمئنا.

الوالدة : حتى فى هذا المصاب تنصحنى بالصبر والاستسلام؟ ألا تعلم أننى بفقده فقدت كل عزيز بل فقدت النصير. ألم يكن بجانبى رجلا فأمسيت وحيدة كنت انتظر شيخوخة هادئة سعيدة فى ظل ولدى فها أنا أرى مستقبلا مظلما فى كنف الوحدة والأسى (تبكى).

بول : وأنا؟ هل فقدت أملك فى؟ الست رجلك؟

هنريت : إنك لا تقل عنى شيخوخة وضعفا.

بول : لقد ذهب شبابى بين يديك وكنت أعزى النفس برضاك وحبك وها أنا أرى أننى لم أكن شيئا وأن ولدك كان كل شىء.

هنريت : تغار من الصغير؟ لعلك تحمد الأقدار على ما وقع. لعلك دبرت ما وقع. إنك عدو لدود لى ولولدى. ياليتنى فقدتك دونه.

بول : هنريت! عزيزتى هنريت ما أشد تسرعك! ما أكثر تشاؤمك.

هنريت : بول .. بول أنى لى ولد مثله لقد مضى عمرى وفات أوان الثمر (يسمع صوت) .. ها هو! انظر فى الدرج .. إن كان محمولا فلا تخبرنى .. إن كانوا يحملون جثته (تبكى) فأنا بائعة نفسى لن تطيب لى الحياة بعد اليوم.

بول :(ينظر فى الدرج ويعود)كلا يا عزيزتى هذه جان عائدة من أجازتها.

هنريت : لقد نسيتها .. أصرفها. لتقضين الليل حيث كانت. لا أريد أن يرى أحد حزنى. أريد أن أكون فى البيت بمفردى (يخرج ثم يعود).

بول : صرفتها .. ولكن من يقوم بتدبير المنزل؟

هنريت : أى منزل؟ هل لنا منزل بعد ولدى؟ لمن كنا نعيش ونجد؟ لمن كنا نعد المائدة؟ (تدق الساعة العاشرة ونصف) .. بول .. بول دعنى أذهب للبحث عن ولدى .. لا أستطيع الصبر بعد هذه الساعة.

بول : تبحثين عنه فى باريس وفى الليل؟ .. هنريت ماذا جرى؟ هل فقدت عقلك؟ أين تذهبين؟

هنريت : إلى أقسام البوليس ومستشفيات الأسعاف وإلى المورج .. وأنشر إعلانات فى صحف الصباح. خاصة فى البيتى باريزيان لأن جورج يقرأه كل صباح (تبكى).

بول : إذا كان الأمر كذلك إذن أخرج أنا .. سأقوم بكل هذا .. اطمئنى.

هنريت : ويل للشجى من الخلى.

المشهد الثانى

(بول يخرج – تأخذ هنريت فى العويل وترى صورة ولدها المعلقة فتأخذ فى إنزالها وتقبلها وتضمها إلى صدرها وتبكى – تخرج من الصالون ومعها الصورة).

المشهد الثالث

(الولد جورج – الوالدة هنريت – الوالد ليموزان بول)

(يدخل جورج ببطء شديد بواسطة مفتاح معه .. لابسا الحداد وقد تغيرت سحنته وشحب وجهه .. الصالون خال ينظر إلى صورة بول المعلقة بالصالون وإلى وجهه فى المرآة ثم يجلس فى ركن كئيبا قاتما، يضطرب تارة ويسكن طورا – تدخل أمه وبيدها الصورة ثم تبصر به فتبهت أولا ثم ترتمى عليه).

هنريت : جورج ولدى! جورج أنت هنا؟ أنت حى؟ هل عدت إلى؟ أأراك حقا أم أنا فى حلم؟

جورج : (ينهض ويبعدها عنه) مكانك .. إن جورج لم يعد ولن يعود.

هنريت : ولدى! لماذا تدفعنى عنك هكذا؟ ماذا تقول؟ ماذا جرى لك؟

جورج :جورج ولدك لن يعود لقد ودعتيه هذا الصباح فى غابة سان جيرمان أما أنا فشخص آخر أجنبى عنك وعن منزلك لا علاقة بينى وبينك.

هنريت : هل صدقت؟

جورج : حسبك ما جرى.لا تنطقى بكلمة واحدة. لا تعيدى حرفا مما وقع. لا تحاولى تبديل لفظ واحد مما سمعت اليوم من ذلك ..

هنريت : ولدى.. لقد كنت نموذج الأولاد حبا لى وعطفا على .. (تبكى) كنت حلم حياتى كلها .. كنت مثال الطاعة.

جورج : لقد كنت أعمى، أما اليوم فقد زالت الغشاوة التى كانت تحجب النور عن بصيرتى.

هنريت : إن ذلك الرجل.

جورج : لا تذكريه بسوء.

هنريت : قم يا ولدى ونم .. الرقاد كفيل بأن يزيل أثر الانفعال.

جورج : النوم! النوم! لن أعرفه بعد اليوم لقد كنت أنام قرير العين قد كنـــت أحسب نفسى كسائر الناس، أما اليوم فلست أعرف من أنا.وكيف ينام من لا يعرف نفسه؟

هنريت : أنت ولدى .. ولدى العزيز جورج.

جورج : إن نسبى إليك لا يكفى .. إنما الإنسان بالآباء يا أماه .. فمن أبى؟

هنريت : (متلعثمة) أبوك .. أبوك هو

جورج : هو من أحمل اسمه أو ذاك الذى عرفته عما لى منذ نعومة أظفارى؟

هنريت : تبا لهذا الرجل فقد هدم سعادتنا بوساوسه!

جورج : تريدين الظلام وتبغضين النور، قد يكون ما فعله وقاله مضرا بـــك ولكنه نفعنى.

هنريت : أى نفع تعنى؟ لقد كان بيتنا هادئا مطمئنا وعيشتنا سعيدة راضيـــة، كنا أسرة متحدة متآلفة، وها نحن ثلاثة أفراد متنافرون متباغضون!

جورج : بئس الاطمئنان والتآلف المبنى على الكذب والفساد!

هنريت : تعسا له!

جورج : تعسا للسعادة الكاذبة وسحقا للبيت القائم على الخديعة والغدر. أكنت ترضين أن أعيش أعمى أصم مفقود الشرف؟

هنريت : إنك ولدى وولد ..

جورج : وولد من؟ لا أب لى .. إذا كنت ابن أبى الذى أحمل اسمه فلماذا افترقتما؟ وإذا كنت ابن ذلك .. ذلك الرجل الذى كنت أدعوه عمى، فلماذا لا أحمل اسمه؟

هنريت : كنت أتحين الفرصة لأبوح لك بكل شىء.

جورج : ولم تحن تلك الفرصة حتى حدث ما حدث؟ أنت تستسهلين السكوت وكأنك لا تدركين نتيجته، مهما يبلغ الرجل فى الحياة من المجد والشرف والمكانة الاجتماعية بجده، فإنه يبقى زريا محتقرا فى نظر الناس إذا لم يكن له والد يعرف باسمه .. العاشق والمعشوقة يتمتعان بلذة الحب ولا يجعلان شأنا لثمرة سعادتهم الوقتية، وثمرة سعادتهم ولد شقى مثلى!

هنريت : ولدى! ليتنى مت قبل هذا.

جورج : حياتك وموتك سيان، ولكن أريد الوقوف على الحقيقة. إنك استبحت خداعى وذكرت لى أن الرجل الذى أحمل اسمه مات من زمن طويل، وعودتنى أن أدعو الآخر عما لى، وقد قضيت فتوتى وصباى فى الغفلة. كان الناس حتما يعلمون سرى وأنا وحدى أجهله .. أية جناية جنيت فاستحققت بها هذا العقاب؟

هنريت : إن ما وقع اليوم فاجع ولن يعود.

جورج : أريد الوقوف على نصيب حديث اليوم من الحقيقة.

هنريت : إنه كان يهذى ويخرف.

جورج : ألم تكونى امرأته؟

هنريت : (بتردد) أين بول؟ .. لقد أبطأ .. أنه خرج للبحث عنك.

جورج : غيبته أفضل لنا جميعا. هل أعوزك النطق بدون حضوره؟ هل كنت امرأة شرعية لذلك الرجل الذى لقينا؟

هنريت : نعم .. نعم .. منذ عشرين عاما.

جورج : ولماذا تعيشين فى غير بيته؟

هنريت : لقد افترقنا باختيارنا.

جورج : لماذا؟

هنريت : لأنه لم يشأ أن يعاشرنى بالمعروف.

جورج : هل اتهمكما حقاً بما سمعت؟

هنريت : نعم لقد افترى على هذا الإفك.

جورج : إذن كنت شريفة طاهرة؟

هنريت : (بخجل) أجل .. كنت

جورج :ولكن لماذا قضيت هذه السنين مع شريكك فى التهمة إذا كنت طاهرة الذيل؟

هنريت : إنه العناد.

جورج :وهل يقتضى العناد أن تتبذل المرأة وتسىء إلى شرفها وشرف ولدها

هنريت : كنت شابة ولم أحسب لما أقدمت عليه حساباً.

جورج : وهل اقتضى العناد أن أشب على اعتبار صاحب هذه الصورة عماً لى وهو كما تعلمين؟

هنريت : (بعد سكوت طويل) لأنه فى الحقيقة والدك!!

جورج : إذن لم تكونى طاهرة الذيل؟

هنريت : ولدى .. اسكت .. أرجوك اسكت!

جورج : أنا إذن ثمرة هذه العلاقة الآثمة!

هنريت : اعف عنى يا ولدى واقتلنى.

جورج : إنك تستحقين القتل ولكننى لا أستطيع أن أكون قاتلاً (يبكى).

هنريت : ليتنى مت.

جورج : لا ألوم الرجل الذى تكلم اليوم إلا على أنه أبقى عليك.

هنريت : لقد شرع فى قتلنا معاً.

جورج : ليته أفلح.

هنريت : كنت تنشأ يتيماً.

جورج : ولكن كنت أعيش حاملاً اسم رجل.

هنريت : إنه كان ينبذك.

جورج : لأنك أخبرته أننى لم أكن ولده.

هنريت : أتحاسبنى فى كهولتى على ذنوب الشباب؟
جورج : أنا ثمرة ذنبك فى شبابك وأحاسبك عليه فى كهولتك.
هنريت : لقد خارت قواى ولم يعد لى صبر على هذا الحساب.
جورج : تجلدى. لقد تركت غيرك فريسة الهم والوحدة عشرين عاما فكيف لا تصبرين على الحساب عشرين دقيقة؟
هنريت : أشعر بأنك تسلب حياتى.
جورج : شرفى أثمن من كل شىء.
هنريت : لقد أذنبت واعترفت.
جورج : لو كان للتوبة مجال فلربما طلبت إليك أن تتوبى، ولكن المذنبين اليائسين من العود إلى ذنوبهم لا تنفعهم التوبة مهما كانت صادقة.
هنريت : أريد التكفير عن سيئتى.
جورج : سيئة واحدة؟ سيئتك نحو الزوج أم سيئتك نحو الولد؟
هنريت : هل الذنب يتجزأ؟
جورج : الذنب لا يتجزأ ولكن الضحايا .. المجنى عليهم يتعددون.
هنريت : أريد أن استغفر بارنت فأنه أرأف قلبا وألين جانبا منك.
جورج : لو كنت ابنه لكنت مثله قلبا وجانبا، ولكننى كأبى الذى أدعوه عمى أتحبين الوالد وتأبين على ولده أن يكون مثله؟ إنى مثل أبى الذى اخترته وفضلته على زوجك.
هنريت : سأذهب إلى بارنت .. سأسأله المغفرة.
جورج : هبى أنه مات.
هنريت : إذن ادخل الدير.
جورج : لماذا أنشأتنى على فكرة موته فأفهمتينى منذ نعومة أظفارى أن أبى الذى نحمل كلانا اسمه قد مات؟
هنريت : لقد كانت هذه خير الوسائل.
جورج : كيف ترضين لى أن أنشأ على أكذوبة؟
هنريت : كيف تستطيع امرأة مثلى أن تشرح ماضيها لولدها الصغير؟
جورج : فلما بلغت الرشد لماذا لزمت الصمت؟
هنريت : لم أستطع أن أطلعك على عارى خشية أن يجرح قلبك.

جورج : كنت تخجلين.

هنريت : لم تكن حالى خجلا إنما كانت خوفا ورهبة.

جورج : ليتك أخرجتنى حمالا أو حوذيا أو حفار قبور.إن صناعة الطب التى اخترتها لى لا يصلح لها إلا الأشراف!

هنريت : أيوجد فى الناس يا ولدى من هو أشرف منك؟

جورج : ولكننى لا أستطيع أن أرفع رأسى.

المشهد الرابع

(يدخل بول شاحب الوجه منهوك القوى فيتبادل الثلاثة النظرات)

هنريت : ولدى! أتوسل إليك أن ترحمنا.

جورج : هذا أنت يا سيدى العم!

بول : لقد انتظرناك طويلا.

جورج : طالما دعوتك عمي ولكنك وأسفاه أبى!!

بول : هل صدقت ذلك المـــ ..

جورج : لا فائدة فى الاختلاق، فقد اعترفت لى بكل شىء ووقفت على الحقيقة.

بول : (فى دهشة وانزعاج) اعترفت لك بكل شىء؟

هنريت : هل تسمى دموع أمك النادمة اعترافا؟

بول :مهما تكن الحقيقة التى وقفت عليها فالأجدر بك أن تكف عن تعذيبها.

جورج : سأكف حتما .. إن الحقيقة أنقذتنى من بيئة الكذب والتلفيق التى شئتما أن أنشأ فيها.

بول : لم يكن فى وسعنا أن نطلعك على كل شىء.

جورج : ولماذا تستبيح فعلا تخشى اطلاع أقرب الناس عليه؟

بول : لقد فعلنا كما يفعل الناس.

جورج : أهذا عذرك إلى نفسك؟

بول : كان عذرى وعذرها حبا شديدا ملك علينا أنفسنا وألقى على بصيرتنا غشاوة لم تنجل إلا يوم افتضاح أمرنا!!

جورج : إذن لماذا لم تتزوج منها؟

بول : كنا فى سن الزواج فقيرين فقرا مدقعا.

جورج : إذن جبنت عن أن تعول امرأة تعدها أحب الناس إليك وتريد أن تجعل منها رفيقة حياتك.

بول : إن عيشة الزوجية فى ألم الفقر أشد مرارة على النفس من فراق العاشقين مهما عظم الحب.

جورج :إذن استبحت أن يكون لك شريك فى المرأة التى تحبها لتتمتع بها فى ظل ثروته؟ ورضيت أن تخون صديقك لأنه وثق منك وأتمنك على امرأته جهلا منه بعلاقتكما القديمة.

بول : إنك يا جورج تحرج صدرى.

جورج : (مستطردا) ثم انتزعت زوجة الرجل من بيته.

بول : لقد نبذها فأويتها.

جورج : (مستطردا) .. ثم رضيت أن تقاسمه ثروته عشرين عاما فعشت من المال المسلوب أنت ورفيقتك والطفل الذى جنيتما عليه.

بول : لقد أحببناك فوق كل شيء.

جورج : .. طبعا وكيف لا .. لقد كنت لكما مصدر رزق لا ينضب ورأسمال يغدق عليكما الأرباح.

بول :لقد ربيناك تربية حسنة وأنبتناك نباتا حسنا وهذبناك وعلمناك الطب.

جورج : بئس التربية والتعليم .. خذا تربيتكما وتعليمكما بشرط أن تأخذا معهما عاركما الذى ألحقتماه بى .. استردا كل ما ذكرت وردا إلى شرفى وأن يكن شرف ابن نجار أو حداد جاهل فقير.

بول : لم تكن نفسى تحدثنى إنك على هذا القدر من القسوة! ألا ترضى بما رضينا به نحن والداك؟ (يدنو منه بعطف).

جورج : مكانك أيها الرجل! .. إننى احتقرك. (بول يخطو نحوه بغضب، فتتنبه الأم من عميق غشيتها وبكائها وتقف بينهما).

هنريت : حذار .. إننى قاسيت فى هذا الأمر أكثر مما تحتمله نفسى.

جورج : تتهددنى؟ تحاول ضربى؟ .. إليك رأسى فشجه وعينى فافقأهما.

هنريت : بول .. احتمل غضب ولدك.

جورج : سأدخل غرفتى لأبدل ثيابى (يصعد الدرج).

المشهد الخامس

هنريت : أنتركه وحيدا بعد هذا الانفعال؟

بول : لعله ينام فيهدأ ثائره.

هنريت : تظن من كانت هذه حاله يستطيع النوم؟

بول : إنه منهوك القوى. والتعب يرغمه على النوم.

هنريت : إن قلبى غير مطمئن إلى خلوته وانفراده.

بول : إن الخلوة أفضل له من عشرتنا بعد الذى سمعته منه.

هنريت : ولكننى يا بول اخشى ..

بول : إنك تبالغين فى الخوف (يسمع صوت جسم يقع، فتجرى الأم إلى الغرفة وتعود كالمجنونة).

هنريت : (بانزعاج) الباب مغلق وقرعته فلم يجبنى .. بادر إلى تحطيمه.

بول : املكى نفسك .. إن لديك مفتاحا آخر يفتح هذا الباب (يفتح درجا فى دولاب فى الصالون ويناولها المفتاح فتسرع إلى الباب وتفتحه وتغيب، ثم تسمع صرخة ثم تعود إلى المسرح).

بول : (بلهفة) ماذا جرى؟

هنريت : لقد قتلت ولدى (ترتمى على الأرض).

بول : لم أقتل ولدك .. إنما قتله الشرف.

(ستار)

تمت الرواية ١٩١٨/١٠/٢

محمد لطفى جمعة

خضر أرضك

فنظرية أخلاقية وقعت بمصر
أى رواية مضحكة خيالية محلية
١٩١٨

Political Censorship
Passed

رواية خضر أرضك
فنظرية أخلاقية وقعت بمصر
أى رواية مضحكة خيالية محلية
الفصل الأول

96
26.6.918

[illegible]

المشهد الأول

نجيب – نجيب

[illegible]

الفصل الأول

المرسح يمثل أودة جلوس فى منزل من الطبقة الوسطى وللأودة عدة أبواب منها باب على كل من الحمام وباب على المطبخ وفيها أى الأودة نافذتان.

المشهد الأول

نجيب – نجيبة

نجيب : (يستعد لأخذ حمام الصباح) الدوش رحمة على البدن فى الحر ده. لولا دوش الصبح ماكانش الواحد يعرف يفتح عينيه. خلى أصحابنا الأغنياء يتفسحوا فى الرمل ورأس البر ويبلبطوا فى الميه ويبردوا جوفهم بالمشروبات العال ويمزوا بالسمك والجندفلى والسمان المحمر. وإحنا هنا نهلك فى مصر ونشرب حر الصيف ونشرب كمان من كيعاننا. تسعة وثلاثين تحت الصفر وألا فوق الصفر والله ما أنا عارف أهو فيه صفر والسلام كل الواحد ما يقرأ فى الجرنال إسكندرية ٢٧ فى الظل القرشية ٣٥ القاهرة ٣٩ الخرطوم ٤٢ أقول برده إحنا أحسن من اللى فى الخرطوم من شاف بلوة غيره هانت عليه بلوته. درجة فوق درجة تحت مش حاجة (يهرش فى رأسه) أنا حاكم أغسل رأسى قبل ما أتليف علشان ما أعرفش أصبنها تحت الدوش وخصوصا إذا الرأس خلصت تبقى المسألة سهلة. (يلف فوطة على كتفيه ويدخل مسافة ثانية فى الحمام ويخرج) دهده هى الكوبانية قفلت الميه النهارده كمان مش كانوا ينبهوا على السكان أما شىء بارد وإن ماكانش الصهريج وألا هو الخزان مكسور تكون المواسير خربانة وإن ماكانش المواسير خربانة يكون النيل واطى وإن ماكانش النيل واطى تكون ماليتنا واطية يقوموا يقفلوا الميه والله أيام سقة ملو كانت أحسن لنا من الحنفيات دى (يسمع صوت غسيل مواعين).

نجيبة : (من الداخل) سبونى يا ناس فى حالى أروح مطرح ...

نجيب : الله دهديه دى الميه شغالة وأهى مفتوحة فى المطبخ (إلى نجيبة) يا ست نجيبة هانم أقفلى الميه عندك.

نجيبة : (تخرج) إيه بتقول إيه حضرتك.

نجيب : يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم يا ست بأقول لحضرتك أقفلى الميه عندك حبتين علشان أعرف آخد الدوش وأصبن رأسى وأنزل أحسن الوقت أزف على المكتب وعندنا النهارده شغل وفلاحين جايين من دمنهور الوحش حيدفعوا قرشين والبيه موصينى وأنت عارفة الواد محمود ابن خالتك مش نافع إلا فى العياقة ولا يعرفش يخلص القرشين من الفلاحين.

نجيبة : بسلامتك عاوزنى أقفل المية وأبطل غسيل المواعين وتأكل فى إيه بسلامتك يابو عمر ومحمود ماله شايله على رأسك وزاعق من صباحت ربنا (تدخل وتظهر رأسها من نافذة المطبخ).

نجيب : يا ستى أبقى أغسليهم بعد ما أغسل رأسى أحسن الوقت أزف ولا تخديش على خاطرك علشان سى محمود أنا بس بأفهمك سبب استعجالى.

نجيبة : أزف وإلا ما أزف وإيه يعنى ما يهمنيش أنا عندى غسيل المواعين أهم.

نجيب : غسيل المواعين أهم من غسيل رأسى.

نجيبة : أنا ما قلتش أهو كل واحد عنده حاجته غالية.

نجيب : يا ستى أعملى معروف بس ولو خمس دقائق.

نجيبة : بطلوا ده وأسمعوا ده يا راجل المواعين تخسر.

نجيب : وأنا رأسى متخسرش من الحر والعرق دا مخى قرب يسيح.

نجيبة : (تضحك) إن ساله حتى تمشش (تسمع ساعة ٨).

نجيب :بلاش هزار يا نجيبة ساعة الجيران دقت ثمانية وأنت عارفة الفلاحين دول بيدروا من الفجر ويجوا عند الخبير ومعهم الأبوكاتية بتوعهم والأبوكاتية متعنطزين إن ماكناش نحضر يتقمصوا ويزعلوا ويكتبوا لنا جواب مسوكر.

نجيبة : يكفينا نعيرها والله بقى لنا زمان ماشفناش خير الفلاحين ومن يوم ما طلعت الحرب فى الدنيا لا بتجيب لنا هدية من واحد منهم أنا عارفة الدنيا جرى لها إيه وإلا أنت جرى لك إيه يا سى نجيب. الله يرحم أيام ما كنت مستخدم فى الدخولية.

نجيب : حاكم الأيام دى البيه الخبير بتاعنا واخد خيرها وبالع الشغل على القايم وكل قضية يأكل فيها وإحنا قاعدين نبص.

نجيبة : بقه ما فيش فلاح لطشاه الشمس يجيب لك زيارة بصل ولا يوسف أفندى تروح السنة وتجى السنة ماندوقش للفاكهة دى طعم إلا إن كانش شوية المشمش الخسران ولا الجميز الخيبان اللى بتجيبهم.

نجيب : ليه ما جبتلكيش خيار السنة اللى فاتت من مقاتة عيسوى بك بخيت.

نجيبة :ريقى نشف على شوية جوافة حلوانى وأهى بتطلع كثير فى المعصرة وأديك بتروح هناك عدد شعر رأسك علشان قضية المعلم أحمد المبلط.

نجيب : ما هو قال لى حيشيع لنا شوية جوافة فى المشمش.

نجيبة : (تضحك) يوه جتك حوسة يا سى نجيب ده بيضحك عليك.

نجيب : أهو قال لما يطلع المشمش يبقه يشيع لنا الجوافة (تسمع الساعة تدق ونص) الله الساعة ٨.٣٠ ... الميه.

نجيبة : طيب علشان خاطرك أدينى قفلتها من عندى (تخرج لنا).

نجيب : (يدخل الحمام ثم يعود) وأنا بفتحها عندى ما بتنزلش.

المشهد الثانى

السابقان – حسن الخادم – بربرى من الخارج

حسن : (يدخل بسرعة) يا ستى عم فضل البواب بيقول خدوا لكم شوية ميه أحسن السباك حيقفل الأم علشان يصلح المواسير.

نجيبة : قال لك كده من أمته ياواد.

حسن : من الصبح.

نجيب : طيب ياواد ماقلتلناش ليه ياواد.

نجيبة : هو الواد حيفتكر ليه ولا إيه أديك بشرت على نفسك.

نجيب : ياواد قل له يفتحها أحسن إحنا مالحقناش ناخد ميه.

حسن : (من الشباك) يا عم فضل يا عم فضل.

فضل : (من الخارج) خبر إيه.

حسن : أفتح الميه شوية.

فضل : ميه إيه هلاص مأفوله كمان نص ساعة يفته.

نجيب : قول له ياواد الأفندى بيأخذ دوش.
حسن : الأفندى مين يا سيدى.
نجيبة : يوه جتك نيلة ياواد يا حسن الأفندى سيدك ياواد. أطيعة ده مستكترها عليك يا سى نجيب.
نجيب : اختشى الواد واقف.
نجيبة : وايه يعنى.
نجيب : ما تهزريش معاية قدامه بالشكل ده.
نجيبة : هو يفهم حاجة ده واد أهبل.
حسن : يا عم فضل الأفندى بياخد دوش.
فضل : دوش مش الميه مأفول ديلوأتى أنا جلت لك من الصبه ياخد ميه زى كل الجيران.
نجيب : حتى البوابين كمان بيتحكموا فى السكان ده نهار أسود(لحسن) أمشى ياواد أطلع بره (يخرج حسن).
نجيبة : مابيدهاش بقه يا أفندى أطلع كده النهاردة.
نجيب : (متعكنن) طيب هاتى لى تغييره نضيفة أحسن القميص عرقان وحالته عيرة.
نجيبة : (تدخل ثم تعود) مافيش هدوم نضيفة.
نجيب : ليه كمان الكوبانية قفلت على الهدوم.
نجيبة : يوه لأ أنا كنت منبهة على أم شفيقة الغسالة ماجتش إمبارح ولا النهاردة.
نجيب : طيب كنت أغسلى لى تغييرة ... هى دى كمان شغلة ..
نجيبة : أنت جايبنى تجوزنى وألا تغسلنى هدومك مش بزيادة الطبيخ والغريف وفرش السرير ده أنت كمان شوية تمسحنى البلاط.
نجيب : وايه يعنى يا ستى لو مسحت البلاط الله يرحم والدتى.
نجيبة : دا أنت فشرت قوى.
نجيب : الله يرحم والدتى. كانت عاقلة وطيبة وكانت تقول مثل اللى تشيل القجل تشيل الوحل.

نجيبة : حتقعد بقى زى عجايز قبرص تضرب لى أمثال ومواعظ وتتكلم لى بالحبكى (تدق الساعة ٩).

نجيب : هو هو الساعة ٩ ده النهار ضاع ويمكن البيه يقطعه لى.

نجيبة : وإيه يعنى.

نجيب : حتبقى تصرفى على البيت يا ست نجيبة.

نجيبة : أهو بأكسى نفسى وموفرة عليك حق الهدوم.

نجيب : نهايته أما ألبس الهدوم الوسخة دا شيء يهرى اللحم.

نجيبة : لا ماتوهمش نفسك ده مش وسخ ده حمو النيل. بكره أبقى أجيب لك شوية طفل تدهن به جسمك.

نجيب : لا .. لا .. لا طفل ولا أقل أحسن اللى بيتدهنوا بالطفل بيبقوا زى الحمير الجربانة (يلبس بعض الهدوم التى كان خلعها استعدادا للحمام).

المشهد الثالث

حسن : (يدخل) سيدى .. سيدى الميه جت.

نجيب : تتفلأ إن شا الله تجى ميت مره ضافر فى بوزك.

حسن : (يتقمص) الله طيب وأنا مالى (يخرج).

نجيبة : طيب وهو ذنبه إيه ده بيقول لك الميه جت.

نجيب : تجى لما أستغنى عنها ولما كنت واقف حاموت عليها ماتخرش.

نجيبة : أدى حال الدنيا.

نجيب : الله! فين الفطور؟ والله أنا عينى اليمين بترف من إمبارح.

نجيبة : ما ترف وألا تنطرف حتى هو أنا حا أقطع نفسى ميت حتة حاغسل المواعين. ولا أرغى معاك ولا أعمل لك الفطور. عاوز تفطر إيه بسلامتك يا الدلعدى.

نجيب : ما أنت عارفة كل يوم بأفطر إيه من يوم ما عييت بيض برشت وشوية شاى بلبن.

نجيبة : هو أنت ماتبطلش البيض أبو رشت والشاى أبو لبن أفطر لك يوم طبيخ زى الخلق.

نجيب : ليه يعنى يا ستى ولما الكلاوى ترجع تمغص على تبقى تنفعينى.

نجيبة : بس ما أشترتش بيض النهاردة علشان مافاتش.

نجيب : ليه هو أنت لسه مش عارفة عادتى بقالك معاية خمس سنوات وبقالى عيان سنتين ولانتش عارفة.

نجيبة : أهو أديك بتفطر برضه فول مدمس.

نجيب : أيوه لما تكون نفسى حليانة ومن ورا روحى ومره كل شهرين مش حاجة.

نجيبة : ونفسك النهاردة مش حليانة (تضحك).

نجيب : يا نجيبة الساعة ٩.

المشهد الرابع

نجيبة : يا واد يا حسن (يدخل).

حسن : نعم يا ستى شوف الأفندى عاوز إيه.

نجيب : عاوز بقرش صاغ بيض طازة قول للحاجة على المكسر ورغيف فينو بقرش تعريفة وحتة زبدة بقرش صاغ. بالعجل زى الولعة أدينى حانوف لك تفة وإن نشفت قبل ما تجى أهى الخرزانة (يعطى له الفلوس).

حسن : حاضر يا سيدى (يخرج جرى).

نجيب : (يطل من الشباك) شايفة ابن الكلب ماشى على مهله إزاى ود بأه يابن الكلب مد.

المشهد الخامس

نجيبة : من حق على فكرة حنطبخ إيه النهاردة؟

نجيب : أطبخى اللى يعجبك.

نجيبة : لأ اللى يعجبك أنت.

نجيب : لأ اللى يعجبك أنت.

نجيب : مافيش فايدة إذا قلت لك أطبخى عسل تطبخى بصل فاكرة نهار ما قلت لك الحكيم قال لى كل فاصولية خضرا قمت طبخت كفتة وقلت لى نينتك نفسها فى الكفتة.

نجيبة : أهى مره وعدت.

نجيب : لأ أطبخى اللى يهف عليك.

نجيبة : من حق قبل ما نطبخ عاوزين صفيحة جاز.
نجيب : خدى أدى عشرين قرش للجاز.
نجيبة : كان زمان وجبر يا حبيبى الصفيحة دلوقت بثلاثين قرش وهيهات إن رضى البياع وكل حين ومين لما يفوت الفنطاس.
نجيب : ثلاثين قرش يادى الداهية أمال الوابور ما بيبطلش طول النهار ليه.
نجيبة : لوازم بيتك يا حبيبى هو أنا بأسخن عليه لأمى ولا بطبخ لأبويا. أهو كله علشانك.
نجيب : أدى عشرة قروش ولا تبقيش تولعى الوابور إلا وقت اللزوم والواحد لازم يراعى الأحوال.
نجيبة : من حق فكرتنى الوابور خسران وإمبارح ندهت للراجل اللى بيقـول نصلح وابور الجاز قام طلب خمسة قروش وقال إنه بينفس وعـاوز يغير له الفونية ويحط له جلد جديد.
نجيب : جاى يا مسلمين من وابور الجاز وأنا بقيت دافع عليه قد ثمنه عشـر مرات هو ده وابور طحين وألا وابور رى وألا وابور الصعيد.
نجيبة : أيوه أحمد ربنا دحنا عندنا ثلاث بوابير وبابا ..
نجيب : فى عرض النبى اعتقينى من بابا ومن نينة على الصبح إحنا ما قلنا.
نجيبة : يوه مالك بتطلع فيه كده زى المدفع هى سيرتهم بتجننك هما مولودين فوق رأسك أما شىء عجيب.
نجيب : اتفضلى يا ستى خمس قروش للوابور ولما تجى الغسالة ماتخليـهاش تولعه أحسن هى اللى بتخسره.
نجيبة : من حق فكرتنى.
نجيب : إيه كمان النايبة الجديدة.
نجيبة : الغسالة عاوزه صابون وبطاس وزهرة غير أجرتها وقهوتها ودخانها.
نجيب : أدى نص ريال يكفى.
نجيبة : ده كان زمان وجبر.
نجيب : ليه دحنا غاسلين الشهر اللى فات ومادفعتش غير كده.
نجيبة : أنا كملت من عندى ومع ذلك كل شىء بيتغير. الصـابون دلوقـت الرطل بستة قروش صاغ والأثمان بتطلع.

نجيب : هى الأثمان دى تملى تأب تأب ولا تغطسى ولا مره.

نجيبة : هو أنت حضرتك ما بتقراش التسعيرة.

نجيب : أنا بقره التسعيرة وأشوف برده الأثمان مقبولة بالنسبة للأحوال الحاضرة ونحمد ربنا إحنا أحسن من غيرنا ولكن التسعيرة بتعتك هى اللى بتجننى.

نجيبة : ليه يا خويا هو أنا باحوش من وراك وألا بسرق من المصروف وألا بودى على بيت أبويا إياك أنت بس تقضى بيتك على وشك بيان يا مضاغ اللبان.

نجيب : يا نجيبة هو أنا كفرت مافيش كلمة أقولها إلا لما تردحى لى الأحوال صعبة والمالية مأرطة.

نجيبة : وأنا مالى وأيه يعنى اللى يفتح بيت يقدر على مصروفه يا جارية أطبخى يا سيدى كلف أنت عاوز بيت ممسوح ومكنسة جنبه.

نجيب : هو البيت ده طاقة من جهنم اللى يفتحه ما يقدرش عليه.

نجيبة : ما تقفله يا حبيبى هو بيت أمى وألا بيت أبويا العايز أهبل!

نجيبة : طيب يا ستى الحق على أدى عشرين قرش.

نجيبة : وإن قضوا.

نجيب : مافيش حاجة كمان.

نجيبة : أنت بتطلع فيه ترزينى أهو السمن فرغ وخايفة أقول لك من الصبح.

نجيب : السمن فرغ! السمن فرغ! أنت بتقولى إيه السمن فرغ. دنا لسه مشكك صفيحة ولا دفعتش بقية ثمنها.

نجيبة : بطلوا ده وأسمعوا ده مالك يا سى نجيب مفجوع كده... دى الصفيحة عند بابا ماتقعدتش ..

نجيب : يا ستى فى عرضك اعتقينى من بابا ونينة أنا بأستغرب.

نجيبة : تستغرب إيه ياعنى إحنا لا بنعمل كحك على العيد ولا قرص للقرافة ولا بنخبز المشلتت ولا المبطط مفيش غير الطبختين ودمتم.

نجيب : إلا السمن فرغ ده الرطل الزبدة خدته بسبعة قروش ببوس الإيد من الراجل اللى فى السبتية.

نجيبة : ها ها ده كان زمان وثلاث جبرات يا جوز الهنا.

نجيب : ليه كمان السمن غلى.

نجيبة : غلى وغلى وغلى وبقى ثمن رطل الزبدة تسعة قروش والسمن حداشر قرش.

نجيب : حداشر قرش والله ما هو داخل لى بيت.

نجيبة : هو مين ده.

نجيب : السمن.

نجيبة : دور على اللى يقعد لك.

نجيب : بقى ما تقعديش معايا إلا علشان السمن.

نجيبة : إن ماكانش الست منا واكلة وشاربة ولابسة ومتفسحة على كيفها عنها ماعاشت ربنا ماخلقش أكثر من الرجالة.

نجيب : إيه الكلام ده أنا بعدين أزعل.

نجيبة : وإيه يعنى متزعل وألا تشرب من البحر.

نجيب : ويمكن يتأتى من الأمور أمور.

نجيبة : وإيه يعنى ما يتأتى اللى يتأتى هو أنا مش حلاقى عرسان.

نجيب : وإيه كمان خلصت مسألة السمن طلعت مسألة العرسان ربنا يدبرها إياك يجى لنا حد من طهطا أشكك منه صفيحة ولو بالفايظ الله الساعة تسعة وربع والواد ابن الكلب لسه ماجاش.

نجيبة : دلوقت يجى.

نجيب : طيب بدال الأخد والعطا ده روحى أنت أعملى الشاى على ما يجى الواد (تقوم تدخل المطبخ وترجع).

نجيبة : الشاى فرغ والسكر مفيش إلا حتتين صغيرين.

نجيب : طيب ماقلتيش ليه من الصبح.

نجيبة : أنت مسألتنيش.

نجيب : هو أنت ماتنطقيش إلا بزنبلك.

نجيبة : نجيب! حسن ملافظك أحسن الجيران يسمعونا.

نجيب : هو أنا بأقول حاجة إشمعنا الجيران حيسمعونى ولا كانوش سامعين كلامك من الصبح.

نجيبة : دى إهانة زنبلك إيه يعنى.

نجيب : نهايته (يبص من الشباك) الواد أهو جه الله! ده ممعهش حاجة يكون حد ضربه وخد الفلوس لا ده مابيعيطش.

المشهد السادس

نجيب : فين الحاجات يا واد.

حسن : البيض بقه اثنين بالصاغ والعيش مافيش بتعريفة والزبدة مفيش بصاغ.

نجيبة : (تضحك) مش قلت لك عيش عيشة أهلك وأقضيها بلدى روح ياواد هات لسيدك فول.

نجيب : بس أخرسى! أما شيء بارد وعجيب لكن ياواد دانت شارى لى بيض إمبارح أربعة بصاغ وجبت لى أول إمبارح زبدة.

حسن : أهى الحاجة قالت لى كده وقالت لى صبح على سيدك وقل له الميه بقت علينا بخمسة وأربعين بما فيها الممشش والمفأس.

نجيب : (يطلع فلوس من جيبه) روح هات ياواد بنص فرنك بيض وبصاغ عيش وزبدة بقرشين.

حسن : الفرن قافل.

نجيب : ليه كمان؟

حسن : علشان بتوع التسعيرة.

نجيب : طيب هات من فرن تانى (يخرج حسن) الساعة ٩.٣٠ لازم أنزل على التسعين طيب عندكيش حاجة بايتة من إمبارح؟

نجيبة : قلنا كده قلتوا أطلعوا من البلد أهو مافيش إلا الطبيخ.

نجيب : هو إحنا كنا طابخين إيه إمبارح والله الواحد بينسى من كترة الهم.

نجيبة : يعنى طابخين المحمر ولا المشمر أهم حبة البدنجان المكمورين وقبلها كنا طابخين فاصوليا أرديحى.

نجيب : نعمل إيه ما هى اللحمة بقت نار يا نجيبة والواحد فى الدنيا دى على دى ودى إذا كان رطل اللحمة البلدى بقه بثمانية صاغ وهيهات الله يرحم زمان كان أبويا يشترى لنا الرطل البلدى العال من الإبشيهى الجزار بمية فضة والخشن نهار ما تكبر نجيبه بستين تعريفة ونهار ما يقول العجل من دول أنا وأنا مايزيدش عن قرش صاغ ومين حتى

كان يأكله وتمنتاشر بيضة بقرش صاغ ورطل السمن البلدى العـــال نهار ما يستعظم زى اللحمة.

نجيبة : إحنا أولاد النهارده يا أفندى سيبك من زمان شوف لك طريقة وأعمل ترتيبك أحسن نينتى يمكن تجى النهاردة تقعد عندى شوية.

نجيب : طيب وماله وإيه المناسبة بين زيارتها وثمن اللحمة.

نجيبة : ليه هى مش حتتغدا وتتعشى هى وأخواتى ويمكن بابا كمان يفـــوت يقعد له شوية ويقول لى يا أختى طابخة إيه أبقى أقول له إيه.

نجيب : يسألك ليه هو عينوه مفتش طبيخ.

نجيبة : لأ يا بارد العادة الأب يسأل على بنته يشوفها بتأكل إيه بتشرب إيـــه ويحب كمان يدوق طبيخ إيدها.

نجيب : بقه أما أقول لك أنت عارفة طبعى زمان لما كنت فى الدخولية وأول ما اشتغلت مع البيه وقبل الحرب كانت الدنيا نعناع أخضر ولا كنتش بتأخر عن إكرام أهلك لكن اليومين دول صعب فمافيش لزوم للزيارة دى لأنها بايخة ومع ذلك يقدروا يأجلوها لبعد الحرب.

نجيبة : يا دهوتى يا سى نجيب مش عيب يا راجل زيارة إيه اللى يأجلوهـــا لبعد الحرب هو أنت حتدبح لهم خروف وألا زيارتهم طلعة المحمـــل وألا حتجيب لهم عشى باشا وألا حتعمل لهم نصبة.

نجيب : والله همه اللى حيعملوا النصبة مش أنا ومع ذلك أهى العزومة فـــى الزمان ده بتحصل خروف من بتوع زمان خمس ست أرطال لحـــم ضانى ورطلين سمن وقدحين رز وثلاث أربع وقات عيش ووقتيـــن بامية من اللى يحبها قلب أبوكِ وقهوة الاستقبال وقهوة بعـــد الأكـــل وقهوة العصر والدخان لنينتك حاكم هى زى السوســـة فـــى اللـــف، والسكر لأبوكِ حاكم راخر يحب السكر من يوم ما جاله فى البـــول وشفته بعينى بيقرشه قرش.

نجيبة : أما أقول لك .. ما تجيبش سيرة أبويا.

نجيب : بأقول يعنى تعملى الحسبة تحصل لها جنية ونص ثمن خروف مـــن بتوع زمان وألا لأ.

المشهد السابع

حسن : (يدخل) سيدى الفرن أقل علشان مافيش عندهم فحم وبتـــاع الزبـدة بيبيعوها له بالعسكر وما قدرتش أروح وراهم التمن والبيـض وقـع منى علشان الحاجة ماعندهاش ورق تلف فيه.

نجيب : طيب يا ابن الكلب (يضربه) حافطر إيه؟

نجيبة : سيب الواد هو مش حرام عليك إكمنـك مـاخلفتش أمشـى يـاواد وماتزعلش (يخرج).

نجيب : طيب ومسألة الخلفة رخرة مالها .. وهو أنا اللى محقوق فيـها وألا أنت الحق علىّ اللى ما أتجوزت عليك.

نجيبة : ماتتجوز عشرة وإيه يعنى.

نجيب : المقصود .. أنا مش حاعرف أفطر فى اليوم المقنـدل ده .. نهايتـه هاتى البدنجان يا ستى.

نجيبة : مش لما أسخنه لك.

نجيب : لا .. لا .. هاتيه كده جلاسيه أحسن أنا خايف من تسخينه .. ميـن يعرف الحوادث المحلية اللى تحصل فى البيت لما تجى تسخنى طبيخ إمبارح .. بزيادة الحوادث الخارجية اللى حصلت لما شبعنا .. نفطـو من بره.

نجيبة : (تخرج وتعود بحلة) طيب أهو وأدى العيش.

نجيب : أعملى لى بقه شوية شاى زى العادة أبلبع بهم الكبب دى .. ده صدق من قال النار رحمة على بنى آدم .. لو كان البدنجان ده سايح شـوية يمكن كان ينبلع نهايته .. الشاى يا ستى يمكن يزحلـق النايبـة دى أحسن البدنجان ده زى كلمة الحق بيقف فى الـزور (يشـرب ميـه ويزور) يا ترى مين جايب فى سيرتى .. الفلاحين والبيه طبعـاً .. اللى فى سيرتى يحتار حيرتى (لنجبية) مالك واقفة كده ما تروحـى تعملى الشاى.

نجيبة : ما قلت لك الشاى خلص (الباب يخبط).

نجيب : ياواد يا حسن شوف مين بيخبط .. يا فتاح يا عليم.. يمكن يكون سى محمود ابن خالتك جاى ينط لنا يكون البيه استعوقنى.

نجيبة : يا ريت والله بآلى زمان ماشفتوش ما هو كلامك اللى بيقطع رجـل الأهل والأحباب.

نجيب : حقه تتمنى أنت أنه يكون هنا عدد الأوقات والساعات.

نجيبة : طبعاً داحنا متربين سوا.

المشهد الثامن

حسن : (يدخل) ده عم عبد الرسول المكوجى عاوز العلاّقات والحساب.

نجيب : طيب ما تقول للست ياواد.

نجيبة : العلاّقات بتوع الأيام دى بيتأصفوا زى عيدان الكـبريت ومختشـية أقول له عليهم.

نجيب : شوفى حسابه كام وأصرفيه دلوقت.

نجيبة : لا ياخويا أنا ما أعرفش أصرفه .. قوم كلمـه أنـت .. هـو أنـت حاططنى للسكة والبلّه ومصدرنى للطمة والصدمة.

نجيب : أجرى ياواد يا حسن أسأله عاوز كام.

حسن : (يخرج ويعود) تلاتاشر قرش ونصف.

نجيب : ليه هو كوى شال عمة الشيخ على وألا إيه؟

نجيبة : كوى بدلتين بستة صاغ وأتناشر ياقة بتلاتة صاغ وخمس قمصـان وأربع جربتات من البيض اللى طلعت لى فيهم الأيام دى قول بقرش تعريفة وعشر مناديل قول بقرشين صاغ يطلع له أربعتاشـر قـرش يدوبك.

نجيب : يا ستى ده بيقول هو تلاتاشر هو لازم تكونى مكوجية أكـثر مـن المكوجى ولازم تكوينى بنارك ونار غيرك.

نجيبة : مكوجية ده إيه؟ هو ليه الحق يزعلك بتسأل على الحساب بأقول لـك عليه مكوجية ونارى أتلطى كده.

نجيب : يا ستى الناس قالوا أنصر أخاك.. إشحال أنا بقه جوزك والقرش اللى فى جيبى أهو فى جيبك وأديك جردتينى النهارده من صنف النقديـة وعاوزة القرشين الخزدة اللى فاضلين كمان ياخدهم المكوجى وأركب الترام بإيه وأقعد على القهوة بإيه نهايته ياما أصعب الدين ياواد يـا مكوجى.

عبد الرسول : (من الخارج بصوت فظيع) واد إيه دنا راجل كبير يا أفندى.
نجيب : يا راجل يا كبير حسابك كام.
عبد الرسول : بس بلاش مهزأة على الصبح يا سيدى الست ما هى قالت لك ١٤ قرش.
نجيب : سامعه يا ستى شايفة يا ستى أهو سمعنا وإحنا بنتكلم (للمكوجى) ليه يعنى هى البدلة بكام دى الست كانت بتهزر.
عبد الرسول : زى ما بنكوى لغيرك أسأل الدكتور القطاوى وسى مخيمر بيه وعريف أفندى بيكووا عندنا ولا بيكووش قلبنا على الحساب زى حضرتك البدلة فى كل الدنيا بفرنك ما تسأل حضرة جنابك الفحم بقى بكام والنشا بكام والصنايعى بياخد إيه عرقه وأجرة الدكان زادت داحنا هنا فى نعمة دى البدلة بتتكوى فى إسكندرية بنص ريال.
نجيب : خد ياواد أدى له دول تحت الحساب (يعطى وحسن يخرج ويعود).
عبد الرسول : كل مره تحت الحساب مافيش مره حاجة فوق الحساب المقصود الله الغنى عن دى المكوى أهى مره وفاتت لما تبقوا تدفعوا الحساب القديم لما تبقوا تعرفوا تلبسوا الحق علينا إحنا.
نجيبة : سمعت يا سيدى أهو بيهزأنا أدحنا غيرنا وبدلنا مكوجية الخط كله تبقه بقه تسفر المكوة تتكوى فى بلد غير دى كل المكوجية عرفونا ولا يرضوش يجولنا.
نجيب : يبأه فيها فرج وألا أبقى أكوى أنت.
نجيبة : فرج إيه ده بعد بكره أكوى أنا ده بعيد عن أشنابك.
نجيب : الساعة ٩ ونصف مانيش رايح المكتب أحسن أترفد ياواد يا حسن أما أشيع معاك جواب للمكتب.
نجيبة : قوم يا شيخ بلاش كسل أنت حتقعد هنا طول النهار زى القتيل ماتخفش من البيه وعلى أنا ده راجل كبير ويحب فتح بيوت الناس اللى زيك قوم خللى الواحدة تطلع تشم الهوا وتشترى لها حتة ركامة وألا مترين لينوه.
نجيب : أيوه ما أنت بقا أتحينتى. حق الجاز والصابون.

نجيبة : ليه هو أنا حرامية ولا بأحوش من وراك دى كسوتى كلها من جيب غيرك.

نجيب : من جيب غيرى إزاى يعنى أختشى.

نجيبة : من جيب بابا .. ولو كانت المسألة على فلوسك كنت أبأه دايرة مهربدة.

نجيب : عجايب. ياواد يا حسن خد الورقة دى (يكتب) حضرة عبد العليم بك الخبير بعطفة القبة بعد تقديم وافر التحية لحضرتكم السنية رافعه مريض اليوم (اليوم بحيلة) يا جمال بهجة بهجة جماله.

نجيبة : اكتب يا راجل بلاش هبل أحسن الواد بيضحك علينا.

نجيب : أهى بطالة ! البركة فيك ويوم مقطوع .. وألا يرفت النفس قرفت أما أكمل '' وواخد واخد إيه واخد شربة ملح إنجليزى وملازم ملازم ثانى لا ملازم الفراش فالأمل صدور العفو عنه لأ هى قضية الأمل العفو عنه إلى باكر صباحاً ودمتم '' تعرف يا واد المكتب بتاعنا ؟

حسن : نسيته !

نجيب : إشمعنا ما بتنساش بطنك يا أقرع يا ابن ... اللى أنت ابنه عطفة القبة يا واد جنبنا على إيدك اليمين بعدنا بشارع قدام شادر الخشب تبص تلاقى مكتبنا تسلم الجواب ده وتجيب رده (يخرج الخادم) أما أقوم بقه أقلع أحسن ما أنا متأمط كده (يخرج).

(ستار)

الفصل الثانى

المشهد الأول

الباب يخبط

نجيبة : مين؟ مين اللى بيخبط.

محمود : الأفندى هنا؟

نجيبة :أهلاً وسهلاً سى محمود أيوه أتفضل أطلع مبقاش إلا تخبط على الباب زى الغرب (يدخل) (بصوت واطى) ده عامل عيان أما أشوفه لك أتفضل(يدخل محمود ومعه بعض الأشخاص الفلاحين ويلمح حتة من جسم نجيبة).

نجيب : (من الداخل بصوت متمارض) أهلاً سى محمود.

محمود : لا بأس عليك.

نجيبة : (بصوت واطى) ده عامل عيان إكمنه أتأخر (بصوت عـــالى) أمـــا أشوفه كده.

محمود : حاكم معايه جماعة فلاحين مشيعهم البيه.

نجيبة : خليهم يتفضلوا (بصوت واطى) ماحدش بيشوفك ليه من يـــوم مـــا تقابلنا عند نينتى.

محمود : دلوقت نتكلم.

نجيبة : (بصوت عالى) خليهم يتفضلوا.

نجيب : (من الداخل بصوت متمارض) أهلاً وسهلاً بابن الأسبانيولى.

محمود : شد حيلك يا أخى خد له شربة زيت.

نجيب : الحمد لله خفيت دنا شيعت من الصبح جواب للمكتب (يخرج ملفـوف فى عباءة).

محمود : ما جاناش.

نجيب : وحضراتهم مين؟

محمود : دول بتوع قضية دمنهور الوحش والبيه أتأخر شـــوية والخصـــوم مجوش والجماعة دول جم لوحدهم فأجلنا الجلسة أسبوعين والبيه قال لى خدهم عند نجيب وخليه هو اللى يوضبهم بنفسه.

فلاحون : (من الخارج) يا ساتر يا ساتر.

نجيب : عارفهم أتفضلوا يا أخوانا أتفضل يا عم حسن أتفضل يا عـــم عبـــد الجواد أتفضل يا عم سيد أحمد أتفضل يا سى مكاوى (يدخلون).

عبد الجواد : سلامات يا نجيب أفندى والله سلامات من يوم ما شرفت البلـــد ماحدش شافك.

نجيب : كل شىء قسمة ولا تنتقل القدم إلا بإذن الله.

عبد الجواد : والله تمام صدق الله العظيم مين يقول إن إحنا حنشرف عنـــدك فى مصر فى منزلك.

نجيب : أنتو نورتو بيتنا ياولاد يا حسن يا حسن ..

نجيبة : (من الداخل) أنت ما شيعته المكتب.

محمود : أنا سحت والله.
نجيب : من إيه يا أخى.
محمود : من الحر.
عبد الجواد : آه الشرد النهارده جامد جوى لكن برده حكمة ربنا كويسة بالكم يا جماعة لولا الزمطة دى ماكانش الجطن يفتح لا لا وده كمان يجتل الدودة ويغنينا عن حريج الحطب.
نجيب : القطن أتحسن أوى يا عم عبد الجواد مين كان يحلم إن القنطار يصبح بـ ٢٠ جنيه.
عبد الجواد : وأنت نسيت أجرة الأرض وتمن الأوميه وتمن البذرة وأجرة الشغالة ده بجا كله نار والمحصول هو هو جنطار ونص وإن أتعنطظ الفدان وأتخدم من بدرى جوى وأتخضر من أمشير يدوبك يرمى جنطارين.
نجيبة : حسن أهو جه وبيقول ما عرفش المكتب.
محمود : مافيش لزوم بأه أدحنا جينه وتعبنا رجلينه ودبنا.
نجيب : من إيه يا أخى؟
محمود : من شدة الحر (تسمع ضحكة من الداخل).
نجيب : ياواد يا حسن يا ولد أما شىء بارد.
حسن : نعم يا سيدى.
نجيب : أعمل قهوة وهات شوية ميه ساقعة واختشى على عرضك ولا تخليش حد يسمعك (يخرج ثم يعود يوشوش سيده).
نجيب : بأه كله ماقضاش (يخرج فلوس من جيبه) (يخرج الخادم).
محمود : بقه المسألة يا سيدى إن الجماعة دول حضروا أبل ما يحضروا خصومهم بيومين والمسألة أتأجلت والبيه بيوصيك عليهم وأترجونى على شان يكون التقرير كويس حبتين فى مصلحتهم.
نجيب : وصية البيه على العين والراس بس المسألة مسألة ذمة وأنا شايف أضية إخوانا ملخلخة.
عبد الجواد : صلى على النبى هو إحنا برده مش أبقالك من الجماعة دكهم داحنا والنبى يا أفندى مظلومين دنا بجالى راكب أرضى أدى لى سبع

سنين وخدمتها وجصبتها وصرفت عليها دم جلبى هو مش حرام عليك برده يا أفندى إنك تأخدها منى وتديها لهم من غير تعب ولا شجا.

نجيب : وهم رخرين ما تعبوا فى أرضهم.

عبد الجواد : تعب عن تعب يفرج دنا عدمت ولدى عبد المطلب فيها وكان ولد زى فلجة الجمر كان يوم بيشتغل فى الصيف فى الأرض دى بعينها وجت له لطشة الشمس دنا متنازلش عنها أبداً ولو كان فى النجض والإبرام.

محمود : بأه شوف يا سى نجيب ما تشدش مع الجماعة لأنهم جماعة ومحاسيب البيه.

عبد الجواد : آه ...

محمود : ومع ذلك هما مش متأخرين ونويين يخضروا أرضهم.

نجيب : لكن الجماعة دوكهم.

محمود : عارف مش يعنى خضروا أرضهم طيب دول يخضروا أرضهم أحسن وأحسن عم عبد الجواد.

عبد الجواد : هو إحنا متأخرين. سيد أحمد مكاوى. عبد العال (يطلعوا خرقاً قديمة ومناديل وأكياس ملفوف عليها فلوس ويحلّوها).

نجيب : نهايته على شان خاطركم أما أمليك دباجة التقرير. (محمود يستعد للكتابة). تقرير خبير زراعى مرفوع إلى هيأة محكمة مصر من حضرة عبد العليم بك عبده الخبير الزراعى أمام المحكمة المذكورة ... بتاريخ ١٤ يونيو ١٩١٤ عينتنى المحكمة خبيراً فى قضية المحترم الشيخ عبد الجواد لاشين عمدة دمنهور الوحش.

عبد الجواد : والله ده كلام حلو جوى شوف الكلام المشنير يا سيد أحمد مكاوى عبد العال (يهزون رأسهم وتحضر القهوة ويشربوا).

نجيب : أهو كلام كله من ده أوموا أنتو بقأه أتفضلوا من غير مطرود خلونى أبيض التقرير.

عبد الجواد : ما أوصيكش بجه حتة الأرض بتاعتى أنا تتحد من بحريها شريط السكة ومن جبلى ترعة وعبد الرزاج ومن شرجى بجية الورثة ومن غربى أرض أبو شنب وفيها لبشتين ومسجة بتوعى خصوصى.

نجيب : طيب لما المسألة كده ما خضرتش أرضـــك لـــيّ ولســـى محمـــود خصوصى ليه

عبد الجواد : (يخرج فلوس من جيبه) أدى كمان يا سى نجيب هو لى بركـــة إلا أنت وسى محمود. سيد أحمد. عبد العال. مكاوى.

نجيب : دلوقت أنت متأكد من أرضك ماحدش يقدر يفتح عينه فيها (يحضـــر الخادم يشيل الفناجين فينتهز محمود هذه الفرصة ويخلو به ويوشوشـــه) (تنزل الفلاحين بعد السلام)(محمود لنفسه)اجتهد بقى فـــــى توزيعـــه علشان أرجع وأختلى حبتين ببنت خالتى اللى ما شفتهاش من زمن.

محمود : هات الفلوس وتعالى للبيه حالا على أهوة الشيشـــــة لأحســـن هـــو معذور أوى اليومين دول زى ما أنت عارف.

نجيب :أدينى فى كعبك. وإيه فكرك الجماعة دفعوا ثمانية جنيه حنبينهم كلهم.

محمود : أنت وكيفك دول فلاحين ولاد كلب دلوقت يقولوا له.

نجيب : ما يقدروش أنا ححوش اثنين واحد ليّ وواحد لك. وأنت وضبهم فى السكة.

محمود : طيب ويمكن أفوت عليك دلوأت علشان مسألة ثانية بعد ما تكـــون رجعت من عند البيع حترجع أمته.

نجيب : والله ما أعرفش حسب الظروف.

محمود : غايته أرجع لك بعد ساعة .. أأعدى بالعافية بأه يا بنت خالتى.

نجيبة : (تخرج) مـــا تأعد شوية يا سى محمود (يتغامزان).

نجيب : سيبيه أحسن وراه شغل أنت حتفضلى تتعرى عليه لحد أمته.

نجيبة : الله حتغير ولا إيه ده ابن خالتى ومتربين سوه زى الأخوات.

محمود : لا يغير إيه لا سمح الله هو سى نجيب يغير ده بس بيناغش (نجيب مشغول بعد الفلوس ومحمود ونجيبة يتبـــادلون إشـــارات) أأعـــدوا بالعافية.

الاثنين : الله يعافيك.

نجيبة : كل تأخيرة وفيها خيرة.

نجيب : حأه تمام.

المشهد الثانى

نجيبة : مين كان يظن إن اليوم ده اللى اتعكننت فى أوله تظأطط كده فى آخره وترجع الدنيا زى زمان إيدك بأه يا حظ.

نجيب : إيدى على إيه يا ست مش كفاية اللى خدتيه الصبح.

نجيبة : إيدك على حاجة من اللى أبضتها أنا سامعة الدهب بيرن والفضة بتشخشخ زى زمان.

نجيب : هما دول بتوعى.

نجيبة : يخى أوم بأه بلاش أونطة أمال بتوع مين؟

نجيب : بتوع البيه هو اللى حيأبضهم ومشيع محمود مع الفلاحين على شان يعرف دفعوا كام.

نجيبة : طيب وأنت ومحمود تطلعوا باطه مش تفوتوا لبعض حاجة.

نجيب : لأ برده بنبلص الزباين فى اللى فيه الأسمة.

نجيبة : مش شغلى هات الفلوس دول وألا أصوت.

نجيب : تصوتى متصوتى لحد بكره أما مجنونة.

نجيبة : متقولش مجنونة جن يلخبطك أهو إن مكننتش تديهم لى أعمل على كيفى.

نجيب : يا ستى دول فلوس الناس أديهم لك إزاى. تعملى على كيفك ما تعملى على ألف كيفك هو حد يأدر يحوشك.

نجيبة : طيب أديهم لى ألعب بهم.

نجيب : هو حد يلعب بالفلوس (الباب يخبط) شوفى مين.

المشهد الثالث

عبد الجواد : (يدخل والباب مفتوح) دانا عبد الجواد.

نجيب : خيرا خشى يا ستى شوية من وش الضيف.

نجيبة : دول فلاحين هم دول كمان أفندية ولا ولاد بلد هو ده راخر محمود.

عبد الجواد : أيوه والله صدجت برده الست .. إحنا ناس على نياتنا وملناش فى الحاجات دى.

نجيب : حاجات إيه يا شيخ عبد الجواد.

عبد الجواد : يعنى لو كانت الست من دول جدامنا عريانة وهى زى الشمعة نفسنا ما تشتهى الحرام ده واصل.

نجيبة : يوه جتك إيه يا عم عبد الجواد واصل إيه يا راجل كمان.

نجيب : إحنا فى إيه وألا فى إيه مين قال حرام ولا حلال.

عبد الجواد : يعنى بجول يعنى وإحنا النهارده أخوات.

نجيب : مفهوم.

نجيبة : ده طبعا.

نجيب : خيرا يا حضرة العمدة.

عبد الجواد : أنا جاى من ورا الجماعة اللى كانوا معاى على شان أوصيك على مسألة صغيرة.

نجيب : أتفضل.

عبد الجواد : يعنى بجول لما المحكمة نزلت الخبيرى الأولانى أنا برضه خضرت أرضى ولا جاش منه فايدة. فأنا خايف يعنى المرة دى تطلع زى المرة دوكهة.

نجيب : لا لا أبدا.

نجيبة : (بصوت واطى) أبلصه يا أهبل.

نجيب : اسكتى أنت يا ستى خشى بيتك وسيبينى أشوف شغلى.

نجيبة : (لزوجها بصوت واطى) والله ما أنت حارت (لعبد الجواد) أنت عاوز الحق وألا ابن عمه يا سى عبد الجواد.

عبد الجواد : لا عاوز الحج جوى.

نجيبة : يا خوية والنبى كلامه حلو.

عبد الجواد : والله ما حلو إلا كلامك.

نجيبة : خضر أرضك.

نجيب : يا ستى خشى جوه.

عبد الجواد : يا نهار زى البرسيم الأخضر أنا مخضرتها يا ست ...

نجيبة : أم نجيب.

عبد الجواد : يا ست أم نجيب.

نجيبة : لا يعنى خضرها كمان.

عبد الجواد : هى الأرض يا ناس تتخضر كام مره.
نجيبة : تتخضر يا مرتين كويسين يا مره كويسة أوى.
عبد الجواد : والتجرير يا ست أم نجيب مش برده حينكتب لمصلحتى؟ دنا أرضى تعبان عليها وشفت فى خدمتها الغلب كله.
نجيبة : على أنا متخفش إن ماكانش تأرير على كيفك ما أبآش أم نجيب (الرجل يحل كيسه ويدفع).
نجيب : والله أهى سلكت.
نجيبة : والنبى يا سى نجيب إن ما كنت تكتب له تأرير على كيفه ما تعرف إلا خلاصك.
نجيب : من غير ده وده.
عبد الجواد : إيدك بأه لما أبوسها.
نجيبة : يوه لأ ما يصحش.
عبد الجواد : والله لأبوسها (تعطيها له).
نجيبة : وأبأه أفتكرنا بشوية عسل بشوية بصل برده الأرض ما تستغناش.
عبد الجواد : باللهِ أنت يا ست أم نجيب إن كسبت أنا الجضية دى مالك منى إلا زيارة زبدة تحلفى بها العمر كله.
نجيبة : أنا برده عشمى كده فى حضرتك وسى نجيب يحب الفطير المشلتت وأنا أحب البرام اللى فى الفرن بالرز والحمام.
عبد الجواد : إن شاء الله المره الجاية أوكلكم من ده ومن ده أجعدى بعافية ... يا سى نجيب بيه الحد البحرى جسر السكة والجسر الجبلى عبد الرزاج الدحداح والشرجى بجية الورثة.
نجيب : أنا عارف إن شاء الله فى محل النزاع.
عبد الجواد : لا مافيش نزاع ولا حاجة واللى يجول لك نزاع حط صباعك فى عينه دانا صاحب الأرض وواضع اليد أبا عن جد ورفعت جواضى منع التعرض وكسبتها.
نجيب : محل النزاع يعنى محل الأرض.
عبد الجواد : إن كان كده معلهش سلام عليكم أما ما فيش نزاع أبدا واصل.
نجيب : عليكم السلام.

عبد الجواد : يبجا عيب يا سى نجيب بيه.

نجيب : هو إيه لا سمح الله.

عبد الجواد : إن جلت أنت يعنى لحد من الجماعة اللى كانوا هنا لحسن أنـــا جاى من وراهم علشان تشوف صالحى وتكتب التجرير علشانى.

نجيب : ده طبعا ما أنت قلت لى فى الأول.

عبد الجواد : أوعه تنسى السلام عليكم.

نجيب : ما تخافش عليكم السلام أبأه آبلنى ..

عبد الجواد : فين؟

نجيب : فى محل النزاع.

عبد الجواد : جول عند الأرض أحسن جلبى بيجع فى جعور رجليـــــه لمـــا باسمع الكلمة دى.

نجيب : طيب عند الأرض عليكم السلام (يخرج عبد الجواد).

المشهد الثالث

نجيبة : إيه رأيك يا حظ.

نجيب : لا والله جدعة برضه عرفتى تبلصيه. أهو اثنين جنيه أحسن مـــــن عينيه.

نجيبة : ما تبآش بأه تخاف على دا البلص ده مسألة بسيطة يا ناس دانا مـــا كنتش فاكراه كده.

نجيب : أمال لو تشوفى البيه فى مسألة جد تعملى إيه.

نجيبة : بيعمل إيه يا دلعدى أحسن منى وألا إيه.

نجيب : هو والله له نظرة فى الزباين اللى يشوفه غلبان ومنكسر يقول لـــه ماتصلى على النبى وتخضر أرضك. واللى يلاثيه معصلج وعنـــدى يقول له تخضر أرضك وألا أكتب لك تقريـــر زى وشـــك خضـــر أرضك.

نجيبة : والله عنده حق أهم الفلاحين المغفلين دول مايجوش إلا بكده (البـــاب يدق) ده مين ده كمان.

مكاوى : (من الخارج) سلام عليكم يا سى نجيب دنا مكاوى.

نجيب : (لنجيبة) ده واحد منهم مهم .. دلوأت يكروا واحد ورا التانى من ورا بعض وكل واحد عاوز تأرير أحسن من أخوه وعاوز يدفع فلوس تانية وأنا عارفهم ده نهار زى الأشطة الخضرا يا ليلة الأنس عودى لنا.

نجيبة : طيب سيبنى عليه.

نجيب : أهو أدامك (لمكاوى) أتفضل (تخرج الزوجة ويدخل مكاوى).

مكاوى : حاكم أنا جاى من ورا الجماعة جلت لهم حصلى الضهر فى سيدنا الحسين حاكم أنا كنت رايح أعطر للأولاد بدى أطاهرهم.

نجيب : عقبال البكارى.

مكاوى : عجبال عندك ونفرح لك كده ونزورك وبعدين جلت لما أفوت على نجيب أفندى وأوصيه وصية خصوصى.

نجيبة : سى نجيب سى نجيب خد أما أقول لك.

نجيب : عندى شغل بلاش خوتة.

نجيبة : ده كمان شغل ضرورى.

نجيب : أوه مش فاضى.

نجيبة : (تدخل متغمغمة) يوه دنا ماكنتش أحسب عندك حد.

نجيب : إن كان على كده ما يهمش لأنه ده سى مكاوى أخونا ومنا وعلينا من الجماعة اللى كانوا هنا دلوأت.

مكاوى : لا لا مش كده أمال دنا مش عاوز الجماعة تعرف.

نجيب : الجماعة أنهم دول؟

مكاوى : جماعتنا.

نجيب : لكن دى جماعتى اللى بتتكلم.

مكاوى : إن كان كده معلهش.

نجيبة : العواف يا سى مكاوى.

مكاوى : يا ميت ألف عافية يا ست أم ...

نجيبة : نجيب.

مكاوى : يا ست أم نجيب.

نجيبة : هو أنت يا دلعدى لك أضية.

مكاوى : أيوه. ونزلوا فيها سعادة البيه خبيرى وعاوزين بجا التجرير يكــون على كيفي وسيبك يا سى نجيب من دوكهم.

نجيبة : والله اللى بيكتب التأرير وبيمأأ عينيه هو سى نجيب وسعادة البيـــه ماله شغله ... غير يحط الفرمة.

مكاوى : ما أنا عارف العبارة دى.

نجيبة : التآرير اللى بيكتبها سى نجيب كلها حلـــوه وأصحابــها بيكســبوا قضاياهم.

مكاوى : بدى أنا كده أنا راخر أكسب الجضية وأغيظ الأعادى.

نجيبة : بس الواحد يختشى يتكلم ياسى مكاوى.

مكاوى : ليه اللى يختشى من بنت عمه ما يجبش منها غلام.

نجيبة : (تضحك) يو جتك إيه يا مكاوى ده مثل شفتشى أوى طيب حيث إن عينك أوية كده ما تخضر أرضك.

مكاوى : حاضر على العين والراس بس كده ما لى بركة إلا أنت يا ســت أم نجيب بيه أمال أنا جى وحدى من ورا الجماعة ليه (يطلـــع فلــوس يعطيها).

نجيبة : لا لا والله يا سى مكاوى مافيش لزوم للحاجات دى إحنا نشوفك من غير شيء.

مكاوى : لا لا مافيش فرج بينا وبين بعضنا غيرشى دول تمن عصبة للســت جماعتك.

نجيب : طيب ماتجبش سيرة لحد.

مكاوى : يا سلام هى حصلت. دا عيب يا سى نجيب بيه الكلام ده عيب.

نجيبة : سى مكاوى أنت حتجى مصر أمته علشان نبأه نعمل لك عزومة.

مكاوى : الجمعة الجاية.

نجيبة : طيب أبأه أمال أفتكرنا بزيارة.

مكاوى : والله من غير ماتجولى أنت أنا عملت حسابى علـــى العبــارة دى التجرير يا سى نجيب.

نجيبة : لا ماتخفش أنا حوصيه لك تمام والبيه ما يعملش حاجة مــن غــير رأى سى نجيب.

مكاوى : أجعدوا بعافية (يخرج).

الاثنان : الله يعافيك.

نجيبة : أهو ثمن الكردان جه ربنا كريم.

نجيب : كردان كردان إيه كمان يا ست هانم وأجرة البيت اللى متأخرة بآلها شهرين والحجز والسمن وقسط الخياط اللى رافع دعوى.

نجيبة : أنا مالى أنا شفت فى بيت شعيب العشيرى كردان حياكل حتة من رأبة ست جلفدان هانم. وأنا مالى أنا عاوزة كردان.

نجيب : لا مافيش كردان.

نجيبة : لأ فيه.

نجيب : لا مافيش.

نجيبة : بعدين أعمل على كيفى.

نجيب : على كيفك إزاى.

المشهد الرابع

الباب يدق

حسن الخدام : مين؟

زنوبة : إحنا ياواد أفتح (تدخل الفاميليا) هو إحنا مانجيش نلائى الباب مفتوح فى وشنا أبدا.

نجيبة : نينتى (تنط) نينتى يا بابا نينة نينة.

محمد أفندى : أزيك يا أختى كل سنة وأنت طيبة (بفتور) نهارك سعيد يا سى نجيب (قبل أن يستطيع الجواب).

نجيبة : ما ترد مالك مبلم كده.

نجيب : مش مبلم بس بأبص للجماعة أحسن وحشونى أوى.

زنوبة : بتتنأور بأه يا سى نجيب مانجيش عندك يوم ونلائيك زى الخلأ والنبى دى حاجة تزهأ لو كنا عارفين النسب كده كنا حاسبنا أبل ما تناسبنا.

محمد أفندى : بس يا ستى أمال إيه أستغفر الله العظيم من كل ذنب أنت مالك ومال الناس أنت جاية تزورى بنتك وألا تتخانئى (لبنته) أزيك يا أختى.

نجيب : أول لها يا سيدى أول لحماتى.

زنوبة : حماة الشوم واللوم. إن شاء الله إن كان لى جوز بنت.

نجيب : تعدميه.

زنوبة : الشر بره وبعيد أنا ما قلتش نجيب بأه أما أقول لك أنا مـــا تحملــش الحاجات دى وبنتى كمان جنتها مش خالصة.

محمد أفندى : نهايته أزيك يا أختى.

نجيب : عنها ما خلصت أنا حعمل لها ايه (يحصل تشنج للزوجة).

زنوبة : اسم الله يا أختى اسم النبى حارسك بخور يا ناس كده يا نجيب كده يا جوز الغبرة كده ياوش النكد أنت (لزوجها) أنا ما قلت لك يا راجل ما تجيش النهاردة اسم الله اسمك ايه يا حبيبى.

نجيبة : على.

زنوبة : اسم الله صلاة النبى يا سى على. النبى تعفى عن أختك يـــا علـــى عاوز ايه.

نجيب : عاوز كردان ذهب.

زنوبة : كردان ذهب حاضر من عينيه الاثنين.

نجيب : كردان أنا عارف برده المسألة حتنتهى على كده لكن مش لو حضــو سى على ده لو جت ملوك الجن كلها ما أنـــت واخـــدة الفلـــوس دى (يزداد هياج نجيبة).

زنوبة : أنزل أنزل يا جدع من البيت حتموت لى البت.

نجيب : أنزل من البيت من بيتى وأسيب الجن فيه.

محمد أفندى : معلهش يا سى نجيب ولو خمس دقايق أقعد على القهوة أشرب لك فنجان سادة على ما تروأ البنت.

نجيب : يا سيدى دانا عندى عشر تآرير بدى أكتبهم.

محمد أفندى : طيب أكتبهم على القهوة.

نجيب : والمستندات اللى بدى أطبقها على الطبيعة.

محمد أفندى : يا سلام من طبيعتك يا سى نجيب (يرتفع صـــوت العفريـــت ويزداد التشنج).

نجيب : ياخي نهايته لما أنزل وأسيب لكم الدنيا أحسن تملوا البيت عفـــاريت (يتجه نحو الباب) .... ستار

الفصل الثالث

المشهد الأول

زنوبة : أومي يا أختي أصحي أهو نزل.

نجيبة : آه آه أنا فين جرى لي إيه.

زنوبة : في بيتك يا نور عين أمك في بيتك جرى لك كل خير يا حتة مـــن كبدى.

نجيبة : يا واد يا حسن.

حسن : نعم يا ستي.

نجيبة : سيدك نزل.

حسن : أهو إنكشح.

نجيبة : أعمل أهوة يا واد يالعجل.

حسن : على النار يا ستي.

نجيبة : السكر عندك يا واد في الصندوق الكبير والبن الطاظة فـــي العلبـــة الصفيح اللي في الصندرة.

حسن : حاضر يا ستي عارفهم.

نجيبة : طلع الفناجيل الكبيرة البيشة اللي بيشرب فيهم بابا ونينة.

حسن : طلعتهم.

نجيبة : تأكلي إيه يا نينتي.

زنوبة : إحنا شبعانين يا أختي.

نجيبة : طيب خدوا اللحمة والخضار أطبخوها في البيت أحسن المخيل يجيي يخانقنا.

محمد أفندي : برضه رأى والله أنا نفسي في البدنجان المحشى.

نجيبة : أبيض وألا أسود يا بابا؟

محمد أفندي : كل ما أسمعهم يقولوا بدنجان أبيض حشو معدن ريقي يجـري على.

نجيبة : طيب خد يا بابا أنت الفلوس وأنت أنزل والواد حسن أشترى اللى أنت عاوزه من سويقة المناصرة.

محمد أفندى : طيب يا بنتى (يدخل الخادم بالقهوة ويشربوا).

زنوبة : ماتقولش للجزار للفرم أحسن يطسلأها ويدبأها من كل حتة شوية خليه يشفيها وبعدين قل له أفرمها وخد الدهن لوحده من اللحم.

محمد أفندى : طيب برده رأى.

زنوبة : أوعك ياخد منك أكتر من التسعيرة وإن عصلج على التمن من شارع الترب.

محمد أفندى : لأ متخافيش على.

زنوبة : أيوه محسب بالنبى (ينزل) أحكى لى يا بنتى الراجل آل إيه على السمن.

نجيبة : اسكتى يا نينة ده صرخ وطلع من دينه لكن برده دخلت عليه.

زنوبة : أحسن من عينه هو مافيش غيره ياكل سمن بلدى ولا إيه.

زوجة : أهو برده ربنا فكها النهارده.

زنوبة : رزق أخواتك.

نجيبة : خدى يا نينتى الثلاثة جنيه دول.

زنوبة : محسبة بالنبى ومحفضة بالصالحين.

نجيبة : بقوا كام يا نينة؟

زنوبة : أهم واحد وأربعين.

نجيبة : أظن إنهم ثلاثة وأربعين.

زنوبة : لا وحياتك يا نور عينى هم حيروحوا فين.

نجيبة : طيب أبقى عديهم علشان بدى أشوف لى نص بيت أحطهم فيه ويبقى يلمنى لما أطلق من المسخم ده.

زنوبة : كان أبوك كلم المعلم أحمد البديهى شيخ الحارة ووصاه على نص بيت فى الحتة ولما عرف إنه على شانك آل على راسى وعينى.

نجيبة : مش عم أحمد.

زنوبة : أيوه مهو مربيك من صغرك وشايلك على كتفه وكنتى تؤولى له يابا ولا أتأطعتش رجله من عندنا إلا لما الناس استشاعت وأبوك زعل

على. حاكم المعلم أحمد شعبان عأبالك أشيته معدن وله ستة بيوت فى الحتة.

نجيبة : يا ريت أبويا عمل شيخ حارة.

زنوبة : مين عارف كل شيء لوأه ونصيب.

نجيبة : من حأ يا أمه شوفى لى بختى من زمان ما فتحتليش الورق.

زنوبة : بأفتحولك كل يوم يا نور عينى.

نجيبة : أفتحيه لى أدامى يا حسن هات الكتشينة.

حسن : حاضر يا ست (يحضرها).

زنوبة : (تفنط وتاخد ورقة وتعطيها لبنتها توشوشها) فال خير سلام فال نجيبة بنت زنوبة ونجيب جوزها ابن الحرام. ياورأ يا فصيح أمك العشرة الطيبة وأبوك الدوه الأسباتى وخالك الخواجة المليح (تفتح الورق) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

نجيبة : إيه يا نينة.

زنوبة : مقفولة يا بنتى.

نجيبة : أفتحيها كمان مره.

زنوبة : (تفتحها) شايفة كلام كتير ومجلس رجال فى عتبتك وزعل أدامك ووراك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وراجل غريب فى فرشك.

نجيبة : ده سى محمود.

زنوبة : ده راجل كبير وعينه سودة.

نجيبة : مين عارف يمكن البيه حاكم بآله زمان مجاش لو كان نجيب هنا كان أتجنن.

زنوبة : طيب وهو أنا كنت أقول الكلام ده أدامه (يسمع زعيق). يا حوستى ده صوت أبوك (يدخل محمد أفندى هدومه مبهدلة).

محمد أفندى : والله لأوديه فى داهية أنا وراه المسلول أصفر اللون أبو علة ابن الكلب أبو سنان عيره.

زنوبة : جرى إيه يابو فاطمة واد يا حسن.

حسن : سيدى أتخانيء مع الجزار ووداه التمن والجزار إداله ألمين طيبين وكتبوه مخالفة وقال ١٠٠ قرش على جزمتى خد يا ابن الكلب على مخك يعنى على مخ سيدى.

نجيبة : أختشى يا واد.

محمد أفندى : لكن برده خدت اللحمة غصب عن عينيه.

زنوبة : أهو الشر أتفسر أوم أغسل وشك وروأ (يدخل ليغسل وشه وتسرع الزوجة فى تسريح شعرها يعود الأب).

محمد أفندى : يا لله بنا بأه.

زنوبة : (تقوم) ما تسيش السمن .. أنت طحنت بن يا واد يا حسن .. أدينى تعميرتين يا واد.

نجيبة : حسن هات العلبة هنا وهات ورأة جرنال من اللى بيأراهم المنيل على عينه.

حسن : حاضر يا ست (يحضر الطلب) (وداع وبوس وانصراف).

نجيبة : واد يا حسن.

حسن : نعم يا ست.

نجيبة : أوعك تأول له يا واد.

حسن : لا يا ست.

نجيبة : ده بيضربك.

حسن : جته ضربة على ألبه وواكل على ماهية شهرين.

نجيبة : طيب يا واد أغضب الليلة وأول إنك عاوز تسافر بلدك وأنا أجيب لك ماهيتك وبعدين أأعد.

حسن : طيب يا ستى.

نجيبة : بص يا واد كده شوف سيدك محمود (تتزين).

حسن : أهو جاى يا ستى من عطفة المحكمة.

نجيبة : طيب شاور له يا واد أوعك حد يشوفك (ويطلع محمود ويعطى الخادم أرش ويصرفه).

المشهد الثانى

محمود يدخل

محمود : هوه نزل؟

نجيبة : من الصبح من أبل بابا ونينة.

محمود : هى خالتى كانت هنا.

نجيبة : أيوه وروحوا ونزلته لك على ملاوشه.

محمود : إزاى؟

نجيبة : عملت لك مترارة والأسياد وبأه.

محمود : (يضحك) الفتحة لبنى ممه.

نجيبة : لا والنبى يا محمود ما تهزأش بالأسياد.

محمود : الله طيب ما أنت اللى عملت كده هو فيه أسياد.

نجيبة : أمال ربنا يجعل كلامنا عليهم خفيف.

محمود : طيب علشان عيونك أنت يا خفيفة (ممازحة).

نجيبة : لأ أوعا أحسن حد يجي.

محمود : ما تخافيش أنا وصيت الواد حسن وخليته يأعد على الباب وساعة ما يشوف نجيب يدينا خبر.

نجيبة : وإن كان حد تانى يقول ستى مش هنا.

محمود : لا أحسن فيها شبهة قلت له يسيبه يطلع ويعمل مش شايفه.

نجيبة : هو الواد فهم ده كله.

محمود : ده فرار على كيفك هى أول مره.

نجيبة : عمرك أطول من عمرى كنت حاقول لك كده.

محمود : أمتى بأه تطلأى من البأف ده وتبأى لى أنا لوحدى أهى خالتى كل يوم تفتح لى الورأ وتؤول لى المسافة أربت وكل المسافة ما بتأرب كل ما ألأيها بعيدة زى يوم الإيامة.

نجيبة : أدينى بأسود لك فى عيشته أهو النهاردة لا خليته يستحمى ولا يغير هدومه ولا يفطر وآخرته وكل يوم على المعدل وده لحد ما يطهأ.

محمود : يعنى لو كان ربنا هدا خالتى وجوز خالتى مش كنا دلوقت متهنيين مع بعضنا.

نجيبة : وأنا أعمل إيه ما هو أنت يا محمود اللى كنت مش لاقى لك شغلة والمهبب ده كان مستخدم فى الدخولية وكانت أشيته معدن.

محمود : ويعنى هو عمر فى الدخولية أهى روخرة لغوها.

نجيبة : طيب ما هو برده شوية الحسابات اللى يعرفها نفعته عند البيه وأستخدم على حسها وخدمك وياه وأدحنا برده متمتعين.

محمود : لكن بنشوف بعض كل حين ومين لما يسافر صاحبنا مع البيه نهار ما أسمع خبر انتقال لمحل النزاع تترد روحى.

نجيبة : وأنا كمان مشحتقة عليك لكن بأه نعمل إيه بكره يزهق ويطلأ.

محمود : مش نتجوز فى ساعتها ولا نستنى عدة ولا حب.

نجيبة : ربنا يسمع يا خويا منك ويكون عدلها لك وبأيت تكسب لك أرشين كويسين حتى ولو ثلاثة جنيه فى الشهر نعيش بهم.

محمود : ما تبأيش يا جوجو تلطمى فى خلقتى زى ما بتلطمى فى خلقة صاحبنا.

نجيبة : تف من بؤك أخص عليك غيرشى ده الكره اللى بيخلينى أسبخ له لكن إحنا مع بعضنا ده بيأه شىء تانى.

محمود : إحنا حنفضل أعدين هنا فى الفسحة الكتمة دى.

نجيبة : لا أوم لما أفرجك على الفستان الجديد اللى جبته من عند الخياطة.

محمود : أيوه كده أمال هو يا ترى يرجع أمتا.

نجيبة : ما يرجعش إلا فى الليل علشان هو عارف إن نينتى وبابا هنا لحد العشا (يدخلان لمشاهدة الفستان).

بربرى : (من الخارج) يا ست خدى شوية ميه علشان سباك هيأفل مواسير ويفته المهبس والهدام بتاعك مش آوز يطلأ يكلمك (ينزل).

غسالة : (تكون امرأة خنقاء) يا ست .. يا ست نجيبة هانم.

نجيبة : (من الداخل) مين؟

غسالة : دنا أم شفيأة الغسالة دنا كنت جاية إمبارح وبعدين الست أم رويستنو اللى فى حارة النصارى شيعت لى علشان والدة عؤبال عندك ورحت لها شطفت لها حتتين.

نجيبة : (من الداخل) يا أم شفيقة إيأى تعالى بكره من بدرى.

غسالة : لو كنا ننأع الحتتين من دلوأت على ماجى الصبح يكونوا إتبلوا ورخوا وسخهم حبتين أغلى عليهم وأخدهم فمين أحسن مالغسيل بيتغسل من غير نأع بيأرح.

نجيبة : (من الداخل) أنا مش فاضية يا أم شفيقة بس فى إيدى بدنجانتين بأورهم وأحشيهم.

غسالة : أجى أساعدك يا ست.

نجيبة : لا روحى أنت دلوأت.

غسالة : طيب أعدى بعافية أأعدى بعافية يا ست (تخرج نجيبة فى فستان جديد وتمسح فى عرقها وبعدها بشوية يخرج محمود).

نجيبة : إيه رأيك فى الفستان.

محمود : دا شىء معتبر يا ريت كل الفساتين كده مبروك عليك يا حبيبتى عقبال ما تدوبى عدد خيطانه.

نجيبة : فى حياتك هىء هىء وفى حضنك.

محمود : أما أقوم أنا بأه أدينى بليت ريقى الحبتين دول.

نجيبة : لأ لأ والنبى إلا لما تدوء المربة اللى عملتها (تدخل وتعود بمربة يأكل محمود ويستلذها).

محمود : الله مربة إيه دى.

نجيبة : مربة أرع إستانبولى.

محمود : أرع أرع ده اللى بأكله.

نجيبة : أيوه أرع هو الأرع كفر وألا إيه ده المسخم جوزى يحبه زى عينه.

محمود : الناس مزاجات أنا محبوش إلا محشى.

نجيبة : كل ده كويس إن شاء الله تحبه على شان أبأه أعمل لك منه لما تجوزنى (تضحك).

محمود : ما نفسيش أسيبك لكن آه عندى شغل فى المكتب.

نجيبة : من حأ نسيت أول لك الفلاحين مارجعوا.

محمود : آنى فلاحين دول؟

نجيبة : اللى كانوا هنا الصبح رجعوا واحد واحد ورا بعض.

محمود : رجعوا يعملوا إيه.

نجيبة : قلت لهم خضروا أرضكم آموا فهموا ودفعوا أربعة جنيه (ضحك).

محمود : طيب سلفينى جنيه يا نجيبة.

نجيبة : ما أنت واخد جنيه أول إمبارح سرأته لك من جيب الراجل وكان حيتجنن.

محمود : والنبى يا نجيبة أحسن ماعنديش فلوس للخياط وأديكى شايفة. ما أنت بالصاهم فى أربعة جنيه.

نجيبة : (تعطيه) طيب أتعلم كويس الشغل علشان نبأه ندوره ســوه أوعــك تزعل البيه وخليه يحبك علشان مكتب الخبير كنز يا أهبــل أوعــك تضيعه من إيدك وأنا ساعت ما أطلق أخلى البيه يطرد المخبل.

محمود : يطرده إزاى.

نجيبة : بس مش شغلك ألأول له ده كان معذبنى ومغلبنى وبيضربنى وأتجوز على.

محمود : طيب والبيه ماله ومالك.

نجيبة : دا راجل كبير فى السن والبيه طيب ويحب الولايا اللى زى حلاتى.

محمود : أوعك يا نجيبة يكون ..

نجيبة : أختشى يا شيخ ده زى والدى.

محمود : من حأ أنا بشوفه يجى هنا كتير.

نجيبة : يجى علشان ما يؤل لسى نجيب على حاجات فى الشغل طيب وإيــه يعنى إذا كان بيجى هو حيأوم لا سمح الله.

محمود : حاكم الراجل بتاعنا مشهور وتقيل أوى وحبيب.

نجيبة : طيب ومهما كانت الحال هو أنا بابان عليه طيب دانا زى ولاده.

محمود : الراجل ملوش ولاد ولا هواش مجوز وماشى على كيفه ولايعتأش.

نجيبة : ده أنت خبير أوى بأحواله.

محمود : كل خبير وفوقه أخبر منه.

نجيبة : ياخى إحنا مالنا وماله سيبنا بأه من سيرته.

محمود : طيب أأعدى بالعافية بأه لما أروح المكتب أحسن ورايا شغل.

نجيب : حتجى أمته.

محمود : يمكن بكره وألا بعده لما ينتقل سى نجيب لمحل النزاع إن شــا الله ينتقل لرحمة الله.

نجيبة : ليه يا شيخ أهو موارينا حبتين لحد ما تتعدل.

محمود : برده رأى على رأى جوز خالتى.

نجيبة : ما تغبش.

محمود : لا بس أبقى خضرى أرضك.

نجيبة : (تضحك) حاضر من عينيه (يخرج) (يسمع طرق باب).

المشهد الثالث

نجيبة : مين.
عديلة : أنا أم حسين.
نجيبة : أهلا وسهلا ألف ميت مرحبة (تدخل وبوس) والنبى أنا كنـــت فـــى سيرتك إمبارح العصر دى غيبه بالوييه.
عديلة : والنبى يا نجيبة بأفكر فيك فى كل ساعة ولختها بس تلاتيفى من يوم ما رجعنا من شبين القناطر وأنا مش عارفة مالى عياتة كده.
نجيبة : ليه بعد الشر بتحسى بإيه؟
عديلة : جتتى كده مهمدة وأوم من النوم زى اللى مضروبه علأه.
نجيبة : سلامتك ما هو أنت متعودة تخشى العشبة كل سنة ولادخلتيش السـنة دى ليه.
عديلة : المسخم جوزى عاوزنى أبطلها وبطلتها. وآل دى بتتكلف بهريز ٢١ يوم ولحمة ضانى وعسل وبنداً ومحلب. آل ولا لـــوش أدره علـــى الحاجات والعشبة آل دى من علم الركة.
نجيبة : طيب هو أنت محتاجة له ما تخشيها من فلوسك هو يا لخى الأجـواز مالهم بؤا عره ويفضحوا كده.
عديلة : هو أنا أقدر أبين مليم من الأرشين أحسن يقول لى أنت مأطوعه من الدنيا وجبتيهم منين وبسلامته مابيدنيش مصروف أحوش منه تلاتينى شايلة الأرشين اللى باخدهم من أبو دنيا وباتحسر عليهم.
نجيبة : هو العمدة بتاعك اسمه أبو دنيا يو جتك إيه ده باين عليه راجل تقيل من اسمه وده عرفتيه إزاى.
عديلة : كان المنيل جوزى راح يحجز عليه آم ترجاه وإداله عشـــرة جنيـــة وعمل محضر عدم إيه عدم وجود شيء وضيع على الخواجا اللــــى كان رافع الدعوى على البيه بين ٢٠٠ جنيه ولا ٣٠٠ جنيـــه آمـــت بأت صحوبية من نهارهه وكان كل ما يجى ينزل عندنا وكـــل مـــا يعرف إن جوزى غايب يجود يستحما ويغير والذى منه.
نجيبة : ويحط إيده فى اللى فيه الأسمة.
عديلة : ده طبعا.

نجيبة : يا بختك ياريت ألائى لى واحد يعمل له جوزى محضر ده المسخم بيعمل تآرير.

عديلة : إياك يعمل لواحد تآرير عدم (الباب يدق).

نجيبة : مين.

عديلة : أما أقوم بقى.

نجيبة : والنبى تقعدى يا أم حسين لما تشربى الأهوة وتبقى تفرجينى على عمدتك ده.

عديلة : طيب والنبى لأعرفك يوم يكون عندى وأخليكى تبصى عليه من خرأ الباب (يدق الباب).

نجيبة : طيب (تنزل عديلة وبوس) يدخل خادم.

المشهد الرابع

خادم : البيه شيعنى وآل شوف سى نجيب فى البيت هو عاوز يجى شويه.

نجيبة : قول له مش هناك خليه يتفضل.

خادم : حاضر يا ست. سعيدة.

نجيبة : سعيدة. بقه نجيب ماقابلوش لازم بيدور عليه دلوقت يغيب للمغرب ده إيه ده نهارنا ده يابيتنا يا بريمو ملحة فى عين اللى ما يصلى على النبى الداخل أكثر من الخارج إياك كل يوم الميه تنقطع خللى الرجلى تجرى.

البيه : (من الخارج) أحم أحم.

نجيبة : تفضل (يدخل) أهلاً وسهلاً دحنا زارنا النبى.

البيه : يا صباح الفل أزيك يا أطوطة فين سى نجيب آمال.

نجيبة : سى نجيب خرج يقابلك ولا يجيش بقه إلا بعد العشا تحبها سادة ولا بسكر.

البيه : أعمليها سادة ولقميها بصباعك تؤوم تروء وتحلى.

نجيبة : الأهوة الراياأة ما تيكفش.

البيه : طيب المقصود ما تعكريهاش أنت بتشربيها إزاى.

نجيبة : أنت علمتنى القهوة التقيلة.

البيه : أنا علمتك ما تظلمنيش أنتى متعلماها من يومك.

نجيبة : لكن بأه أهوتك أطعم.
البيه : متأونة يعنى.
نجيبة : زى كده.
البيه : والله بركة اللى وصلنا للسن ده وبتمدح الزغاليل أهوتنا.
نجيبة : ده إيه ده يا بابا.
البيه : بابا إيه ما تخضنيش أمال.
نجيبة : يا راجل شيبتك على خدك ياللى ما تختشى.
البيه : ليه وأنا عملت إيه أنا منا آعد محتشم.
نجيبة : أيوه شوف كلمة غير دى.
البيه : طيب آعد مسلم نفسى.
نجيبة : لمين .. أما أنقى لك الشعرتين البيض.
البيه : لا سيبيهم أحسن يكتروا.
نجيبة : الحنة الحنة يا أطر الندا.
البيه : وبعدين يا بت أنت. هو الشيب عيب.
نجيبة : لا يعنى الصبغة باينة أوى. أما أؤل لك.
البيه : إيه.
نجيبة : ححطلك على شنبك أوكسجين.
البيه : ليه يعنى.
نجيبة : يبأه شعرك زى الدهب.
البيه : طيب (تعود وتعمل له).
نجيبة : أأعد عدل.
البيه : وده كله ليه؟
نجيبة : علشان نتدارى المسألة شوية.
البيه : فشرت دانا أصبيك وأصبى عشرة زيك.
نجيبة : (تنتهى من الصبغة) أما أجيب لك المراية (تعود بها) شوف بأه.
البيه : ده والله كويس (تأخذ زجاجة من جيبه).
نجيبة : لئيتى حلالى. (تخبيها وراء ظهرها) حذرك.
البيه : ورأه بعشرة جنيه.

نجيبة : لا.

البيه : وراه بخمسة جنيه.

نجيبة : لا.

البيه : وراه بجنيه.

نجيبة : لا.

البيه : أهو مافيش غيرهم فى جيبى.

نجيبة : إزازة وسكى.

البيه : أوه ده وسكى أديم من اللى بأحطه فى الزمزمية.

نجيبة : ليه بأه.

البيه : لما بأتنأل لمحل النزاع آخد معاى شوية أطرى بهم ريئى أحسن من الميه الوسخة اللى عند الفلاحين.

نجيبة : طيب ولما يشفوك.

البيه : أأول لهم دا دواء يصدقوا.

نجيبة : شايب وعايب. طيب وإيه ده؟

البيه : ده ملبس علشان الزغلوله.

نجيبة : وده؟

البيه : دى رواية مضحكة.

نجيبة : رواية مضحكة يعنى إيه.

البيه : يعنى كتاب يسلى.

نجيبة : زى دلايل الخيرات بتاع بابا.

البيه : لا لا دا شكل ودا شكل قلت لك دا كتاب يسلى.

نجيبة : وهو أنت ما تفرغش من التسالى أبدا.

البيه : هو حد واخد منها حاجة من حأ إحنا مش نشرب لنا كاس ونأكل ملبستين ونمهط مهطتين؟

نجيبة : دا طبعا أما أجيب البريمة.

البيه : أنا معاية (يفتح الزجاجة) أدينى فضيت بكارتها.

نجيبة : يخى فضك من الكلام ده وسيب الهزار بأه (يشربان).

البيه : يدندن (فى مجلس الأنس).

نجيبة : بشويش لحسن الجيران يسمعوك.
البيه : طيب أنا بدى أشوف وشى فى المراية.
نجيبة : ما جبتها لك طليتِ فيها.
البيه : عاوز المراية الكبيرة اللى جوه فى الأودة اللى ببص فيها كل مرة.
نجيبة : طيب.
البيه : مستنية إيه الدنيا حر (يقلع جاكتته).
نجيبة : طيب لما يروء دمى حبتين لحسن أنا دمى متعكر.
البيه : ليه بعد الشر.
نجيبة : تخانئت مع المسخم.
البيه : جوزك.
نجيبة : أيوه.
البيه : ليه.
نجيبة : علشان عاوزة ألبس كردان زى الصبايا ومش عاوز يجيب لـــى وآل ماهيته قليلة ويدوبك تأضى فى البيت.
البيه : يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم يا آطع إإطع يا ساتر أستر طيب يـــا ستى والكردان ده تمنه كام.
نجيبة : تمانية جنيه وريال.
البيه : ومين معاه دلوأت تمانية جنيه يا نجيبة.
نجيبة : سعادتك معاك ستاشر والنبى تدينى أجيب كردان.
البيه : لأ مش النهاردة.
نجيبة : لأ النهاردة. وألا ما تبصش فى المراية الكبيرة.
البيه : طيب خدى لك اتنين جنيه.
نجيبة : ولا تلاتة ولا أربعة دا أنت بآلك زمان ما جبتليش حاجة.
البيه : خدى أربعة جنيه.
نجيبة : لأ مافيش مراية.
البيه : طيب خدى خمسة.
نجيبة : خضر أرضك بتلاتة كمان.
البيه : أعمل إيه.

نجيبة : يوه خضر أرضك.

البيه : الله الله كمان أنت عرفتيها.

نجيبة : خضر أرضك.

البيه : خدى عشرة علشان الكلمادى (يعطيها عشرة) وياالله نخضر أرضنا ونأصبها.

نجيبة : أيوه كده بأيت دح يا بابا عليم.

البيه : دى والله أمانة بشوكها لسه ساحبها الساعة ٩ (يشرب كاس) ياالله بأه نشوف المراية.

نجيبة : الواد ابن خالتى المنيل ده محمود اللى عندك أمه بتشتكى من قلة المهية وبتقول إنه بياخد منها فلوس ومش ملاحأه عليه.

البيه : كداب ده بيكسب أد جوزك وأكتر.

نجيبة : صحيح.

البيه : والله.

نجيبة : طيب ما تزوده شوية وتديله تلاتة جنيه فى الشهر هو مش نافع.

البيه :هو الواد مش بطال بس يعنى يظهر إنه خباص ومرافق بنت رقاصة.

نجيبة : مرافق بنت رقاصة.

البيه : أيوه أنا شفته ليلة معاها أبل ما يأفلوا الأهاوى وباشوفه فى وش البركة.

نجيبة : وش البركة فين؟

البيه : تحت.

نجيبة : محل الناس البطالين.

البيه : أيوه.

نجيبة : بأه محمود ابن خالتى مرافق.

البيه : أيوه.

نجيبة : وبياخد فلوس من أمه ومن غيرها علشان رفأة.

البيه : يظهر كده.

نجيبة : طيب والله يا سى محمود (تسهم).

البيه : مالك سهمت.

نجيبة : لا ماسهمتش بس يعنى باستغرب على الناس اللى مش لاقيين ياكلوا وياخدو فلوس الناس يخبصوا بها أوم يا بيه شوف وشك فى المراية (يدخلان وتترك الجاكتة وعصايته) (يسمع غناء البيه العجوز من الداخل) (يدخل محمود ينظر الجاكتة والعصا فيتأكد إنه هنا).

المشهد الخامس

محمود : العكروت الكبير هنا وآلع جاكتته. هيصه أيوه كده أمال إش خلاه بيجى ويروح (يسمع غناء العجوز) وبيدندن الروبابكيا كمان وإيه العمل المسألة مابدهاش والله لأوديهم فى داهية أهى تبأه أضية زنا ويمكن نخلى نجيب فى الآخر يتنازل بعد ما يشوف بنت الكلب وتاخد حكم ويمكن العجوز يخضر أرضه خوفا من الفضيحة (يسمع غناء العجوز) أيوه غنى بس فين دلوأت ابن الكلب نجيب اللى سايب مراته تلبس فساتين جديدة وتفرجها للناس يا ترى وصلوا فنى حته من الفستان دلوأت أنا أستاهل اللى نزلت وسبتها لو كنت عارف ماكنتش أفتح الصنافور فى نهارى إياك ألائى نجيب برده ألائيه فى بار البلح وعلى التمن بتخريمة من شارع الترب (ينزل بسرعة).

المشهد السادس

فى المنزل – محمود – نجيب

محمود : أدى الجاكتة والعصاية أتأكدت دلوقت.

نجيب : ده تمام آه (يسمع غناء العجوز) الضلالى الخنزير العجوز. دى مسألة ما فيهاش شك .. طيب وإيه العمل.

محمود : مافيش إلا التمن ومحضر زنا.

نجيب : وقضية وتحقيق وجلسة.

محمود : أيوه جلسة سرية طبعا مافيهاش إلا الأبوكاتية.

نجيب : يادى الفضيحة.

محمود : ما هو الحق عليك لأنك أنت اللى جرأتهم على الحاجات دى.

نجيب : إزاى جرأتهم حد يجرأ على الزنا فى بيته.

محمود : طبعا .. مثلا ليه تخلى الراجل يخش البيت فى غيابك.

نجيب : معمروش دخل فى غيابى.

محمود : لأنك ماشفتوش ولا حدش آلك أما الحقيقة إنه دخل فى غيابك أكثر من دخوله فى حضورك.

نجيب : ده كان بيجى علشان شغل يا أخى زى ما بتجى أنت.

محمود : أنا بأه إن جيت فى غيابك وألا فى حضورك مايهمش لأنى أريبها وعرضى عرضها وأدافع عنها مش أضرها.

نجيب : شوف .. لأ وكنت من عبطى غاير منك وأنت أخ حقيقى (يعيط) نهايته وإيه العمل دلوأت.

محمود : مافيش إلا زى ما قلت لك.

نجيب : نتده عسكرى.

محمود : أيوه مالم تكون ناوى تبلعها المرة دى.

نجيب : أبلعها إزاى يا محمود تؤل كده أختشى ده عيب.

محمود : أما المسألة ثابتة تمام مافيش شك رجل أجنبى فى بيت الزوجية وأدحنا شهود رؤية.

نجيب : أخش أأتلهم وأروح فيهم فى داهية.

محمود : لأ هدى أخلاقك مافيش داعى للأتل ومع ذلك إذا قتلت ما ترحش فى داهية ولا حاجة غايته ست أشهر.

نجيب : ما هى ست أشهر برده داهية.

محمود : يلخى مافيش لزوم لإزهاق الأرواح.

نجيب : دبرنى يا محمود أحسن أنا ما بقتش طايق نفسى.

محمود : مافيش إلا الميرى يخلص لك حأك.

نجيب : هى مش فيها رد شرف من الراجل.

محمود : طبعا خش فى القضية وطالب بحق مدنى زى ما تريد.

نجيب : والمره يجرى لها إيه.

محمود : تتحبس وبعدين طلقها ومع ذلك تقدر تعفى عنها.

نجيب : إلحأ هات عسكرى.

محمود : طيب بس أوعا يفلت منك (ينزل محمود).

نجيب : لأ يفلت إزاى؟

المشهد السابع

نجيب : (لنفسه) والله طيب ياست نجيبة ما بآش إلا كده فين أمك الأرشانة وأبوك التيس دلوأت. وفين على ملك الجن اللى يركبك ده مكافأتى على جريى على العيش وعرق جبينى بعد عشرة خمس سنين الحمد لله اللى محناش مخلفين. (تسمع هيصة). (للشاويش) أطلع يا شلويش بأول لك خش (لمحمود) وأنت مش اللى أنت جايبنى شاهد.

محمود : أيوه بس هدى نفسك.

نجيب : ست نجيبة يا عليم بك أتفضلوا أطلعوا هنا فى كلمتين.

نجيبة : (من الداخل) مين؟

نجيب ومحمود : إحنا.

نجيبة : (تخرج) يا دهوتى عسكرى الشر بره وبعيد.

نجيب : لأ والله الشر جوه وأريب أوى.

محمود : ما كانش عشمنا.

نجيب : ما كانش عشمنا .. خلى الراجل يخرج حالا وإلا نخش نجرجره من ودانه أنا زهأت ينعل أبو دى وظيفة وينعل أبوها عيشة إنتآل لمحل النزاع سكتنا رشوة بلعنا عيشة سودة رضينا وكمان قرنين على الرأس.

محمود : ما بآش بينك وبين الإسكندر فرأ كبير.

نجيب : أنت بالك.

نجيبة : محمود أنت اللى جايب نجيب وفتنت له الفتنة الفلصو دى وعاوز تخرب بيتنا روح دور على رفيقتك الرقاصة يا نصاب يا خباص جايب الراجل ومهيجه على.

محمود : الله الله أنا مالى بتخانئينى ليه؟

نجيب : أيوه هو اللى جايبنى وفيها إيه ما تؤول يا واد ما هواش ابن خالتك وبيغير عليك زيى وأكتر.

عليم : (يخرج بالصديرى) جرى إيه؟

نجيب : أهلا وسهلا يا خوى (يتهجم عليه ويمنعه العسكرى).

عسكرى : مش أصول يا أفندى تضرب الأفندى عندك التمن.

عليم : أنا مش أفندى أنا بيه حايز للدرجة الثانية والنيشان المجيدى الخامس.

عسكرى : (يضرب سلام) طيب يا سعادة البيه.

نجيب : يا شاويش هاتو لى على التمن أنت هنا فى بيتى بتعمل إيه؟

عسكرى : طيب روأ بالك.

عليم : يا شاويش صلى على النبى.

عسكرى : حاضر يا سعادة البيه.

عليم : جرى إيه يا نجيب هو يصح الكلام ده أنا جى لك علشان شغل ودى مش أول مرة.

نجيب : هاتهم الاثنين على التمن يا شاويش المره والراجل.

محمود : أنت مش سامع يا عسكرى وأديك شاهد الراجل قالع هدومه وكانوا الاثنين فى أوده واحدة.

نجيبة : أنت عاوز تفضحنى يا محمود.

عليم : هو يصح كده يا محمود دى زى بنتى وكانت بتوصينى عليك ووعدتها بزوادة مهيتك أنت وجوزها.

محمود : لكن يا سعادة البيه برده ما يصحش (يدخل فى وسط الهيصة).

نجيبة : أجرى يا واد يا حسن أنده ستك (يجرى) برده ده يصح يا سى نجيب هو سبب لك حاجة.

نجيب : هو سبب لى أكثر من كده هو كان يصح ماكانش عشمى يا نجيبة. دنا مديك خمسة جنيه النهاردة.

عليم : منين جولك .. من الفلوس اللى أعطيتها لك تدفعها فى المحكمة تبديد وخيانة أمانة شاهد يا شاويش. شاهد ومصلى على النبى.

عسكرى : شاهد ومصلى جوى يا سعادة البيه.

عليم : (يدنو منه ويدفع له) ومع ذلك أنت غلطان أنا كنت بشوف وشى فى المراية علشان صابغ جديد.

عسكرى : ما تصرفها وديا يا أفندى أحسن أنت حتودى نفسك الأبعد فى داهية من غير سبب.

نجيب : مش شغلك يا شاويش خيانة أمانة أدام مين؟

عليم : أنت معترف حالا.

محمود : المسألة باين حتفشخر.

نجيبة : محمود برده كده بتهيج جوزى على كل ما يهبط تأومه.

محمود : هو وكيفه دى مسألة شرف.

نجيب : دى مسألة شرف ياللا على التمن. خدهم يا شاويش (تدخل زنوبة ومحمد أفندى).

زنوبة : الشر بره وبعيد .. جرى إيه يا اختى (لنفسها) الكوتشينة ما تكدبش أبدا.

نجيبة : آه يا أمه محمود عمل عملته وفضحنى مظلومة يا نينتى مظلومة يا بابا.

زنوبة : محمود محمود برده تعمل كده فى بنت خالتك مع مين يا بنتى.

نجيبة : آل مع البيه.

محمد أفندى : أخص عليك يا محمود يصح دى لحمك وبتحبك وكانت عاوزه تتجوزك.

عسكرى : ماتتهيها وديا يا أفندى الستر أحسن.

نجيب : أبدا خدهم يا شاويش على التمن.

زنوبة : سى نجيب أسمع منى كلمة.

نجيب : لا يا ستى مش عاوز أسمع منك كلمة ولا حدوته يا حماة الهنا.

محمد أفندى : أنا محصلش بينك وبينى حاجة لكن دى لحمى ولحمك.

نجيب : كله .. لكن لازم بعد ما يروح لحمك على التمن (عليم ومحمد أفندى وزنوبة يتكلموا على انفراد).

نجيبة : جرى إيه ياسى نجيب أنا برضه أبقى لك. ده الشيطان شاطر (تقرب منه) هو أنا كنت مزعلاك هو جرى منى حاجة .. إن كنت باسطاك إراط حبسطك أربعة وعشرين وإن كان خاطرك متغير على سامحنى أنا ما كنتش عارفة مقامك بس الفضيحة وحشة (تتودد إليه).

زنوبة : عيب يا خويا دى مراتك وفضيحتها فى وشك.

نجيبة : علشان خاطر أمى.

زنوبة : مراتك منزارة والأسياد ما يستحملوش حاجات زى دى.

محمد أفندى : يا نجيب أفندى أنت مشفتش منى ردى حرام عليك الفصـــل ده فى (يتكلموا بصوت واطى).

عليم : (لمحمود) زى ما ولعت النار دى أطفيها وأنا برده أشـــوفك (يلبـــس ملابسه).

محمود : يا سعادة البيه حاتشوفنى أمته بأه.

عليم : (يغمزه) بكره أزورك وتبقى محل النطع ده.. ده ما ينفعش فى حاجة.

محمود : أنا وحياة ربنا ماليش فى المسألة يد.

عسكرى : ياللا يا أفندية النقطة لوحدها.

عليم : (يغمزه) أتفضل أنت ياخويا شوف شغلك (الشاويش يتحرك).

نجيب : على فين يا شاويش.

محمود : سيبه يا نجيب أنا فهمت الموضوع.

نجيب : فهمت إيه.

محمود : المسألة لها شكل تانى أنزل أنت يا شاويش.

نجيب : إزاى.

عليم : خليك ذوق وانتحى بأه لأخوانك.

محمود : أنزل أنت يا شاويش.

نجيب : مش لما نعرف آخرتها.

محمود : الحقيقة هو إن البيه ماكانش يقصد غير زيارة بسيطة .. وأنا تأكدت من المسألة دى سوء تفاهم بسيط.

عليم : سوء تفاهم.

نجيب : وهو يصح إن البيه يزور المره فى غياب جوزها.

محمود : هو أفتكر إنك فى البيت.

زنوبة : ونجيبة زى بنته.

محمد أفندى : وأنت زى ابنه (يتكلموا عليه كلهم ويبلفوه).

عليم : كلكم أولادى يا بارد أتفضل أنت يا شاويش.

نجيب : لو كنتم تحلفوا لى إنها زيارة بسيطة وتضمنوا لى إن المسألة مابقتش تحصل.

عليم : وحياة شرفك.

محمود : وحياة شرف أبوك.
نجيبة : وحياة عينيك.
زنوبة : وحياة شرف المرحومة نينتك.
محمد أفندى : إن المسألة بسيطة.
نجيب : أمال الكلام اللى قلته لى كله كان إيه يا محمود.
محمود : أقول لك الحق الفار لعب فى عبى ولكن المسألة تنورت وعرفت أصلها ولو كان فيها حاجة ما كنتش أنصحك بالعدول.
نجيب : طيب مش كنت تتأكد قبله.
محمود : ومع ذلك هو المحكمة حتعمل إيه مش تعويض مدنى.
عليم : غايته وده إذا لا سمح الله وسبت.
محمود : وده شيء بعيد ومع ذلك البيه مستعد مش متأخر وتبقوا حبايب.
عسكرى : ولا حد شاف الجمل ولا الجمال.
نجيب : اللى تحكموا به.
محمود : أنزل بأه يا شاويش.
عسكرى : (يضرب سلام) تروح وتحلى. أنزل يا أفندى.
نجيب : أنزل يا سيدى الأمر لله. ولكن خليك قريب (ينزل الشاويش).
محمد أفندى : أيوه كده أمال.
عليم : لا أنا عارف إنه ذوق ويتنخى لأصحابه.
محمود : سى نجيب ده قلبه طيب أهو بلعها لآخرها.
زنوبة : أقعدوا بأه نشرب قهوة ونروأ دماغنا أنا راسى بأت زى الطبلة.
نجيب : لكن عاوزين الحق.
الكل : أيوه.
نجيبة : يا سعادة البيه.
عليم : يا ستى.
نجيبة : عاوز الحق.
عليم : وأبوه.
نجيبة : خضر أرضك.
عليم : وأبوها (يفتح المحفظة).

(ستار)

نيرون

رواية تاريخية تمثيلية فى خمسة فصول

تأليف

محمد لطفى جمعة

المحامى بمصر

القاهرة وهليوبوليس ١٩١٧-١٩١٨

نيرون

الجزء الاول في ١٦٢ صحيفة ويشمل ثلاثة فصول

رواية تاريخية تمثيلية في خمسة فصول

تأليف

محمد لطفي جمعة

المحامي بمصر

القاهرة ١٩١٧ - ١٩١٨

وهليوبوليس

رواية نيرون

تأليف محمد لطفي جمعة

(الفصل الأول)

المكان: قصر نيرون بروما

الزمان: في أوائل عهده ويوم حفلة تأبين الإمبراطور كلوديوس

المشهد الأول

سنيكا – بوروس

سنيكا: سنذهب نحن الآن عبثاً إذا حاولنا الوقوف على ما تخفيه الأقدار

بوروس: مع أن الناس ما فتئوا يبذلون معظم الجهد في هذا السبيل

سنيكا: أنا أنيوس سنيكا

بوروس: الحكيم الجليل

سنيكا: بل المنفي المضطهد المغضوب عليه من الإمبراطور كلوديوس .. أنا أعود إلى روما

بوروس: معززاً مكرماً

سنيكا: وإني قاضياً ومهذباً لنيرون ولي عهده بأمر حليلته لهم

بوروس: ووزيري أنا فذ الرأي مسموع الكلمة.

سنيكا: واحضر حفلة تأبين الإمبراطور كلوديوس الذي غضب علي لكلمتي ورضي عني إكراماً لامرأته أجربين

بوروس: وفي قصره الذي صار قصر خلفه

سنيكا: وأنت أيها القائد العام خدمت روما نحواً عد

الفصل الأول

المكان : قصر نيرون برومه، **الزمان :** فى أول عهده ويــوم حفلــة تــأبين الأمبراطور كلوديوس

المشهد الأول : سنيكا - بوروس

سنيكا : يذهب تعب الإنسان عبثا إن هو حاول الوقوف على مـــا تخفيــه الأقدار.

بوروس : على أن الناس ما فتئوا يبذلون معظم الجهد فى هذا السبيل.

سنيكا : أما أنيوس سنيكا.

بوروس : الحكيم الجليل ؟

سنيكا : بل المنفى المضطهد المغضوب عليه من الأمبراطور كلوديـــوس ... أنا أعود إلى روما ...

بوروس : معززا مكرما.

سنيكا : وأعين قاضيا ومهذبا لنيرون ولى عهده بالأمس وخليفته اليوم.

بوروس : ووزيرا نافذ الرأى مسموع الكلمة.

سنيكا : وأحضر حفلة تأبين الأمبراطور كلوديوس الــذى غضــب علــى لحكمتى ورضى عنى إكراما لامرأته أجربين.

بوروس : وفى قصره الذى صار قصر خلفه.

سنيكا : وأنت أيها القائد الهمام خدمت رومه فغضبوا عليك.

بوروس : ونفيت مثلك.

سنيكا : ولكنهم عادوا إلى الحق فى شأنك فأعادوك وعرفوا قدرك وعينوك قائدا للحرس الأمبراطورى.

بوروس : وأسعدت الأرباب طالعى فصرت رفيقك فى تهذيب الأمـــبراطور الناشىء.

سنيكا : لو أن منجما تنبأ لى منذ سبع سنين بما وقع لى ما صدقته.

بوروس : ولا أنا .. ولكن ها نحن نرى بأعيننا ونلمس بأناملنا أحلاما لم تكن لتخطر لنا ببال.

سنيكا : وقد تحققت.

بوروس : أصبت ! فإن الأمل قوام الحياة.

سنيكا : ولكن أعلم يا صديقى بورروس أن أجربين التى سعت فى تعييننا فى منصبينا لم تحسن إلينا.

بورروس : كيف يكون ذلك وأنا أعد الأميرة أجربين ولية نعمتنا وربة الفضل وذات الكرم علينا؟

سنيكا : إن مهمتنا بالأمس لم تكن شيئا مذكورا بجانب المهمة التى وكلت إلينا اليوم، فعرفاننا بجميلها فات أوانه.

بورروس : ماذا تعنى؟

سنيكا : كنا بالأمس أستاذين لفتى يافع نلقنه مبادىء العلم والأدب، أما اليوم فنحن وزيران مسئولان بيدنا قلب نيرون وعقله. وعليهما المعول فى مستقبل الأمبراطورية الرومانية بأسرها.

بورروس : ألا يكون الفضل لنا فى إنبات الأمير نيرون نباتا حسنا؟

سنيكا : أجل .. ولكن لهذا الفضل آفة وهى أن كل خير يريده الأمير بروما والرومان سوف ينسب إلى جلالته لأنه الأمبراطور، وكل شر يراد بها وبهم سوف يلصق بنا لأننا معلماه ومرشداه وهذا نصيب المعلم والمرشد فى هذه الحياة!

بورروس : أتحسده أيها الحكيم على نصيبه من ثناء الأمة وقد قضينا أكثر من سبع سنين فى تحسين العدل لنفسه حتى ينال رضى الشعب؟

سنيكا : حاشا لمنرفا أن يكون محب الحكمة حسودا .. إنما أخشى أن يكون نصيبنا من ذم الناس إيانا أعظم من نصيب نيرون من ثنائهم عليه، وقد يؤدى به هذا لانقلابه علينا.

بورروس : وما الذى حداك إلى هذا الظن؟

سنيكا : إن من وقف على ماضى هذا الأمير وحاضره وقوفنا عليهما يخشى عليه فى المستقبل ركوب متن الشطط، فقد نبت نيرون منبتا سيئا لأن أباه دوميتيوس أنيوباربوس مات وخلفه فى الثالثة من عمره ولما نفيت أمه بأمر عمها الجبار تيبريوس كلفته عمته ليبديا ووكلت تربيته إلى اثنين من أرقائها العبيد وهما حلاق ورقاص، فالرقاص علمه الرقص والحلاق (بصوت منخفض) أفسد خلقه.

بورروس : أظن أننا محونا بالحكمة والشجاعة ما اكتسبه الأمير من الحلاق والرقاص.

سنيكا : لا أظن أن عملنا كان مقرونا بالنجاح، فقد مضى علينا نحو ست سنين فى تهذيبه، قد وكل إلينا الأمبراطور كلوديوس بإيعاز أجربين أمر تربيته عقيب تبنيه ولا أرى تغييرا كثيرا فى طبعه .. وهيهات أن يصلح العطار ما أفسده الدهر.

بوروس : لا تنس يا رفيقى أن نيرون ذكى بالفطرة وقد تخرج علينا فى العلوم المدنية والحربية، دع عنك كرم أصله وعلو حسبه وشرف نسبه، أليس أبوه أنيوباربوس من أسرة دومنيوس العريقة فى المجد، وأمه أجربين ابنة جرمانيكوس قاهر البرابرة؟

سنيكا : دع عنك ما يهواك فى فخامة الأسماء والألقاب وأمعن النظر رويدا فى حقائق الأخلاق، أتعرف من هو أبوه أنيوباريوس؟

بوروس : سليل أسرة دوميتيا.

سنيكا : لقد كانت حياته صفحة سوداء، فقد قتل فى الشرق نديما لأنه لم يثابر معه على الشراب، وتعمد قتل طفل تحت سنابك خيله فى طريق أبين، وفقأ عين فارس رومانى كان يجادله فى ساحة عامة، وكان يسرق أرزاق أمناء الخزينة وهم تحت أمرته، ويحرم الفائز من المصارعين جائزته لينفقها فى لهوه، وأتهم فى آخر عهد تيبريوس بالاعتداء على عفة شقيقته ليبيديا ولم ينجه من العقاب إلا موت الأمبراطور وقد أنقذتنا الأرباب من شره مذ قضى بداء الاستسقاء.

بوروس : عجبا عجبا !

سنيكا : وأعلم أيها القائد أن العرق دساس وأن الأبناء يرثون عن الآباء محاسنهم ومساؤهم، وقد يرث الأشراف والأمراء المساوئ دون المحاسن.

بوروس : ما قولك فى أجربين وهى ليست كغيرها من النساء يكتنفها الشرف من كل جانب، فهى ابنة أمبراطور وزوجة أمبراطور وأخت أمبراطور وأم أمبراطور؟

سنيكا : أجربين على جانب عظيم من الجمال وكيدها أعظم من جمالها، وغير خاف عليك أن النساء يستولين على أشرف ما فى نفوس الرجال بإرضاء أسفل ما فى أجسامهم، وأجربين امرأة ترى أن الغاية

تزكى الواسطة وتبررها وتعتقد أن كل شىء مباح فى سبيل المجد والسلطة، فلا دخل لشرف أصلها فى فساد خلقها، هاك نسب صاحبك من الجانبين.

المشهد الثانى

بوروس : من القادم علينا؟ لعمرى إنها سحنة طارئة لم أرها قبل اليوم.

سنيكا : بلى ! رأيتها ولكن نادرا .. هذا لوسيوس بيلاتوس، أحد شعراء البلاط الأمبراطور كلوديوس، قربه واتخذه نديما وجاسوسا على زوجته أجريبين ومعتقه بالاس حاميها وأحد عشاقها فوجدا عليه وحقدا عليه ولم يجدا وسيلة لقتله أو نفيه ففازا بإقصائه عن القصر فهو يبغضهما بغضا دونه كل شىء.

بوروس : وما الذى أتى به فى هذا النهار؟

سنيكا : رأيته مذ توفى كلوديوس يحوم حول القصر وقد لقيه نيرون مرة فأعجب به واتخذه بلا علم أمه جاسوسا على بعض العظماء. إن لتلميذك نظرة خارقة فى الرجال وسترى من سعة علمه وبعد نظره وحرية فكره ما يدهشك.

بوروس : إذن فلنحذر هذا الجاسوس.

سنيكا : لا خوف علينا منه، فقد قلمت أظفاره بالإحسان إليه، فإننى وجدته هائما على وجهه مفقود الأمل لا ناصر له ولا معين ولا مال عنده يقيه ذله الفاقة فسعيت لدى الأمبراطور فى خيره فلم يخب رجائى.

بوروس : طالما سمعتك تنصح بإتقاء شر من تحسن إليه، على أنه قد آن لى الانصراف إلى ثكنات جنود الحرس البريتورى لأن ركابهم يوشك أن يتحرك لحضور الحفلة فسلامى عليك. (يخرج بوروس من باب مقابل).

سنيكا : لك التحية (ثم يوجه حديثه إلى لوسيوس الذى يدنو) أهلا بشاعرنا المفلق!

لوسيوس : السلام على الحكيم سنيكا.

سنيكا : لقد بكرت.

لوسيوس : رثاء سيدى وأمبراطورى جادت به قريحة أستاذى وقدوتى يلقيه مولانا الجديد وقد التفت عليه محافل الدولة .. تلك أمور جديرة بالبكور.

سنيكا : كلام جميل بليغ لولا نسبتك تحرير الرثاء إلىّ.

لوسيوس : إن رومه بأسرها تعلم أن نيرون لا يخط حرفاً ولا يفوه بكلمة لم تصقلها براعتك الغالية.

سنيكا : إن رومه لا تعرف مواهب سموه معرفتى إياها .. لعلك نسيت إنك ستلتقى اليوم بمولاتنا الأمبراطورة أجربين.

لوسيوس : سحقاً لها ! وأسفى على أن مولاتى مسلينا ضرتها لم تكن ذات وفاء!

سنيكا : هب أنها كانت وفية.

لوسيوس : إذن لعاشت وعاش الأمبراطور كلوديوس لأنه كان رجلاً لا يطيق العزوبة وكان مستسلماً لشهواته وقد أدى به ذلك إلى تمليك قياد نفسه لشريكة فرشه، فلما ملكته أجربين فعلت به وبنا ما فعلت.

سنيكا : طالما اشتقت لسماع حديث زواج الأمبراطور كلوديوس بالأميرة أجربين لأننى كنت إذ ذاك منفياً عن وطنى.

لوسيوس : لما رغب الأمبراطور فى الزواج انقسمت الحاشية وطمعت شريفات رومه وبعض محظيات الأمبراطور فى الجلوس على العرش فتبارين واتخذن حماة ووسطاء، وفى نهاية الأمر فازت أجربين لجمالها وشبابها ومجد نسبها وقرابتها من الأمبراطور وحذق مرشحها بألمس معتوق الأمبراطور وصفيه.

سنيكا : أرى فى كل واد أثراً من هؤلاء الأرقاء والمعتقين.

لوسيوس : إن هؤلاء الأرقاء والمعتقين عبيد فى الظاهر وسادة سادتهم فى الحقيقة. فهم يحكمون البلاط القيصرى والبلاط يحكم رومه. إن دسائس الحاشية الأمبراطورية سلسلة يسبك حلقاتها الأرقاء المعتقون، ونظام الحكومة خرقة يحيكون أطرافها كما تشاء المطامع، وتزين الأحقاد، وها هم يتحزبون فى القصر فيفرقون الحاشية وتتصل مفاسدهم إلى السناتو فينشق هذا المجلس الجليل وتسود فيه الرغبات

السافلة فينصرف عن مصلحة الدولة ويقصر همه على الانتقام من بعض الفراد ويرى الشيوخ سيوف النقمة معلقة على أعناقهم فيتفننون فى ضروب التمليق والتزلف ويصرف كل منهم عنايته إلى حفظ حياته أو الحصول على مال خصمه .. وهكذا تظهر الرشوة وينتشر الفساد وتهضم حقوق الشعب الرومانى .. وهكذا يدب دبيب الأدواء إلى جسم روما الخالدة فتمرض ثم تضعف ثم تموت ..

سنيكا : إنك صادق الرأى بعيد النظر .. كنت تذكر رابطة القرابة بين أجربين وبين الأمبراطور كلوديوس.

لوسيوس : تقصد أن زواج العم ببنت أخيه كان محرماً فى شرائعنا.

سنيكا .: كيف مهدوا السبيل لهذا القران .. هذا سر سؤالى.

لوسيوس : لجأت أجربين لأحد أعضاء مجلس الشيوخ فيتليوس وهو رجل شريف بمنصبه دنىء بطبعه، فخطب فى المجلس يلتمس عذراً، وكان الأمبراطور ذاته يخشى سخط المجلس لما فى هذا القران من خرق حرمة شرائع الرومان فلم يلبث خطيب السوء أن يفرغ من خطبته حتى نهضوا جميعاً وقالوا إذا تردد الأمبراطور فى إتمام هذا القران السعيد فإننا نرغمه عليه ونحمل بأيدينا تلك العروس النبيلة إلى فرش مولانا.

سنيكا : هذا من حسن السياسة.

لوسيوس : إن هذا المجلس وصمة فى جبين رومه.

سنيكا : ولكن أى شىء عاد على الوطن من هذا القران حتى تحقد على محبذيه إلى هذا الحد؟

لوسيوس : إن بغضى لتلك التى حاولت القضاء علىّ يخرجنى عن جادة الاعتدال.

سنيكا : ولكن بغضك لا ينسيك واجب الاعتراف بذكائها وقدرتها وقوة إرادتها.

لوسيوس : لقد شهدت جميع آثارها، وقد كان فى كل واد أثر من أجربين.

سنيكا : كيف ذلك؟

لوسيوس : لما استتب لها الأمر قاسمت زوجها حكم رومه وهى التى سنت سنة انعقاد مجلس الشيوخ فى القصر لتستطيع تنفيذ إرادتها فى أعضائه.

سنيكا : وأى شأن للمجلس فى سياسة أجربين وقد كانت سيدة الأمبراطور ومالكة قياده؟

لوسيوس : إنها صرفت همها نحو توطيد قدم ولدها نيرون فاختطت لذلك خطة ذات ثلاث شعب، وكلها لا تتم إلا بموافقة مجلس الشيوخ.

سنيكا : أدركت .. وما كانت تلك الشعب الثلاث إذن أيها الداهية؟

لوسيوس : الأولى تزويج ولدها نيرون من أوكتافيا ابنة الأمبراطور، والثانية إرغام كلوديوس على تبنى نيرون وجعله ولى العهد وإقصاء برنيانيكوس ولده من ماسلينا، وقد لجأت فى الوصول إلى هاتين الغايتين إلى خليلها ومحاميها بالاسى.

سنيكا : والشعبة الثالثة؟

لوسيوس : أرادت بعد ذلك إثبات رشد ولدها نيرون قبل برنيانيكوس ابن كلوديوس من ضرتها مسلينا. فأمرت مجلس الشيوخ بتنفيذ غايتها فمنح نيرون ثوب الرجولة وعينه لساعته قنصلاً منتخباً وولاه ما وراء العاصمة ولقبه أمير الشباب.

سنيكا : لعل فى ارتقاء الأمير نيرون إلى عرش رومه خيراً للشعب.

لوسيوس : لو كان الأمر كذلك ما أظهرت الآلهة غيظها.

سنيكا : أظهرت الآلهة غيظها ؟!

لوسيوس : لما تم لأجربين ما كانت تتمنى أطلقت الأرباب سخطها علينا فحلقت طيور الشؤم فى سماء رومه ونعق البوم فى حظائر الكابيتول وزلزلت الأرض زلزالها فى الجزيرة كلها وتهدمت قصور حديثة العهد بالبناء وعلا ضجيج الشعب من الغلاء وشح الأرزاق، ولم يقف غضب الشعب عند الشكوى، فإنهم تجمعوا فى الفورم وهجموا على مجلس الأمبراطور وهو يقضى بين الناس ثم اعتدوا عليه بالسب والأذى.

سنيكا : سمعت بهذه الفظائع فى المنفى مرتين ولم أكن أعلم سببها.

لوسيوس : حقاً، إنه بعد عام عادت السماء فأنذرت رومه بالدمار، فانقضت الصواعق على خيام الجند وأحرقتها وهبت الرياح على الأعلام فاقتلعتها ومزقتها وعشش النحل فى الكابيتول واجهضت الحبالى فسمى عام الأجنة، ومن لم تجهض وضعت مخلوقاً مشوهاً وولدت الخنانيص بأظفار كأنها صقور وظهر طاعون القضاء فأهلك جماعات منهم بجملتها، وتنبأ الكهنة بأن هذه الخوارق تدل على فاجعة تقع بالملك وتهز أركان الدولة.

سنيكا : عجباً إن الشعراء كالنساء يؤمنون بالخرافات!

لوسيوس : إن أجربين ذاتها وهى على ما هى عليه من الاعتماد على النفس وقوة الإرادة وبعد النظر تصدق بما تسميه خرافات.

سنيكا : هذا مستحيل .. إن امرأة مثلها لا يعقل أن تؤمن بالخرافات.

لوسيوس : سمعت كلوديوس يقول وهو معقود اللسان بفعل الخمر لقد قسم لى أن احتمل خيانة زوجاتى زمناً ثم أنزل بهن سخطى، فنزلت هذه الكلمة على نفس أجربين نزول الصاعقة، وتأكدت أن كلوديوس قد كشف أمرها ووقف على علاقتها بباﻻس وغيره وخشيت نقمته لعلمه بما وقع لضرتها مسلينا على يديه، فأقسمت أن لا تذهب فريسة خيانتها كما ذهبت سابقتها، فأصرت إذ ذاك على المبادرة.

سنيكا : المبادرة بماذا ؟

لوسيوس : صح عزمها على القضاء عليه قبل أن يقضى عليها، ولم يقف بها عن الإسراع فى هلاكه إلا اختيار نوع السم، ولكن حيرة هذه الجانية الشيطانية لم تطل، فإنها اهتدت إلى مزيج من سموم حديثة الاكتشاف تقتل العقل وتترك الجسم بين رجاء الحياة ويأس الفناء فباعت لنرسيس أحد المعتقين وصالها ثمناً للسم الذى تقتل به حليلها، فأحضر لها لوكاستا الساحرة ووكلا إليها إعداد الجريمة القاضية، واستغوت هالتس أمين الأمبراطور على مائدته وذائق طعامه، فقدم الجرعة لمولاه.

سنيكا : لم أعلم أنه مات بالسم.

لوسيوس : حقاً فإنه لم يظهر للسم أثر في بدنه الضخم فاستدعت أجربين زينوفون طبيب الأمبراطور وأمرته أن يشير عليه بما يمكنه من قتله، فأشار عليه بالقيىء، فسلمه حلقه فمسه الطبيب الأمين برشة مسمومة فمات الأمبراطور كلوديوس ولكن أجربين لم تعلن وفاته قبل أن فرغت من إعداد العدة لجلوس ولدها على العرش، فصارت تأمر الأطباء بعلاج الجثة الخامدة وتبعث إلى مجلس الشيوخ بالرسالة تلو الرسالة عن تقدم صحة الأمبراطور المتوفى، وفي اليوم الثالث فتحت أبواب القصر وخرج موكب الأمبراطور الجديد، وبعد ساعة من مبايعته خرجت جنازة الأمبراطور المتوفى وسارت أجربين بجوار نعش قتيلها باكية منتحبة؟

سنيكا : إنك تنسب إلى أجربين كل سوء.

لوسيوس : إن المقام لا يسمح وإلا فإني ذاكر لك عن نيرون ..

سنيكا : (مقاطعاً) اغتب من شئت من الناس عدا الأمبراطور.

لوسيوس : تخشى أن أخونك؟ أوصل سوء ظنك بي إلى هذا الحد؟ أنت سيدى وولي نعمتي لقد أحييتني بعد الموت وبعثتني من قبر الوحدة والفراغ والفقر وأرجعتني رغم أعدائي وبينهم الأمبراطورة أجربين ذاتها إلى حظيرة القصر الأمبراطوري.

سنيكا : حاشا أن يسوء بك ظني ولكن.

لوسيوس : أعلم يا أستاذ أنني مهما أخلص لنيرون فإخلاصي لك أشد، وأعلم أن عدوي أجربين وبالاس هما عدواك منذ ملكت زمام الأمبراطور الجديد.

سنيكا : لا أريد أن أضع على فمك كمامة .. فقل ما أنت قائل.

لوسيوس : لا أريد أن يخفى عليك في أخلاق الأمبراطور ما يعلمه الناس قاطبة لاسيما وأنني أعلم أن أجربين وبالاس لا يخشيان أحداً سواك وقد تشاورا فيما بينهما في أمرك ولا يبعد أن ينقاد لهما نيرون لشبابه وضعفه.

سنيكا : أعلم قدراً يكفيني شره .. ولا بأس من زيادة العلم.

لوسيوس : أتعلم أنه شريك أمه فى مقتل كلوديوس ؟ أتعلم أنه انتهز فرصة ضعف برتيانيكوس ابن كلوديوس من ماسيلنا وأخوه بالتبنى فأفسد خلقه؟ أتعلم أنه شرع يوغر صدر كلوديوس على ولده حتى أدخل فى نفسه أن بريتانيكوس ليس ولداً شرعياً إنما هو ثمرة عشق مسلينا لغير زوجها، فلم ير كلوديوس بداً من حرمان ولده من المعزة الوالدية والتاج معاً؟ أتعلم أن نيرون شهد زوراً على عمته لبيديا وهى التى كفلته صغيراً ويتيماً فى دعوى أمه عليها وكان لشهادته أقوى أثر فى الحكم بنفيها ومصادرة أموالها؟

سنيكا : يا لك من مغتاب! أتأكل لحم أميرك ومولاك؟

لوسيوس : إذا كان ذكر الحقائق غيبة فما قولك فى أخلاق المؤرخين؟

سنيكا : كيف تعدد مساوىء الأمير ولا تذكر محاسنه؟ ألم يجزل العطاء للشعب لدى وقوفه للمرة الأولى خطيباً فى مجلس السناتو؟ ألم يدافع بين يدى الأمبراطور عن مصالح أهل بولونيا ورودس وطروادة وكان لدفاعه أحسن وقع؟ ألم يظهر حذقاً نادراً فى القضاء بين الناس، وقد حلّ بأحكامه أعوص المشاكل، وفضلاً عن هذا فهو خطيب فصيح وكلتا بليغ وشاعر لا يشق له غباراً!!

لوسيوس : إن رومه تعلم أن براعة الأستاذ أنيوس سنيكا هى التى تجرى بالجواهر الغوالى فى شعر الأمير ونثره.

سنيكا : هذا غير صحيح.

لوسيوس : ليكن صحيحاً أو غير صحيح فأى غضاضة فى هذا .. يكفى الملوك أن يكونوا ملوكاً اسماً ومظهراً .. إن لديهم بفضل قوتهم وثروتهم ألسنة ناطقة لأفصح القول وأبلغ الحكم، ولهم من آراء وزرائهم أصوب الآراء وأدق الأحكام. وفى براعة قوادهم أوفق الخطط وأعظم الانتصارات. بل أن أعمال أمم بأسرها قد تنسب إلى الملك دون شعبه. هذا نظام العالم من قديم. السعى والكلل والنصب للصغار والمرؤسين والمجد والذكر الخالد للكبار والرؤساء.

سنيكا : (فى نفسه) إن هذا الثرثار يقول الحق فى بعض الأحيان (ثم إلى لوسيوس) ولكن لا تنس أنه خفف الضرائب عن الولايات ومحا ظلم

العهد السابق وجعل رشوة القضاء أثراً بعد عين وقضى على دسائس البلاط التى انقضت ظهر الشعب وأذلت كل عزيز. دع عنك كل هذا. ما قولك فى فضائله النفسية؟ أليس خير زوج لأوكتافيا ابنة كلوديوس وأبرّ ولد بأمه أجربين؟

لوسيوس : إن حبه لزوجه أوكتافيا يدوم حتى يشغف بسواها على أن الأمبراطور يهجر فرشه فى كل ليلة ولا تحظى امرأته بقربه إلا نادراً ويقال إنه يفضل عليها غلاماً اسمه فيثاغورس!!

سنيكا : يا للغيبة !

لوسيوس : أما أمه أجربين فهى تبقى فضلى الأمهات مادامت إرادتها لا تصدم إرادته ومادامت مطامعها لا تتعارض مع نفوذه وحبه للتفرد بالسلطة المطلقة. أما إذا اختل هذا التوازن فالويل لها .. وأنت أيها الأستاذ لو أنك ظهرت يوماً بمظهر المعارض لرغبات الأمير فأقسم لك بالمشترى أن رومه تخسر حكيمها المفدى.

سنيكا : إنك مبالغ. إننى لا أخشى شر الأمير. ألا تذكر أن أدبه وصل به إلى أن كان يحيى أفراد الشعب كلا باسمه؟ ألم يجر أرزاقاً على أعضاء السيناتو الذين جمعوا بين طيب الأصل ومصيبة الفقر؟ ألا تذكر أنه لما قدم إليه أمر إعدام الشقى لوكارنوس لتوقيعه تنهد وقال : ليتنى كنت أمياً لأعفى من التوقيع على هذا الأمر.

لوسيوس : ولكن وقع عليه .. كان فى وسعه أن يعفو.

سنيكا : والقانون؟

لوسيوس : إن تنفيذ القانون لا يقف دون الشفقة الحقيقة والرحمة فوق العدل.

سنيكا : وما قولك فى جوابه للسيناتو عند شكر الأعضاء له " إننى اليوم غير جدير بثنائكم. ارجئوا الشكر حتى استحقه".

لوسيوس : تواضع كاذب وكبرياء يسترها النفاق. (تسمع أبواق وطبول وصهيل خيل).

سنيكا : اذكر إنك فى قصر الأمبراطور!

لوسيوس : إننا فى مأمن من البيوت والآذان. إن بيت الملك خير مكان لاغتيابه .. ولكن حذار من الكلام عنه فى الطريق حتى ولو كنت تصوغ له عقود الثناء.

سنيكا : نصيحة خبير ! (يدنو صوت الأبواق ويدخل القائد بورروس على رأس الحرس ويصطف يميناً ثم يدخل أهل القصر ثم يسمع غناء الكهنة فيدخلون وبعدهم عذارى فيستال ويأخذن مكانهن مقابل الكهنة وعند دخول كل طائفة ينادى مناد باسمها وهكذا ..).

المنادى : الحرس الأمبراطورى.. رجال القصر .. الكهنة .. عذارى فيستال .. مجلس الشيوخ .. الوزير بالاس. (يدخل المذكور وحاشيته).

لوسيوس : هذا عشيق أجربين وسيد رومه بالفعل .. هذا عدوك وعدوى .. انظر كيف يرمقنا دون أن يشعر به أحد؟

سنيكا : اخفض صوتك.

لوسيوس : إنك إن أعنتنى عليه لدى الأمبراطور فلن تطول سيادته فلعله بعد أن يفرغ نيرون من هذه الحفلة أن يطوى صحيفة أمه وعشاقها.

المشهد الثالث

المنادى : الأمير بريتانيكوس (يدخل وخلفه لوكوس).

لوسيوس : يا لك من شاب شقى الحظ انظر يا أستاذ إلى إصفرار وجهه وانقباض نفسه .. من الغيظ ولكنه يكظمه.

سنيكا : اخفض صوتك لئلا يسمعك أحد .. ها هو بالاس ينظر إلينا شزراً.

المنادى : قناصل روما وقضاتها. (يدخلون).

لوسيوس : هاك فيتليوس الذى صار قاضياً قد سنّ زواج العم بابنة أخيه. لم يجدوا ذمة أطهر من ذمته!!

المنادى : الأمبراطورة أجربين فضلى الأمهات والأزواج وكاهنة هيكل كلوديوس الإلهى. (تدخل أجربين بأبهة عظيمة وحولها نساء وعلى وجهها قناع ضخم فترى بالاس فيتبادلان النظرات).

لوسيوس : فضلى الأمهات والأزواج وكاهنة هيكل كلوديوس الإلهى ؟! ألا تحدثك نفسك يا أستاذ بالوقوف فى وسط هذا الجمع المملوء بالنفاق والرياء فتسمى كلاً باسمه الحقيقى وتصفه بما هو أهله؟

سنيكا : هذا سلوك المجانين.

لوسيوس : إن لسانى يلذعنى!

سنيكا : إنك تهرق دمك.

لوسيوس : لا شيء أجل وأعظم من قول الحق.

سنيكا : إنك تحرج صدري. إذن لماذا رضيت بحرفتك؟

لوسيوس : لأتشفى في هذا المجتمع الفاسد بالوقوف على أسراره.إن حرفتي تجرى مع دمي في عروقي ولكنها لا تحجب عن بصيرتي نور الحق.

سنيكا : (لنفسه) تعليل حسن لحرفته (يسمع هتاف في الخارج).

المشهد الرابع

أصوات : النصر لقيصر ! (تسمع أبواق وطبل ويدخل نيرون وعلى رأسه أكليل من الغار وبيده صولجان فيتحفز الجميع لاستقباله فيذهب إلى أمه ويقبل يدها ثم يقصد المنبر الموضوع إزاء العرش ويضع على عينه نظارة عين واحدة ''منوكل'' ثم يبدأ مرثيته) :

نيرون : بعين ملؤها الدمع السخين وقلب خافق من الحزن والحنين وصوت تخنقه العبرات وتقطعه الزفرات أرثي والدي ووالد الوطن الأمبراطور الإلهي كلوديوس. لقد كان فقيدنا من سلالة قيصر فورث عن أجداده حكمة الآلهة وشهامة الأبطال .. وكان بطبعه كريماً محباً للشعب فلم يدخر وسعاً في توسيع رزق أهل رومه وتسليتهم بالألعاب الفاخرة. وقد شاد لهم البيوتات العامة وغرس الحدائق الغناء وبنى الحمامات الممتعة وأنفق عليها من ماله .. أما عن شجاعته الحربية وبراعته في قيادة الجيوش وحكمته السياسية وقدرته في تدبير شئون الدولة فحدثوا ولا حرج، فقد كان قطباً من الأقطاب ومفتاحاً لكل باب .. لقد كان أبي وأبوكم مثالاً للفضيلة فلم يدنس نفسه الإلهية بفكرة سوء ولا جسده الطاهر برجس من الشيطان، وقد توفي بين ذراعي زوجته المحبوبة، كما توفي من قبله القياصرة الأجلاء.. ذهب فريسة لهموم الدولة ومتاعبها ولفظ أنفاسه الأخيرة وهو يلهج باسم رومه الطاهرة ويذكر الشعب الذي يحبه وباسمي أنا أيضاً، أنا ابنه وخليفته وظله على الأرض قد رفع إلى السماء.. إن روحه الآن بين الآلهة وقد أفسح له المشتري وعطارد وزيوس وإيزيس إلهة الشرق التي كان يمجدها مكاناً سامياً في العلا.فحق عليكم أيها الكهنة الصالحون وأيتها العذارى المباركات أن تثابروا على عبادة كلوديوس الإلهي في

هيكله الذى تشرف عليه فضلى الأمهات والزوجات (مشيراً إلى أمه أجربين) تلك التى كانت تحبه ويحبها حباً جماً لم يسبق له مثيل فى تاريخ الأسرة القيصرية .. لقد دوخ الأعداء وأفسح مجال الحدود ونشر نفوذ رومه فى كل بقعة ومد سلطة شرائعنا وراء البحار بين الأمم المتمدينة والشعوب الوحشية .. إن مجدك يا كلوديوس أيها الناظر إلينا من سماء ربوبيتك لا يدخل فى حيز الحصر ومحامدك جلت عن العدّ والحدّ .. تبارك اسمك فى السماء بين الأرباب كما خلد مجدك فى الأرض! سادتى الشيوخ والقضاة! مات الأمبراطور ليحيا الأمبراطور.. إن الشباب خليق بالضلال وإن من كان فى سنى لينوء بالعبء الثقيل الذى ألقاه على كاهلى كلوديوس الإلهى لولا ما أتوسمه من البركة فى أرواح أجدادى القياصرة وأعشمه فى التعضيد من فضلى الأمهات ومنكم مستنيراً فى حياتى الحافلة بالمتاعب بأنوار أستاذى الفاضلين بوروس قائد الحرس البريتورى وهو سياج الدولة وسيفها المسلول والحكيم سنيكا الذى ذاع فضله واشتهر علمه بين الورى ستكون حكومتى حكومة عدل واعتدال .. لقد علمنى سلفى الصالح إن إصلاح الشئون العامة يقضى بذل النفس والنفيس، فلن أتردد مطلقاً فى إضعاف سلطتى إذا كان فى ذلك تقوية للحق سأخذل نفسى لأبصر العدل. سأنزع سلطة القضاء من يدى وأسلم زمامها لمجلس الشيوخ ليستريح الناس ويطمئنوا على أموالهم وأعراضهم وحقوقهم وسأقضى على سلطة الحاشية ورجال البلاط فى القضايا العامة والخاصة، ولن يكون نيرون سليل القياصرة وأمبراطور رومه جديراً بهذا النسب إذا لم يقض على الرشوة والدسائس والمؤثرات الخفية التى يبذلها أهل المطامع والأغراض .. وإننى من الآن أرى الفصل بين بيت المال وخزانة العرش وأعيد إلى مجلس الشيوخ سلطة تنفيذ الدستور لتتمتع إيطاليا وسائر الولايات التابعة للأمبراطورية بنعم الشرائع الرومانية.أما أنا فأقنع بقيادة الجيش ولا أطلب منكم أيها الآباء الموقرون سواها.

رئيس المجلس : لك ما تريد أيها الأمير الجليل.

نيرون : أيها الآباء الموقرون إن لى لديكم طلباً أرجو ألا يخيب.

رئيس المجلس : للأمير أن يطلب وعلينا أن نطيع.

نيرون : تعلمون أكثر منى عواطف البنين نحو الآباء وقد فطرتم يا سادة الرومان وشيوخهم على تمجيد الوالدين وإكرامهم، كما فطر شبابكم على احترامكم وتبجيلكم .. وها أنا لا أرى أثراً واحداً ينكر رومه برجل منحها أمبراطوراً عادلاً وقائداً مقداماً .. لعلكم أدركتم قصدى بفطنتكم .. أريد أن ينصب تمثال لوالدى سينوبكس دوستوس أنيوباريوس.

رئيس المجلس : إن ما اقترحه الأمير كان يجول بصدورنا جميعاً.

أعضاء المجلس : صحيح!

الرئيس : ولكن إلهة الرحمة أرادت أن يصدر هذا الاقتراح عن الولد لتغتبط روح الوالد، وإننى اقترح أن تقام للأمبراطور تماثيل من الذهب الخالص والفضة النقية. فإن الأحجار الكريمة مهما غلت والمعادن النفيسة مهما عزت أقل وأبخس من أن تتشرف باحتواء شكل جلالته.

نيرون : عفواً يا سادتى ليس التواضع الكاذب من صفاتى ولكن تفضلوا بإغفال هذا الاقتراح لأن الأمير بأعماله لا بتماثيله ولا أرانى حتى الساعة فى حل من قبول هذا التكريم ويكفى تمثال والدى. (ينزل عن العرش).

الجميع : النصر لقيصر !

المشهد الخامس

نيرون : استميحكم عذراً فى إيقائكم برهة ريثما ألقى وفد برمينا. إن هؤلاء البرمن ما فتئوا علة فى جسم رومه مطالبهم مبهمة وآمالهم غير محدودة وهم عدا ذلك أشد مكراً من المصريين .. يا بوليوس.

بوليوس : مولاى !

نيرون : أدخل وفد برمينا (تدنو أجربين من العرش جداً فينظر الحاضرون باهتمام إلى هذه الحركة، يدخل الوفد ويتخذ مكاناً متوسطاً أمام العرش). (للوفد) رغماً عن مشاغلنا العامة والخاصة أردت مقابلتكم لأسمع مطالبكم فإن إلحاحكم جعلنى أعتقد أن فى الأمر ما يدعو للاهتمام.

رئيس الوفد : إن برمينا تبعث إلى رومه تحية وسلاماً !

نيرون : إلى رومه تبعث برمينا تحية وسلاماً .. هكذا يقال أيها الرئيس لأن رومه سيدة العالم واسمها مقدم على كل اسم. (تدنو أجربين من العرش وتحاول الصعود فيسرع سنيكا إلى نيرون ويسرّ إليه شيئاً ويسرع نيرون ويعترض أمه ويقف بينها وبين العرش). (مستطرداً) وعرش روما فوق كل العروش (يقبل أمه ويقودها من يدها بعيداً) أظن فضلى الأمهات فى حاجة إلى الراحة فضلاً عن أن مقابلة الوفود ليست من واجبات كاهنة هيكل كلوديوس الإلهى.

أجربين : أنا مسيحية.

نيرون : مصحوبة بالسلام يا فضلى الأمهات (تمشى وخلفها حاشيتها وتشير إلى بالاس فيتبعها بحاشيته، أما نيرون فيصحبها قليلاً وفى عودته يتلقى وجهاً لوجه ببالاس فينظر إليه شزراً). (يصعد إلى العرش) تكلم أيها الرئيس.

رئيس الوفد : إلى رومه المقدسة سيدة العالم تبعث برمينا تحيتها وتبث آمالها وتعرب بلساننا نحن نوابها.

نيرون : (بضجر) مطالبكم مطالبكم أيها الرئيس.

الرئيس : مطالبنا إعادة مملكتنا واسترداد حدودنا الأصلية وتجنيد مائة ألف من أبنائنا للذود عن حياضنا ومساعدة رومه بجنودنا، ولا بأس بدفع الجزية لدولتكم وربط أواصر المودة بينها وبيننا بمحالفة دائمة.

نيرون : إذن أى سلطة لروما تبقى على بلادكم؟ ما أشد طغيان هؤلاء البرابرة ما رأيت شعباً وحشياً يأبى سيادة رومه (إلى الشيوخ) ألم أقل لكم يا سادة إن مطالبهم مبهمة وآمالهم غير محدودة.

الشيوخ : إن بعد النظر وجلاء البصيرة من الصفات التى حبتك بها الآلهة.

نيرون : عفواً عفواً يا سادتى .. وبعد أيها الرئيس.

الرئيس : نحمل إلى جلالتكم هدايا وتحفاً.

نيرون : جوهر وذهب ووحوش ضارية وخيول عربية؟

الرئيس : أجل يا صاحب الجلالة الأمبراطور.

نيرون : أما الجواهر والذهب فخزائن رومه بها مفعمة، وأما الوحوش فكذلك في حدائقنا وغياضنا منها ألوف مؤلفة وفي مرابط خيلنا أكرم الأفراس وأسبقها. اذهب إلى من بعثوا بك وقل لهم إن رومه تغيرت، فإن الأمبراطور الجديد يفضل بيتاً من الشعر على أسد غضنفر ويرجع فيثارة راع على عقد من الجوهر وعد لنا بطاعة قومكم وكراسة فيها نظم شعرائكم إن كان لكم شعراء قيصر يحييكم .. (يرفع يده فينسحب الوفد ثم يلتفت نيرون إلى الأعيان والشيوخ والقضاة والكهنة والعذارى) .. شكراً لكم أيها السادة الموقرون، قيصر يحييكم. (إلى بوروس) عد بجنود الحرس إلى ثكناتهم وأجر عليهم أرزاق الأعياد المقدسة.

المشهد السادس

(تسمع أنغام حربية وينسحب الأعيان والحرس ولا يبقى إلا سنيكا ولوسيوس وبعض الحاشية، بينما يتلاهى نيرون قليلاً بمحادثة الأشراف).

سنيكا : هل أدركت ما جرى ؟

بوروس : لقد أنقذت رومه من عار لا يمحى.

سنيكا : إن قلبي كاد يتمشى في صدري إذ رأيت تلك المرأة تسير نحو العرش.

بوروس : عرش رومه تجلس عليه امرأة !! .. حقاً لقد حل الخراب، بل هذا ليس أول عهد رومه بالخراب، لقد حل الخراب بنا إذ طلبت أجربين من كلوديوس أن تنتقل إلى الكابتول محمولة على الأعناق.

سنيكا : إذن حق لها أن تستهتر بالعرش، فقد شابهت بالأمس زعماء الدين وأنافت الآلهة ؟

بوروس : فلا عجب إذا طمحت اليوم إلى صعود العرش .. قد أدرك نيرون بسرعة البرق ما أشرت إليه.

سنيكا : نعم لأنه ليس بابن كلوديوس الغبي.

لوسيوس : وهو تلميذ سنيكا الحكيم.

نيرون : (ملتفتاً إلى لوسيوس ويدنو منه ويقبض على أذنه ويخاطب سنيكا) انظر يا أستاذ! هكذا تمسك الثعالب، أكان يحاول الفرار إلى وكره! آه

لو كان له ذنب (يضحك) ولكن أذنه التى يسمع بها أهم من ذنب الثعلب، الآن لا تستطيع الفرار قبل أن تسمع أرجوزتى .. انتقدها بصراحة وإلا قطعت أذنك، ألا تكفيك أذن واحدة (يأخذ جانباً) ولكن قبل ذلك أريد الانتفاع بعينيك وأذنيك .. هذه الجفون الضيقة وهاتان الأذنان الضخمتان .. لقد خلقتك الطبيعة لخدمتى .. آه يا بوسيوس توسيوس فوسيوس!

لوسيوس : لوسيوس يا مولاى لوسيوس.

نيرون : لوسيوس .. لوسيوس إننى أحب فضلى الأمهات كثيراً ولكن ..

لوسيوس : ولكن مجد رومه فوق حب الأمهات.

نيرون : آه يا ثعلب! هل فطنت؟

لوسيوس : كيف لا؟

نيرون : إذن علىّ بأخبارها وأخبار سيدك بالاس.

لوسيوس : ليس هذا المعتق الحقير سيدى إنما سيدى قيصر.

نيرون : ها ها .. حسن .. هاك كيس فيه نقود. دون ما ترى وتسمع هاك خاتماً تغشى به كل مكان وأبواب قصرى مفتحة لك فى كل وقت. أما الأرجوزة فنرجئها إلى حين .. افتح عينيك وأذنيك وأخف ذنبك. (يعود إلى حيث كان سنيكا).

نيرون : أيها الحكيم إن هذا الشاعر أفضل عندى من رئيس الوفد، أراضٍ أنت أيها الحكيم عن خطة تلميذك مع هؤلاء البرابرة؟

سنيكا : حكمة الأمير فوق كل شىء.

لوسيوس : كرم مولاى لا يحد.

نيرون : نحن زملاء يا لوسيوس كلانا فخره نظم القوافى وشغله وزن العروض.

لوسيوس : مولاى !

نيرون : إلى وكرك أيها الثعلب العتيق .. إلى وكرك (يخرج).

المشهد السابع

نيرون : (لنفسه) إن نظرة هذا الرجل تروقنى كأنه ثعبان عتيق، فإنه ينظر إلى كل شىء ويحرك حاجبيه وسائر عضلات وجهه كأنه يختزن فى

ذهنه ما يمر على بصره من الصور .. لقد أحسنا باختياره عيناً لنا على من أردنا. (لسنيكا) : أرأيت ماذا كانت فضلى الأمهات تحاول لولا حضور بديهتك وسرعة خاطرك وشدة عزمك.

سنيكا : مولاى! لم أكن إلا صدى لصوت سريرتك.

نيرون : دعنى أعترف بفضلك على رومه حقاً إنى شاب ولكنى لست كلوديوس وتحدثنى نفسى بأننى محاط بالناقمين المبغضين على أننى أريد.

سنيكا : مولاى

نيرون : (مستطرداً) أن أضع حداً لتداخل الغير فى شئون الدولة.

سنيكا : هذا حق جلالتك المقدس.

نيرون : فىّ وفيك الكفاية ستقول الأجيال القادمة عهد نيرون العادل وسنيكا الحكيم.

سنيكا : عهد نيرون العادل الحكيم.

نيرون : تواضع ما شئت فهذا لا يمنعنا الاعتراف لفضلك أنت عقل الدولة وبوروس قلبها وأنا حتى الآن يدها الفعالة .. ربما يأتى يوم أكون أنا العقل والقلب واليد معاً.

سنيكا : لقد كان هذا اليوم .. قد صعدت على العرش ولولا تساهل جلالتكم فى بعض الشئون واستسلامها لـ ..

نيرون : من تقصد يا أستاذى؟ .. تكلم.

سنيكا : فضلى الأمهات ليست هى العاملة إنما العامل هو بالاس.

نيرون : سأنظر فى شأنه .. ولكن بحق الأرباب قل لى كيف أقاومهم جميعاً؟

سنيكا : بالاس رأس كل خطيئة أرأيت جلالتكم كيف أنه أطاع إيماءً من فضلى الأمهات فأخل بنظام المحفل بانسحابه بغير إذن أمبراطورى؟

نيرون : سأنظر فى شأنه. سأقطع دابره.

سنيكا : علمت أن جلالتكم تخرج للنزهة ليلاً مع ..

نيرون : نعم نعم كيف أعلل هذا الميل؟ إن نفسى مفطورة على حب كل غريب وقلبى ميال إلى المخاطر .. الليل وقطاع الطريق والأماكن المخفية .. إن دم الشباب يغلى فى عروقى.

سنيكا : مولاى إن لى كلمة أقولها شريطة أن آمن غضبك.

نيرون : لو غضبت على رومه والعالم بأسره فلا أغضب على الأستاذ الحكيم. ألست مديناً لك بكل شيء؟

سنيكا : هذا تواضع الأرباب؟

نيرون : تكلم فأنت تعلم أنه لا يسرنى شيء مثل القول الصريح.

سنيكا : يقولون إن الفساد قد عم رومه وساءت حال الأخلاق فيها فاندفعت النسوة فى طريق العشق وتغالى الشبان فى السير فى سبيل الغى والضلال اقتداء بـ ..

نيرون : آه لعمرك ما أدرى أى فرق بين الفساد والصلاح، وأى خطر فى اندفاع الناس فى طريق العشق .. أليس العشق داعياً لرقى النفوس من كل الوجوه .. فهو يدفع بالعاشقين إلى طريق التغزل فينظموا الشعر ويقدموا الهدايا والأزهار ويجودوا بالنفس والنفيس فى سبيل الحصول على المعشوق .. ألا ترى أن النفس مطبوعة على حب الجمال، والطبيعة لا تأبى شيئاً من هذا بل تدعونا إليه وإنما وضع الناس قواعد وقوانين واتفقوا على احترامها ولا يلزم بمراعتها إلا من كان فى حاجة إليها.

سنيكا : قد يجوز للإنسان أن يفكر على هذه الصورة ولكن لا يجوز له أن يصرح بفكره أو يطبقه على مرآى ومسمع من الناس.

نيرون : لا أدرى كيف تبيح التفكير ولا تبيح القول والفعل وأنا الأمبراطور.

سنيكا : لأن جلالتكم أمبراطور ولأنكم قدوة ولأن الناس على دين ملوكهم ينبغى لكم التستر.

نيرون : تريد أن أصرف أوقاتى فى الهياكل أعبد آلهة لا أؤمن بها وأضحى لها بما هو أثمن منها؟ .. أتريد أن أتخلى عن حب أكتيه؟

سنيكا : لا أقصد هذا ولا ذاك.. إنما أقصد خروج الليل. فقد شاع أن جلالتكم تخرج عند كل غروب تقريباً بزى رقيق فتطوف بالطرق على غير هدى وتنزل إلى حيث تأوى النساء الشقيات ولا تترك حانة أو معهد سوء مهما كان حقيراً إلا وتطرق بابه وخلفك عصبة من أهل الشر ممن لا أخلاق لهم يضربون الناس ويسلبون الأمتعة فى الأسواق وأنه

لم يخطر ببال أحد أن جلالتك تتنزل إلى هذا الدرك الأسفل فقوبلت مراراً بالمثل من العامة والسوقة وأن الجرح الصغير الذى فى جبهتك من آثار تلك المعارك التى أهرق فيها دمك الإلهى فلما ذاعت تلك الأخبار استفحل الخطب واستباح الناس سب الأشراف وإهانة فضليات النساء، فإذا خيم الظلام انسابت عصاباتهم فى الطرق فيقطعوها على المارة ويفقدوا الأمن فى جوانبها، فكأن رومه فى كل ليل مدينة غزاها العدو أو أغار عليها جيش فاتح يستبيح كل شىء بادئاً بأعراض النساء وكرامة الرجال ينتهكها ومنتهياً بأحقر السلع يسلبها، وقد زاد الطين بلة مقتل الشريف بوليوس مونتانوس.

نيرون : قل ما شئت ولا تذكر اسم هذا الرجل .. تصور أيها الصديق رجلاً يعتدى على أمبراطوره؟ .. لقد بلغت وصحبى أحراش كونيا حيث تلتقى طريق فالوس بشارع نيتونيا وكنا نقصد لقاء أصدقاء لنا على ضفاف البحيرة المنوطة بالغابة. فإذا بهذا الشقى يوليوس مونتانوس ماراً بنا فى مركبته بكبرياء لا تقدر وحتم أن نتخلى جميعنا عن طريقه وإلا يدوسنا تحت سنابك خيله، فأوعزت إلى بعض الرفاق يأمروه بالتخلى لنا حتى نمر .. ألا ترى العدل يملى على الاحتفاظ بسلامة السائرين على أقدامهم؟ فلما أبى ذلك أمرت أن يوقفوا جياده وينزلوه حتى نمر، فدنا من رفاقى وأمعن فيهم ضرباً وقال أين زعيمكم ورئيسكم حتى أشج رأسه. فتقدمت إليه فأخذ بتلابيبى وقال الأفضل لمثلك أيها الشقى أن تساق إلى الشرطة لتجلد، فلم أتمالك نفسى عن صفعه، فاعتدى علىّ وأخذ بلحيتى ثم لا أدرى ماذا جرى. فإنه حملق فىّ قليلاً ثم ترك يده وكأنها استرخت وركع بجانبى فقال رفاقى لقد عرف جلالتكم، ولكنه لم يتكلم. أما أنا فلم أعد أطيق النظر إليه، وأنا متأكد أنه أراد إيلامى بما فرط منه فهويت على رأسه بهراوتى فشجت وجرى دمه، وعندما رأى عبيده ما وقع تركوا المركبة بخيلها وفروا وأظن بعضهم ذهب يستعين بالجند، وقد صحت عزيمتى بعد اليوم على أن أصطحب فرقة من الجند وعصبة من المصارعين وهؤلاء يسكتون ولا يحركون ساكناً فإذا حمى وطيس العراك دخلوا وأفسحوا لى طريقاً بسيوفهم وخناجرهم.

سنيكا : إذن مولاى لا يريد العدول عن هذا.

نيرون : هذه غزوات الليل أجدد بها قواى وأنعش بها نفسى وأوقظ الإرادة الخامدة والمواهب النائمة إنك أيها الحكيم الهادىء لم تذق لذتها. أريد أن تصحبنى الليلة فتشعر بالسرور والغبطة من الانفعال الذى يصيبك عند الالتحام والاصطدام ووقع العصى على الرؤوس والدماء التى تجرى، هلا كنت فى عصبتنا الليلة؟

سنيكا : كلا يا مولاى أشكر جلالتكم على هذه المنة، وها أنا أكف عن النصح.

نيرون : حسناً .. لا يستطيع التلميذ إرغام أستاذه .. ماذا فعل رسولك لدى أكتيه؟ هل أدى الأمانة إلى أهلها؟

سنيكا : كيف لا .. أيتردد أنيوس سريوس فى خدمة مولاى؟ إن جاريتكم أكتيه ..

نيرون : (مقاطعاً) لا تقل جاريتى كما يقول بقية الناس إن الحب لا يعرف سيداً ومسوداً بل أنا عبدها.

سنيكا : ولكنها معتوقة أسيوية؟

نيرون : سأثبت بصفة قاطعة أنها من أصل ملكى.

سنيكا : لا شك أن مجلس الشيوخ يصادق على ذلك لأن الأميرة أكتيه قد تحلت بأجمل الصفات وأكمل الخصال، لم تكد تصلها الجواهر التى جادت بها الذات العلية ولم توشك أن تقرأ القصيدة التى فاضت بها قريحتكم الأولمبية حتى طارت فرحاً وطلبت أن تحمل حالاً إلى عتباتكم السنية لتلثمها.

نيرون : الشعر .. الشعر .. أظن سرورها بشعرى كان أعظم من سرورها بجواهرى.

سنيكا : ستحكم الأجيال القادمة بينك وبين هوميروس.

نيرون : (بفرح وغرور) ولكن هوميروس نظم الإلياذة.

سنيكا : ليس الشعر يا مولاى بالكمية ولكنه بالماهية، فرب بيت شعر من شعرك الخالد أفضل من ديوان بأسره!

المشهد الثامن

خادم : النصر لقيصر !

نيرون : ما وراءك ؟

خادم : عبدكم أنيوس سريوس يحمل رسالة مختومة.

سنيكا : هذا صاحبنا أوفدته أكتيه.

نيرون : ليدخل. (يدخل الرسول ومعه رسالة وزهر وبنفسج)

الرسول : على قيصر السلام !

نيرون : الرسالة. (يعطيها له فيفضها نيرون ويقرؤها ثم يعطيها لسنيكا) (مستطرداً) الزهور ؟ (يعطيها الرسول له) (بعد أن يشاهد الزهور) بنفسج معناه الأمل ! (يدق على النحاس فيدخل طواشى) (للطواشى) ثوب الخروج وهودج (يحضر الطواشى الثوب فيلبسه نيرون .. ثم يقول موجهاً كلامه إلى سنيكا) انتظرنى فإننى لا أغيب لولا أوكتافيا زوجتى ما تكبدت مشقة الركوب إلى دار معشوقتى.

سنيكا : الأمر لجلالتك وأتمنى لك السعادة.

نيرون : إن قلبى يخفق لدى ذهابى إلى أكتيه أكثر مما خفق فى حفلة هذا النهار.

سنيكا : إن موعد حب أشد تأثيراً فى النفوس اللطيفة من خطبة فى السناتو!

نيرون : ما أعرفك بأسرار القلوب (يخرج).

المشهد التاسع

أجربين : (من الخارج) أريد أن أرى الأمبراطور فوراً.

سنيكا : (لنفسه) هذه فضلى الأمهات .. ما سبب عودتها فجأة ؟! (تدخل أجربين فترى سنيكا الذى يدنو منها باحترام) مولاتى !

أجربين : عفواً أيها الفيلسوف إذا قلت لك إن رأس الحكمة عرفان الجميل.

سنيكا : إن رأس الحكمة خدمة الدولة بحق وإخلاص.

أجربين : أمن أجل إبعادى عن العرش كنت أسعى فى إجلاسه على العرش؟

سنيكا : ألا يكفى مولاتى كونها كاهنة هيكل كلوديوس الإلهى وفضلى الأمهات؟

أجربين : هذا قول حسن للعامة والمملقين من رجال الدولة ولكنه محال لا ينطلى علىّ.

سنيكا : ألا تقنعين بأنك بلغت أمنيتك.

أجريبين : كنت أتمنى السيادة الفعلية على رومه .. ها أنت ونيرون تتــآمران على النكاية بى.

سنيكا : قد حفظنا كرامة الأمبراطورية.

أجريبين : وأهنتما كرامة الأمبراطورة !

سنيكا : لا مجاملة فى المصلحة العامة.

أجريبين : ولكن المصلحة العامة هي مصلحتى لأننـــى أنــا التــى جعلتــه أمبراطوراً وجعلتك وزيراً.

سنيكا : رأى مولاتى يخالف رأيي.

أجريبين : لو اقتصر الأمر على ما وقع اليوم، إذن لهان الخطــب لأن لــدى علاجاً لكبريائه وغدر غيره!

سنيكا : مولاتى !

أجريبين : لقد كان همى بعد الوصول إلى مخدع الأمبراطور كلوديـــوس أن أحيط نفسى ببطانة مخلصة وأن أقصى عن حظيرتى كــل مخــالف ومعاكس فخطرت أنت ببالى وكنت منفياً فرأيت فيك رأساً مدبراً لدى الحيرة وحيلة منقذة وقت الضيق، فتوسطت لدى زوجى فــى العفــو عنك وردك إلى وطنك، فلما عدت رفعتك إلــى منصــب الــبريتور وسلمتك قياد ولدى لتهذبه وقربتك وفاتحتك بكل ما كان يخامر ذهنــى فوافقتنى إذ ذاك فجعلت منك ناصحاً ومشيراً وشريكاً فى كل أعمــالى وخططى ولم تكن تأنف إذ ذاك من خدمتى ودس الدسائس التى تؤدى لغايتى، وها أنت اليوم قد قلبت لى ظهر المجن وبدوت لــى بوجــه جديد. ورضيت أن تكون رسول غرام بين تلميذك وبين معتقة دنيئــة الأصل.

سنيكا : هذا محض أفتراء.

أجريبين : عيونى رأت تابعك أنيوس سريوس يحمل إليها هدايا وتحفاً. هــل من عار أعظم من انتحال الحكماء هذه الحرفة؟

سنيكا : إنك تسيئين الظن بى.

أجريبين : لدى براهين.

سنيكا : حقاً إنى أعلم أن للأمير علاقة بمعتقة اسمها أكتيه وقد سررت بـــهذا كثيراً لأنها فتاة جمعت بين جمال الخلق وكرم الخلق وتحلت بفضائل تعوز كثيرات من الأميرات وربات المجد، وإن فى ميل الأمير إليـــها حباً بأخلاقها لدليلاً على سمو نفسه وجمال عواطفه لأنه مدفوع إلـــى الحب بحكم الشباب، فلو لم يجد لهواه مصرفاً فى دار هذه المعتقـــة لالتمسه حتماً فى بيوت المحظيات وهذا مما يحرج صدر الأشـــراف ويملؤها حقداً عليه وهذا مضر بالدولة.

أجربين : حتى هذه الحرفة وجدت تعليلاً فلسفياً؟! إننى أفضل أن يفسد نيرون بيوت الأشراف كلها على أن يضع قلبه بين يدى امرأة واحدة.

سنيكا : لا أدرك قصدك.

أجربين : لا همّ للمتزوجات إلا قضاء شهواتهن، ولكثرتهن يكـــون نفوذهـــن موزعاً، أما إذا انفردت به امرأة فإنه يصبح لها وفى يدها، ونـــيرون صبى ضعيف لا يسع صدره إلا امرأة واحدة تملك عنانه وتملى عليه رغباتها، فإما أنا وإما أكتيه. أفهمت أيها الفيلسوف؟

سنيكا : لقد غاب هذا عنى.

أجربين : إن فكر امرأة واحدة يفوق جميع فلسفتكم.

سنيكا : مولاتى أتركى نيرون لحكم رومه.

أجربين : واترك سنيكا وأكتيه يحكمان نيرون .. أعلم أننى بمفـــردى كافيـــة للقضاء عليكم جميعاً ولا يقف فى سبيلى شـــىء علـــى أن أنصـــاراً ومعضدين.

سنيكا : السيد بالاس ؟

أجربين : نعم السيد بالاس أى غبار على هذا الشريف، تريد تعييره بأصلـــه. إنه لا يرضى أن يكون وسيطاً بين رجل وامرأة.

سنيكا : مولاتى إنك جرحتنى جراحاً لا تلتئم !

أجربين : وأنت قتلتنى فأينا أعظم جرماً فى نظر صاحبه. على أننى أسـتطيع الصفح والنسيان إذا وعدتنى ببعده عنها.

سنيكا : إن أنيوس سنيكا لا يعد ما لم يكن عازماً على الوفاء.

أجربين : (لنفسها) ستلقى شر الجزاء. (يدخل بوروس)

المشهد العاشر

أجربين : أثورة فى الحرس البريتورى أم فى المدينة ؟

بوروس : (يتبادل نظرة مع سنيكا) لا هذه ولا تلـــك إنمــا عــدت لأنقــل للأمبراطور شكر الجند الذين وزعت عليهم أرزاق أمر بها اليوم.

أجربين : ألنت الذى أصدرت أمراً لحرس القصر بحجب الأمبراطور عــــن كل قادم لم يمر بديوانك العالى؟

بوروس : إنه أمر الأمبراطور.

أجربين : إنى له أن يصدر أمراً كهذا وهو لا يزال حدثاً لا يعـــرف نتيجــة أفعاله؟

بوروس : إن الأمبراطور وإن كان صغير السن إلا أنه ذكى عاقل.

أجربين : الفضل فى ذلك لك ولرفيقك الفيلسوف، واللوم علىّ وحدى لأننــــى جلبتكما من منفاكما، أنت جندى قديم وتنقص ذراعاً .. وهو ..

بوروس : لقد فقدته فى الدفاع عن الوطن، على أننى لا أزال قـــادراً علـــى تجريد سيفى من غمده.

أجربين : فى وجه من أيها القائد؟

بوروس : فى وجه من يعتدى علىّ ويتعمد إهانتى.

أجربين : عفواً .. لم أقصد إهانتك ولا تعييرك ولكننى أستنجد بك بما لحــق بى اليوم من الصغار والمذلة إذ دفعنى ولدى عن العرش هل رددتكما من منفاكما ووكلت إليكما تهذيبه لأجنى هذه الثمرة المرة؟

بوروس : إنى أخاطبك بحرية جندى لا يعرف تزويق الكلام ولا تلوين وجــه الحقيقة .. لقد أئتمنتنى على شباب قيصر وقد أوليتنى بذلـــك شــرفاً أشكرك عليه فأعطيتك عهداً بتهذيبه ولم أعطك عهداً بخيانته .. لقــد علمته طاعة القانون ولم أعلمه طاعتك .. أن نيرون ليس الآن ابنــك إنما هو أمبراطور رومه. لو طلبت إلينا أن نجعل منه رجلاً ضعيفــاً لتتحينا، أما مسألة العرش فصاحب العرش مسئول عنها.

أجربين : أهذا الذى تنتظر أم مثلى من ولد مثله؟

بوروس : هل يضع رومه كل صبح تحت أقدامك ليرضيك؟ ألا يكون عرفان الجميل إلا بالذل؟ ألا يجوز أن يكون المعـــترف بــالجميل ذا شــمم

وكرامة؟ .. إن الآلهة التى خلقتنا لو امتنّت علينا كل صباح ومساء بوجودنا لقابلنا امتنانها بالجحود.

أجربين : إنك لا تدرك معنى قولى وتندفع بغير إناة.

بوروس : لقد أردت أن يكون ولدك قيصراً، فهل تريدينه قيصراً بالاسم؟ إن رومه ضجرت من حكم الأرقاء والسماء ضجت من خيانة المعتقين والنساء، وها هو الشعب يحيي عهد نيرون بالأفراح كيف لا تبتهج رومه بمن أعاد دستورها ومنح الشعب حق انتخاب القضاة والجيش حق انتخاب القواد؟ .. إذا رضى الشعب يا مولاتى فلماذا تغضبين ؟

أجربين : يجب على الولد أن يغضب الشعب ليرضى أمه!

بوروس : الأم التى تستبيح غضب الشعب لترضى أم لا تجب طاعتها !

أجربين : ويل لك ! لقد انضممت إلى أعدائى.

بوروس : لا أعرف إلا الحق !

أجربين : سأنظر فى شأنكما لدى عودة الأمبراطور. إن أموراً ذات شأن تدعونى ولكننى سأنتظر ولدى وسوف نرى أينا يفوز فى هذا اليوم الخطير (تخرج).

سنيكا : إلىّ إلىّ أيها الأخ لقد أحسنت.

بوروس : أنت تفضلنى فى وزن الكلام. فهل أهنتها ؟

سنيكا : لو أنك أهنتها فقد أكرمت رومه .. إنها تهددنى ببالاس.

بوروس : سوف نرى .. على أننى صممت منذ اليوم أن أحجب عنها الأمبراطور.

سنيكا : تحسن كثيراً لأنه يضعف أمامها وينقاد لها كأنها تسحره. أما بالاس فسأتولى أمره بنفسى ولن تغرب شمس اليوم دون شمسه. أسمعت قولها إن أموراً ذات بال تدعوها؟ (يسمع صوت بوق)

المشهد الحادى عشر

خادم : حيّوا قيصر. (يدخل نيرون بثياب الشراب وعلى رأسه إكليل من الزهور وهو ثمل).

سنيكا : أرى مولاى متوجاً بالأزهار الغضة.

نيرون : توجنى بها من تعلم. أليس هذا التاج فى نظرك أعظم من التاج الذى .. آه أيها القائد ما وراءك؟

بوروس : وزعت الأرزاق التى شاعت مكارم مولاى أن ..

نيرون : (مقاطعاً) أحسنت لا تقطع هذه العادة.

بوروس : يأذن لى مولاى.

نيرون : لا بأس لا بأس.

سنيكا : مولاى.

نيرون : أظن كتبك وزوجك الفاضلة أحوج إليك منى (يحيى ويخرج).

(يدخل لوسيوس بثياب سائل ويدنو كثيراً من نيرون)

المشهد الثاني عشر

نيرون : (بذعر) ويحك ما تريد؟ (يضع يده على خنجر ويدق نحاس الاستدعاء).

لوسيوس : خادمك لوسيوس!

نيرون : (هادئاً) بحق إيزيس إنك ابن جدتها .. لم يخب نظرى فيك .. ما وراءك أيها الثعلب؟ .. هل عاد الثعلب بثمر.

لوسيوس : ثمر كثير يا مولاى، إن قصر الأمبراطورة أحفل بالإشراف من قصر الأمبراطور.

نيرون : من رأيت هناك؟

لوسيوس : بالاس جاء متخفياً ولكننى عرفته من مشيته وحاجبه ولم تمض هنيهة حتى استدعى كايوس بيزو.

نيرون : كايوس بيزو سليل كاليورنيوس ؟

لوسيوس : هو بعينه يا مولاى ثم جاء الخطيب سوريوس فلافيوس ثم سوليتسيوس أسير ثم أنيوس لوكان ثم بلونيوس لانيريوس.

نيرون : على رسلك يا ثعلب! كل هؤلاء السادة زاروا قصر الأمبراطورة اليوم؟

لوسيوس : كل مصحوب بحاشيته ولايزال بعضهم هناك وخرج البعض وأنا بالباب ولم يخلصنى من أيدى الخدم إلا الشاعر أنيوس لوكان.

نيرون : إذن الفضل فى نجاتك لأحد أهل حرفتك .. ولكن هل وقفت على الغاية من زيارتهم؟

لوسيوس : لم يكن فى وسعى إتمام كل شىء فى يوم واحد، ولكننى لحظت أمراً مهماً .. كان أحدهم يدخل مغتبطاً بمقدمه بادى البشر ثم لا يلبث أن يخرج بوجه مكفهر ورأس مطرق.

نيرون : إذن قدموا لا يعلمون غاية زيارتهم وخرجوا وقد وعوا أمراً ذا بال. هذا حسن. قد لا يكون فى الأمر شىء.

لوسيوس : وقد يكون فيه ما فيه .. أما الأمبراطورة فقد أسرعت إلى هذا القصر ولم أدركها.

نيرون : ثابر على عملك.

لوسيوس : ولكننى محتاج إلى رجال فقد اتسع نطاق العمل.

نيرون : أتريد أن يكون لك أتباع ؟

لوسيوس : لأتمكن من خدمة العرش.

نيرون : إن رئيس الشرطة السرية ..

لوسيوس : الضابط بوليوس؟

نيرون : هو بعينه .. إنه يغضب إذا علم أن الأمبراطور يشرك معه سواه فى أداء عمله، فلا أريد أن يقف أحد على شىء من هذا خذ المال الذى تريد واتخذ من تشاء من الأعوان دون أن يعلموا حقيقة الأمر. وأعلم أن عملك سر بينى وبينك لا يقف عليه أحد ولا سنيكا نفسه.

لوسيوس : هذا ما صح عليه عزمى.

نيرون : خذ هذه الورقة فهى صك على الخزانة، وأكتب إلىّ بيان عملك قبل غروب الشمس كل يوم، فقد تألبت الذئاب على الأسد، أما بالاس فسأسقطه فوراً وسأضعه تحت مراقبة شديدة. (يدق نحاس الاستدعاء)

المشهد الرابع عشر

خادم : مولاى !

نيرون : الحكيم سنيكا على جناح السرعة.

خادم : فوراً. (نيرون يتناول عوداً ''هارب'' ويوقع عليه وتبدو عليه علامات القلق).

خادم : إن الأمبراطورة بالباب تحتم الدخول وهذا ما نهانا عنه القائد بوروس. (يضطرب نيرون أولاً ثم يقول بتصميم).

نيرون : لتدخل .. من ذا الذى يحجبنى عن فضلى الأمهات.

أجربين : (تدخل) يحجبك القائد بوروس وقد أصدر أمره إلى الحرس.

نيرون : هذا طيش منه وهوس. هل يحجب ولد عن أمه؟ إننى إذن غير مطاع فى قصرى. القصر قصرك والأمبراطور ولدك وورومه تحت قدميك.

أجربين : هذا ما يقال بيننا، أما على مرأى من الشيوخ والكهنة والحاشية، بل على مرأى من هؤلاء الغرباء الوحشيين من رعايانا فقد استبحت لنفسك أن تصدنى عن العرش الذى حملتك إليه على كاهلى .. لقد وقفت شبابى وجمالى على خدمتك وما ضننت بشىء فى سبيل ارتقائك إلى عرش رومه .. إننى رضيت بعشرة شيخ ذميم الخلق زير نساء لا يترك الفراش إلا إلى المائدة ولا ينصرف عن المائدة إلى للفراش !

نيرون : عفواً عفواً يا أماه .. خليق بالأحياء ألا يزعجوا الأموات فى قبورهم. إن الأمبراطور كلوديوس صار بفضلى إلهاً وأنت حارسة هيكله. لا يليق بخادم الآلهة أن يكفر بنعمتهم.

أجربين : دومينيوس أينوباربوس.

نيرون : أنت تعيريننى باسم أبى ! إنك خلعت بريتانيكوس من ولاية العهد لأنه دعانى بهذا الاسم. سأترك اسمى المصطنع. سأمحو من التماثيل والأنصاب اسم نيرون وأصدر أمراً أمبراطورياً بإثبات اسمى دومنيوس أنيوباربوس لأخلص من تعيير الناس .. وبعد يا سيدتى الأم الحنون .. أن دومتيوس أنيوباربوس مصغ إليك.

أجربين : أراك ضيق الصدر قليل الحلم وعلى غير ما كنت أعهد أيضايقك الآن أن أعيد على مسامعك الأمبراطورية فى طرفة عين ذكرى أمور قضيت فى إنجازها أثمن وأعزّ سنى حياتى؟ أننى قضيت سبع سنين فى نزع محبة ولد من قلب والده.

نيرون : أنا الذى فعلت ذلك فقد أقنعت الأمبراطور كلوديوس بأن ابنه ليس ابنه إنما هو ثمرة الزنا.

أجريين : لقد حادثته مرة أو مرتين فى الحمام أو على المائدة، أما أنـــا فقــد أنجزت عملى كله فى الفراش وأنا بين ذراعيه .. إننى أبلغتك رشدك قبل الآوان وخلعت عليك حلة الرجال وأنت صبى.

نيرون : عفواً أن الأمبراطور كلوديوس هو الذى شاءت إرادته أن يخلع علىّ هذه الحلة على أن هذا لن يذهب بحلاوة الجميل.

أجريين : إننى لا أمتن ولكننى أذكرك.

نيرون : إننى ذاكر وشاكر.

أجريين : لقد جعلتك ابناً لكلوديوس وزوجتك من ابنته فأمسيت تربطك بـــه روابط القرابة وأواصر النسب. لقد كنت فى مبدأ حياتك طفلاً يتيمـــاً تعيش فى كنف عمتك ليبديا فأصبحت فى بضع سنين ابن الأمـــبراطور وولىّ عهده وابن زوجته وزوج بنته ولو إنك بقيت فى كنف ليبديا.

نيرون : لا تذكرى عمتى ليبديا بسوء. فقد كفلتنى صبياً وأحســـنت تربيتـــى ولولا مشيئتك ما شهدت عليها زوراً أمام مجلس السناتو.

أجريين : إننى مهما حييت فلن أنسى إنك صددتنى عن العرش.

نيرون : أماه .. لم أحاول .. صدك عن العرش لأننى لم أدرك أنك ترغبيــن التربع عليه .. ها هو أمامك قطعة من الخشب على قوائم أربعـــة .. أصعدى أن شئت وأبقى حيث أنت.

أجريين : كما يرون الفارس طفلة على ظهر فرس تدليلاً أنت تهزأ بـــى يـــا نيرون!

نيرون : حاشا للأرباب .. ليتنى مت قبل أن أسمع منك هذه المسبة على أننى أريد الصلح .. الصلح يا أماه .. الصلح خير مـــن شـــماتة الأعـــداء ألست ولدك وغرس بنانك؟

أجريين : إن للصلح شروطاً.

نيرون : هاتى شروطك ولا تكتمى عنى شيئاً.

أجريين : سنيكا وبوروس لابد من عزلهما.

نيرون : سنيكا وبوروس. بل عزل ألف مثلهما هين فى جنب رضاك ولكــن ما ذنبهما؟ إنك أنت التى اخترتهما وفضلتهما على غيرهما.هل يعزل الحكماء والقواد بغير ذنب؟ ماذا يقول العامة عنا إذا عاقبنا بدون ذنب أو جريرة .. إن سنيكا لا يغادر كتبه وبوروس لا يفارق جنده.

أجربين : إنهما يدسان لى الدسائس ويشعلان نار الفتنة بينى وبينك.

نيرون : إن الذى نقل إليك هذا كذبك.

أجربين : إن عزلهما يعود عليك بالنفع دونى.

نيرون : وكيف ذلك؟

أجربين : إن سنيكا يدّعى أنه الرأس المحرك والعقل المدبر وبوروس يزعم أنه حامى زمامك ولولاه ما بقيت على العرش يوماً.

نيرون : حسن .. حسن .. سأفعل. ومن ترشحين لمنصبيهما؟

أجربين : بالاس يخلف سنيكا، وفنيوس روفوس يخلف بوروس.

نيرون : فنيوس روفوس! فنيوس روفوس .. هذا ضابط شاب.

أجربين : أشيخ أنت؟

نيرون : أنا أمبراطور والأمبراطور يصلح للملك وهو صبى، ولكن الحرس البريتورى يتطلب كهلاً مدرباً.

أجربين : يمكن اختيار كهل للحرس .. وما قولك فى بالاس؟

نيرون : على العين والرأس ولا عيب فيه إلا أصله.

أجربين : ولكن أصله لم يمنعه من سعيه فى تزويجى من كلوديوس ولا من إقناع الأمبراطور بضرورة تبنيك وإثبات رشدك قبل أخيك ولم يمنعه كذلك عن الإحسان إلى سنيكا وبوروس وهما الآن ينتقصان من قدره .. ولا ريب فى أنه ذو الفضل عليك ولولاه لم تكن قيصراً.

نيرون : عفواً عفواً .. الجميل لا يوزع، كونى أنت دون سواك صاحبة الفضل علىّ وأمتنىّ بصنيعك كيفما أردت ولكن بحقى عليك لا تثنى عنقى لبلاس.

أجربين : عدنى إنك تفعل ما أريد.

نيرون : أعدك.

أجربين : أوكتافيا زوجتك الشرعية.

نيرون : هل أعزلها؟

أجربين : أتهزأ منى؟

نيرون : كلا يا فضلى الأمهات حيث إننا الآن فى مقام العزل والتنصيب زعمت إنك تريدين تبديلها بسواها.

أجربين : كلا! على العكس أريد تبديل سواها بها أهجر المعتقة أكتيه التي جننت بحبها حديثاً.

نيرون : أوكتافيا حقاً أنها جميلة وطاهرة لا يضارع حسنها إلا فضائلها وأنا مخلص لها منذ ثلاث سنين.

أجربين : إنك تهجرها.

نيرون : أوهذا من شئون الدولة؟

أجربين : كلا بل من شئوني وأنا لا أريد أن تفضل معتقة وضيعة الأصل على ابنة الأمبراطور كلوديوس.

نيرون : ألم تقولي لدى زواجي منها إنه زواج قضت به الضرورة وأنني في حل من ملاذي أسعى وراءها أني وجدتها؟

أجربين : أتخذ من شئت من نساء الأشراف والنبلاء وقصري مفتحة أمامك أبوابه أبيح لك فيه ما تهوى. وأجمع لديك نسوة رومه من كل ذات حسن وحسب وأهجر أوكتافيا إن شئت بل طلقها لساعتك شريطة أن لا تجعل لتلك المعتقة أكتيه سلطاناً على قلبك.

نيرون : ليت الحب تربط أواصره بأمر أمبراطوري أو بمرسوم من مجلس الشيوخ إذن لأبغضت هذه وأحببت تلك.

أجربين : إذن تهزأ بي ثانية؟

نيرون : كلا كلا يا فضلى الأمهات ولكنني أتمنى. أليس التمني مباحاً في رومه. سأهجر أكتيه وأعشق أوكتافيا وأعزل بوروس وأولي روفوس. (يدخل سنيكا).

المشهد الخامس عشر

نيرون : (مستطرداً) أو أعزل هذا أيضاً. سأعزله حالاً بحق الالهة لأعزلنه (إلى سنيكا بصوت منخفض) قصدت بالاس سترى كيف يسقط (يدق نحاس الاستدعاء فيدخل رسول).

نيرون : خذ فرقة من الشرطة واحضر إلينا الشريف بالاس فوراً.

أجربين : لماذا تحضره بفرقة من الشرطة؟

نيرون : تشريفاً لقدره. (يدق نحاس الاستدعاء).

خادم : مولاي !

نيرون : مُر خازن البلاط يحضر الحليّ والحلل التى خصصت بها فضلى الأمهات (يخرج الخادم) .. إن أفضالك يا أماه لا تعد ونعمتك علىّ لا حدّ لها (يعود الخازن وينشر الحليّ والحلل).

نيرون : (لأمه) هذا بعض ما وجدت فى خزائن القصر أقدمه لك هدية بنية عربوناً للصلح الذى تم اليوم بيننا. (تقلب أجربين نظرها فى الهدايا باحتقار).

سنيكا : حقاً إنها هدية قيصرية لا تليق إلا بفضلى الأمهات.

أجربين : قيمة الهدية بقصد مهديها وأنت لا تقصد بهذا إكرامى ولا التعبير عن حبك إياى ولكنك فرزت نصيبى وخصصتنى بما جادت به نفسك لتحرمنى من الميراث الأمبراطورى.

نيرون : لماذا فسرت أقوالى وأفعالى على النحو الذى رأيته الليلة؟ أيقنت بسوء حظى.

خادم : السيد بالاس! (يدخل بأبهة عظيمة وخلفه حاشيته ويتبادل نظرة من أجربين).

المشهد السادس عشر

أجربين : إن الأمبراطور أيها السيد يريد إبلاغك أمراً خطيراً.

بالاس : إننى أطوع خدمه.

نيرون : إن رومه لا تحتمل إلا قيصراً واحداً.

بالاس : لتحرس الآلهة قيصرها مرموقاً بعين السعد مشمولاً بعناية الأرباب.

نيرون : دعنى أتمم قولى وأبق الدعاء لى أو علىّ للنهاية .. إن رومه لا تحتمل إلا أمبراطوراً واحداً، فإن وجد على عرشها اثنان فلابد لأحدهما أن يتنحى، ولما كنت أنا أمبراطوراً بحق إلهى فلا أستطيع التنحى عن عرش أجدادى، فدعوتك لألتمس من جلالتك أن تتنازل عن نصيبك فى العرش، فما قول جلالتكم ؟!! (نظرة اندهاش من أجربين).

بالاس : مولاى لست أمبراطوراً ولا وزيراً بل أنا خادم وضيع.

نيرون : أتريد أن تجعل مجلس الشيوخ حكماً بينى وبينك؟

بالاس : إننى لا أستحق المحاكمة.

نيرون : إذن فأنت منذ اليوم ميت بين الأحياء لا دخل لك فى شئون الدولة، لا تزور ولا تزار، لا تخطب على منبر ولا تظهر فى سوق عامة .. محظور عليك دخول القصور الأمبراطورية ومحرم عليك الاجتماع بالأشراف ورجال الحكم واعلموا أيها السادة إن رومه لها أمبراطور واحد هو أنا (يصعد على العرش).

أجربين : إن بالاس الذى أذللته وأقصيته هو الذى رشحنى لعرش الأمبراطور كلوديوس وأقنعه إلى تبنيك وأقنعه أن صالح الدولة وتأييد الأمن يقتضيان رفع شأن الغاصبين من أسرة قيصر كما فعل الأمبراطور أوغسطوس وطيبريوس من قبل، وزاده ترغيباً فيك بذكر مساوىء برنيانيكوس، ولما خطب كلوديوس خطبته بهذا الشأن لم يكن قوله إلا صدى صوت بالاس.

نيرون : بالاس الذى كان يحرك الأمبراطور عن بعد بحبائل دهائه كما يحرك الأطفال صوراً من الورق بخيوط دقيقة خفية.

أجربين : لقد أنفق هذا الدهاء فى سبيلك ولم تكن تهزأ بالأمبراطور إذ ذاك هزؤك به الآن! لقد أخطأت فى أننى سعيت فى هذا السبيل، فحق لك أن تذلنى وتلحقنى بالمهملين فى حاشيتك، وأخطأ بالاس .. وها هو يجزى شر الجزاء على خير الأعمال، وأخطأ كلوديوس لأنه تبنى ولداً من غير صلبه وأدخل غريباً فى بيت كلوديان المقدس فقضى نحبه رغم أنفه مغضوباً عليه من الأرباب والناس. إن الشىء من معدنه لا يستغرب. ألست دومنيوس أنيوباربوس؟

نيرون : نعم .. نعم .. أنيوباربوس ألم يكن لك زوجاً؟

أجربين : ستحكم الرومان بينى وبينك .. إن أرواح آبائى ساخطة عليك وعظامهم ترتجف فى قبورها وروح كلوديوس تنظر إلينا بعين الشماتة والفرح. إنك تهين أمك على مرأى ومسمع من حاشيتك وتقتل هذا الرجل الذى أحسن إليك لأنه بقى على وفائه لى. حمداً أيتها الآلهة على أن برنيانيكوس لا يزال حياً !

نيرون : برنيانيكوس !

بالاس : مولاتى !

أجربين : نعم برنيانيكوس ابن كلوديوس من صلبه ووليّ عهده وخليفته على عرشه قد شبّ ونما وآن له أن يجلس على عرش والده. لم يكن كلوديوس أباً لأحد غير برنيانيكوس. سوف يظهر كل شيء. سأرفع الستار عن كل شيء. سأفضح نفسي أمام الملأ. سأعترف بالجرائم التي لوثت بها جسمي وروحي لأجلك، أنا التي تزوجت من عمي وأشركتك فيما تعلم من أمره. سأحمل برنيانيكوس إلى الحرس البريتوري. سأشعل نار الفتنة. سأخرب رومه. فويل لك مني. ويل لك مني. (تخرج ووراءها بالاس وتحدث هرجاً).

نيرون : لا تذعروا يا سادة هذه نوبة تصيبها من حين إلى آخر وتهذى ثم تفيق فلا تذكروا ما قالت .. اذهب أنت يا بوليوس واستدع الأمير برنيانيكوس على جناح السرعة وأبقه في هذا البهو حتى أعود .. وأنت يا كراسوس (بصوت منخفض) أدع لنا لوكستا الساحرة. وأنت أيها الحكيم إلى كتبك. أما أنا فسأوافي أصدقائي لأن الساعة الأولى من الليل قد قربت واليوم خمر وغداً أمر وستعلم رومه أيُّنا أقدر.

ستار

الفصل الثاني

المشهد الأول

لوسيوس : (يخرج فجأة) ها هو الأمير برنيانيكوس وصفيه لوكوس سأستمع ما يقولان كما أمرت. انعكاف الأمير حرمني من التجسس عليه (يختبيء).

لوكوس : وهل تعلم يا مولاى سبب هذه الدعوة.

برنيانيكوس : لا أعلم سببها ولا يهمني فقد أستوى عندى كل شيء ولولا أنك الباقية من حاشية أبي ولولا وفاؤك لذكراه وإخلاصك لي لضاقت الدنيا في عيني.

لوكوس : أحذرك يا مولاى من مكاشفة الناس بما يكتمه ضميرك فقد ساءني تقرب أجربين الخئون من سموك وأخشى أن تكون خدعت لها.

برنيانيكوس : أجربين تخدعني ! إن حوادث أذاها لاتزال حاضرة في ذهني فقد دخلت على أسرتنا ولو كانت وباءً جارفاً لكان أثرها بيننا أقل فتكاً

بنا، فقد حرمت أختى أوكتافيا خطيبها الشريف سيلانوس وأدخلت علينا غريباً من غير دمنا، ولدها لوسيوس دوميتيوس أينوبساربوس. ومازالت تقربه وتقصينى حتى حل محلى وصار ابن أبى وولى عهده وخليفته. فلما بلغت ما كانت ترجو قضت على والدى وجعلت ولدها أمبراطور رومه. كل هذا ورومه غافلة عنا كأنها لا ترى ولا تسمع.

لوكوس : إن أشراف رومه عن بكرة أبيهم ينظرون بعين السخط إلى تلك الأعمال ويعطفون على سموك.

برنياتيكوس : ما نفع العطف بعد حلول البلاء؟ ألم تصل المودة بينهم وبينى إلى أبعد من ذلك.

لوكوس : هكذا أشراف رومه أبناء ساعتهم وعبيد حكامهم.

برنياتيكوس : أهذا قدر أسرة كلوديان فى نظرهم؟

لوكوس : إن الأمبراطور كلوديوس والدك يستحق اللوم.

برنياتيكوس : عفواً عفواً يا لوكوس لا يجوز لولد أن يحكم على والده. لقد كان أبى طيب القلب طاهر السريرة.

لوكوس : الفوز فى العالم بالعقول والأخلاق لا بالقلوب الطيبة والنيات الحسنة.

برنياتيكوس : إذن تظن أجربين ونيرون ..

لوكوس : اخفض صوتك يا مولاى فإن نيرون مذ بلغ العرش بث العيون والأرصاد فى كل مكان وقد يكون تحت هذا المقعد عين ترى ولهذا الجدار أذن.

برنياتيكوس : هب أنهم نقلوا إليه ما أقول.

لوكوس : إنه كالدهر لا أمان له وكالقدر لا مردّ له.

برنياتيكوس : أراه منذ أمد قصير يظهر لى العطف ولين الجانب.

لوكوس : هذا يدعو سموك لأن تحذره أشد الحذر.

برنياتيكوس : أتحسبه يضمر لى سوءاً وأنا لا أناوئه العداء؟

لوكوس : إن بطش نيرون بالناس راجع إلى ما يتوهمه فيهم، فهو يعاقب على الأذى الذى يتوقعه فيقتص من الناس على نياتهم ولا يصبر إلى أن تصير أعمالاً، ومبدؤه الإتقاء خير من العلاج وسحق البيضة أسهل من ذبح الديك الصائح.

برنياتيكوس : تظن نفسه تحدثه بقتلى؟

لوكوس : إن نيرون يسارع إلى الخلاص من أعدائه على قدر ما تحملوا من مظالمه، فهو يخشاك بنسبة ما لحقك من أذاه.

برنياتيكوس : أيقتلنى فى رومه جهاراً؟

لوكوس : لا حاجة به إلى الجهر فى مثل الذى تقول ومادامت لوكاست حية تسعى فكأس السم لدى نيرون حاضرة.

برنياتيكوس : إن قولك يخترق قلبى .. إن نفسى تحدثنى بأن نيرون يضمر لى السوء ولذا عولت على تنفيذ أمرين أصونهما عن سواك.

لوكوس : أبق هذا الحديث إلي أن تعود إلى قصر سموك، فإننى لا أثق بهذا المكان مهما كان خالياً فى الظاهر، فقد يكون خلف هذا الستار جاسوس.

برنياتيكوس : وفى جوف هذا التمثال جاسوس (يضحك).

لوكوس : الأمير يضحك من حذرى.

برنياتيكوس : الحذر يعدّ جبناً إذا زاد.

لوكوس : الأمر لمولاى.

برنياتيكوس : سأحاول إشعال نار الفتنة فى قلوب الأشراف والشيوخ بأن أهيج الخواطر على نيرون.

لوكوس : وإذا فشلت؟

برنياتيكوس : سأتعلق بأهداب الفرار فالتجىء إلى آسيا أو أفريقيا.

لوكوس : أتترك رومه وطنك؟

برنياتيكوس : لا وطن لمن لا كرامة له فى وطنه.

لوكوس : أتترك المدينة والنعيم؟

برنياتيكوس : ماذا جنيت من المدينة والنعيم .. إننى أعانى صنوف الذل وأفضل أن أكون رأساً لذنب على أن أكون ذيلاً لأسد!

لوكوس : أتعيش بين الأمم المتوحشة؟

برنياتيكوس : عيشة الإباء فى ظلال الهمجية خير من عيشة الذل فى ظلال التمدين. ليست قيمة الترحل فى نصيبه من الرفاهية إنما قيمته فى نصيبه من الكرامة والشمم.

لوكوس : هل فاتح سموك بهذا العزم سواى؟

برنياتيكوس : نعم أفضيت به قبلك إلى بوليوس أحد ضباط الحرس البريتورى وهو من النفر الكرام الذين بقوا على مودة أبى.

لوكوس : خاب ظنك أيها الأمير .. إن هذا الضابط صنيعة نيرون وعينه الساهرة وأذنه الصاغية! بل هو يده اليمنى فى جرائمه لأنه رئيس فرقة الحرس الخفى.

برنياتيكوس : أراك لا تحسن الظن بأحد.

لوكوس : إن حسن الظن شيمة الحمقى. ماذا كان رأيه؟

برنياتيكوس : لقد بشرنى بنجاح الفتنة وقال إن الأشراف والشيوخ مجمعون على بغض نيرون.

لوكوس : إنه ينصب لك الحبائل.

برنياتيكوس : إن السعادة حسناء تعشق أشجع الفتيان.

لوكوس : ولكنها لا تعشق الطائشين.

برنياتيكوس : ما تقصد؟

لوكوس : الرأى مقدم على الشجاعة.

برنياتيكوس : حتى متى؟ (يسمع بوق).

جندى : حيوا قيصر. (يدخل نيرون وخلفه جند وحرس ويحدث اضطراب. ينتهز لوسيوس فرصة فيزوغ من خلف التمثال ويخرج دون أن يراه برنيانيكوس، ويدخل مع نيرون كأنه كان فى حاشيته ويحادثه همساً كأنه يفضى إليه بما سمع).

لوكوس : (يهمس لبرنيانيكوس) كن حذراً صبوراً فى قولك.

برنياتيكوس : سأرى (يخرج لوكوس بعد أن يعانق مولاه ويقبل يده).

المشهد الثانى

نيرون : أهلاً بك أيها الأخ. إن عزلتك تسوؤنى وبعدك يؤلمنى فلا وقت أسعد لدى من الوقت الذى أتمتع فيه بحلو حديثك.

برنياتيكوس : إن الأمبراطور يتنزل.

نيرون : ألم أقل لك يا برنيانيكوس إنه ليس للسلطة فى نفسى أقل أثر فهى عبء أنوء به.

برنيانيكوس : إن الدولة حمل ينوء به من لم يخلق لحمله.
نيرون : (يتغير) تقول إننى لم أكن أصلح للعرش؟ إذن من ذا الـــذى كـــان يصلح؟
برنيانيكوس : لا يصلح للدولة إلا أهلها.
نيرون : ألست ابن كلوديوس وأخاك الأكبر؟
برنيانيكوس : إنك ابن وأخ اسماً ووهماً!
نيرون : برنيانيكوس ! ألا تخشى صولتى؟
برنيانيكوس : أنت مغتصب ولا صولة لغاصب. كنت تقول الآن إنك لا تأبه للسلطة ولا تهتم بالصولة فما الذى جعلك تلجأ إلى صولتك.
نيرون : عجباً عجباً هون عليك. إن هذه الحدة قد تليق بالســوقة ولكنــها لا تحسن بالأمراء من بيت كلوديوس.
برنيانيكوس : ليس لى من بيت كلوديوس إلا النسب وقد شريت النســـب – وهو وهم باطل – بثمن باهظ وهو حياتى وسعادتى. ليتنى ولدت بين الشعب إذن لاخترت بقوتى وخلقى قائداً أو كنت خطيباً ولكننى وأسـفاه ولدت أميراً من صلب أمبراطور وقد قضى على الأمراء أن يضحوا بسعادتهم وآمالهم فى سبيل نسبهم وأن يقضوا أعمارهم فى عشــــرة الأرقاء والمعتقين ورجال الحاشية عوضاً عن عشرة الأشراف وأهل الفضل وهذا سر انحطاطنا وانطباع نفوسنا على الخوف والتمليق.
نيرون : هذه روح الثورة ولا يليق بالأمير الفتى أن يثور على أخيه الأكبر لا سيما إذا كان الأكبر نيرون أمبراطور رومه أليس كذلك يا سادة؟
السادة : هذا عين الصواب.
برنيانيكوس : أنا ثائر؟ أنا الخاضع الراضى المعتزل الصامت. أنا الصابر.
نيرون : إن الثورة تجرى مع دمك فى عروقك.
برنيانيكوس : لو كانت الثورة تجرى فى عروقى لــثرت إذ ألبســوك قبــاء الرجال ليثبتوا رشدك قبلى، وإذ منحوك سلطة القناصل وسموك أمير الشباب .. لو كانت الثورة تجرى مع دمى فى عروقى لثرت إذ خلــع الأمبراطور عليك الحلة الأرجوانية وهى حلـــة القــواد والزعمــاء وتركنى فى قميص لا يستر الساق ليثبت للملأ إننى لاأزال طفلاً وأنــك

أميرٍ راشد .. لو كانت الثورة تجرى فى عروقى إذ مات أبى موتاً خفياً بغير داء وفى الوقت الملائم كأن المنية كانت تترقب بلوغك الرشد وعقدك على أوكتافيا وحلول بوروس على رأس الحرس البريتورى محل جينا وكريستيبوس كأنكم أخذتم على المنية عهداً أن لا تتأخر بعد ذلك عن الأمبراطور طرفة عين!

نيرون : أما والآلهة ما كنت أظن هذا الصبى الناشىء يصون فى صدره كل هذه الذكريات .. لم تحدثنى نفسى أيها الشاب بأن قلبك الصغير يحمل هذه الأحقاد الكبيرة وليس بينى وبينك ما يدعونى لاحتمال دلالك وصلفك.

برنيانيكوس : ليس هذا دلالاً ولا صلفاً إنما أدفع عن نفسى تهمة الثورة.

نيرون : إنه دفاع يتضمن إتهاماً، وهذا الإتهام موجه إلى أمبراطورك، على أننى طالما دافعت عنك وعن أمك لدى الأمبراطور كلوديوس.

برنيانيكوس : لقد ذهبت أمى فريسة دسائس أمك!

نيرون : إن ميسالينا لا تستحق دفاعاً.

برنيانيكوس : لك أن تلحق بى من الأذى ما تشاء، ولكن حذار من اغتياب امرأة متوفاة فى حضرة ولدها.

نيرون : إنها لم تصن كرامتها .. كانت متهتكة؟

برنيانيكوس : لم تكن أكثر تهتكاً من سواها، على أننى لا استبيح اغتياب أمك أجربين وهى لاتزال حية.

نيرون : ها أنت تسب فضلى الأمهات .. إن أمى لم تخن زوجها.

برنيانيكوس : وأمى لم تقتل بعلها.

نيرون : أيها السادة! إن هذا الحدث يحرج صدر أمبراطوره.

برنيانيكوس : لست أمبراطورى!

نيرون : أنا أمبراطور رومه، ألست من أهل رومه؟

برنيانيكوس : كلا .. مذ صعدت على عرشها فلا أعدّها وطناً لى.

نيرون : عجباً .. إن هذا الولد يخرجنى عن حلمى (يدنو منه ويحاول إمساكه).

برنيانيكوس : مكانك يا لوسيوس دومتيوس أنيوباربوس.

نيرون : (يرجع إلى الخلف بذعر) آه يا للنجدة! يا للنجدة! أنه يدعونى باسم أبى. إنه يعيرنى بأصلى. هذا الولد يريد قتلى .. دسيسة سوداء .. مؤامرة شيطانية احكموا بيننا قبل أن أبطش به.

المشهد الثالث

سنيكا : مولاى! الحق فى جانبك ولكن القوة بيدك أيضاً فصافح أخاك وأعف عنه. (يدنو من نيرون ويشاوره).

نيرون : إننى لا أرفض الصلح إذا مدّ لى يده.

برنيانيكوس : وأنا لا أرفض الصلح إن كنت مخلصاً.

نيرون : أنا الإخلاص مجسماً .. إلى صدرى .. عانق أخاك الذى لا يحب سواك .. إن الدنيا هينة فى جنب رضاك أصحبه أيها الضابط إلى حيث ينتظرنى لأمتع به قلبى ونفسى وأعلم يا بوليوس إن اليوم الذى عاد فيه برنيانيكوس إلى حضن أخيه لهو يوم مبارك! (يخرج بوليوس ورنيانيكوس، ثم يعود بوليوس بعد قليل) .. لقد تحققت صدق روايتك وعلمت أن ما نقلته عن برنيانيكوس هو عين ما يجول فى صدره، هل أحضرت المرأة لوكستا؟

بوليوس : هى رهينة أمر مولاى. حاشا أن أنقل لمولاى إلا صدقاً.

نيرون : آه يا بوليوس! إنه ليحزننى أن يقضى هذا الفتى فى ريعان صباه، ولكن مصلحة الدولة فوق كل مصلحة، إنهم يتآمرون ويدسون الدسائس السوداء ويتحفزون للانقضاض علىّ أنا أميرهم وحاكمهم أمبراطور رومه! إننى لا أدافع عن نفسى إنما أدافع عن عرش رومه، وواجب الدفاع عن العرش أعظم واجب. أريد جرعة من السم تزهق عشرين نفساً فى طرفة عين، لابد لى من الفتك بهم قبل أن يفتكوا بى.

بوليوس : هل يأمر مولاى بمثول الساحرة لوكستا بين يدى جلالته؟

نيرون : نعم لا بأس .. أريد مشاهدتها لأزيدها تأكيداً. (يهم بوليوس بالخروج) .. (مستطرداً) ولكن لا لا أريد مشاهدتها لأنها ساحرة وأخشى شر عينيها. ليس من المحتم على الأمير أن يلقى كل أعوانه. إن لوكاستا يدى السوداء التى تعمل فى الخفاء، فدعها فى ظلمائها ولا تعرضها للضياء.

بوليوس : الأمر لك (يخرج).

خادم : القيصر ! القيصر ..

نيرون : ما وراءك؟

خادم : القائد بوروس (يدخل القائد).

المشهد الرابع

نيرون : أهلاً بك أيها الشهم الهمام لقد جئت بعد الأوان.

بوروس : هل طلبنى مولاى قبل الآن؟

نيرون : أين كنت إذ رفع برنيانيكوس صوته على صوتى وسب جلالتى وتهكم علىّ وتعدى على مقامى الأمبراطورى ثم تهددنى؟

بوروس : أيصدر كل هذا عنه وهو الأخ الأصغر؟

نيرون : لقد صار أخى حرباً علىّ وعلى الدولة .. أنه يحاول إشعال نيران الفتنة، وقد جمعت الأحقاد والمطامع بينه وبين تلك التى تدعونها فضلى الأمهات وما هى إلا شرهن ويشد أزرهما فى اتفاقهما بالاس حتماً لأنه صفى الأمبراطورة وحاميها!

بوروس : مؤامرة!

نيرون : كلا .. لهو ولعب؟ .. نعم مؤامرة .. مؤامرة شيطانية هم يريدون عزلى عن العرش لأننى لم أفسح لهم عليه مكاناً ويودون نزع الصولجان لأننى أبعدته عن أيديهم، ويرغبون فى وضع التاج لأنه يسع رأسى دون رؤوسهم.

بوروس : وهل ثبت؟

نيرون : ثبت. وهل نحن فى نزاع قضائى حتى نبحث عن الثبوت بالأوراق والصكوك والمستندات؟ أحقل هو أم بيت؟ إن الأمر أعظم مما تظن أيها القائد .. إن عرش رومه فى خطر، والفتنة ضاربة أطنابها والثورة على الأبواب وحياة الأمبراطور نيرون أمست مهددة. أمن حزبهم أنت؟

بوروس : مولاى !

نيرون : إذن ما هذا السكوت؟ ألست قائد الحرس البريتورى وهو سياج الدولة؟

بوروس : مُر

نيرون : القضاء على زعماء الفتنة.

بوروس : وهم؟

نيرون : الأمير برنيانيكوس

بوروس : مولاى ؟!

نيرون : نعم نعم .. لقد طفح الإناء وقد صحت عزيمتى على ..

بوروس : أتقضى عليه؟

نيرون : قبل نهاية هذا اليوم .. ثم أتبعه بغيره.

بوروس : قد تكون المجازفة فى العجلة وقد يكون الذى أوعز إلى جلالتكم ..

نيرون : لم يوعز إلىّ أحد .. إن مجدى وحياتى وطمأنينتى وسلامة العرش هى التى أوعزت إلىّ.

بوروس : لا تطاوعنى نفسى إنك أنت الذى ابتكرت هذا العقاب. تأمل يا مولاى! بأى دم تريد تخضيب يديك؟ هل سئمت حب الرومان وأنت الآن تستثير بغضهم. إن الشعب ..

نيرون : الشعب ! الشعب ! .. إلى متى أحفل بحب الشعب وبغضه؟ على أننى ذقت هذه اللذة فلم أجد لها الطعم الذى كنت أتوهمه. إن حبهم ابن يومه، فهو يولد مع الشمس وينتهى مع الغروب.

بوروس : أنت أمبراطور رومه.

نيرون : ليكن .. فهل أنا أمبراطور رومه لأرضى الرومان وأغضب نفسى؟ ألا أستطيع أن أكون أمبراطوراً لنفسى يوماً ألا أتمتع بالأمبراطورية.

بوروس : إن واجب الدولة ..

نيرون : الدولة أنا وأنا الدولة !

بوروس : مولاى إنك إلى الآن أبيض اليد طاهر الذيل، فإذا أخذت برأى المملقين والدساسين فسوف يقودك إلى ذنب والدم يدعو الدم، والعنف يزيد العنف!

نيرون : سأقضى على واحد وانظر فى شأن الآخرين.

بوروس : إنك إن قتلت أخاك أشعلت ناراً لا تنطفىء جذوتها.

نيرون : إن لى فى القصاص حياة ومجداً.

بوروس : إذن لقد رفعت الآلهة عن رومه رحمتها. لقد كنت ضنيناً بدماء المجرمين وتأبى التوقيع على أحكام القصاص، فما بالك اليوم تجود بأكرم الدماء وأطهرها؟

نيرون : إن مجدى يأمرنى!

بوروس : إنك إن قتلت أخاك لاشك فاقد مجدك.

نيرون : أمن حزبهم أنت يا بوروس ؟

بوروس : (يركع ويمد له يده بسيف) خذ هذا السيف وأغرسه بين جوانحى وأهرق دمى، فليس له غرماء، ثم سر فى طريقك التى رسمتها لنفسك، إننى أفضل الموت فى هذا السبيل على أن يقال عنك إنك سفاك لا ترعى حرمة الأموات ولا تحفظ مودة الأحياء.

نيرون : انهض انهض .. إننى واثق من إخلاصك.

بوروس : بشرفى.

نيرون : أوشكت أن أعدل.

بوروس : أين الأمير برنيانيكوس سأرده إلى رحابك وأرد كيد الوشاة إلى نحورهم.

نيرون : إنه فى مكان أمين من هذا القصر لا يستطيع الوصول إليه أحد .. سيعلم أنه مدين لك بحياته.

بوروس : كان المسكين ينتظر حتفه وهو لا يدرى مصيره! (يخرج).

نيرون : (لنفسه) إن القوة التى فقدها هذا القائد ببتر ذراعه استردها بطول لسانه. ما كنت أحسب هذا القائد المغوار يحرص كل هذا الحرص على دم فرد وطالما سبح فى دماء الألوف. (يدخل بوليوس).

المشهد الخامس

نيرون : هذا أنت يا بوليوس، عليك لعنة الآلهة، أين كنت أيها البطىء المتراخى؟

بوليوس : كنت أعد سماً يزهق عشرين نفساً، وقد جمعت له لوكستا أعشاباً شيطانية وجربناه فى رفيق فقضى قبل أن يستقر فى جوفه!

نيرون : واأسفاه ! لقد أضاعت لوكستا عملها وسحرها عبثاً. كنت أعدل عن قتل برنيانيكوس.

بوليوس : عدلت يا مولاى؟ إذن ويل للمخلصين الذين يدافعون عن عــرش أمبراطورهم .. إن الأمبراطورة أجربين إذا علمت بهذا العزم وهـى لاشك عالمة. فسوف تستغل هذا العدول لذاتها وتنسبه إلـى نفوذهـا عليك وتأثيرها فيك وبهذا يقوى حزبها ويرتفع نكـسر برنيـسانيكوس ويعود بالاس رأس العصبة إلى سالف مجده.

نيرون : دع عنك فضلى الأمهات وبالاس فإن شأنهما أقل مـن أن يشـغلنى ولكن الذى يشغلنى هو الشعب.

بوليوس : إن علم الشعب أن الملك سفاك ثم يسفك، فالشعب يخشاه، وإن علم منه الرحمة والعدل فالشعب يبغضه ويحتقره. فاختر لنفسك ما يحلو.

نيرون : قاتلتك الآلهة ! ما أصدق نظرك وأصوب رأيك أيـن كنـت وهـم يرهبوننى بالشعب تارة وبالرومان طوراً.

بوليوس : إذا أكرمت الرومان أطغيتهم وأغريتهم بالغرور لأنهم ألفوا تقبيـل اليد التى تضربهم.

نيرون : لقد وعدت بورروس وأننى أخشاه لفضيلته.

بوليوس : إن لبورروس غاية يرمى إليها.

نيرون : أمن حزب الفتنة هو؟

بوليوس : كلا ولكن بورروس ومن معه يخشون إنك إن قضيت على أعدائـك من ذوى قرباك ونجوت من رقابتهم ذقت للحرية والبطش طعمـاً لا تسلوه فيخلو لك الجو ويتسع أمامك أفق الصولة، وفى هذا إضعافـهم والقضاء على سلطتهم.

نيرون : آه آه .. مسكين أنت يا نيرون ! لها أجربين لها حزب وبرنيانيكوس له حزب وبورروس له حزب لقد تكاثرت الأحزاب علينا فلا ندرى أيـها نقاوم أولاً. إن الأمر لا يحتمل الصبر وليس فى الوقت متسع للإبطاء أجربين .. برنيانيكوس .. إلىّ جميعكم .. سأصارعكم وأصرعكم .. لقد عدلت عن العفو والرحمة .. سيلقى برنيانيكوس حتفه لا محالة !

المشهد السادس

خادم : النصر لقيصر !

نيرون : ما وراءك ؟

خادم : إن امرأة مقنعة تأبى تعريف نفسها تريد المثول بين يدى جلالتكم.

نيرون : مؤامرة جديدة فى هذا اليوم العصيب .. أمقنعة هى ؟

خادم : كإحدى عذارى النار المباركات.

نيرون : لعلها تخفى بين ثنايا قناعها خنجراً أو مدية أو طلسماً مصرياً

خادم : لم نمد إليها يداً

نيرون : أحضروها محفوفة بالجند ثم اتركوها ريثما أستطلع طلعتها وكونوا على قيد قدم منى.

خادم : الأمر لمولاى. (يختفى نيرون وراء تمثال وتدخل عشيقته أكتيه محفوفة بالجند).

أكتيه : عجباً ! أهكذا أمرتم أن تفعلوا ؟

خادم : هذه عادتنا مع من لا نعرفهم.

أكتيه : (ترفع النقاب) لا خوف على الأمبراطور منى .. أنا جاريته أكتيه. (يدهش الحرس).

نيرون : (خارجاً من مخبأه) اتركونا .. (ينسحب الحرس) .. (مستطرداً) أكتيه إلى صدرى !

أكتيه : مولاى لقد طال هجرك فيا ليتنى لم أعرف هواك.

نيرون : جئت فى يوم لا يصلح للغرام !

أكتيه : كل وقت صالح للحب. إن نغمة من قيثارتك ولحناً ترفع به عقيرتك وكأساً تتبه بها نفسك وكفاً ناعمة تمحو هموم الدولة عن جبينك وشفتين ملتهبتين تسران إلى فمك الإلهى حديث الهوى وقلباً خافقاً ينضم إلى قلبك هذا هو الحب الذى جئت أحمل إليك رسالته.

نيرون : أكتيه أكتيه أنى لك بهذا الكلام العذب ؟

أكتيه : إن حبى بل عبادتى إياك أوحت إلىّ ما أقول !

نيرون : هذا شعر صادق.

أكتيه : أشعر بأعظم مما يتحرك به لسانى، فما القول سوى صدى صوت العواطف!

نيرون : حقاً لقد مضت أيام دون أن أراك.

أكتيه : بعد مولاى عنى يوماً هجر سنين. فما بالك إذا طالت الأيام.

نيرون : إنك بارقة الأمل فى ليل الحوادث التى تكتنفنى وقد ارتاحت نفسى منذ رأيتك وتفاعلت بمقدمك.

أكتيه : إنى جارية قليلة الشأن ولكن حبى عظيم. ضعفى ظاهر ولكن قوتى كامنة فإن أبقانى مولاى بجانبه فأنا كفيلة بأن أزيل همومه وأسهر على سعادته.

نيرون : ولكن أوكتافيا ابنة كلوديوس الإلهى التى دهتنى بها فضلى الأمهات ألا تغار؟ ألا تنتحب؟ ألا ترفع شكواها إلى مجلس الشيوخ أولاً وإلى الأرباب ثانياً كأن للشيوخ أو الأرباب دخلاً بين الرجل والمرأة التى يختارها؟

أكتيه : إن أوكتافيا زوجة شرعية وشريكة الأمبراطور فى العلانية، أما أنا فجاريته وخادمته أخلع نعليه وأحملهما وأقبل قدميه هكذا (ترتمى على قدميه).

نيرون : إذن فلتبقى

أكتيه : مولاى !

نيرون : (يدق نحاس الاستدعاء) أعدوا لهذه العقلية مخدعاً فى الطبقة العليا من الجناح الأيمن.

أكتيه : مولاى لو سمحت جلالتكم لاخترت الجهة التى أقيم بها.

نيرون : أى مكان تختارين ؟

أكتيه : القلب !

نيرون : يا لك من مداعبة ! لقد محوت نصف همومى !

أكتيه : والنصف الآخر ؟

نيرون : فى هذه الليلة ! (ترمى له قبلة وتسير خلف الخادم).

المشهد السابع

لوسيوس : مولاى ! إن العرش فى خطر.

نيرون : خطر جديد ؟

لوسيوس : بقية أخبار المؤامرة.

نيرون : ما لهذه الأخطار من نهاية ؟

لوسيوس : إن فضلى الأمهات ..

نيرون : لتخطفنها الشياطين وتخطفنك أنت أيضاً ! إننى لم أنج من دسائس الأمس حتى تفاجئنى بمكائد اليوم ؟

لوسيوس : إن لها حزباً قوياً مؤلفاً من الأشراف والشيوخ وأكابر الأمة وهى لا تألو جهداً في لمّ شعث الناقمين على عهدك وجمع كلمتهم، وقد علمت أنها تغل يدها فى كل الأمور إلا فى شراء هؤلاء القوم، فهى تبسط لهم يدها كل البسط وتنفق عليهم بسخاء قيصري وتولم لهم الولائم، وقد سمعتها بأذنى تخطب فيهم وتدعو كلاً منهم باسمه وتحبب نفسها إلى أصغرهم شأناً بالملق والمداهنة وتغذى نفوسهم بالألحان العذبة.

نيرون : سنيكا .. على سنيكا وبوروس .. الأسماء يا لوسيوس .. الأسماء.

لوسيوس : (يخرج ورقة من جيبه) أكبرهم شأناً تسعة.

نيرون : الأسماء الأسماء (يدق نحاس الاستدعاء) الحكيم سنيكا والقائد بوروس على جناح السرعة.

لوسيوس : إن بالاس هو الرأس المدبر واليد الفعالة.

نيرون : بالاس ! .. إن سياسة اللين لا تنفع. لقد عاهدنى ونقض عهده. سأبعث به إلى حيث لا يستطيع التآمر علىّ بعد اليوم .. هات الورقة وبادر إلى إتمام عملك ووافنى بكل جديد وحذار من الطيش والمبالغة فى نقل الأخبار أنت عينى وأذنى وأعلم أنى إذا علمت أن عينى تخدعنى فقأتها، وأذنى إذا خانتنى صلمتها ويدى إذا عجزت عن قضاء حاجتى قطعتها.

لوسيوس : المال يا مولايِ !

نيرون : خذ. (يلقى له مالاً . يخرج)

خادم : الحكيم سنيكا والقائد بوروس. (يدخلان).

نيرون : الحكيم غارق فى بحار علمه والقائد مرتكن إلى سالف مجده والعرش فى خطر.

سنيكا : مولاى !

بوروس : لم نقصر.

نيرون : نعم لم تقصرا ولكن تعوزكما اليقظة. أنتما تتخليان عنى وتتركانى أذهب فريسة امرأة لا قلب لها ومعتق لا أصل له ولا كرامة.

سنيكا : مولاى.

نيرون : إن مولاك لم يعد مولى لأحد. إن مولاكم منذ اليوم هو بالاس المفدى ومولاتكم أجربينا !

سنيكا : فضلى الأمهات ؟

نيرون : إليك عنى .. إنما هى الخؤون الغادرة.

سنيكا : وماذا يحمل مولانا على أن ..

نيرون : تقذف بى الشياطين والأرواح الشريرة وتنهش لحمى الخنانيص الوحشية وتهشم عظمى تماسيح أفريقيا إذا ما أبقيت على أحد منهم بعد اليوم ! لقد تآمرت الأمبراطورة أجربين مع بالاس وروبيليوس بلاتوس حفيد الأمبراطور أغسطس على إحداث ثورة غايتها خلعى والتزوج من شريكها لتقاسمه العرش .. لقد آن الأوان للخلاص من هذه العقرب.

سنيكا : نريد أن نعلم.

نيرون : وما نهاية علمكم؟ إن أجربين الخؤون هنا فى رومه على قيد ميل منى تؤلف حزباً من أعدائى الطامعين فى العرش وتتآمر علىّ وهاك قائمة بأسماء زعماء حزبها. (يدق نحاس الاستدعاء).

خادم : مولاى !

نيرون : أيها القائد بوروس. تسع فرق من جندك تحضر لى كلاً من هؤلاء قبل أن يهدأ روعى.

بوروس : الأمر لك (يخرج).

المشهد الثامن

سنيكا : هل تثبت مولانا ؟

نيرون : دع التثبت للمؤرخين. أما أنا فأذبح أولاً.

سنيكا : قد يكون فى القضاء عليهم خطر أشد من الذى تخشاه.

نيرون : ليس لدى إلا وسيلة واحدة حيال من يتآمر.

سنيكا : كلا يا مولاى إن هناك عدة وسائل بعضها أفضل من بعض .. تستطيع أن تستبقيهم بعد أن تقف على أسرارهم وتملك أعناقهم.طالما تقدمت إلى جلالتك بالمشورة فى أمر هؤلاء الأشراف إن تقريبهم من جلالتك بالإحسان خير حائل بينك وبين دسائس الأعداء.

نيرون : إننى إذا أحسنت إليهم طمعوا فىّ وأطمعوا غيرهم.

سنيكا : وإن قتلتهم أغضبت أسرهم وهجت سخط سواهم.

نيرون : وماذا علىّ إذا أغضبت نصف رومه؟

سنيكا :إن حسن السياسة يقتضى الإقلال من الناقمين والإكثار من المخلصين

نيرون : حسن .. ولكن ما حيلتى فى هؤلاء وأنا لم ألحق بأحدهم أذى؟

سنيكا : إن من لم يلحقه أذاك يطمع فى إحسانك.

نيرون : يا لك من مدافع عن حياة من لا يستحقون الدفاع.

سنيكا : إننى لا أدافع عنهم إنما أريد أن أدفع عنك أذاهم.

نيرون : إذن بماذا تشير علىّ؟

سنيكا : إذا أقبل هؤلاء التسعة فى حراسة الجند أحسن وفادتهم وأنعم عليهم وكفاهم ما أصابهم من الرعب فى قدومهم.

نيرون : أأنفق ما أملك فى شرائهم وأحرم نفسى؟

سنيكا : أنفق نصف ثروتك فى الاحتفاظ بالنصف الآخر ثم ماذا عليك لو قسمت بينهم ما صادرته من أملاك سواهم، فإن ذلك يغريهم بالانضمام إلى صفك ويوقع بينهم وبين الموتورين.

نيرون : أما فضلى الأمهات فقد حق العقاب عليها فلا أقبل فيها شفاعة. (يدق نحاس الاستدعاء ويدخل رسول).

نيرون : ابعثوا فى طلب فضلى الأمهات.

بوروس : مولاى قد يكون المخبر كاذباً. إن من يعيش من نقل الأخبار قد يستبيح المبالغة !

نيرون : وأنت أيضاً من حزبها؟ أى ثقة لى فيكم بعد اليوم؟

بوروس : مولاى لو كنت من حزبها ما أخلصت لجلالتك النصيحة.

نيرون : إنك تخلص لأجربينا إذ تريد الإبقاء عليها .. لو كنت مخلصاً لى لسارعت إلى القضاء عليها.

بوروس : إنها مهما عظمت جنايتها فهى والدة لها كرامة.

نيرون : إنك تسبنى فى وجهى.. أنت تهين العرش إذ تجعل لمن يغتالنى كرامة. إنها كانت والدتى إذ كنت طفلاً فصبياً فيافعاً فأميراً فولياً للعهد.. أما الآن وأنا خليفة كلوديوس فهى لا ترى ولدها على العرش

إنما ترى شريكاً لها غصبها نصيبها في الغنيمة. أفهمت إنك لا تدرك كنة امرأة كولدها.

بوروس : ولكن ..

نيرون : بئس اللفظ هذا لكن .. لكن ماذا؟ لقد استضعفتني بالأمس وأنقذت برنيانيكوس من يدي، واليوم تريد إنقاذ الأخرى؟ كلا! كلا! لن أضعف منذ اليوم .. تستطيع أن تركع ما شئت وتبرز لي موضع البتر من يمينك وتذكرني بوقائع الحرب التي شهدتها وعقدت لك فيها ألوية النصر .. كل هذا لن يحرك مني ساكناً لأن حياتي .. حياتي كلها في خطر (إلى سنيكا) مالك ساكت؟

سنيكا : حتى يفرغ مولاي.

نيرون : إنني لا أعتز بحياتي لذاتها، إن رومه تجد بعدي مائة أمبراطور، ولكن الفنون .. الفنون الجميلة تفقدني .. إن صوتي الذي أسرف فيه أمامكم لم يخلق للنثر وإلقاء الخطب، وحنجرتي هذه حنجرة صيغت من معدن إلهي فلا تعادلها قيثارة أورفيوس ولا أوتار أبولون .. إنها وديعة بين يديكم فلا تبددوا أوصالها فيما لم تخلق له .. إن الشعر والأوزان والقوافي وأبحر العروض كلها تناديني أن أحتفظ بشبابك. رباط رقبتي يا لوسيوس (يحضره الخادم فيربط رقبته).

سنيكا : حقاً لم يغب عن ذهننا ..

بوروس : على أنني لا أرى مانعاً من سماع أقوالها قبل توقيع العقاب عليها.

نيرون : الآن جاء وقت الدفاع !

بوروس : نعم يا مولاي إن الدفاع حق طبيعي لكل متهم مهما كان حقير الشأن فما بالك بوالدة وأمبراطورة؟

سنيكا : إن هذا الرأي عين الصواب. فإذا ظهر لجلالتكم أن للتهمة ظلاً من الحقيقة فلا يعوقك عن الدفاع عن حياتك عائق.

نيرون : من يضمن لي قتلها؟

بوروس : أنا أباشر التنفيذ بيدي.

نيرون : أنت إذن كفيلها إلى أن تعدمها.

بوروس : هذا إذا ثبتت التهمة.

نيرون : إذا ثبتت التهمة.

سنيكا : ولكن قبل كل شيء لابد أن تفعل شيئاً .. قصّ جناحيها وجزّ حواشيها.

نيرون : وكيف ذلك ؟

سنيكا : بأن تقصيها عن قصرها وتسرح حراسها وتضيق عليها في مسكنها الجديد، فإن هذا يذهب بكرامتها ويضعف من شأنها. إن بلاطاً بلا حرس ولا أبهة كجسم بلا روح.

نيرون : سأحكم بنفيها مهما كان دفاعها ..وقد وكلت إليك أيها الحكيم إبلاغها بمشيئتي بعد الدفاع بحيث لا تعلم إن الحكم صدر قبل سماع قولها.

سنيكا : الأمر لك يا مولاى.

نيرون : حسن. (ويدق نحاس الاستدعاء ويدعو ضابطاً يسرّ إليه شيئاً).

رسول : فضلى الأمهات ! (تدخل)

نيرون : (على العرش) لقد شاعت إرادتنا أن يستوى فى الدفاع المخلصون والخونة، ولولا توسل بعض من نجلّ رأيهم ونعول فى الشدائد عليهم لكان مصير المتهمين بالتآمر على العرش وحياتنا مصير سواهم من الجناة والآثمين .. إن سلامة العرش فوق كل شيء. تقدم أيها القائد بسؤال من تشاء من المذنبين.

بوروس : ليس أمامنا إلا الأميرة متهمة بأنها تآمرت مع من يدعى بالاس وغيره على خلع الأمبراطور وقتله ليخلفاه على العرش، وقد نقل إلينا الخبر عن لسان لوسيوس وتيكتوس ويدعى هذا المخبر إنه شاهد رؤية وعيان، وقد أمر جلالة الأمبراطور أن تتمتع الأميرة بحق الدفاع عن نفسها.

أجريبين : هذه فرية يأبى العقل تصديقها وتهمة كاذبة لا دليل عليها مصدرها المرأة جوليا سيلانا، ولا شك عندى فى أنها استعملت المخبر لوسيوس الذى كان شاعراً فى عهد كلوديوس يعيش على هامش البلاط،ولا يكفى الناس شر لسانه حتى سيده الذى كان يقيم أوده، فلما عرفت حقيقته وجد أنه أحقر من أن ينفى أو يقتل.وإننى لا أبرىء دورميتيا عمة الأمبراطور من اشتراكها مع جوليا سيلانا فى هذا

البلاغ الكاذب،وأننى أستطيع أن أدعم كل حرف مما نطقت به بالأدلة القاطعة .. هذا هو تاريخ التهمة التى قمتم من أجلها وقعدتم، ومن أجلها استبحتم لأنفسكم أن تزعجوا امرأة هى رغم كل قول وقائل والدة الأمبراطور، ولو جهلت جوليا سيلانا ما تعانيه الأم فى الحمل والوضع لأنها لم تنعم عليها الآلهة بنسل من أحشائها، فأنتم لا تجهلون ما عانيته فى هذا السبيل .. إن فاسقة مثل سيلانا مطلقة كايوس سيليوس قد تغير عشاقها وتستعيض عن محبوب أمس بآخر، ولكن الأم لا تستطيع تبديل ولدها ولا الاستعاضة عنه بسواه .. إن معتقين لا ذمة لهما ولا شرف باعا لسانيهما لعجوز قضت شبابها فى الخنا وتقضى شيخوختها فى الإساءة إلى من أحسنوا إليها يتحتم أن تكون أجربين جانية بغير ذنب. وهل يستبيح ولدى لنفسه تصديق هذين المفتريين فيوقع بى ويلطخ يديه بدم أمه؟ .. لقد استعملوا كلهم لإتمام العمل ذلك الشاعر الحقير الذى استعان بخياله السقيم على تصوير حادثة لا وجود لها فى عالم الحقيقة .. لما كنت مشغولة بإدخال نيرون فى الأسرة الأمبراطورية وإثبات رشده قبل الأوان وجعله ولياً لعهد كلوديوس الإلهى وأمهد له سبيل الأمبراطورية ليجلس على عرشها محفوفاً بالجلال والمجد، أين كانت تلك التهم وأين كان هؤلاء المبلغون؟ .. ليظهر الرجل الذى يستطيع إتهامى بتهمة تمس سلامة العرش أو كرامة الدولة، ولو أن برنيانيكوس ابن كلوديوس صار أمبراطوراً فأى أمل لى فى دولته وهو يعلم عنى فى مناهضته ما يعلم، بل أى أمل لى فى عهد ديلبوس بلوتوس إذا جلس على عرش رومه، إننى إذن ما كنت أستطيع الدفاع عن نفسى بين يدى أمبراطور أجنبى كما أفعل الآن أمام ولدى الذى حملته فى أحشائى وغذيته من لحمى ودمى .. تسلمته من أبيه فى ليلة حب شريف قبلة حارة وحلماً لذيذاً وأسلمته للعالم أمبراطوراً لرومه وسيداً للناس أجمعين. هاكم الاتهام وهاكم الدفاع فأحكم أيها الأمبراطور .. أحكم على أمك فأنت خير الحاكمين!

بوروس : (لسنيكا) لم تبق فى عروقى نقطة دم لم تغل من الغضب من أعداء الأميرة .. ولم يبق عندى أقل ريب أو أدنى شك فى براءتــها ممــا نسب إليها .. أيها الحكيم أليس هذا رأيك؟

سنيكا : نحن نستمع وللأمبراطور الرأى الأعلى.

بوروس : إن كلامها يصل إلى أعماق السرائر وهذه شيمة الصدق.

نيرون : أظن التهمة باطلة ولكنهم أتقنوا التلفيق بحيث أننى وأنا أعتقد بـراءة الأميرة لايزال فى نفسى أثر من أقوالهم.

بوروس : لا مجال للشك يا مولاى!

نيرون : حقاً لا مجال للشك يا مولاى.

بوروس : ينبغى عقاب المخبرين فقد أتو بنبأ كاذب.

نيرون : ما أطيب قلبك أيها القائد ! إننى لا أعاقب جاسوساً مهماً كان كاذبــاً لأن عقابه يضعف عزمه ويثبط همة سواه، ما هو الجاسوس؟ أليــس خادم الدولة الأمين يعرض حياته للخطر ويستعمل ذكاءه فى الوقوف على أسرار أعدائنا. الجاسوس .. الجاسوس .. إنه عينى التــى أرى بها وأذنى التى بها أسمع، أتريد أن أبقى أمبراطوراً أعمى وأصــم ؟ إن مثل الجاسوس كمثل الكلب الأمين يحـــرس القطيــع، إن أوقــع الراعى بكلبه، فقد أمن الذئاب عاقبــة الاعتــداء عليــه. إذا عــرف الأشرار أننى أعاقب جواسيسى أو أوقع بهم لمجرد تحريف فى القول أو تغيير فى الحقيقة فهم يطمعون بى.

بوروس : ولكن ألا يحسن إكرام الأميرة؟

نيرون : سلها هل يستغنى الأمبراطور عن جواسيسه؟ إنها أدرى منى ومنـك بتدبير شئون المملكة. على أن هذا أمر لم أبت فيه بصفــــة قاطعــة وسأنظر فيه.

أجربين : لا أمل لى إذن فى عقاب أعدائى من الذين بلغوك فى حقى كذباً.

نيرون : أبلغ أيها الحكيم الأميرة مشيئتى.

أجربين : مشيئتك هل كان يعلمها قبل أن تسمع دفاعى؟

سنيكا : إن الأمبراطور راغب فى خير الأميرة ويريد أن لا يتكرر مثل ذلـك الحادث، لأجل هذا صحت عزيمة جلالته على إبعادها عن مواطـــن

الريب وتنظيم دخلها وخرجها بحيث لا تكون ثروتها نهباً للطـامعين والمملقين والمنافقين ورسل السوء وسعاة الشر، وإن العزلة فى ظـل التمتع برضاء الأمبراطور خير من تكالب الناس على مجلس سموها والأمير غضبان مرتاب.

أجربين : إذن نفى وفقر ووحدة؟ أهذه التى تزوقها وتنمقها وتسميها بالعزلـة وتنظيم الدخل والتمتع برضاء الأمبراطور؟

سنيكا : لست إلا ناقلاً.

أجربين : هل أمرت بذلك يا مولاى؟ هل حكمت على أمك قبل سماع دفاعها؟

سنيكا : إن الطبيب نهى جلالته عن كثرة الكلام احتفاظاً بحنجرته.

أجربين : ليس لى عون ولا نصير سوى الاستسلام والصبر. سر أمامى أيها الحارس إلى السجن الذى اختاره لى ولدى. (تخرج).

نيرون : إن البراءة ليست واضحة.

بوروس : والتهمة غير ثابتة.

نيرون : إذن تستحق العقاب.

بوروس : إن الشك يفسر لمصلحة المتهم.

نيرون : هذا إذا كانت التهمة مما يقع على الأفراد، أما إذا كان المجنى عليـه أمبراطورا فالشبهات توجب الحدود. على أننى جـاملتكم وأظـهرت الشفقة على الرغم من أنها تعلم مخبأ بالاس الذى حار جنـدى فـى البحث عنه ولكنها لا تبوح به.

سنيكا : لقد تجلت الحكمة العليا فى حكم جلالتكم بنفيها. أما بالاس فلن يفلـت من يدنا مهما طال أمد اختفائه.

نيرون : الآن أستطيع أن أتنفس .. برنيانيكوس معتقل وبالاس ذليل مختبـىء والبحث عنه متواصل ورؤساء الحزب من الأشراف سأتولاهم بتقسيم الأموال المصادرة عليهم عملا برأيك أيها الحكيـم فيـهتفون لـى، ولجربينا منفية مراقبة .. سأقول شعرا فى هذا تخيلت نفسى أبولـون مثلا أقود سفينتى وهى رومه فى بحر إيجيه ثم تهب الرياح العاتيـة وتعصف العواصف القوية وتعلو الأمواج حتى تغمر السفينة .. ثم ..

سنيكا : هذا خيال سام.

نيرون : لا تقاطع فقد ارتج عليّ .. سأرجيء تكوين القصيدة إلى ما بعد السهر. (يدق نحاس الاستدعاء فيدخل خادم).

خادم : مولاى

نيرون : هل حضر الأمير أوتون؟

خادم : لم يحضر بعد.

نيرون : إنه أخلف ميعاده .. الأفضل أن أقضى هزيعا من الليل فى الترحيب بالعقيلة المقنعة .. هيا بنا يا سادة. (يخرجون - يدخل بالاس مقنعا - لوكوس).

بالاس : (إلى لوكوس) لقد دعوتك لأنك أشد الناس إخلاصا للأمير وقد صحبته فى مقدمه إلى هذا القصر وستصحبه فى الخلاص من الأسر والفرار من الموت، فقد صحت عزيمة نيرون على القضاء على مولاك غداة غد وقد أعدت له لوكستا السم الناقع!

لوكوس : وكيف السبيل إلى نجاته؟ ومن يكون سيدى المقنع؟

بالاس : لقد وعد نيرون القائد بورروس بالعفو عن أخيه ولكن وعده لم يكن إلا خديعة. هاك اسمى فاقرأه. (يخرج من جيبه ورقة).

لوكوس : (بذعر) كيف علمت ذلك؟

بالاس : إنه أخذ فى إعداد المعدات للقضاء عليه، ولكنا تمكنا بما بذلناه من الجهد والمال من الوقوف على مكانه وجئنا لإنقاذه كما تمكنا من إبقاء الأمبراطورة ريثما نجمع كلمتنا .. وإنها قادمة بعد حين فى حراسة اثنين من حاشيتى (يهمس فى أذنه).

لوكوس : إننى أبذل حياتى فى سبيل نجاته.

بالاس : ها هو يسير فى مقدمة منقذيه ولا يدرى جسامة الخطر الذى يتهدده، ففاتحه أولا فى أمره وحبذ إليه الفرار.

لوكوس : سأفعل. (يدنو برنيانيكوس من الاثنين - يبتعد بالاس قليلا).

المشهد التاسع

لوكوس : مولاى ! لقد وقع ما خفت أن يقع وأنت الآن أسير فى هذا القصر تترقبك المنية ولا حائل بينكما إلا تردد هذا الظالم.

برنيانيكوس : عجبا .. لقد تصافينا وضمنى إلى صدره قائلا إنه الإخلاص مجسما والوفاء ممثلا ثم وضعنى بحيث لا أرى أحدا ولا يرانى أحد!

لوكوس : لم يكن ولن يكون نيرون صادقاً، وقد علمت أنه بدأ الآن يضرب بشدة على أيدى من يتهمهم ببغضه. وها هو قد نفى أمه وأفقرها وقصّ أجنحتها وهى الآن فى القصر سجينة مثلك، ولكن السيد بالاس يسعى فى إنقاذها كما سعى فى إنقاذ سموك.

برنيانيكوس : وبماذا تشير علىّ؟

لوكوس : بالفرار يا مولاى تحت جنح الظلام متزيينا بزى تاجر أو بحار وأنا فى صحبتك.

برنيانيكوس : إن الأمير المطالب بالعرش لا يفر.

لوكوس : لقد كنت عازما على الفرار من قبل.

برنيانيكوس : لو أننى أشعلت نار الثورة وفشلت إذن لفررت فيكون انصراف اليائس الناقم المزدرى، أما الآن فيكون هرب الجبان من وجه الردى، وهذا مالا أرضاه لنفسى مطلقا.

لوكوس : أتوسل إليك قد تستطيع أن تجر جيشا من البلاد الأجنبية وتعود إلى رومه ظافرا.

برنيانيكوس : هذا أمر محفوف بالريب. إن من يتولاه الجبن فى أول أمره يترقبه الفشل فى آخره. (ترى أشباح قادمة).

لوكوس : هذه الأميرة أجربين يصحبها رجلان من حاشية بالاس.

برنيانيكوس : أأخاطبها ؟

لوكوس : لا بأس أن مصلحتكما واحدة.

برنيانيكوس : إننى لا أحب الوفاق الذى ترغمنا عليه الحوادث.

لوكوس : هذا نظام الحياة فعدو اليوم قد يكون صديق الغد، وخصيم الأمس قد يصبح أليف اليوم.

المشهد العاشر

أجربين : ولدى العزيز برنيانيكوس كنت أبحث عنك وظننت هذا الوحش أوقع بك.

برنيانيكوس : لم يكن وحشا إذ أقترفت كل جريمة لتحرمينى وتمتعيه.

أجربين : ليس هذا مجال العتب والتأنيب، إنى أرشحك للعرش!

برنيانيكوس : أى سلطة لك بعد اليوم فقد قص ولدك جناحيك وجز حواشيك.

أجربين : إن أجربين ابنة جرمانيكوس لا تقهر.
برنيانيكوس : ما خطتك ؟
أجربين : أن نفر حالا إلى البلاد الأجنبية وأن نهيج الأقوام ونعود بجيش فاتح
برنيانيكوس : هل يئست من رومه ؟
أجربين : نعم.
برنيانيكوس : إذن لا أمل لنا، لأننا إذا فقدنا العضد والنصير فى رومه ذاتها فمعنى هذا أن رومه لا تريدنا.
أجربين : إن رومه تريدنا حتما ولكن إرادتها تلاشت وأخلاقها فسدت ومثلها كمثل العاشق الذى ذهبت قوته وقلبه يخفق لأجل حبيبه وسائر أعضائه تخونه إذا حاول إشباع أشواقه.
لوكوس : إن رأى الأميرة عين الصواب، ولكن هل لدى جلالتكم مال؟
أجربين : أكثر من ماله.
لوكوس : ورجال؟
أجربين : أعظم عددا وأشد إخلاصا من رجاله.
برنيانيكوس : من يكون هذا السيد المقنع؟ (أجربين تهمس فى أذنه).
بالاس : مولاى أنت أمبراطورنا غدا.
برنيانيكوس : هذا حلم!
بالاس : ليست هذه أول مرة أجلس فيها أميرا على العرش.
برنيانيكوس : لقد فعلتها وقتلت نفسك وقتلتنا !
بالاس : قد يخطىء الإنسان، ولكن الحكيم يصحح خطأه، وقد أعددت كل شىء لهذا الغرض.
برنيانيكوس : وهل أنت صاحب رأى الهجرة؟
بالاس : نعم ولكن لن تطول ولن تكون بعيدا عن رومه.
برنيانيكوس : ألا ترى غرابة فى أن من يريد أن يحكم رومه يفر منها ؟
بالاس :من يريد الاستيلاء على الحصون يصوب عليها سهامه وهو بعيد عنها
برنيانيكوس : أصبت !
بالاس : الإسراع بالخروج من هذا القصر من الباب الأخضر.
برنيانيكوس : أليس محفوفا بالحرس؟

بالاس : لا يعرف هذا الباب أحد سوى الأميرة وعبدكم.
برنيانيكوس : هيا بنا (يخرجون).
لوسيوس : (يخرج من مخبأه) إن عين نيرون ساهرة.

ستار

الفصل الثالث

قصر نيرون – أهل الديوان الأمبراطورى – ندماء وأميرات ونساء ومهرجون وخدم وجوارى .. إلخ

المشهد الأول

بيترون (صديق نيرون) – ريبليوس (وطنى) – أصدقاء

ريبليوس : مذ عدت إلى رومه علمت ما سرنى وهو أنك أوفى من يثق بهم قيصر.

بيترون : حقا لقد طالت غيبتك، فإن هذا الخبر لا يسر إلا من طالت غيبتهم عن رومه فانقطعت سلسلة الاتصال فى أذهانهم بين الحاضر والماضى.

ريبليوس : يحق لك أن تتهمنى بالجهل لأننا مذ افترقنا فى صبانا اتجهت نفسى نحو الجيش فتتبعت القائد كوربولون وحاربت البارتان، أما أنت فقد فضلت الإقامة بين جدران قصرك الفخم وحدائقك الغناء وتسعدك المحظيات ويخدمك الجوارى والأرقاء.

بيترون : على رسلك يا ريبليوس ! إننى لم أركن إلى السكينة فى ظلال الرخاء، وقد كان لى نصيب لا يقل عن نصيبك فى خدمة الوطن، فقد كنت حاكما على مقاطعة بيتينا بأسرها وإنى لا أمدح نفسى ولكن أتحدث بنعمة الآلهة إذا قلت لك إننى كنت حاكما عادلا محبوبا من الرعية.

ريبليوس : نحن الرومان الذين رحلنا مع الجيوش لمحاربة البرابرة والوحشيين اكتسبنا من أخلاقهم فكستنا عشرتهم ثوبا من الخشونة وغمست ألسنتنا فى مرارة الصراحة الفطرية.

بيترون : عفوا أيها البطل تحسب أننى واجد عليك لصراحتك. إن الصراحة هى أعز الصفات منالا فى رومه أيامنا هذه، بل إننى أغتبط بمن لم

تذهب أخلاقنا المجلوبة المصطنعة بسلامة سريرته وحرية لسانه. لقد راجت سوق النفاق والتصنع، وارتفع قدر الكذب والنميمة، وعلا شأن التملق والمداهنة بقدر ما هبطت قيمة الإخلاص والصدق والكرامة !

ريبليوس : إن أدبك الرائع يملى عليك هذا القول المنمق لتذهب عنى وهلة الخجل بما سبق به لسانى.

بيترون : لست أيها الرفيق فى بيتى فأداجيك وأتملقك إنما أنت فى بيت قيصر، فإن شرفت بيتى ..

ريبليوس : علمت أنه تلتقى فيه صنوف المسرات والملاذ وأن صاحبه مخترع البدع!

بيترون : لقد بالغوا فى الوصف إنما الناس على دين ملوكهم، إذا كان قيصر يدعونا للشراب والمنادمة فلا نستطيع أن نشرح له فلسفة أفلاطون!

ريبليوس : ولكن تستطيع أن تنشده قصيدة من شعرك الرائق الذى كنت تمارسه منذ صباك.

بيترون :بحق أسلبياس وسيبريس لا تذكر الشعر لئلا تذكر فى الشعر نيرون!

ريبليوس : أشاعر هو ؟

بيترون : إنه شاعر ومنشد وممثل ومتسابق ومصارع وصياد وموسيقار وبالجملة فهو يدعى لنفسه كل صفات المتفننين أما شعره فقد حرم علينا الشعر لأنه لا يروقه إلا إنشاد ما ينظم ويحتم على الحاضرين والغائبين التفانى فى تمجيده وتقديسه والويل كل الويل لمن لا يجن إعجابا بقصائده، وقد أنقذت بالأمس فيسباسيان من الموت لأنه أخذته سنة من النوم ونيرون ينشد قصيدة من شعره (يسيران قليلا).

المشهد الثانى

فينكيوس – بلازوس

فينكيوس : كيف أصبحت ؟

بلازوس : نهضت ظهرا منهوك القوى وقد أقنعنى استرخاء أعضائى أن بدنى لم يعد يطيق ملاذ الحياة.

فينكيوس : إن وليمة فى قصر نيرون ليست مما يستهان بها. لقد رأيتك تفرط فى الأكل والشراب وتسرف فى المغازلة.

بلازوس : حمدا للآلهة التى أنعمت علينا بحمام الصباح وبأيدى الجوارى المدلكات وبدهن النعام وعطر الشرق وزيت الكافور.

فينكيوس : لا تنس ريشة العاج المغموسة فى زيت الجوز.

بلازوس : إننى شربت منذ شهر رقيقا مصريا كانت صناعته الطب، فوصفت له حالى وما أعانيه من سوء الهضم وآلام المفاصل وما يعترينى من أوجاع الكعبين والأطراف وخفقان القلب ووخزاته المزعجة التى تمتد أحيانا إلى ذراعى اليسرى بأسرها وما يصيبنى أحيانا من هياج الكليتين وضيق الصدر ويغشانى من ضعف الذاكرة وخمود القريحة والأرق وفقد الشهية.

فينكيوس : لقد عددت أمراض الرومان وجميع ما يملكون من الأمم !

بلازوس : إن عبدى الطبيب المصرى يقول إن هذه المصائب كلها ما هى إلا أعراض لداء واحد معروف فى مصر بداء الملوك لأنه لا يصيب إلا المترفين والأغنياء.

فينكيوس : وما دواؤه ؟

بلازوس : قال لى الحمية إلى حد الصيام وكبح جماح الشهوات إلى حد العفاف.

فينكيوس : وهذان أمران تستطيعهما.

بلازوس : سأحاول الاعتداء، لأنجو بجلدى من هذا الداء الوبيل (يسيران).

المشهد الثالث

سنيكا – لوكيان

لوكيان : حقا إن المناقشة كانت لذيذة وممتعة لولا أن الأمبراطور أدركته النشوة قبل الوصول إلى النتيجة !

سنيكا : إن هذا البحث لا نتيجة له.

لوكيان : ومع ذلك فإنك وافقته على معظم آرائه وكدت تقول بقوله.

سنيكا : أنا أقول برأيه إن المرأة مخلوق بلا روح ؟

لوكيان : يخيل لمن كان يسمع حديثك أمس أنك كنت مشرفا على قول هذا الرأى.

سنيكا : أنت كنت مشغولا عنا بمحادثة ذلك الساحر الإغريقى الذى يدعى الحكمة.

لوكيان : كنت أعيرك أذنا، وما بقى من سمعى لخرافات هذا الشيخ.

سنيكا : أنا لا أوافقك، فإن حديثه لم يكن حديث خرافة وقد قال كثيرا من الحقائق، فأنا أعتقد مثله بخلود النفس وتأثير السحر واستحضار الأرواح والتأثير على الناس عن بعد بمجرد الفكر والإرادة.

لوكيان : ولكن هل تعتقد أن للنفس إشراقا على المستقبل فتحدث صاحبها عن علم بما سيقع ؟

سنيكا : وهذا أعز وأرفع ما أعتقد.

لوكيان : إذن تقول كما يقول كهنة مصر بإمكان الإطلاع على الغيب والاستسلام للأقدار وسبق علم الآلهة بما سيقع لبنى الإنسان.

سنيكا : أقول بهذا كله.

لوكيان : ولكن هذه الأفكار تناقض أفكار نيرون.

سنيكا : لقد وهبت نيرون فصاحتى ومشورتى ولم أهبه روحى وعقلى.

لوكيان : حقا أيها الفيلسوف إن معظم آرائك مضنون بها على غير أهلها.

المشهد الرابع

لوسيوس – كريسبوس

لوسيوس : إن الليالى حبالى يلدن كل عجيبة !

كريسبوس : وهذه الليلة ؟

لوسيوس : تتمخض عن المدهشات.

كريسبوس : عجبا كيف ذلك وبال نيرون هادىء يولم الولائم ويعقد مجالس الخمر ويمرح فى بحبوحة الغرام ؟

لوسيوس : إنه علم بفرار أمه وبرنيانيكوس واجتماعهما عليه مع فريق كبير من الناقمين فتمكن من القبض عليهما وردهما إلى محبسهما ولكن يده لم تمتد بعد إلى بالاس، ولذا أتراه هادئا فى الظاهر ولكنه مضطرب فى الباطن.

كريسبوس : إنه لا يعدم رأيا صائبا يمده به سنيكا وسيفا حادا يطرحه بين يديه بورروس.

لوسيوس : لو كان الأمر كما تقول، ما كان نيروند ليلتجىء إلى طلاسم لوكستا وسمومها، فقد أرسل فى طلبها لعله مدبر مقتل أمه فى هذه الليلة.

كريسبوس : إنه يشبه الملوك جميعهم، يندر أن يكتفى أحدهم بالأسلحة الظاهرة دون الخفية، إن حياة الملوك حرب دائمة، والحرب خدعة.

لوسيوس : أضف إلى ذلك أن لنيرون فى كل حين أصدقاء وندمانا وعشاقا يرتاح إليهم ويطلبهم ويستسلم إلى مقاصدهم، وقد فات الآن عهد أتوتون وبوروس وسنيكا كما فات عهد أجربينا وأكتيه وجاء عهد سوفنيوس وتجلان وبترون ونوفانثيوس.

كريسبوس : ولكننى أرى الفريقين قديمهم وجديدهم مجتمعين، فهناك سنيكا وبوروس وأوتون وتجلان وبترون.

لوسيوس : إن القديم لايزال يتحكك بالبلاط عسى أن يعود إلى سابق مكانته أو يحاول الإيقاع بالجديد الذى خلفه، وهو لا ينقطع عن القصر لئلا يشمت به أعداؤه أو يتخذ خصومه من ذلك ذريعة للوشاية به لدى قيصر.

كريسبوس : ها هو سنيكا يدنو من بترون، وبوروس يحادث تجلان.

لوسيوس : إن بترون وتجلان عدوان لدودان تجمعهما المنفعة والمصلحة المشتركة وتقصيهما الغيرة والحسد.

كريسبوس : وسنيكا يبدو عليه الذل !

لوسيوس : من يهن هان الهوان عليه، لو تمكن هذان الرجلان سنيكا وبوروس من الاستيلاء على عقل هذا الشاب لكان عهده أعظم عهد فى التاريخ ولكن قضت الأقدار إلا أن يتغلب الشر على الخير ويعطى نيرون نفسه هواها، فيذهب عقل سنيكا وفضل بوروس عبثا.وما قيمة العقل حيال القوة الغشوم وماذا يستطيع الفضل إزاء الرذيلة المنتصرة

كريسبوس : حقا !! إن هذا من العجائب !

المشهد الخامس

تاسوس – كريسبوس

تاسوس : إنى لا أرى أكتيه بين المقربات من قيصر فى هذه الليلة.

كريسبوس : لقد مضى عهدها وانقضى سلطانها.

تاسوس : كيف ؟ هل زال حبها من قلب نيرون الذى كان يعبدها ؟

كريسبوس : إن من صفات هذا الرجل وأمثاله عدم الوفاء في الحب، ديدنه الملل وخلته الضجر، وكما تراه في قلق دائم أينما حل، كذلك ترى عواطفه في تنقل مستمر، ولا يمكن تعليل هذه الحال إلا بفساد الطبع؟

كريسبوس : لم يفعل بأكتيه سوءا .. فهي الآن تعيش منزوية كالوزير الطاهر الذمة في بلد فاسد.

تاسوس : قد انضمت إذن إلى ضرتها.

كريسبوس : تقصد أوكتافيا ؟

تاسوس : نعم !

كريسبوس : لا فرق بينهما إلا أن أوكتافيا زوجة شرعية وأكتيه محظية.

تاسوس : ما أسعد الرجل الذي تحبه امرأتان !

كريسبوس : إن أوكتافيا لا تحبه مطلقا ولكنها مغلوبة على أمرها وهي مرغمة على السكوت والصبر.

تاسوس : كنت أعلم فيما مضى أنه يحسن معاملتها.

كريسبوس : كان ذلك خوفا من أمه أجربينا، ولا يعوقه عن قتلها إلا أنه لا يجد لها ذنبا يبرر فعلته ولكنه حتما واجد.

تاسوس : نسيت إجابتي عمن حلت محل أكتيه الجميلة.

كريسبوس : لقد حلت محلها سابينا بوبيا وهي امرأة شريفة الأصل كريمة المحتد وقد جملتها الطبيعة بأجمل الصفات وأبهى الخصال وأحلى المزايا ولم تحرمها إلا من الفضيلة .. جمالها رأسمالها وعقلها رائدها ومصلحتها دليلها في حياتها الفاسدة.

تاسوس : ولكن كيف وصلت تلك الفاتنة سابينا بوبيا إلى قلب نيرون.

كريسبوس : إنها تزوجت من الشريف أوتون صديق نيرون العزيز ونديمه المقرب ورفيقه في رحلاته الليلية، وما لبث الشريف أن عقد عليها وحظي بها حتى أخذ يطري جمالها لدى نيرون وهو أعلم الناس بأخلاق مولاه ! لقد سمعته بأذني ينهض فجأة في وسط الوليمة عندما تكون الخمر قد بدأت تلعب برأس نيرون في تلك اللحظة المتوسطة بين الصحو والنشوة .. تلك اللحظة التي تتيقظ فيها كل الشهوات عندما يريد الثمل الجمع بين حافة الكأس وشفة امرأة ويقول ها أنا

ذاهب إلى ذراعى تلك التى جمعت صنوف الجمال والدلال .. تلـــك التى يشتهيها كل من رآها، فإذا ذاق غرامها لا يسلوها !

تاسوس : حقا إن هذه كلمات عجيبة على لسان زوج !

كريسبوس : .. هكذا لم يلبث نيرون أن شغف بيوبيا أو وقع فى الحبالة التى نصبها له أوتون فأرسل إليها من يبلغها حبه الجم، فلم تتردد لحظـــة فى قبول غرام الأمبراطور !

تاسوس : لقد عرفت من أين تؤكل الكتف !

كريسبوس : ولما أن وثقت أن نيرون صار رهن حبها بدأت تتيـــه وتـــدل وتشير إليه من طرف خفى أنها امرأة متزوجة !

تاسوس : يا للعفة !

كريسبوس : وقد استطاعت تلك الفاجرة أن تصيب هدفين بسهم، فإنها نفرت نيرون من معشوقته المخلصة أكتيه وبغضته فى صديقه الحميم أوتون فهجر الأولى وقلب للثانى ظهر المجن فأبعده وأقصـــاه وحـــرم عليـــه مجالسه وقفل فى وجهه أبواب قصره، ولما لم يجد وسيلة للإيقاع بـــه ولاه على لوزيتانيا.

تاسوس : والزوجة ؟

كريسبوس :أبقى عليها وقربها وهى الآن قرة عينه ومالكة قلبه وسيدة قصره

تاسوس : بغير عقد شرعى.

كريسبوس : عقد الهوى.

المشهد السادس

(يسمع صوت بوق)

رسول : النصر لقيصر ! (يدخل نيرون ومعه كثيرون).

نيرون : آه يا رفاقى .. كنت الليلة على وشك السفر إلى أشايا وقد أعـــددت للسياحة عدتها وقصدت الكابيتول مصحوبا بالنبلاء لتقديـــم القربـــان الأخير قبيل الرحيل.

أحدهم : إن قيصر المقدس يتواضع للآلهة بتقديم القربان.

آخر : ما رأينا إلها يقدم قربانا لأخوته !

نيرون : حقا ولكن ينبغي للأرباب أن تتذكر بعضها بعضا من حين لآخر، ومع هذا فإن زميلي هوميروس ذكر لنا فى إليانته إن الأرباب فى ألومب كانت تولم الولائم فيما بينها !

أحدهم : لا غرابة إذا قدم قيصر قربانا لبوليكس وفيستا.

نيرون : خاصة فيستا يا صاح، فإنها على الرغم مما بيننا من أواصر القرابة الإلهية لا تفتأ تملؤنى رهبة ورعبا.

أحدهم : حاشا لقيصر الإلهى إن يذكر !

نيرون : صمتا يا صاح. إننى أقول الحق. إننى لا أكاد أرى تلك الإلهة الرهيبة وأشهد نارها المتأججة حتى ينفر شعرى فى منابته ويصطك فكاى وتستولى على سائر أعضائى رجفة كالتى تدرك العصاب بالحمى. وأضرب لكم مثل اليوم، فإننى لم أوشك أن أقف فى حضرة تلك التى يزعجنى مجرد ذكر اسمها حتى شعرت بدوار فخارت قواى ثم أصفرت الدنيا فى وجهى وفقدت الإدراك وكدت أستلقى على ظهرى لولا أن تناولنى تيجلان بذراعيه القويين. تعسا لها من رجفة ما أشنع الخوف أيها الرفاق ! إنه الحالة الوحيدة التى يستوى فيها الآلهة أمثالى والبشر أمثالكم !

تيجلان : نفسى حدثتنى اليوم وأنا أرى قيصر يتمايل اليوم أن هذه رجفة الوحى الإلهى.

نيرون : حقا حقا .. إننى أتذكر الآن شيئا فشيئا .. لقد كان يخيل إلى أننى سمعت صوتا يهمس فى أذنى : أرجىء سفرتك (يدخل رسول).

رسول : النصر لقيصر !

نيرون : ما وراءك ؟

رسول : لقد أنجزت ما أمر به قيصر

نيرون : اقرأ البلاغ.

رسول : أيها الشعب الرومانى لقد أرجأ قيصر سفره لأجلكم، فإنه أثناء ذهابه إلى الكابتيول وعودته شهد آثار الحزن تبدو فى سيماكم فعلم أن سفره هو سبب كآبتكم فتحرك فى قلبه الإلهى عواطف الحب الوالدى نحو أبنائه الأعزة، فقرر أن يبدل راحته فى سبيل سعادتكم وصحت

عزيمته على البقاء بين ظهرانيكم فانتظروا فى يومكم هـــذا توزيـــع الأرزاق واعدوا أنفسكم لمشاهدة الألعاب الفخمة .. ليحيا قيصـر ! .. هذا يا مولاى هو البلاغ الذى سنذيعه فى الشعب.

نيرون : عظيم ! افعل .. افعل (يخرج الرسول). (مستطردا) تعددت الأسباب والفعل واحد، لا ينبغى للشعب أن يعرف أكثر من هذا .. إن الشـعب لا يهمه إلا امتلاء بطنه وانشراح صدره (يسمع هتاف الشعب مـــن أسفل القصر : ليحيى قيصر ! ليحى قيصر !) حقا يا رفاق إن الوحى الإلهى لا يزال يرن صداه فى أذنى، يخيل إلى أن تلك التى يزعجنى مجرد ذكر اسمها أوحت إلى أننى أستولى عما قريب على ملك مصر والشرق بأجمعه. فإذا وقعت لى مصر الفاتنة سأشيد بها آثارا لا تعـد الأهرام فى جنبها شيئا مذكورا وسأنحت فى الصخر سفنكسا يزيد فى الضخامة والعظمة سبع مرات عن الأسفنكس الموجود، وســـأصور ملامحى جميعها فى صورته بحيث تخلد تقاطيع وجهى علـــى مـــر الدهور وتشمل حمايتى شعوب الأرض إلى آخر أجيالها.

بيترون : يا لها من منحة تعجز الإنسانية عن حمدك عليها !

نيرون : وفى مصر أيضا سأتزوج من القمر !

بيترون : يا له من زواج .. إنه قران النيرين !

نيرون : سنلد أجمل الكواكب !

بيترون : سيخلق نيرون دورة فلكية جديدة لا تعد فى جانبها دورة الشـــمس شيئا!

نيرون : نعم سأخلق سماء تزهو على السماء وأرضا تفاخر الأرض.

بيترون : ليتزوج فتيليوس من النيل !

نيرون : إنهما لا يلدان إلا التماسيح .. وأزوج تيجلان من الصحراء !

بيترون : فيلدان الثعالب وأبناء آوى !

نيرون : سأجد لكل واحد منكم فى مصر ما يسره ويلهيه.

بيترون :إن ملكتى الشعر والغناء اللتين تملكان عليك نفسك منذ الصغر تشكو من الهجر.

نيرون : حقا لقد مضى حين من الدهر ولم أنظم شعرا ولم أوقع نغمة علـــى وتر.

بيترون : إن الأشراف والقرناء الذين مننت عليهم بهذا الاجتماع وفضلتهم على كل العالمين يبتهلون إلى مقامك الإلهى ويلتمسون من مراحمك الوالدية أن تتفضل بالإنعام عليهم بما تجود به قريحتك الأولمبية.

نيرون : إليك عنى يا بيترون .. أنت تعلم أننى لا أستطيع أن أرفض لك طلبا إلا هذا فإننى لا أطاوعك فيه.

لوكان : إن الإنسانية راكعة أمام هيكلك الإلهى تحييك وتلتمس ..

نيرون : وأنت أيضا يا لوكان .. من أين أتى لكما بالشعر ؟

لوكان : كلنا نعلم إنك نظمت فى الفترة الأخيرة أناشيد وأغانى ومقاطيع تسمو على كل ما نظمته شعراء الجنس البشرى منذ بداية الخليقة إلى آخر الدهر !!

بيترون : إن لوكريس نفسه أمير شعراء الرومان يخجل من شعره إذا أسعده الحظ بسماع شعرك.

نيرون : أنتم تعلمون ..

الجميع : أرحمنا بقصيدة من شعرك !

نيرون : إن شفقتى الوالدية تعوقنى عن الاستمرار فى الامتناع .. سأنشدكم ولو ارتجالا.

بيترون : إن بيتا واحدا من شعر قيصر يحيى نفوسنا وينعشها.

نيرون : فلتدع إذن بوبيا .. إنها حقا منحرفة المزاج وهذا الذى دعاها للتخلف عن هذا الاجتماع .. إن عقاقير الأطباء وقوانين أبقراط ونصائح جالينوس تعجز عن شفائها، ولكن قصيدة من شعرى تعيد إليها الحياة والقوة !

أحدهم : ما أسعد حظها وحظنا !

نيرون : فلتدع إذن لتسمع إنشادى (يتحادث على انفراد مع بيترون ويخرج رسول لدعوتها)

المشهد السابع

شخصان من حاشية القصر

أحدهما للآخر : أتظن أنها تستطيع النهوض من فراشها؟

الآخر : إنها تنهض مرغمة ولو كانت تجرر أذيال المرض.

الأول : أليس لها عليه من دالة ؟

الآخر : حقا إنها الوحيدة لأيامنا هذه فى السيادة على قلبه. فلو كانت فى النزع فإنها تحضر ولو محمولة على أعناق الرجال .. إنها تستبيح لنفسها كل شيء معه إلا جرح عواطفه في مواهبه.

الأول : إننى لم أرها.

الآخر : سترى أجمل وجه خلقته الأرباب. (تدخل بوبيا محاطة بخدم وهى تجرر أذيالها وعليها علامات الذبول).

نيرون : إلى المائدة أيها السادة. (يجلس وينتحى نيرون وبوبيا مكانا بعيدا عن الجالسين)

نيرون : أهلا بالملك المتربع على عرش الجمال !

بوبيا : جاريتك الطامعة فى رضاك التى تفدى تراب قدميك بنور عينيها الساجدة فى غيبتك أمام تمثال جلالك الإلهى، العابدة فى حضرة صفاتك التى لم تمنحها الأرباب لملوك الأرض قاطبة ها هى بين يديك تلبى نداءك وتلتمس إقبالك عليها بنظرة واحدة تطفيء لهيب حبها !

نيرون : أنت قبلة الشمس لدى شروقها وفم الطبيعة الفرحة بالصباح ! .. أنت شعاع الفجر فى أول يوم من الربيع أنت مطلع قصيدة السعادة الأبدية نظمك أورفيوس فى ديوان الحياة الهنيئة وينشدك نيرون موقعا على أوتار قلبه المفعم بحبك !!

بوبيا : مولاى ! إن حبك الإلهى هو الذى رفع نفسى إلى مصاف النفوس التى تستمد من ضيائك، كذلك إخلاصى لشخصك وعرشك هو الذى يملى على مالا يجرؤ على التصريح به إنسان على سطح الأرض.

نيرون : حبيبتى بوبيا ! إن عرشى وتاجى وأعظم منهما صوتى وقيثارتى تحت قدميك ! ما الذى ألم بك؟

بوبيا : هذا كرم الأرباب وتواضع الآلهة، ولكن الذى يحزننى وينغص على أسعد ساعات الحياة التى تقضيها بقربك ما أسمعه فيغلى له دمى فى عروقى وتفارقنى راحة القلب والنفس.

نيرون : أتسمعين من أحد ما يسوءك؟

بوبيا : أجل أيها الأمير تصور بمخيلتك الشعرية النادرة المثال مقدار حسوة عاشقة عابدة تفاخر بمعشوقها ومعبودها إذا هى سمعت أنه ليس ملكا ولا أمبراطورا ولا رجلا .. وما هو إلا طفل خاضع لإرادة غيره، يخيل له أنه قابض على زمام الدولة وما هو فى الواقع إلا آلة فى أيدى ثلاث نساء، وأن ذلك الذى ندعوه أمبراطور الرومان ووالد الوطن وسيد العالم لا يملك حريته الشخصية.

نيرون : عجبا ! أيجرؤ مخلوق بشرى أو إله شيطانى أن يقول هذا عن نيرون! .. فو الآلهة لو أن سواك نطق فى حضرتى بهذه الألفاظ إذن لسحقت رأسه بصولجانى هذا، بل لمزقت أعضاءه بأناملى .. لقد غادرتنى ملكة الشعر وأستولى على شيطان الغضب !

بوبيا : (راكعة) من حسن حظ الناس جميعا أننى أستقبل سورة غضبك المقدس وأشرب بلذة الظمآن حلاوة هذا الغيظ الإلهى. لأجل هذا أنا أصون لسانى عن ذكر من سببن هذه النميمة لئلا يمتد إليهن سخطك وهن أقرب الناس إلى جلالتك وأحبهن إلى قلبك.

نيرون : إذن أنت شريكتهن فى الخيانة ! اعلمى يا بوبيا إننى أتسامح فى كل شىء إلا كرامتى .. إن صوتى سيخفت وشعرى تمحوه الأيام ولكن كرامتى أنا لوسيوس رومينيوس نيرون أمبراطور رومه وسيد العالم كرامتى ستبقى مسجلة فى بطون الدفاتر إلى آخر الدهر.

بوبيا : عفوا يا مولاى ما عظمة الملك وجلال العرش وسلطان رومه وسيادة العالم بأخلد من صوتك وتوقيعك !

نيرون : حقا ! لقد نسيت خلود المواهب. إن العبقرية أبقى على كر الدهور من عرش رومه، تبا لهم إنهم يسيئون إلى العبقرى بالانتقاص من الأمبراطور .. انهضى !

بوبيا : (تنهض) إن الغيبة يا مولاى مهما كانت مكذوبة وصاحبها مهما كان حاسدا وحاقدا تترك أثرا فى نفوس سامعيها.

نيرون : حقا حقا .. الأسماء .. أسماء النسوة.

بوبيا : عدنى إنك لا تنالهن بسوء بسبب إخلاصى وصراحتى.

نيرون : أعدك بكل شىء.

بوبيا : هن أكتيه محظيتك !

نيرون : يا لها من فاسقة .. ولكنها جارية تباع وتشترى وقد هجرتها مذ عرفتك! ثم من؟

بوبيا : وأوكتافيا زوجك!

نيرون : لقد صدق ظنى هذه أيضا قتلتها الغيرة قتلتين !

بوبيا : أما الثالثة فهى فضلى الأمهات !

نيرون : فضلى الأمهات وفضلى الأزواج وفضلى الجاريات ! يا لنيرون من مؤامرة النساء! ستلقى كل منهن جزاءها، أما الجارية التى كانت محظية فستباع فى الأسواق.

بوبيا : أن بيعها لا يسكتها.

نيرون : إذن يمثل بها .. أما أوكتافيا ابنة كلوديوس فلا تستحق رحمة ولا حنانا. ما رأيت مثلها زوجا عاقرا وعاشقة ملحة فإذا ما جفوتها تآمرت على وأذاعت عنى ما يقلل من قدرى فى نظر الشعب .. هذه تحفة من تحف فضلى الأمهات وهدية من هداياها القيمة .. سأطلقها فى احتفال عام .. سيشهد طلاقها الآباء المقدسون ويصدر أمرى بنفيها إلى أقصى حدود المملكة .. أما فضلى الأمهات فهى فى القصر سجينة وسأقضى عليها فى أقرب فرصة بدون مناقشة .. إنها اقترفت ذنوبا ما ذكرت فى جنبها شيئا مذكورا.

بوبيا : إن عبادتى لشخصك المقدس وخوفى عليك وكل ما قد يمسك بأذى يدعونى للإلحاح فى الوقوف على جميع خواطرك وخططك.

نيرون : إن لنا نحن الأمراء من بيت قيصر خطة واحدة نسلكها حيال أعدائنا أقارب كانوا أو غرباء .. القتل.

بوبيا : ولكن لفضلى الأمهات ذاتا سامية وشخصية مقدسة!

نيرون : إن ذاتها مهما سمت وشخصيتها مهما تقدست لا تقفان فى سبيل أغراضى وإرادتى. لقد تآمرت مع برنيانيكوس وبالاس وغيرهم على أمبراطورية رومه.

بوبيا : إن قتل الأم ..

نيرون : (مقاطعا) كقتل أى إنسان آخر !

بوبيا : إذن صحت عزيمتك ؟

نيرون : نعم .. لقد صحت منذ زمن طويل ولكننى كنت أتحين الفرص وهاك فرصة فريدة سنحت ولن تفر من يدى.

بوبيا : الفرصة ..؟

نيرون : أجربين (نيرون إلى الأضياف) أيها النبلاء.

بيترون : القصيدة.

نيرون : ارجئوا الشعر لفرصة أخرى. ليعزف العازفون. اشــــربوا جميعــا وادعوا لقيصر بالنجاح.

بعضهم : نشرب وندعو ليحيا وليفز قيصر !

المشهد الثامن

(نيرون يدق نحاس الاستدعاء فيدخل رسول)

رسول : مولاى !

نيرون : على ببوليوس (يخرج ويعود ومعه بوليوس) (إلى بوليــوس) هــل أحضرت تلك التى تقيم على شاطىء البحر؟

بوليوس : تلك التى تطلبها جلالتك بالباب!

نيرون : سألقاها .. فلتحضرن.

بوبيا : لقد شعرت بأن قواك خارت لما سمعت بقدوم هذه المرأة؟

نيرون : ألا تخور قوانا إلا لدى لقاء امرأة محبوبة؟ .. إن فى شئون الدنيا ما هو أعظم شأنا من الحب.

بوبيا : وتلك المرأة.

نيرون : ما بالها ؟

بوبيا : إنها محظيتك القديمة أكتيه.

نيرون : أخطأت يا عزيزتى .. هذه المرأة هى أظافرى التــى أنشــبها فــى أعدائى ومخالبى التى انتزع بها نفوسهم من بين جوانحهم،هى المنقذة المخلصة بيدها سر حياتى وسعادتى لأنها قابضة على زمام الموت.

بوبيا : إذن هى ..

نيرون : لوكستا الساحرة وصانعة السموم.

بوبيا : لألتقين بها لأكون لك عضدا ومساعدا.

نيرون : قومى بتحية الأضياف. (تدخل لوكستا) (لوكستا ونيرون على انفراد).

لوكستا : ماذا تطلب منى فى هذه المرة؟

نيرون : أتتذكرين الماضى؟

لوكستا : سل تيزيه إذا كان يذكر الجحيم!

نيرون : أتذكرين كيف أنقذتك؟ لقد أخرجتك من سجن ضيق وقذر حيث كنت أقرب إلى الموت منك إلى الحياة وأنت راقدة على فراش من الوحل الكريه الرائحة وحول بدنك تلتف الأفاعى والحيات؟

لوكستا : كنت لا أشعر من شدة البرد فلم أكن أبالى.

نيرون : أتعلمين إلى أين نقلتك؟ .. لقد نقلتك إلى بيت فخم بنيته لك خاصة وزينته بأبهى الزخارف .. إن القوم يعتبرون حرفتك جرما فظيعا وأنا أعتبرها فنا جميلا، وكانت الحكومة تطارد شركاءك فى صنعتك فأغمضت عيون الشرطة عنك وغللت يدها التى كانت تمتد إليك بالأذى لولا حمايتى .. وقدمت إليك أتباعا ومريدين يتلقون ما تجودين عليهم بتعليمه.

لوكستا : أنت تذكر إحسانك إلى وتنسى كيف رددت لك الجميل .. لقد منحتك نصف قوة المشترى فوضعت تحت تصرفك أعظم قوة فى الطبيعة وسلكتك قياد الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات.

نيرون : حسن .. إذن أنت تذكرين وأنا لا أنسى ولا تزال المودة بيننا قوية.

لوكستا : اليوم حتف من؟

نيرون : إن لسانى ينعقد دون ذكر اسمه .. احظرى .. إن الذى هوى نجمه وأريد تسليمه بيدى إلى الموت عدو شديد القوى عظيم الخطر ولا أستطيع أنا نيرون سيد العالم أن أحرك به لسانى .. ولكن حذار أن يبطىء فعل السم كما حدث لدى القضاء على كلوديوس .. لابد أن يكون السم قتالا لساعته دون أن يستطيع من يتناوله أن ينطق بحرف أو يومىء بإشارة .. أريد سما ناقعا مهلكا سريعا قاطعا مانعا .. أريد سما خارجا من فوهة جهنم كما تخرج النفثة من فم الثعبان !

لوكستا : هذا أمر هين .. إن أوصاف السم الذى تصفه سهلة التحضير لدى ولكن لابد لى من معرفة المقصود بالموت.

نيرون : لقد عهدتك غير محبة للاستطلاع فما الذى جعلك الآن فضولية؟

لوكستا : ليس حب الاستطلاع ولا الفضول هو الذى يدعونى إلى معرفة المقصود بالموت، إنما أعلم إن هناك إناساً لا يفعل بهم السم مهما كان قوياً فإنهم لخوفهم على حياتهم عودوا أحشاءهم التغلب على السم بازدراد جميع صنوفه بمقادير معينة فى أيام متتالية فأصابتهم مناعة دائمة، فإذا كان المقصود بالموت شخصاً من هؤلاء فلعل السم لا يصيب منه مقتلاً فتعود علىّ باللائمة وتتهمنى بالخيانة وما أسهل هذه التهمة لديك حتى لأخلص المقربين لديك.

نيرون : حقاً إذا خاب السم فى هذه المرة فلأعيدنك بغير رحمة إلى سجنك القديم وأعين عليك سجاناً أقسى من بوليكس .. صديقك بوليو يوليوس فتأملى !

لوكستا : لابد لى من معرفة المقصود بالموت بالذات.

نيرون : لا أستطيع ولا أريد .. استنجدى بقوى سحرك على معرفة اسمه .. نجّمى أيتها العرافة القادرة واستحضرى الجن الخاضعين لأمرك. (تجلس وتبسط تختاً من الرمل وتنظر فى كأس ماء وتقوم بإشارات وتطلق بخوراً ونيرون ينظر إليها ثم تنهض وتحييه).

نيرون : لعلك وفقت؟

لوكستا : لقد نجح السحر!

نيرون : والسم ؟

لوكستا : خائب !

نيرون : هل فرغت جعبتك ؟

لوكستا : كلا ولكن لسمى ألف ترياق.

نيرون : إذن علمت شخص المقصود بالموت!

لوكستا : أمك.

نيرون : حسن سأبحث عن وسيلة أخرى .. أغربى عن وجهى.

لوكستا : ستحتاج إلىّ.

نيرون : ربما .. فى يوم آخر (يلقى إليها كيساً فيه مال ويستدعى بوليوس).

المشهد التاسع

نيرون : (لبوليوس) علىّ بأنيستوس أمير البحر .. إنه بين الأضياف.

أنيستوس : (يدخل) مولاى !

نيرون : أتذكر ماضيك؟ لقد كنت رقيقاً فأعتقتك ومعدماً فأغنيتك ثم صرت جندياً فرقيتك وجعلتك كبير الأسطول وأمير البحر فأنت الآمر الناهى فى عرض البحار.. ترتجف ميسينوم لذكر اسمك ولا يأنف نبتون إن يلبى نداءك!

أنيستوس : لم يفعل قيصر بعبده هذه المكارم عبثاً وسيلقانى فى كل وقت رهين إشارته.

نيرون : أنا أعلم ما بينك وبين والدتى من أسباب النفور مذ كنت معلمى.

أنيستوس : وأعلم ما بين جلالتك وبين سموها من أسباب البغضاء.

نيرون : لقد أعجزتنى تلك المرأة وأصبحت حيالها ضعيف الحيلة.

أنيستوس : إن قيصر لم يأمر عبده.

نيرون : لا أريد مشروعاً يفشل أو محاولة تخيب.

أنيستوس : إن كان الإغراق فإن البحر واسع الأرجاء ولا حدّ لعمقه.

نيرون : وكيف يكون ذلك؟

أنيستوس : لدىّ سفينة كبرى ذات ثلاث قلاع مهجورة مذ خلفها تيبريوس وكان صنعها للقضاء على العظماء من أعدائه .. إنها ذات طبقتين إحداهما متحركة والأخرى ثابتة، فإذا شاء ربانها قلب الطبقة المتحركة بجهاز خاص بها فتغرق بمن فيها وينجو البحارة وكل من كان على الطبقة الثابتة .. وهكذا يلتهم البحر فريسته والبحر أشد العناصر كتماناً للأسرار!

نيرون : ولكن كيف تقنع فضلى الأمهات بالنزول إليها؟

أنيستوس : أنا أدبر لك ذلك.. أدعها وسالمها وأظهر لها الرغبة فى الصلح وهيىء لها سبيل السفر بحراً إلى بايا حيث يحتفل بعد قليل بعيد الإلهة منرفا وسأحملها فى الفلك المعلوم ولندع إله البحر نبتون يتلقاها بحنان ورحمة؟

نيرون : نعم الرأى رأيك .. أذهب وأعد السفينة على جناح السرعة. (يخرج ويدق نيرون نحاس الاستدعاء ويدخل بوليوس فيدنيه نيرون ويحادثه ويخرج)

المشهد العاشر

نيرون : (للأضياف) لقد دعوتكم فى أمر ذى بال! لقد طال الهجر بين الأم وولدها، وقلب الولد يحن إلى رضاء تلك التى حملته فى أحشائها وأرضعته من ثديها.

تيجلان : نعم القلب قلب قيصر! إن جلال الدولة وعظمة الملك لا تنسيه حب الوالدين.

نيرون : لأجل هذا صحت عزيمتى على مصالحتها وأجعلكم شهوداً على صفائنا ومودتنا فى مستقبل الأيام.

بعض الأضياف : إننا فى خدمة قيصر وأن فضلى الأمهات لتقدر هذه النعمة حق قدرها (يدخل بوليوس).

نيرون : (إلى بوليوس) علىّ بفضلى الأمهات .. إنها هنا فى القصر فى ضيافتى. (تدخل أجربين)

أجربين : أرى الولائم تولم ومعالم الأفراح تقام بأمر قيصر وأجربينا ابنة جرمانيكوس وحليلة كلوديوس وأم نيرون سجينة؟

نيرون : (يعانقها) أماه ! إن قلبى يدمى لدى سماع هذه الألفاظ الجافية. إنما دعوتك لأزيل أسباب الشقاق أبداً ولأمحو سيئات الماضى بحسنات المستقبل.

الأضياف : إن فضلى الأمهات لا شك تقدر هذه المروءة.

أجربين : متى كان للولد مروءة على والدته .. أنا التى ..

نيرون : أنا أعلم من أنت. وها أنا جئت إليك خاضعاً مطيعاً طالباً الصلح. الصلح يا أماه فاجلسى على هذه المائدة وكلى من هذا الطعام واشربى من تلك الخمر وشمى هاتيك الأزهار واسمعى تلك الأنغام.

الأضياف : إن نفوسنا تذوب رأفة من هذا الحنان البنوى.

أجربين : أتعاهدنى على الصفاء الدائم.

نيرون : أعاهدك.

أجربين : أتطلق سراح أخيك برنيانيكوس؟

نيرون : حتماً إنه ليس بالسجين الذى يطلق سراحه إنما هو فى ضيافة أخيه الأكبر!

أجربين : إذن أقبل صلحك وأجلس على مائدتك.

نيرون : إلى صدرى أيتها الأم العزيزة (يتعانقان وتدق الأنغام ويهتف الحاضرون).

الحاضرون : لتحيا فضلى الأمهات! ليحيا قيصر!

نيرون : لقد حل فصل الربيع.

أحدهم : هذا فأل حسن وبشرى سعيدة.

نيرون : ولابد لنا من الاحتفال بهذا الصلح المبارك .. انظروا فى سجل الأيام .. ألا يوجد عيد مقدس نشترك فى إحيائه .. وإن لم يكن هناك عيد فلأخلقن عيداً باسم فضلى الأمهات.

أحدهم : أذكر جلالتكم بعيد الكونكاتورا عيد الإلهة منرفا يحتفل به فى بايا.

نيرون : متى موعده؟

القرين : بعد ثلاثة أيام.

نيرون : إذن هو عيدنا عيد منرفا وأجربين.

القرين : لتسمح لى جلالتكم بتصحيح أمر بسيط.

نيرون : صحح ما شئت، فكل شيء مباح فى يوم الصلح المبارك!

القرين : عيد أجربين ومنرفا. حقاً إن منرفا إلهة الحكمة، ولكن فضلى الأمهات أسمى منها مقاماً وأرفع شأناً لأنها إلاهاً أعظم من منرفا!

الجماعة : حقاً حقاً صحيح عيد أجربين ومنرفا.

نيرون : الأمر لكم فى التسمية، ولكن كيف يكون الوصول إلى بايا حيث يحتفل بالعيد؟

أحدهم : بطريق البحر.

نيرون : ما أجمل هذه السياحة. علىّ بأحد رجال الأسطول.

المشهد الحادى عشر

(يخرج بوايوس ويعود أنيستوس)

نيرون : (إلى أنيستوس) إدن وقبل أقدام فضلى الأمهات وأطلب منها العفو عن زلاتك السابقة.

أجربين : لا أعرف لمثل هذا زلات تنكر. (يدنو أنيستوس ويقبل طرف ثوبها).

نيرون : لقد مضى زمن طويل لم أر فيه وجهك أيها الذئب العتيق كأنك ملك مستقل على مملكة الأمواج.

أحدهم : ما أجمل هذا التشبيه!

آخر : إنه معنى شعرى مبتكر.

أنيستوس : إن نبتون خادم قيصر وأنا أحقر خادمى نبتون.

نيرون : لقد عزمنا بحول الإلهة فيستا على السياحة إلى بايا حيث نحتفل بعيد الإلهتين أجربين ومنرفا فأعد لنا سفناً تحملنا واختر من بينها أعظمها وأفخرها وزينها بالأزهار وضع فيها ثلاثين بحاراً من أمهر بحارتك وقلدهم أقوى المجاديف وأحسنها وانشر على سطحها أفخر الألوية وأبهى الأعلام واعتن بأثاثها أشد عناية، وأعلم يا أيها الذئب العتيق إننى سأراها لأنها معدة لفضلى الأمهات وحاشيتها.

أنيستوس : لجلالتك الأمر.

نيرون : واعدوا لنا سفناً حيثما اتفق ولتسر سفينة فضلى الأمهات فى المقدمة تحت قيادتك، وقدم القربان لإلهى الريح والبحر ليسكن الأول وليغتبط الثانى. لا أريد أن تزعجها هبات النسيم ولا اهتزاز الأمواج.

أنيستوس : الأمر لجلالتك.

نيرون : والآن إلىّ يا والدتى العزيزة أضمك إلى صدرى قبل نزولك إلى البحر. إن هذا القلب مهما قسا فى الماضى على وحيدك لم يكن يريد به شراً لأن فوقه ذلك الصدر الحنون الذى طالما ضمتنى إليه تلك الأيادى الكريمة وذان الثديان اللذان أرضعانى ماء الحياة الأولى، وتحته تلك الأحشاء الغالية المصونة التى حملتنى وغذتنى من لحمها ودمها ثلاثمائة يوم وليلة! أى غافل جاهل وأى حاقد حاسد وأى لئيم معاند يسعى للإيقاع بين والدة وولدها؟. بل أيه قوة من قوى الأرض تستطيع التفريق بين أم وابنها .. لقد كنا قبل الخليقة شخصاً واحداً ثم انفصلنا ولم ننفصل بحكم الطبيعة إلا لأكون منك بمثابة الجزء الذى لا يتجزأ إذا نطق الصغير يا أماه اهتزت جوارحها وسالت نفسها على

لسانها لتجيب سؤاله، وإذا قالت الأم ولداه طارت نفسه شعاعاً وصعد الجواب من أعماق نفسه أماه!

أجريبين : ولداه! (يتعانقان ويسمع شهيق البكاء) أعلم يا ولدى إن الموت يحلو لى بعد هذا الوداع.

نيرون : لا قدّرت الآلهة أن أشرب غصتك وأفجع فيك ولما أتمتع برضاك.

المشهد الثانى عشر

(يدخل أنيستوس)

أنيستوس : إن السفينة الكبرى قد أعدّت (نيرون يضم أمه إلى صدره).

أجريبين : هل آن وقت الفراق؟

أنيستوس : انتهاز فرصة سكون البحر أفضل وأدعى للسلامة والبركة.

نيرون : إذن فى حفظ الآلهة(يسير بأمه إلى باب الخروج ثم يعود فيقف على مكان عال ويشير بيديه علامة الوداع). (إلى بوبيا) الآن اطمأن قلبى! سترحل فضلى الأمهات عن هذا العالم وهى محسنة ظنها بى بعد أن سمعت خطبتى فى حب الوالدين (ثم إلى سنيكا) ما رأيك أيها الحكيم؟

سنيكا : إن المعانى التى جرت على لسان جلالتك كادت ..

نيرون : دع عنك المعانى إنها ملك مشاع، إنما أطلب رأيك فى الأسلوب .. الأسلوب قبل كل شىء!

سنيكا : الموضوع ..

نيرون : خلِّ عنك الموضوع الشكل أعظم أهمية من الموضوع .. إن عمران العالم بالأشكال.

سنيكا : الأسلوب بديع والشكل كامل.

نيرون : والآن أيها السادة انظروا لنا نوعاً جديداً من المسرات.

تيجلان : إن هؤلاتى الراقصات من الشرق قد حضرن مصحوبات بمغنين وعازفين وناقرين على أدوات الطرب، والجميع فى انتظار أمر مولانا ومولاهم.

نيرون : ما قولك فى رقص الشرق أيها الحكيم؟ علينا بهن. (منظر رقص شرقى وموسيقى شرقية وأكل وشرب وغزل).

المشهد الثالث عشر

نيرون : ما وراءك؟

أنيستوس : لقد خططنا لفضلى الأمهات مضجعاً بين الأمواج ونبتون أغمض جفنه ووضع أنامله فى أذنيه فلم ير ولم يسمع!

نيرون : هل تم كل شيء؟

أنيستوس : كل شيء تم على ما تروم جلالتك.

نيرون : عليّ بالتفصيل .. صف لى كل ما جرى منذ خرجت بها من هنـــا إلى أن وصلت بها إلى مضجعها الأخير.

أنيستوس : لما أوصيتنى جلالتك بفضلى الأمهات صحبتها معززة مكرمــة إلى الشاطيء وهناك فرشنا لها بساطاً قرمزياً لتخطو عليه إلى الجسر المحدود بين الشاطيء والسفينة وقام البحارة لجلالتها الأمبراطوريــة بالتحية وقد أنزلتها على الرحب والسعة فى الطبقة المتحركــة مــن السفينة، وبعد أن قرعنا الأجراس ونفخنا فى الأبواق تحركت السفينة متجهة برأسها فى شق من البحر بين بابيس وبوزولا، ولــم يوشــك الفلك أن يتحرك حتى رغبت الأمبراطورة فى الراحة ولزمت قمرتها المزينة بأفخر الأثاث، وعندما أقبل الليل وأسدل الظلام ستوره حولنــا رأس السفينة نحو عرض البحر، ولم يطل سيرنا فى هذا الاتجاه حتى حدث فى السفينة هرج واضطراب وسببها على ما علمت بعد ذلـــك، إن جارية من حاشية الأمبراطورة اسمها أسيرونيا فطنت إلى خطتنـــا فأيقظت مولاتها ولفتت نظرها إلى خطة السفينة فنـــهضت فضلـــى الأمهات من فراشها مذعورة واستدعت جالوس وهو فارس رومـــانى كان على ظهر السفينة، ولما مثل بين يديها أمرته بأن أحضر لديـــها، فأخبرها جالوس بأننى لا أستطيع إلى ما تريد سبيلاً لانشغالى بإنزال بعض قوارب النجاة إلى البحر، فقالت له إذن سأذهب إليـــه وألقـــاه حيث يكون، وكنا قد أدرنا جهاز الطبقة المتحركة فبدأ الماء يدخل من الخروق ويتدفق كأنه من أفواه القرب، وأخذت سطوح الغرف التـــى كانت فيها الأمبراطورة وحاشيتها تسقط وكان لســـقوطها صـــوت مخيف مزعج فى سواد الليل، ثم أمرت بدق ناقوس النجاة، وبـــالنفخ

فى أبواق الإنقاذ، وقد رأيت تحت جنح الظلام أشباح النساء تـــروح وتجيىء حائرات وسمعت نواحهن وعويلهن واخترق أذنى صـــوت فضلى الأمهات وهى تقول أنيستوس! أيها الربان الخائن! أهذه قيمـــة وصية ولدى لديك. ثم سمعت عويلاً وعاد صوت فضلـــى الأمـــهات فقالت الآن فطنت هذه ليست خيانة أنيستوس بمفرده إن هو إلا عبـــد مأمور .. هذه خيانة ولد جحود كافر بنعمة الآلهة.

نيرون : لا تعد على مسامع أمبراطورك كل ما سمعته.

أنيستوس : لقد أمرتنى جلالتك إن أسهب.

نيرون : حسن ! أتمم حديثك.

أنيستوس : .. إن هو إلا عبد مأمور هذه خيانة ولد جحود كافر بنعمة الآلهة (يتململ نيرون).

نيرون : وبعد ؟

أنيستوس : وبعد هجم الردى على فضلى الأمهات وجواريها مـــن جـــهتين أتاهن من فوق رؤسهن فهوى السقف عليها وأدركـــهن مـــن تحـــت أقدامهن فطغى الماء فكن من المغرقات، عندئذ رأيت منظراً رهيباً لا أنساه مادمت حياً .. رأيت فضلى الأمهات ونفراً من صواحبها وقـــد استسلمن للأمواج فابتلعهن البحر وقد خرجت من أعمـــاق قلوبـــهن صرخة مزعجة لفظن بها وداعهن للحياة وآمالها وقد خرجـــت مـــن أعماق البحر حيث انطبقت عليهن الأمواج صرخـــة أخـــرى كأنـــها صوت إله غضوب.

نيرون : كفى كفر شعراً ! هذا صوت عويل هؤلائى النسوة .. ليس لديهن إلا العويل والصراخ حتى فى تلك الساعة .. ساعة الموت!

أنيستوس : وماذا كان يجدر بهن يا مولاى وقد يئسن من رحمة الآلهة وفقدن الأمل فى النجاة؟

نيرون : يتأملن فى جلال الموت ويحفظن ألسنتهن لدى هذا الموقف الرهيـــب .. على أنك بحار ساذج لا تدرك جلال هذه الآراء الشعرية! .. أكمل حديثك.

أنيستوس : وبعد قليل عادت شعورهن فطفت على سطح الماء ثم ما لبثت رؤسهن أن ظهرت للعيان ثم رأيت رأساً بين تلك الرؤوس تستغيث صاحبته من أعماق قلبها بصوت خافت لا يوشك أن يصل إلى أذنى : النجاة النجاة أنا أجربين أنا والدة الأمبراطور انقذونى.

نيرون : ثم ماذا ؟ .. هل مدّ إليها أحد يد المساعدة؟ هل كانت متشبثة بلوح طاف ومعتصمة بحبل الإنقاذ؟

أنيستوس : لا هذا ولا ذاك يا مولاى، فإن بحاراً قوياً كان يعلم حقيقة الحال دنا من فضلى الأمهات وبيده مجداف فظنت أنه أتى لينقذها فمدت إليه يدها وتجددت آمالها فبذلت مجهوداً شديداً فى الوصول إليه فهوى بالمجداف على ذراعها فبترها ثم أخذ يضربها على رأسها حتى شجه واختفت للمرة الأخيرة فى غيابة اليم ولم يبد لها أثر!

نيرون : وما اسم هذا البحار الشجاع؟

أنيستوس : أنتيكوس يا مولاى.

نيرون : سأرقيه وأكافئه على أنه أراح فضلى الأمهات من متاعب ساعتها الأخيرة .. أحسنت يا أنيستوس أحسنت هكذا أبطال البحر وإلا فلا !!

المشهد الرابع عشر

نيرون : (فجأة للحاضرين) يا لك من مخبر مشئوم .. آه وا أماه.

الحاضرون : (ينهضون عن المائدة مفزوعين) مولانا !!

نيرون : الحداد يا سادة! الحداد خبر ينعقد دون ذكره لسانى !

أحدهم : حياتنا فداك !

نيرون : إن فضلى الأمهات التى كانت بين ظهرانيكم منذ ساعة والتى لم أتمتع برضاها بعد صلحنا المبارك قضت نحبها غريقة فى طريقها إلى مكان الاحتفال بعيدها المقدس!

أحدهم : يا ويلنا !

نيرون : لقد غارت الآلهة من الصلح الذى تم بين نيرون وأمه .. الحداد يا سادة الحداد .. لا تضاء مدينة رومه ثلاث ليال ولا تقام الأفواح ولا تولم الولائم.

الحاضرون : (ينتقلون إليه) نعزى جلالتكم (يصافحه بعضهم).

نيرون : سأبقى حليف الحزن أليف الأسى إلى أن تدركنى منيتى.

الحضور : يأذن لنا صاحب الجلالة فى الانصراف.

نيرون : إن الوحدة خير وسيلة للعزاء (يخرجون ماعدا بوبيا).

المشهد الخامس عشر

خادم : النصر لقيصر .. بالباب رفيق اسمه أجرنيوس يحمل رسالة مهمة.

نيرون : ليدخل. (يدخل أجرنيوس).

أجرنيوس : النصر لقيصر !

نيرون : ما وراءك ؟ (يدنو منه أجرنيوس ويهمس فى أذنه).

نيرون : (يبدو عليه اضطراب شديد) قل تكلم.

أجرنيوس : رسالة من مولاتى الأمبراطورة أجربين فضلى الأمهات.

نيرون : رسالة من مولاتك الأمبراطورة؟ هل وصلت سالمة إلى مستقرها محمولة على السفينة؟

أجرنيوس : لقد حدث لها حادث مزعج فى الطريق ولكن الآلهة التى لا تغفل عن سعادة جلالتك أبت أن تصيبك،فى أعز حبيب لديك وأقرب الناس إلى قلبك فأنقذتها.

نيرون : آه لقد نجت فضلى الأمهات .. نجت من البحر العجاج المتلاطم بالأمواج.

أجرنيوس : نعم يا مولاى وهى الآن فى قصرها آمنة مطمئنة وقد بعثت بى لأبشرك بهذا الخبر السار خشية أن يبلغك عنها سوء فيبدو لك الحزن.

نيرون : حمداً للآلهة على نجاتها .. يا لها من أم حنون تخشى علىّ من الحزن عليها، إنها تعلم ما فى قلبى نحوها من العطف والمحبة! .. ولكن قصّ علىّ خبر نجاتها، إن هذا يهمنى لأكافىء الأشخاص الذين ساعدوها على الخلاص من مخالب الموت (يهيج) .. ويل لنبتون الخؤون يا له من إله وغد بين الآلهة !!

أجرنيوس : على العكس يا مولاى يحق لنا أن نشكره.

نيرون : إننى أسبه أيها الغبى لأنه حاول انتزاع أمى من بين يدى، ولكن علىّ بالتفاصيل.

أجرنيوس :إن السفينة التى ركبتها فضلى الأمهات كانت مزينة ومنمقة إلا أن السوس نخر أخشابها وقوض أركانها فلم تكد تهب عليها الريح حتى تبددت أوصالها وطغى عليها الماء من كل جانب وقد استغاثت فضلى الأمهات بكل من كانٍ على ظهر السفينة فلم يُعن بها أحد .. وتقدست الآلهة التى شغلت كلاً بنفسه وصرفت أنظار البحارة عن والدة قيصر

نيرون : سيلقى كل واحدٍ منهم عقابه لاسيما كبيرهم أنيستوس الكذوب الذى أوصيته بها خيراً وأئتمنته على تلك الجوهرة الثمينة، وذلك البحار الدنيء جالوس الذى كنت أظنه شهماً مقداماً فإذا به أقل من كلاب البحر (لنفسه) ينبغى الآن أن نكذب بلاغ الموت ونذيع بشرى النجاة وننقض أمر الحداد.

أجرنيوس : ولما غرقت السفينة وأشرفت فضلى الأمهات على الهلاك مرّ بها بعض البحارة فى قارب صغير فأنقذوها، وقد حدث أن جارية أرادت النجاة فادعت إنها أجربين ولكنها هلكت !

نيرون : يا لهم من .. يا لهم من ..!

أجرنيوس : شجعان.

نيرون : نعم يا لهم من شجعان !

أجرنيوس : وقد أوصلوها سالمة من كل أذى.

نيرون : من كل أذى! مرحى! مرحى! يا أنيستوس كنت أنت الجدير بهذا الفضل على مولاتك.

أجرنيوس : أوصلوها سالمة من كل أذى إلى خليج بوزولوس، ومن هناك حملت على الأعناق فى سرير إلى قصرها، وما كادت تطأ قدمها على أرض القصر حتى بعثت بى إليك.

نيرون : نعم الرسول يا صاح ! نعم الرسول !

أجرنيوس : ما أنا إلا غرس بنان جلالتك وخادم والدتك التى بعثت بى إليك لأدخل الطمأنينة على قلبك، وإنها تلتمس من جلالتك أن تؤجل زيارتك لها على الرغم من شدة شوقك إليها وتشوقها إليك ريثما تستكمل راحتها من الانزعاج الذى أصابها والآن يسمح لى قيصر بالانصراف.

نيرون : أبق لدينا قليلاً يا صاح .. ما هذا ؟

أجرنيوس : هذا سيف أحمى به ذمار والدة قيصر.

نيرون : أرنى إياه .. جرده من غمده .. إنه من طراز عجيب (يخرج سيفه ويناوله لنيرون الذى يلقيه بين رجليه بسرعة ويصرخ) النجدة ! النجدة ! إلىّ برجال الحرس .. دقوا نواقيس الاستغاثة (يحضر قوم).

بعضهم : ماذا جرى؟ ماذا جرى؟

نيرون : انظروا انظروا .. ها أنتم شهود عدول .. هذا الرجل حارس قصر فضلى الأمهات وأقرب خدمها قد أوفدته لقتلى بعد أن صالحتها فى مجلس حافل بالشيوخ والقرناء والأشراف، وهذا سيفه بين رجليه .. جرده ليغمده فى صدرى .. هذا سيف الغدر أرسلته تلك التى تدعونها بفضلى الأمهات لتجهز به على ولدها وفلذة كبدها .. على سيد العالم وأمبراطور رومه.

أحدهم : ليقتلن الساعة.

نيرون : بل أبقوا عليه. إنه أصبح رهن التحقيق. تنفعنا حياته أكثر مما يشفى موته غليلنا. إن له حتماً شركاء فى جنايته .. خذوه إلى مكان أمين وادعوا إلىّ أنيستوس كبير الأسطول .. لم يبق بعد إلا هذا .. اعتداء فى رابعة النهار من رقيق حقير فى أسفل درك الجندية على أمبراطور رومه وسيد العالم .. فى أى زمن نعيش يا سادة؟ أيحدث هذا وأنتم أشراف هذا الزمان ورجال هذه الدولة؟ أيعتدى على أميركم لأن طامعة كانت تريد الوصول إلى العرش الذى لا تستطيع حمايته فأقصيتها ؟

أحدهم : إن التحقيق سيسفر ..

نيرون : التحقيق ! التحقيق ! .. إذن فتحنا باب القضايا وأوسعنا مجالاً للمرافعة والمدافعة وأقمنا منصباً للخطابة والفصاحة، اعلموا أن من كل ألف مجرم لا يقع فى يد القضاء إلا مائة، ولا ينال العقاب من المائة إلا عشرة، فلو أن لهذا الجانى مائة شريك فلن يعاقب منهم إلا واحد!

أحدهم : إن مثل هذه الخيانة تقتضى حكماً سريعاً قاسياً.

نيرون : أنت تعرف كيف تحكم البلاد.

آخر :ولكن لا تنس أن للمتهمين فى هذه القضية شأناً لا يماثله شأن الآخرين.

نيرون : جميع الناس سواء أمام القانون.

المشهد السادس عشر

(يدخل أنيستوس).

نيرون : أنيستوس.

أنيستوس : مولاى !

نيرون : (بسخرية) أيها الربان الماهر والبحرى القدير!

أنيستوس : لا قدرة لأحد حيال قدرة قيصر.

نيرون : إذن ماتت فضلى الأمهات !

أنيستوس : واستقرت فى قاع البحر إلى الأبد.

نيرون : ولكنها بعثت إلىّ منذ هنيهة رسولاً !

أنيستوس : إذن هو من زبانية جهنم وقادم رأساً من أعماق الجحيم، لأننى رأيت بعينى السفينة تتحطم وتغرق والماء يطغى عليها، ورأيت أجربين تصرخ وتستغيث ورأيتها كذلك وقد كسر ذراعها وشج رأسها ورأيتها تغيب فى اليم عن أعين الناظرين.

نيرون : لقد صدق أجرنيوس وأخطأ أنيستوس. إن التى قتلت على تلك الصورة الشنيعة لم تكن للأسف أجربين إنما هى جاريتها أبيرونيا، أما فضلى الأمهات فقد نجت بجلدها وهى الآن فى قصرها.

أنيستوس : من قال هذا ؟

نيرون : معتوقها أجرنيوس.

أنيستوس : أرأيته بعينك؟

نيرون : رأيته وسمعت رسالته، وقد حاول الشرير اغتيالى فاستغثت وقد اعتقلناه وهو ينتظر المحاكمة.

أنيستوس : أيريد قيصر حقيقة محاكمة مثل هذا الوغد؟

نيرون : وغيره من شركائه فى محاولة اغتيال حياتى الغالية.

أنيستوس : إن الأمر يطول.

نيرون : وهذا رأيى .. إذن ما العمل ؟

أنيستوس : أنا كفيل هذه المرة بالقضاء عليها بصفة لا تقبل الشك.

نيرون : كيف تفعل ؟

أنيستوس : سأذهب إليها في الحال ومعي فرقة من البحارة حتى إذا مثلت بين يديها قتلتها.

نيرون : تحقق من شخصيتها أولاً بحيث لا نحتاج إلى بلاغ آخر عن نجاتها.

ستار

الفصل الرابع

المنظر الأول

شخص : لقد تم كل شيء على يد أنيستوس وقتلت أجربين في قصرها بأمر ولدها شر قتلة.

آخر : عجباً لقد علمنا أنها نجت من الغرق.

الأول : إن من يقصده نيرون بالقتل لا نجاة له، فإن سلم من غائلة البحر لا يفر من غوائل البر، فقد أرسل الأمير البار بأمه إليها شرذمة من الجند يقودهم أنيستوس الجسور ليغتالوها متهماً إياها بالاشتراك في الشروع في اغتياله بيد معتقها أجرنيوس الذى نقل إليه خبر نجاتها من الغرق.

الثاني : هل فعل هذا جهاراً ؟

الأول : لقد كنت بين الحاضرين آن ذاك. إن خبر نجاتها من أيدى القتلة الذين حاولوا إغراقها ذاع وانتشر، فجاء الناس من كل فج يهنئونها بسلامتها وينظرون بأعينهم أميرة حاربها الدهر حتى جعل موتها على يد ولدها

الثاني : كل جانية تدفع ثمن جرائمها.

الأول : وإننا لكذلك مجتمعين في ردهة القصر وأبوابه نتلقف أخبارها، وإذا بتلك الشرذمة من القتلة قد أقبلت شاهرة أسلحتها فشتت شملنا بالأسنة والسيوف ثم أحاطت بالقصر لتحرسه ريثما يتم الجناة فعلهم ثم دخلوا القصر عنوة واعتقلوا الخدم ودخل أنيستوس بمفرده إلى مضجع أجربين.

الثاني : وكيف كانت حالتها ؟

الأول : إنها كانت فى هياج وقلق لا حد له لأن رسولها إلى ولدها أبطأ فلم تستبشر وكأن نفسها كانت تحدثها بما سيقع لها فكانت تصرخ وتستغيث وتقوم فى فراشها وتقعد كأنها مجنونة وكانت تبعث فى كل لحظة بالرقيق تلو الآخر يكشف الطريق لعله يرى رسول ولدها ورسولها عائداً، ومما زاد آلامها هولاً أن البحر الذى كان هائجاً مضطرباً منذ برهة سكن سكون الموت كأنه يريد الإصغاء إلى ما سوف يصيبها فقالت وقد أثر سكون الأمواج فى نفسها ما للبحر قد خفت صوته، وإذا بالبحر عاد فجأة فزأر وزمجر فذعرت من ذلك الصوت الذى لم يكن منتظراً وكادت تخر مغشياً عليها لولا أنها رأت إحدى جواريها تغادر مخدعها فاستوقفتها قائلة وأنت أيضاً تتركينني، وإذا بأنيستوس يدخل عليها بغير إذنها وخلفه القبطان هرقل والبحار أولوراتوس وكان الثلاثة مسلحين بخناجر وسيوف ورماح كأنهم قادمون على معركة فاصلة ولم يبتدرها أحدهم بالتحية، فابتدرتهم قائلة إن كنتم قادمين من لدى الأمير فأخبروه إننى بخير. فسكتوا ولم يجدوا جواباً فقالت إن كنتم قادمين لقتلى فلستم إذن رسله لأن قتل الأم ليست من صفات ولد بار فلم يجيبوا إنما أحاطوا بفراشها وجرد البحار سيفه

الثانى : يا لهول ما تروى!

الأول : فلما تيقنت أنهم يقصدون قتلها وأنها فقدت المساعد والنصير كشفت عن أخفى ما فى جسمها وأشارت بيدها إلى مكان الستر منها وقالت بصوت هز خناجر القتلة فى إيمانهم : هنا أغمد سيفك فى هذا المكان جزاء حملى ووضعى ولداً يستبيح قتل الأم !!

الثانى : فماذا فعلوا ؟

الأول : هوى هرقل على رأسها بهراوة فشجها ثم اشترك معه رفيقاه فأصابها كل من الثلاثة فى مقتل من مقاتلها ولم تلبث أن زهقت روحها بين آلام يصعب علىّ وصفها.

الثانى : وبعد !

الأول : حدث أمر لم يكن فى حسبان أحد، فقد أقبل بعد برهة نيرون بذاته متزيياً بزى بحار وقد عرفه كل من كان على مقربة من المكان.

الثانى : هل أدركته الندامة فجاء ينقذها؟

الأول : إنك طيب القلب. لقد جاء ليتحقق بعينى رأسه إنها قتلت هذه المرة.

الثانى : وكيف علمت ذلك؟

الأول : لقد بلغنا أنه أمر أن يكشف عنها الرداء الذى سترها به جلاده فلما أن رآها عرته دهشة ثم قال : لو علمت أنها على هذا النصيب من جمال الجسد لأبقيت عليها .. أفهمت؟

الثانى : ما أفظع هذا ! ما أفظع هذا !

الأول : ثم عاد الأمير من حيث أتى بعد أن أمر أن تحرق جثتها ليلة مصرعها بدون حفاوة وأن تدفن رفاتها بغير إكرام ولا ضحايا فى مكان لا يعرفه أحد.

الثانى : يا لها من خاتمة شنيعة !

الأول : كانت حياتها أشد شناعة من موتها.

الثانى : لشد ما أدهشنى جلدها لدى الموت!

الأول : كانت عالمة بأنها ستلقى حتفها على هذه الصورة، فقد روى لى من عليم بأخبارها أنها استشارت منجمة فى صباها فقالت لها سيولد لك ولد يحكم رومه ويقتل أمه فأجابت رضيت أن يقتلنى إن حكم .. إنه منذ قتل أمه لم يستقر على حال من القلق، وأغرب ما فى أمره أنه أخذ يظهر بمظهر الحزين الذى أصابه الدهر بفقد أمه فهو يبدو لمن يراه كمن فارقته بشاشته واعتدال مزاجه ولبس وجه اليتيم شاحب السحنة كاسف البال لا ينفع معه العزاء على المصاب الذى حل به.

الثانى : ما أقدره على التصنع !!

الأول : إن الذى كان يبدو عليه لم يكن من أثر الحزن والألم إنما من أثر الرعب والندامة، فإنه مهما كان قلب الولد قاسياً فإن قتل أمه بأمره ليس أمراً هيناً، ولكن دهاء نيرون أعظم من ندمه فإنه تمكن من الانتفاع بما يبدو عليه من شحوب الوجه وكسافة البال ليظهر بهما بمظهر المحزون على فقد أمه.

الثانى : أترى لهذا علاقة بغيبته الطويلة عن عاصمة المملكة ؟

الأول : قلت لك إن الرعب ملك عليه سبيله فأدركه القلق فهام على وجهه منذ فعلته الشنعاء وقد قيل إنه لا يستطيع النظر إلى البحر لأنه يخيل إليه في كل مرة أنه يرى أمه تغالب المواج وقد أبلغه أتباعه إن الدائر على ألسن العامة إنه إذا جنّ الليل سمع من ناحية القبر الذى دفنت فيه رفات أجربين صدى عويل واستغاثة وأبلغوه أن امرأة جاءها المخاض فولدت ثعباناً وأن أخرى انقضت عليها الصاعقة وهى فى فراش زوجها وأنه لدى كسوف الشمس الأخير زلزلت الأرض فتهدم أربعة عشر حياً من أحياء رومه ومما زاده يقيناً فى تلك الخرافة إنه يهذى حيناً فيسمع صوتاً فى غرفة نومه يشبه صوت أمه ويرى شبحاً يمثل صورتها وهو يودعها الوداع الكاذب يوم أغرقها أنيستوس بأمره.

الثانى : ما أفظع هذا؟ .. على أننى أرى فى العاصمة معالم الزينة لاستقباله.

الأول : إنه بعد أن أقام شهراً يتنقل من غير قصد ويضرب فى الأرض بدون جدوى ألقى عصا تسياره بنابولى وبعث إلى مجلس السناتو لعجم عوده برسالة من قلم سنيكا البليغ يشرح فيها عذره عن ذنبه.

الثانى : فماذا كان جواب هذا المجلس الموقر؟

الأول : إنه بالرغم من صوت الشعب الرومانى الناقم على هذا الجانى الذى لا عذر له، أصدر المجلس الموقر القرار تلو القرار مفرغة كلها فى قالب المذلة والتمليق، فأولها تخليد ذكرى اليوم الذى فشلت فيه المؤامرة المصطنعة التى لفقها نيرون لينتحل عذراً لقتل أمه، وثانيها إقامة تمثالين أحدهما لنيرون والثانى لمنرفا إلهة الحكمة ونصبهما فى رحبة المجلس، وثالثها محو تاريخ ميلاد أجربين من التقويم الرومانى وكان حتى اليوم عيداً عاماً ويوماً مقدساً.

الثانى : وهل أغفلوا أمر عودته إلى رومه؟

الأول : كلا! إنهم بعثوا إليه برسلهم يستقدمونه إلى العاصمة ويمثلون له الشعب هائماً بحبه منتظراً بفارغ الصبر عودته إلى مقر ملكه، وأكدوا له أن الشعب أمسى لا يبغض شخصاً بغضه أجربين بعد أن اتضح أمرها وبانت حقيقة مقاصدها.

الثانى : أراه قد اعتقد صدق قولهم.

الأول : إنه أحذر من ابن آوى .. لم يأمن أن يعود دون أن يبعث بنفر من رجال حاشيته يستطلعون طلائع البلد وهو على مقربة منه، فلما أن قدموا رأوا أكثر مما كان يتوقعون،فقد التقوا فى الطرق بوفود القبائل قادمة للقائه بأمر مجلس الشيوخ ورأوا الشيوخ أنفسهم وقد لبسوا أفخر ثيابهم وتزينوا وخرجوا إلى ظاهر المدينة ينتظرون عودة نيرون ليقدموا له فروض العبودية وقد حشد أهل رومه رجالاً ونساء، شيوخاً وأطفالاً واصطفوا حسب أعمارهم وطبقاتهم الاجتماعية،وصدر الأمر فشيدت في الطريق التى سيمر بها الأمبراطور مواقف من الخشب كما يفعل يوم عودة القياصرة الفاتحين بعد انتصاراتهم الحربية .. هكذا يعود إلى الوطن ظالم قتل أمه واستباح كل منكر .. يعود عودة القياصرة المنتصرين تحت أقواس النصر!

الثانى : وهل اليوم موعد عودته؟

الأول : الساعة انظر. (ينظران)

المنظر الثانى

(يسمع صوت بوق)

الثانى : ما هذا الذى نسمع؟

الأول : هذه موسيقى الحرس (ينظر)

الثانى : ولكن بوروس ليس على رأسه.

الأول : إنه مصاب بداء في الحنجرة (يدخل قضاة المحكمة العليا ووفد مجلس الشيوخ ويسمع صوت هتاف الشعب : ليحيا قيصر! النصر لقيصر!)

المنظر الثالث

(يدخل نيرون محمولاً على الأعناق ويبدو عليه الضعف والملل ويبقى فى هودجه - ضباط وجند وأعضاء مجلس الشيوخ وقضاة - وكهنة ..)

ضابط : عمر مديد وملك سعيد وانتصارات لا تعد ومفاخر لا تحصر.

نيرون : وبعد ؟

ضابط : هذا يا مولاى لسان حال هؤلاء الجند أرادوا أن يحظوا بشرف المثول بين يدى جلالتك فأعرهم يدك الطيبة الطاهرة فيقبلوها وأذنك الرقيقة الحساسة فيشنفوها بأطيب الثناء والحمد.

نيرون : حديث واحد منهم كاف.

شخص : إنهم يهنئونه بمقتل أمه !!

جندى : (يتقدم) بلسان الجيش الرومانى المقيم فى العاصمة وضواحيها والراحل منه فى أطراف الأمبراطورية النائية رافعاً أعلام دولتك وناشراً صولتك جئنا نصوغ لآلىء التهانى لجلالتك فرحاً بما أنعمت به علينا الآلهة بنجاتك من المؤامرة الفظيعة التى دبرها عقل جهنمى وقلب نزعت منه الرحمة ونعم العقاب الذى لقيته الجانية. (يدق نيرون يده فيأخذها الجندى ويقبلها بخشوع وينصرف).

قاضى عظيم : إن قضاة المحكمة العليا يعدون هذا اليوم من أسعد الأيام، فقد منت علينا الآلهة بحياة جديدة بأن طالت حياتك ونجت رومه بأن نجوت من غدر الغادرين، وقد سرّنا أن جرى العدل مجراه ولقى الأثيم جزاء ما قدمت يداه فذاق الكأس التى أراد أن تجرعها، وهكذا كل نفس تستبيح القتل سوف تلقى مصرعها.

نيرون : إن قولك أيها القاضى العادل يفرج الكرب ويقنعنى بأن فى رومه قضاة (يمد له يده فيقبلها وينسحب).

شيخ من مجلس السناتو : مجلس السناتو ملجأ لكل شيخ محنك وقد بغضتنا التجارب فى كل من يغتال النفوس كائناً من كانت، فما بال مولاى لو كانت تلك النفس التى نجت بأعجوبة سماوية هى أعز علينا من نفوسنا .. إننا بنص الدستور الرومانى المقدس نستمد سلطتنا من شعاع من هالة أنوارك الساطعة، وننطق من أعلى منابرنا مدفوعين بقوة بيانك ونشرّع الشرائع ونقنن القوانين بفضل إرادتك الأمبراطورية، فمن يحاول إلحاق الأذى بجلالتك فقد حاول ضرب رومه فى مقتلها، فقتله خير الجزاء ونعم الفعل!

نيرون : كلام الشيوخ .. شيخ الكلام! (يدنو الشيخ ويقبل يده وينصرف).

كاهن : يسمح لى قيصر أن أقدم للآلهة قرباناً فرحاً بنجاته ؟

نيرون : لك ذلك .

بيترون : إذا تنازل قيصر بالقبول أمرت لساعتى بتوزيع القمح والزيت والنبيذ بين الفقراء ابتهاجاً لخلاصه من مؤامرة أهل السوء.

نيرون : لك ذلك يا بترون العزيز.

سنيكا : أما أنا فقد ضحيت بما ضحيت بدون إذن لعلمى بأن قيصر سيقرّ عملى.

نيرون : حسناً فعلت.

بوروس : أما أنا فقد ضحيت وعتقت أربعين رقيقاً.

نيرون : لا تنس يا بترون عتقاء بوروس لئلا يجرعوا فيبغضوا الحرية (يضحك).

رسول : ليحيا قيصر.

نيرون : ما وراءك ؟

رسول : وفود من مدن شتى قدموا ليهنئوا جلالة الأمبراطور.

نيرون : أدخلهم. (يدخلون)

أحدهم : نحن أهل سولوسيا وباكتريا ورافنا ونابولى وبيتيا وجاليليا وقيصرية وقرطاجنا جئنا نحمل إلى جلالتكم أجمل التهانى لنجاتكم من خطر المؤامرة السوداء، وقد ضحينا بعشر ما نملك إنعاماً ومتاعاً وأقمنا الصلوات فى كل مكان داعين للأرباب أن تتقبل أضحياتنا وصلواتنا وأن تطيل حياتك وتسعد أيامك وتنصرك على أعدائك.

نيرون : إن رومه تشكركم وتثنى عليكم، أما أنا فقد أمرت أن تجرى عليكم من الخزانة الخاصة أرزاق تعوض عليكم ما أنفقتم فى هذا السبيل.

أحدهم : لم نبغ بذلك عوضاً.

نيرون : لم يفتكم الأجر من الأرباب ولا الثناء من مولاكم. (يدنو فيقبل يد نيرون). (مستطرداً) .. آه ماذا أسمع؟ هذا صوت منكر .. صوت امرأة .. صوت امرأة تستغيث .. امرأة تقتل .. أسامعون أنتم أيها السادة صراخها؟ .. أجيبوا .. انطقوا ..

بعضهم : لا نسمع شيئاً سوى هبوب الريح.

نيرون : إذن هذا الذى أسمع ليس صوتاً إنما هذيان الحمى !

المنظر الرابع

(ينزل نيرون من هودجه ويقف بين الحاضرين خطيباً)

نيرون : أيها الجنود والقضاة والشيوخ والأعيان والوفود والأصدقاء باسم رومه أشكركم وأعلموا أن دولتكم فى يد جبار عنيد لا يخاف أعداءه قليلاً كانوا أو كثيراً، صغار كانوا أو كباراً، وإننى دائماً لهم بالمرصاد أصيدهم قبل أن يصيدونى وأبطش بهم جهاراً قبل أن يتمكنوا من طعنى بخناجرهم سراً، ماذا يفعل الخنجر فى السيف؟ وماذا تنال الأفعى من التنين .. على كتفى أحمل رومه وفى كفى أرى قلوب أهلها وبين أناملى زمامهم أفراداً ومجتمعين وتحت قدمى هذه أعناق أعدائى الحاسدين فعودوا إلى عساكركم ودساكركم ومحاكمكم ومجالسكم ومدنكم وقراكم وانقلوا عنى أن رومه آمنة مادمت سيدها، ونيرون مطمئن مادام خادم رومه .. حقاً إنهم يتقولون علىّ ويغتابوننى .. إن اغتياب العظماء ونكران فضلهم من صفات البشر ونصيبى من هذا وذاك لا يقل عن أنصبة أجدادى العظماء وأمثالى الأماجد .. يقولون ظلماً إننى قاتل أمى الأميرة أجربين وهذا محض اختلاق إنهم يفترون علىّ الكذب ليشوهوا سمعتى ويصموننى بالعقوق والكفران .. إن ذكر الخبر مجرداً عن جميع ما أحاط به من المقدمات والنتائج ظلم بيّن وإيذاء لى فى عواطف الحب البنوى، كذلك تفصيل الأمر فيه ذكر لسيئات أمى بعد أن قضت، ولكن هل تريدون الوقوف على الحقيقة ؟

أصوات : إننا نعلمها.

نيرون : إننى أدافع عن سمعتى، أليس لأمبراطور رومه أن يدافع عن شرفه.

أصوات : كيف لا ؟

نيرون : لقد بعثت إلىّ الأميرة أجربين بعد نجاتها من الغرق بمعتقها أجرنيوس وهو أقرب العتقاء إليها وأوفرهم نصيباً من ثقتها، فلما رأيته أدنيته واثقاً منه ثقتى من أكثر خدمى أمانة، فإذا هو مسلح بخنجر وقد استله فعلاً وشرع فى الاعتداء على حياتى، فلم أصدق عينى فى بداية الأمر ولكننى رأيت الموت يطل من خنجره فاستغثت وقبضنا على الجانى وأخذنا نحقق معه لنقف على حقيقة حاله ولنعلم حقاً هل أرسلته أمى ليخطف روحى أم هو رسول غيرها من

المتآمرين الأشرار، فعلمت الأميرة الوالدة بهذا الأمر وخشيت افتضاح السر ففضلت أن تموت بيدها على أن تلقاني وجهاً لوجه بعد أن علمت أنها دبرت مقتلي، على أنني وحقكم يا سادة لم أكن أضمر لها سوءاً كنت عقدت النية على العفو عنها وإن كان العفو في مثل هذه الحالة يغضبكم لأنها كانت ترمى بمطامعها إلى الاستيلاء على العرش وقد حاولت بتأثير بالاس أن تحصل على يمين الطاعة من الحرس البريتورى، أكنتم تخضعون يا سادة لظلم امرأة يوحى إليها الشرير بالاس أنواع الشر والفساد؟ .. إنها كانت تبغضكم أكثر من بغضها لي .. إنها كانت تحثني في صباى على ازدراء الشيوخ، وطالما ألحت عليّ في أن أغلّ يدى عن المنح التي كنت أمنحها للجيش والشعب. (أصوات اشمئزاز). (مستطرداً) ألا تذكرون دعاواها الطويلة العريضة ضد أشراف رومه وأعيانها؟ ألا تذكرون أنها حاولت الجلوس على عرش أوجست العظيم أثناء استقبال الوفود الأجنبية؟ .. إنني منعتها إذ ذاك عن السقوط بمجد الرومان إلى الدرك الأسفل، فلم تنس لي تلك الحسنة.

صوت : ورومه لا تنسى لك تلك الحسنة.

نيرون : إن عهد كلوديوس الإلهى كان عهد مجد ورخاء، ولكنه كان منغصاً من حين إلى آخر بالفشل والضيق، فاعلموا إن كل خير تم إنما تم على يدى الأمبراطور، وكل شر وقع إنما خزيه واقع على رأس تلك التي كانت تحركه في الخفاء.

صوت : يا لها من خائنة !!

نيرون : فإذا ضربنا صفحاً عن العواطف البنوية ونظرنا إلى مصلحة الأمبراطورية الرومانية حكمنا بأن موت أجريبين كان من حسن حظنا

صوت : حقاً.

نيرون : أرأيتم بعض البله والغافلين والطائشين ينسبون إليّ محاولة إغراقها قبل موتها، على أن تلك الحادثة التي تعرفون تفصيلها إنما هي بنت المصادفات وأظهر حجة على أنه لم تكن لي فيها يد نجاتها ووصولها سالمة إلى مقرها. فلو إنني دبرت مقتلها ووكلت أمره إلى عدد من

البحارة يقودهم قبطان جسور، أتظنون نجاتها تكون أمراً ســـهلاً؟ .. على أنها هى أول من أساء بى الظن فأرسلت إلىّ خادمها ليغتـــالنى، وكانت نتيجة ذلك أنها ماتت وعاش نيرون.

أصوات : ليحيا قيصر !

نيرون : قيصر يحييكم ! (ينصرفون طائفة طائفة ويبقى لوسيوس وتيجلان)

المنظر الخامس

لوسيوس – تيجلان

نيرون : (إلى لوسيوس) أيها الثعلب لقد تغيرت الدنيا منذ التقينا.

لوسيوس : ولكن وفائى وإخلاصى واجتهادى لم يتغيروا.

نيرون : وفضلى الأمهات تلك التى كانت ترهبنى وتتوعدنى.

لوسيوس :أصبحت أثراً بعد عين وأخنى على ذكرها الذى أخنى على سابينا.

نيرون : لم يكن لك دخل فى القضاء عليها.

لوسيوس : لأن ذلك يتطلب دهاءً وقدرة أقصر عنهما بلا ريب.

نيرون : تقسيم العمل خطة محمودة، إن ما يتطلب مجهود التنين لا يتـــم إلا على يد الثعلب وسأبقيك للخطط الصغرى .. بالاس لا ينغصنـــى الآن سوى اختفاء هذا الخائن.

لوسيوس : لقد ضاع بحثنا عن هذا الداهية !

نيرون : واصل البحث فإننى لا أزال أخشى جانبه. (لنفســـه) نـــيرون الآن تستطيع أن تتزوج من بوبيا، فقد زالت من سبيلك سائر العقبات التـــى كانت تدعو لتأخير هذا القران المنتظر، ولكن قبل الـــزواج الجديـــد ينبغى طلاق أوكتافيا .. لم يدعنى لاحتمالها والصبر على عشرتها إلا فضلى الأمهات .. فلتطلق أوكتافيا ولكن أى مبرر لهذا الطـــلاق؟ .. حقاً إنها ما فتئت نموذج الأزواج ولم تتحـــول عـــن طريـــق العفـــة والاستقامة قيد شعرة، ولكن مجد أبيها ودفاع أمى عنها وحب الشعب الهائل لها كل ذلك بغضنى فيها وجعلها فى نظرى مصـــــدر رهبـــة وازدراء، والآن فلاستشيرن تيجلان. (إلى تيجلان) أنت تعلـــم أيـــها العزيز أن قلبى متعلق منذ حين بسيدة يعادل جمالها شرف نسبها.

تيجلان : أعلم ذلك.

نيرون : ولم يعقنى عن تحقيق حلم حياتى بالزواج منها إلا عقبتـان، عقبـة زالت وأخرى لاتزال وهى حليلتى أوكتافيا، وقد صح عزمى علـى طلاقها ولكنها بيضاء الصحيفة عاطرة الذكر طاهرة الذيل، فهل لديك عذر انتحله لدى الآباء الموقرين استبيح به فراقها ؟

تيجلان : إن نيرون العظيم يطلب خليفة على عرش رومه وهـذه الأمـيرة عاقر وهذا فى شرعنا من أسباب إباحة الطلاق.

نيرون : لا فض فوك ! .. أسرع لساعتك إلى السناتو وأعرض عليهم الأمـر وعُد إلىّ بجواب قاطع.

تيجلان : سأفعل.

نيرون : (إلى رسول) ادع الأميرة بوبيا (لنفسه) سأبشرها بقـرب الـزواج وسيكون فرحها بقربى عظيماً، أليس من العجيب أن يضطر نـيرون العظيم إلى حيلة شرعية وهو فرق الشرائع؟ .. على أننى أغتبط بمثل هذه الحادثة لأنها تدل الشعب على مقدار حبى للعدل والمساواة.

بوبيا : مولاى !

نيرون : شئت أن أحادثك قليلاً فى مشروع زواجنا.

بوبيا : أتوسل إليك يا مولاى ألا تزيد ألمى بذكر هذا الأمل الذى لن يتحقـق، إنك قوى بل أقوى من كل كائن تحت السماء وأنا بجنسـى وحبـى وقلبى أضعف المخلوقات، وتلك القوة من جانبك وهذا الضعف مـن جانبى لم يشفعا لى عندك، فأنت تستبيح فى كل وقت أن تعبث بنفسى المعذبة وتلعب بعواطفى الملتهبة .. أنـت تلـهى نفسـى الظمـآى المتعطشة بذلك السراب الخلاب، وكلما دنوت لأطفى لهيب ظمـآى من غدير حبك العذب أقصيته عنى بحجة أو حيلة.

نيرون : ألا تظنين أن عشرتنا بغير زواج أدعى للتمتع ونحن نجنى فيها من ثمار الحب ما نشاء ؟

بوبيا : أنت لا غبار عليك إذا قيل عنك إنك موضع عشق ألف امرأة، ولكـن امرأة مثلى لا تستطيع أن تسير فى المدينة ولا تلقى سيدة شريفة وجـهاً لوجه، وأن أحقر جارية فى قصرك لأرفع شأناً من أعظم محظية.

نيرون : وأنت أيضاً تنسجين على منوال العامة وتجعلين للعقد الشرعى شأناً وأنت تعلمين أنه ضرب من الأوهام.

بوبيا : ليس فى العالم شأن أعظم من شأن الأوهام لأنها الستار الذى تختفـى وراءه الحقائق.

نيرون : أخشى أن تزول لذة العشق إذا عقد الزواج، فإن لذة العشق ناتجـة عن كونه محرماً !

بوبيا : كلا يا مولاى. إن عشق النفوس التى كنفوسنا شجرة لا تنمو إلا فـى ظل الطمأنينة والأمن، ولا يقتلها شىء مثل التستر والتخفى والتقيـد بالقيود التى تقتضيها حياة العاشقين بغير زواج.

نيرون : ولكن لا يخفى عليك أن زواجنا يقتضى طـلاق أوكتافيـا، وهـذه الأميرة وإن كانت مبغضة إلىّ إلا أننى لا أجد حيلة للخلاص منها.

بوبيا : (تمعن التفكير لحظة) الأمر سهل يجوز لك أن تتهمـها بالزنـا مـع الموسيقار الاسكندرى إيريوس.

نيرون : إليك عنى! ومن يصدق هذه الخرافة .. أوكتافيـا ابنـة كلوديـوس وأخت برنيانيكوس وزوجة نيرون تسلم نفسها لذلك النافخ فى الناى؟!

بوبيا : أنت تجد هذه التهمة صعبة التصديق، ولكن ثق أن الشعب يقبلها عـن طيب خاطر.

نيرون : ولماذا ؟

بوبيا : لأن شريفات النساء أسهل انقياداً للطبقة المنحطة من الرجال.

نيرون : (إلى تيجلان) اكتب إلى الأمـيرة أوكتافيـا كريمـة الأمـبراطور كلوديوس وحليلة الأمبراطور نيرون أنك استهنت بالرباط المقـدس الذى بينكما واستبحت لنفسك الوقوع فى شراك حب دنىء واستسلمت للموسيقار إيريوس الاسكندرى، فهل لديك ما تدفعين به هذه التهمـة المشينة قبل أن يوقع الأمبراطور بك عقاب الزنـى. اذهـب بـهذه الرسالة وحقق تلك التهمة بكل دقة وابذل جهدك فى الحصول علـى اعتراف منها أو شهادة رؤية من الحاشـية وإذا رأيـت ضـرورة لتهديدها أو تعذيب من حولها فلا تتردد.

بوبيا : وإذا لم يسفر التحقيق عن إدانتها ؟

نيرون : هذا أمر لم أفكر فيه.

بوبيا : على أنه ممكن الحصول.

نيرون : وماذا ترين ؟

بوبيا : امل عليه الحكم من الآن ومهما تكن نتيجة التحقيق فالحكم ينفذ لا محالة.

نيرون : أليس فى إصدار الحكم قبل ثبوت التهمة تسرّع يشين العدل.

بوبيا : أراك تتردد فيما يقرب أجل سعادتنا وأنت فى كل ما عدا ذلك ثابت العزم صادق النية قل إذن يا مولاى إنك لا تريد الزواج.

نيرون : (لتيجلان) اكتب باسم نيرون العظيم أمبراطور روما ووالد الوطن صدر هذا الحكم فى قصره. من حيث ثبت على الأميرة أوكتافيا حليلة الأمبراطور من اعترافها وشهادة خدمها أنها فرطت فى عرضها للموسيقار إيريوس الاسكندرى، قد أمرنا بنفيها إلى أقصى حدود المملكة ومصادرة أملاكها عقاباً لها وعبرة لسواها.

تيجلان : ألا يزال للتحقيق ضرورة؟

نيرون : حقق احتراماً للظواهر واحتفاظاً بالرسميات لئلا نتهم بالظلم !! (يخرج تيجلان).

بوبيا : الآن استراح قلبى واطمأنت نفسى.

نيرون : أتعلم الآلهة يا حبيبة قلبى أننى لست قاسياً وليس الظلم من شيمى ولكن الناس اعتادوا اللين والتساهل فهم لا يحبون إلا من ظلم نفسه فى سبيلهم، فإذا رآوا بوادر العدل عدوها ظلماً. أليس من العدل أن أطلق امرأة لا أحبها وأنا أقوى رجل فى العالم، ولكن إذا عرضت هذا الأمر بسيطاً مجرداً عن الأسباب والدواعى التى تطفىء نار حب الاستطلاع المشتعلة فى قلوب الناس قالوا مجنون أفعاله لا تعلل ومخبول لا يسأل عما يفعل فاضطر والحالة هذه لاختلاق الأسباب من حيث لا أسباب، ولما كانت الأسباب الملفقة مرذولة لأنها غير معقولة فهم يصمموننى بالظلم والقسوة ونيرون مظلوم يا قوم ! نيرون مظلوم!

بوبيا : متى كان لرأى الناس هذا الشأن فى نفسك؟ ألا تعلم يا مولاى أنه لا يخشى رأى الجمهور إلا الجبان؟

نيرون : حاشا لنيرون أن يخشى الناس أو يعمل على إرضاء غرائزهم .. إننى إن فعلت ذلك خسرت لذتى وهلكت، ولكن هذا سنيكا قد أصابته

الحكمة بخور العزيمة وفتور الهمة، فكنت كلما استشرته في أمر حسب له ألف حساب وكان لرأى الجمهور المكان الأول فى نظره.

بوبيا : وهل سنيكا ولىّ أمر نيرون؟

نيرون : كلا إنما نيرون لا يستغنى عن سنيكا لأنه معلمي الأول ولأن وجوده بجانبى يهدىء روع الشعب لاعتقادهم أن الأمبراطور لا يصدر أمراً بغير موافقة حكيمه ومستشاره.

بوبيا : نفسى تحدثنى أن الوصاية قد طال استمرارها وصارت لا تلائم سنك وعقلك وكرامتك.

نيرون : سأعمل على زوالها. إن هذا ما تحدثنى به نفسى ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها. أتركينى أخلص من الذين رمانى بهم الدهر واحداً فواحداً لئلا يتألبوا فيصيروا حرباً علينا لا نقدر على صد تيارها الجارف (تيجلان يدخل).

بوبيا : ما وراءك؟ هل أذعنت الأمبراطورة ورحلت؟

تيجلان : خبر يسوء ولا يسرّ. إننى قصدت حجرة الأميرة وقرأت عليها الرسالة الأمبراطورية فأظهرت فى بداية الأمر دهشة عظمى ثم أخذت تبكى ثم وقفت وقفة لا يستطيعها إلا أميرات بيت كلوديوس وأمطرتنى وابلاً من الذم والتكذيب والتأنيب وأدعت إن هذه تهمة ملفقة وفرية باطلة اخترعها الأمبراطور ليتخلص منها، وكان الخلاص منه أحرى به بعد أن فعل بأبيها وأخيها وغيرهما ما فعل.

بوبيا : والجوارى؟

تيجلان : كدن ينهلن علىّ ضرباً لولا أننى لجأت للقوة وعذبت واحدة منهن إرهاباً للبقية، فلم يكن نصيبى من تلك المعذبة إلا قولها إن سيدتى بريئة شريفة وسأبقى على هذا القول لأنه الحق حتى أموت .. إن نيل سيدتى أطهر من فمك وفم مولاك!

نيرون : هل جبنت حيال هؤلائى النسوة وجرؤت أن تنقل إلىّ مسبتى؟

تيجلان : كلا يا مولاى إننى لم أجد داعياً لتلاوة الحكم لعدم انطباق أسبابه على الواقع ولكننى نفذته، ولست أعلم كيف وصل الأمر إلى آذان الشعب ولم أكن أدرى قبل اليوم أن أهل رومه يعتزون بإنسان اعتزازاً ينسيهم واجب الطاعة والاحترام نحو شخص جلالتكم المقدس

نيرون : وماذا جرى؟

تيجلان : إنهم عابوا فى حقك بألفاظ لا تقف بذاتها عند حدّ واعتدوا على تماثيل الأميرة بوبيا فقلبوها رأساً على عقب وزينوا بالأزهار تماثيل أوكتافيا وحاولوا مراراً ضرب الجند وإعادة الأميرة إلى قصرها عنوة وكادوا يفوزون ببغيتهم لولا أن أمرت الجند فشهروا السلاح وحملوا عليهم حملة كاذبة.

نيرون : وأين أوكتافيا الآن؟

تيجلان : لما رأيت السير بها غير متيسر اعتقلتها تحت حراسة الجند فى ثكنة كراسوس.

نيرون : أرأيتم كيف يتداخلون فيما لا يعنيهم من شئونى الخاصة؟

تيجلان : وقد سمعتهم يقولون سحقاً للقاتل وتعساً للمخنث! إن جميع الآلهة تلعن نيرون. إنه لم يأت بمكرمة واحدة وأتى بكل الرذائل!

نيرون : هذا مستصغر الشرر. لأقضيّن على الفتنة وهى جرثومة قبل أن يستفحل أمرها.

تيجلان : بماذا يأمر قيصر؟

نيرون : بالتشديد فى تنفيذ ما عزمنا عليه.

بوبيا : هل أرجأت نفيها؟

نيرون : إليك عنى أيتها السيدة. إن شئون الدولة أهم من شئون النساء. (تقبل يده وتنصرف بخوف).

نيرون : علىّ بأنيستوس الجسور .. وأنت يا تيجلان ردّ الأميرة أوكتافيا إلى قصرها وأطلق أصوات المنادين يعلنون هذا الأمر فى كل مكان وأمنح كل من تلقاه فرحاً بهذه البشرى درهمين ونصيباً من القمح وآخر من النبيذ، وبشر الشعب بالألعاب العامة، وقل للأميرة إنك فعلت ما فعلت بغير إذن قيصر، وأعلم أنه لا يقرنى لشدة تعلقه بك وغيرته عليك وأحسن كل الإحسان إلى الجوارى اللواتى تعدين عليك وكن باشاً فى وجه الناس جميعاً ولاطفهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، واعلم أن من لا تستطيع قصم ظهره اليوم فابتسم له وجاوز القضاء عليه إلى غد. إن غداً لناظره قريب. (يحضر أنيستوس)

المنظر السادس

نيرون : أهلاً يا أنيستوس الجسور.

أنيستوس : مولاى ؟

نيرون : إن أمبراطورك لا ينسى جميلك فطالما أنقذتنى من أعداء كنت استثقل ظلهم وأخشى أطراف ألسنتهم، ويبقى عليك الآن أن تنقذنى من سخافة امرأة متعجرفة ولست فى حاجة إلى تجريد سيفك أو سل خنجرك بل أن الأمر أهون من أن تهز له يدك.

أنيستوس : وكيف يتم إذن يا مولاى ؟

نيرون : حرك لسانك .. اعترف أمام مجلس حافل بعظماء الدولة أنك عاشق أوكتافيا، فإن تم الأمر على ما أشتهى منك أغدقت عليك من الأرزاق والمنح ما لم تحدثك به نفسك ووهبتك قصراً جميلاً فى أجمل بقاع الأرض بعيداً عن رومه، وإن أبيت أو ترددت فإنك ملاق حتفك لساعتك!

أنيستوس : إن طاعتى لقيصر غير قائمة على ترغيبه أو وعيده.

نيرون : إذن إبق فى هذه الحجرة حتى تدعى. (يدخل الحجرة). (مستطرداً) علىّ بترزياس الشيخ ودراكوس الشريف وماركوس منتدب الشعب وسنيكا الحكيم .. إن أمراً ذا شأن عظيم من أمور الدولة يقتضى حضورهم فوراً.

رسول : سنبعث فى طلب كل واحد منهم ثلة من الجند ليصلوا جميعاً فى وقت واحد. (يخرج).

نيرون : (لنفسه) كلوديوس الإلهى! طيّبت الآلهة ثراك! ما أصعب الخلاص منك ومن ابنك وبنتك وزوجتك! هل كتبت علىّ أن أقضى حياتى الطيبة فى القضاء عليكم ليهنأ بالى وتقر عينى؟ .. إن أنيستوس الجسور سيقوم حتماً بما طلبت إليه، إنه خبير بأنواع الفساد وصنوف الشر .. إن الضرورات تبيح المحظورات بل تبيح المحرمات أيضاً .. ما أشقى المعذبين بتبكيت الضمير! سمعت بوروس يقول إنه كوخز الإبر. من حسن حظى أننى فى راحة من هذا الوخز المؤلم.

رسول : حضر الأشراف المدعوون.

نيرون : ليدخلوا (يدخلون) .. أهلاً بكم يا سادة. إن الأمر الذى دعوتكم من أجله من أكبر أمور الدولة شأناً. يسوءنى وحقكم يا سادة أن أوجع مسامعكم بذكر رذيلة جديدة صدرت عن بيت كلوديوس.

أحدهم : متى كان بيت كلوديوس مصدراً للفضائل؟

نيرون : إن الأميرة أوكتافيا فوجئت فى حضن عشيق لها، ونيرون يصرف وقته فى شئون الدولة ويحرم ذاته لذيذ الرقاد فى الدفاع عن الوطن وحليلته الخائنة تبيع عرضها بثمن بخس مع البحار أنيستوس، ولما وقع المذنبان فى يدى بفضل الإله بوليكس الساهر على شرفى أنكرت المرأة واعترف الرجل.

أحدهم : أين هذا الخائن الذى دنس عرض مولاه واستحق سخط الآلهة؟ (يدخل أنيستوس ويبدو عليه رعب مصطنع ويدنو من نيرون ويقبض على يده).

نيرون : تكلم أيها الوغد .. اذكر لنا كل ما تعلم .. إن حياتك هينة فى جنب شرفى .. لقد اعتقلت متلبساً بالجناية واعترفت أمامى فانزع برقع الحياء الكاذب وكن جسوراً إلى آخر الأمر.

أنيستوس : إن جرمى أفظع من أن يعاد الاعتراف به على مسمع من هؤلاء السادة.

أحدهم : إن شرف قيصر وصيانة عرضه من أمور الدولة.

أنيستوس : لقد دعيت إلى حجرة الأميرة أوكتافيا، فلما مثلت بين يديها صرفت خدمها واستقبلتنى بما لا ينتظره قبطان مثلى من حليلة نيرون، ثم حسّنت إلىّ القرب منها والبقاء فى مضجعها، وبعد أن أظهرت لى ما خفى من جمالها.

نيرون : يا لهول ما أنا سامع! يا للعار! انهض أيها الأمبراطور الإلهى من مضجعك وانظر ماذا فعلت كريمتك الطاهرة بشرف خليفتك!

أحدهم : خفف عنك يا مولاى.

آخر : من شابهت أمها فما ظلمت!

نيرون : لا فض فوك .. لقد اختارت لى فضلى الأمهات المرأة الحسناء فى المنبت السوء. أتمم حديثك أيها المعشوق! (يهجم عليه) دعونى أقضى على حياة هذا الرجل قبل أن يقضى على شرفى (يمنعونه).

آخر : إن له شريكة في الجرم فلابد من سماع قولها لنقدر جناية شريكته.

أنيستوس : إنك أمرتني أن أذكر كل شيء.

نيرون : تكلم! تكلم!

أنيستوس : ولما قضينا ليلتنا على أتم ما يكون من الصفاء والسعادة أصبحت الأميرة تطالبني بإخلاص أسطول ميسونوم.

نيرون : الأسطول الذى أنت أميره!

أنيستوس : هو يا مولاى بعينه.

نيرون :خيانة للشرف وأخرى للوطن. لقد عمت البلوى وطفح الإناء ..وبعد؟

أنيستوس : لقد سللت سيفي من غدمه وقلت لها ضعي هذا أنىّ شـــئت مـــن مقاتلي ولكن لا تطلبي إلىّ أن أخون الوطن.

نيرون : إن هذا القول وحده كاف لتخفيف عقوبتك.

أنيستوس : وإننا لكذلك وإذا بالجند قد أحدقوا بنا يقودهم تيجلان.

نيرون : أتسعمون شهادة تيجلان أم اكتفيتم باعتراف هذا الرجل.

بعضهم : اكتفينا.

نيرون : هل ثبت لديكم أيها السادة جناية الزنا في بيت قيصر؟

أحدهم : كل الثبوت.

نيرون : اكتب يا تيجلان باسم نيرون قيصر وأمبراطور رومه من حيث ثبت جريمتا الخيانة والزنا على المرأة أوكتافيا مطلقة الأمبراطور حكمنـــا عليها بالنفي في جزيرة باندانوريا، ومن حيث إن شريكها أنيســتوس خان شرف قيصر مجبراً بعد أن نصبت له أوكتافيا حبائل الشر ثـــم إنه أبى موافقتها على خيانة الوطن بتسليمها قياد أسطول ميسونوم قد راعينا في حقه منتهى الرأفة وحكمنا بنفيه إلى جزيرة سردينيا وليقرأ هذا الحكم في مجلس السناتو ولينادِ به المنادون في كل ناد أخرجـــوا بهذا الوغد إلى حيث لا أراه بعد اليوم (إلى تيجلان سراً)اقتلها وشتت شمل جواريها وصادر كل ما تعثر به في مخادعها من المال والحلى.

تيجلان : (همساً) سأفعل يا مولاى. (يخرج تيجلان وبعده أنيستوس)

نيرون : (مستطرداً) أيها السادة لقد تمت مهمتكم وأنتم ضيوف قيصر.

المنظر السابع

(يدخل رسول ومعه علامة الحداد)

نيرون : ما وراءك؟

رسول : أطالت الآلهة حياة قيصر.

نيرون : فيمن هذا العزاء؟

رسول : القائد بورروس.

نيرون : إن المصائب لا تأتى فرادى أيها السادة، لقد مات شهم يستحق ثناء الوطن .. لم أكن أظن أن التهاب الحنجرة يؤدى بهذا البطل! (يبكى).

أحدهم : (لآخر همساً) هل مات بالتهاب الحنجرة؟

آخر : هذا ما يقال ويقال أيضاً إن هذا الذى يبكيه ويرثيه هو الذى قضى عليه ليستولى على ثروته لأنه لم يترك ذرية.

نيرون : ينبغى لرومه بأسرها أن تبكى هذا القائد الشجاع والمشير الكامل الناصح الأمين .. إن فضائله أكثر من أن تعد وأعماله الباهرة فى ميادين القتال لا حد لها وآراءه فى سياسة الملك يحسده عليها أعظم الملوك (لنفسه) ها نحن نخلص من العهد القديم شيئاً فشيئاً (ثم مستطرداً) فخلدوا يا سادة ذكر هذا الرجل الكريم ولا تضنوا على اسمه بأن تزدان به صفحة من صحف التقويم الرومانى .. لقد مات القائد بورروس عن غير عقب وتركته ترد حتماً إلى الخزانة الأمبراطورية .. ما كان أكرمه وأشرف نفسه .. لقد منحنى فى حياته أغلى ما كان يملك وهو علمه وذكاؤه، وها هو يمنحنى بعد موته ميراثاً لا يستهان به.

أحدهم : العبد وما ملكت يداه.

نيرون : لقد رأيت أن أعين مكانه على رأس الحرس البريتورى القائدين فنيوس روفوس وسوفونيوس تيجلان.

أحدهم : ما أصدق نظر هذا الرجل! .. لقد اختار واحداً مشهوراً بالأمانة والاستقامة وعلو الهمة ليرضى الشعب واختار الآخر مشهوراً بالفساد ودناءة الأخلاق ليرضى ذاته.

سنيكا : مولاى!

نيرون : سيدى الحكيم الفاضل.

سنيكا : لقد مضى علىّ أربعة عشر سنة فى خدمة شخصك الكريم قضيت ثمانى منها وزيراً ومشيراً وقد أغدقت علىّ النعم من متاع وشرف فزينت بكرمك حياتى ووضعتنى موضع الحسد ممن لم ينالوا شأوى، ولم يبق لى يا مولاى لديك سوى مطلب واحد وهو أن تبيح لى أن أقضى ما بقى من أيامى فى القناعة والراحة بعيداً عن مشاغل الدولة ومشاكل السياسة، وقد جرأنى على هذا الطلب علمى بأنك صرت بفضل مواهبك الإلهية ناضج الفكر صحيح العزم صائب الرأى ولست فى حاجة إلى نصح شيخ أحب شىء لديه تعهد حديقته ومطالعة بعض الكتب،فتفضل يا صاحب الجلالة وجد على خادمك المخلص بآخر ما يلتمس من عتباتك السنية .. دام جودك وطال وجودك فى مجد مؤثل وعيشة رضية.

نيرون : أستاذى! إذا استبحت لنفسى أن أرتجل رداً على خطبتك البليغة إنما بقوة استمدها مما استفدته من أدبك الجم وفصاحتك النادرة. لقد دربتنى على الخطابة وأكسبتنى حضور البديهة وسرعة الجواب، وعلمتنى مقابلة الشدائد بصدر رحب ونفس مطمئنة ومرنتنى على حل المعضلات فلا تقف فى وجهى مشكلة ولو كانت أعقد من ظهر التمساح، وأكسبت أسلوبى فى الخطابة والكتابة مرونة تمازجها البلاغة، فيكاد يكون من السهل الممتنع، وعلمتنى من حوادث التاريخ القديم والحديث ما أنار بصيرتى وشحذ قريحتى وأكسبنى خبرة الأجيال الغابرة، هذه نعمك علىّ ذكرتها لا على سبيل الثناء عليك وأن كنت أهلاً لكل ثناء ولكن لأسرك بنضج ثمار جهودك وتكليل أعمالك السامية بتاج النجاح، ولكن لا تنس يا أستاذى العظيم إنك إن تخليت عنى فأنت تجنى على الوطن والدولة لأنك تعيدنى إلى طفولتى الأولى فأشعر أننى ما بلغت مدى العظام، إننى أوتيت ما ذكرت من الفضائل والكمالات ما دمت بجانبى ولكنك إذا بعدت عنى فهيهات أن أصلح لشىء بعد ذلك اليوم المشئوم يوم انصرافك (تغرورق عيناه بالدموع ويضم سنيكا إلى صدره).

سنيكا : مولاى إن قواى تخور حيال هذا الكلام. إننى أضع تحت قدميك كل ما أوليتنى من النعم السابقة وأرد إلى خزائنك الأمبراطورية كل ما أملك من تراث، فإن المال يفنى ورضاك عنى خالد.

نيرون : لا تستعجل إن ثروتك مدت الآلهة من أجلك - ستعود حتماً إلى خزائنى كما ردت إلينا ثروة رفيقك الشهم بوروس لأنك وآسفاه لم تعقب وهكذا العظماء أمثالنا لا يعقبون.

سنيكا : العبد وما ملكت يداه لسيده عاجلاً وآجلاً إنما أريد أن يجيب مولاى سؤالى.

نيرون : حسن .. حسن .. ألزم قصرك وتمتع بشيخوختك المباركة ولكن لا تنس إننى سألجأ إليك عند مقتضى الحال، فلست بعيداً عنى لأنه كلما نأى الحبيب دنا (يتعانقان) .. هذا لا يمنع بقاءك الليلة لأنك ضيفى.

سنيكا : أنا باق. (يدخل تيجلان).

تيجلان : (على جنب) مولاى !

نيرون : ماذا فعلتم ؟

تيجلان : لقد فتحنا شرايينها فلم تقطر نقطة واحدة من دمها فذبحناها وعدنا برأسها!

نيرون : لماذا فعلت ذلك؟

تيجلان : إن السيدة بوبيا أصرت على أن ترى رأسها!

نيرون : إذا كان الأمر كذلك فحسناً فعلت وهل أحصيت التركة؟

تيجلان : تربو على ألف سستر عدا الجواهر والحلى.

نيرون : طيبت الآلهة ثراها كانت مدبرة مقتصدة .. هذا يوم الخلاص من العالم القديم فى يوم واحد، مات بوروس واستقال سنيكا وماتت أوكتافيا (إلى الحاضرين) أيها السادة إنكم ضيوفى فى هذه الليلة .. أعدوا شراباً ورقصاً .. إن لدىّ سراً عظيماً سأقترن غداة غد بالسيدة بوبيا، فلتدع إلى مجلسنا ولتحيا بلقب أمبراطورة رومه! (تدخل بوبيا باحتفال موسيقى ويحدث رقص وغناء ويتناول نيرون قيثارته)

أحدهم : الشعر الإلهى !

نيرون : هذا يومه سأنشدكم آخر ما نظمت .. وصف حريق طروادة!

الجميع : كلنا آذاناً صاغية.

نيرون : (ينشد) .... عنى أيا قوم الهوان أفرنقعــــــــوا

أفلم يبرح فى مقامكم الكـــــــــــدر

لا أبصرت عيناى حرق معاقلـــى

من لى بقربى قبل ذلك فى سقر!

تيجلان : ما أجمل هذا الشعر! ما أبلغ هذا الأسلوب! ما أبدع هذه القوافى.

آخر : لو اختار الخلود قصيدة تمثله لم يجد أسمى مما سمعنا.

آخر : ليس هذا الشعر من صنع البشر .. إنه صوت الآلهة فى العلى حركت به أفصح لسان إنسانى!

نيرون : (إلى بترون) بترون .. مالى أراك صامتاً؟ هل ملك عليـــك حســن النظم قدرة النطق؟

بترون : كلا إنما أرى أحق بهذه الأبيات الضئيلة الركيكة والمفككة.

نيرون : (بحنق مكتوم) ماذا ترى فيها من العيوب الفنية؟

بترون : (بعدم اهتمام) لا تصدق ندماءك فيما يصوغون لك مـــن عبـارات الثناء. إنهم لا يدركون شيئاً فى الشعر.

تيجلان : ليس حسن الذوق وقفاً على أحد.

آخر : الآلهة حصرت مواهبها العليا فى رب البدع ..

نيرون : لا تقطعوا عليه حديثه. إننى أحب الصراحة .. تكلم بحرية.

بترون : تسألنى عن عيوب هذه القصيدة من الوجهة الفنية وتحرجنى بـــهذا السؤال، ولكن إذا أردت الحقيقة المرة فاسمعها .. إن هذه القصيــــدة تكفى لتخليد ذكر فحول شعراء الرومان أمثال فيرجيل وأوفيد بل تكفـــى لتمجيد ذكر هوميروس لأنها لا تقل فى شيء عن الإلياذة، ولكنـــها لا تليق بعبقريتك الإلهية. من يكون أوفيد وفيرجيل وهومـــيروس فـــى جنب نيرون؟ .. هؤلاء شعراء ذوو مواهب إنسانية، أما أنت فإله من الآلهة وعبقريتك روحانية أولمبية فلا تعر أذنك لثناء تيجلان أو إعجاب لوكان، فهذا تمليق ظاهر. إننى أطلب إليك شعراً أعظم من هذا لأنـــه على قدر العبقريين الجبابرة تكون ثمار أفكارهم. إن الأجيال القادمـــة تطالبك بشعر يليق بما منحتك الآلهة من الذكاء والفصاحـــة وســمو

الأفكار ولكنك يا قيصر ألزم بالكسل منك بالمجد الخالد وهذه عـــادة الأرباب فى العلا، تنام نهارك وتسهر ليلك وواجبك نحونـــا ونحـــو رومه ونحو الإنسانية يقضى عليك بأن تدأب وتنتج لتخرج لنا مـــن كنوز نفسك الغنية مالا يخرجه إلا الجد والعمل، فأنت يا من تسـتطيع أن تخرج للناس شعراً باقياً ما بقيت لغات البشر أقـــول لـــك علـــى رؤوس الأشهاد وأمام هؤلاء الذين لا يعرفون قدرك فيقنعون بـــالقليل من فضلك أننا ننتظر منك خيراً مما سمعنا.

نيرون : مهما عظمت المواهب التى جادت بها علىّ الأربـــاب فـــأنت أيـــها الصديق الحبيب المخلص المتفنن فى نظرى أجلّ وأعظم من مواهبى .. أنت وحدك تستطيع أن تقول الحق فى وجهى. وهـــا أنـــا أعمـــل بنصحك (يهم بإشعال القصيدة بالنار).

بترون : (يقبض على يد نيرون ويأخذ الشعر قبل أن يحترق) كلا كلا إن هذه القصيدة وإن كانت غير جديرة بعبقريتك إلا أنـــها أصبحـــت ملكـــاً للإنسانية فأعطنى إياها.

نيرون : دعنى إذن أبعث بها إليك فى علبة تليق بهديتى إليك. حقاً لقد فتحـت عينى إلى ما كنت عنه عمياً. إن وصفى لحريق طروادة ليس بـــالقوة التى كانت تجول بنفسى، على أننى كنت أحسب أنه يعادل وصـــف هوميروس. أتعلم مصدر عجزى فى الوصف؟ لابد للمتفنن إذا شـــاء أن يصنع تمثال إله من الآلهة من نموذج ينقل عنه التقاطيع والملامح الظاهرة ثم يضيف إليه من الصورة النفسانية التى لا يراها ولا يشعر بها سواه، وقد رأى هوميروس حتماً مدينة تحترق أما أنا فلم أر لسوء الحظ هذا المنظر الذى يجول فى نفسى، فأنىَّ لى أن أصف شيئاً لـــم يقع عليه نظرى.

بترون : إذا صحّ هذا الرأى من الوجهة الفنية فقد أتيت فى قصيدتك بمعجـزة لأن الوصف على ضعفه آية فى الإبداع، إن فى نفسك قوة تشـــرف بها على ما لم تحط به علماً.

نيرون : أجبنى يا بترون هل أحزنك إحراق طروادة؟

بترون : كلا وحق نبكال حليل الزهرة، فإنه لولا ذلك الحريق ما دوّن آشيل رواية بروميتيه، ولولا حرب طروادة ما نظم هوميروس شعر الإلياذة، وإننى أفضل بقاء رواية آشيل وديوان هوميروس على بلد حقير كطروادة.

نيرون : هذا قول ينطوى على العقل والحكمة. إن الضحايا مهما عظمت وجلت قليلة فى جانب الفنون الجميلة وينبغى للمتفنن أن يبذل فى سبيل فنه كل شيء، فما أسعد حظ الشاعر الذى رأى بلداً تلعب به النار!

تيجلان : إذا أمر قيصر أحرقنا له أنتيوم، فإن عزت عليك قصورها وبساتينها أحرقنا السفن الراسية فى خليج أوستى، وإلا فإنى أشيد لك على قمة جبل البان بلداً من الخشب ثم تشعل فيه النار بيدك.

نيرون : (باحتقار) أنا أقنع بحريق سفن قديمة أو بلد ملفق من أخشاب بالية؟! أهذا مقياس عبقريتى فى نظرك؟ ما أضعف إدراكك وما أبعد فكرك عن تصور معانى الجمال.

بترون : وما أصغر عبقريتك فى اعتباره.

نيرون : هذه رومه وقد أقبل الصيف وانتشرت الرطوبة فى أرجائها وانبعثت من حواشيها ودروبها روائح الوباء الجارف.

تيجلان : إن النار تطهر كل شيء.

نيرون : إن جدران رومه منقوشة بمثالبى والعيب فى حقى شعراً ونثراً فقد وصمونى بأنى قاتل أمى وأخى وإننى وحش فى صورة إنسان، لأنك يا تيجلان أعدمت نفراً من أعدائى بأمرى، إنهم ينسبون إلىّ القسوة وبالغوا فى تقبيح أعمالى بحيث أصبحت أسيىء الظن فى نفسى وأسائلها أقاسية أنت أيتها النفس الطيبة الهادئة المطمئنة فتجيبنى نفسى كلا إنما الناس لا يدركون قيمة أعمالى. قد يكون فى عقاب الجناة قسوة، ولكن العقاب قصاص على جريمة، فالفعل قاس والنفس حنون كريمة، قولوا لمن يصمنى بالقسوة أن يشهدنى وأنا أسمع أنغام الموسيقى إننى إذن لألطف من طفل وأكثر وداعة من حمل!

تيجلان : إن رومه لم تستطع تقديرك حق قدرك.

نيرون : إن عقلى ليس كعقل غيرى من بنى الإنسان ويخيل إلىّ أن الآلهة خلقت عقول بعض الناس دميمة قبيحة وبعض العقول جميلة بديعة فعقلى جميل.

تيجلان : ما أصدق هذا القول!

نيرون : إن عقلى مصنوع من مادة ثمينة نادرة كالجواهر الكريمة وعقولكم مصنوعة من القصدير أو .. أو .. أو

تيجلان : الصفيح !

نيرون : الصفيح أحسنت .. فهذا العقل الجوهرى اللؤلؤى الياقوتى الزمودى الزبرجدى يرى ويدرك ما لا تدركه العقول القصديرية الصفيحية النحاسية وتفتح له حتماً أبواب اللانهاية فإذا فتحت أمامى هذه الأبواب فى كل عام مرة أرى لمحة من لمحات الجمال والجلال التى لا أستطيع التعبير عنها وإن استطعت فإنكم لا تدركونها فأشعر بأننى من طينة غير طينتكم .. إنهم يقولون عنى إننى مجنون !

تيجلان : من ذا الذى يجرؤ على هذا؟

نيرون : كلا! دعهم إن كمال العقل اللؤلؤى يسمى فى نظر العقل القصديوى جنوناً. إذا كنت مجنوناً فى نظركم فهذا أعظم فخر لى والويل لى إذا رضيتم عنى ووصفتمونى بالعقل والتؤده. إننى إذن أكون فى نظر نفسى مضيعاً. إن عقلى يسبق قلبى، فلذا ترانى أريد أن أرى ما لا يخطر على بالكم. وأريد أن أشعر وأحسّ بما لا تحدثكم به نفوسكم. وها أنا اليوم أشعر بأن أبوب اللانهاية ستفتح لى لحظة فأرى فيها بريق الجمال الأعلى .. إن الآلهة تأبى ألا أن أضحى لها بما هو أعظم فلتكن إرادة الآلهة.

تيجلان : علام صح عزمك؟

نيرون : ستدرك من إرادتى القيصرية معنى كل ما تقدم لأن أفعال الآلهة اليوم تفسر أقوالهم بالأمس. أعلم يا تيجلان أنه يوجد شخصان فى جلدى أنت الآن ترى قيصرين تحت هذا التاج، الأول هو الذى يراه كل الناس ويخافون بأسه وبطشه والثانى هو المتفنن الذى لم يدرك حقيقة أحد سواه، إن الأول هو الذى يخاطبك الآن والثانى هو الذى

ينشب أظفاره بهول أشد من هول المنية ويشعل النيران فـــى المـــدن العظمى فتلتهب وتتأجج حتى تمتزج دموع ساكنيها بأمواه أنهارها ..
أف أفٍ ماذا أصابنى!

تيجلان : قيصرٍ !

نيرون : ما أثقل العبء الذى أحمله على كاهلى.

تيجلان : أى عبء تعنى؟

نيرون : أرأيت يا ذا العقل القصديرى أننى أنوء بحمل عبء السلطة المطلقة وأكلّ دون حمل العبقرية.

تيجلان : إذن خفف عن نفسك وهوّن.

نيرون : لا يخف حملى ولا يهون إلا إذا نفذت أرادتى الآلهة لساعتها.

تيجلان : تنفذ حتماً.

نيرون : لتحرق رومه.

تيجلان : ستشتعل النار فى أرجائها فى أقل من لمح البصر.

نيرون : ابدأ بأحياء الفقراء لأتمكن من مشاهدة النار عن بعد وليكون لـــدى من الوقت ما يكفى لنظم أغنيتى الجديدة وتوقيع أنغامها على قيثارتى.

تيجلان : لك ذلك. (يخرج تيجلان).

نيرون : (إلى رسول) علىّ بعذارى النار. (يجلس متأملاً وتدخـــل العـــذارى فيرقصن وينشدن نشيد النار).

المنظر الثامن

(يدخل رسول)

رسول : قيصر !

نيرون : ما وراءك ؟

رسول : (يُذعر الحاضرين) رومه تحترق وقد أخذت النار بمعظم أطرافها.

نيرون : (ناهضاً بفرح)وافرحتاه! لقد أتاحت لى الأرباب رؤية مدينة تلتهب!!

بترون : لقد أرادت الآلهة أن تنظم قصيدتك بما يطابق الحقيقة.

نيرون : أتسهل علينا مشاهدة النار من شرفة القصر؟

رسول : مولاى لقد صارت رومه نافذة من الجحيم، وقد صعد الدخان فـــى أرجائها فاختنق معظم السكان واحترق منهم عدد كبير ولقد جن الناس

من هول المنظر فتراهم يلقون بأنفسهم في وسط النار ومن بقيت له مسحة من العقل يهيم على وجهه حتى إذا قطع النهر سبيله ألقى بنفسه فيه فامتلأ التيبر بجثث الغرقى .. لقد ضاعت رومه فيالشقائها!

نيرون : لا أريد رسلاً ينقلون إليّ أخبار النار ويفسدون عليّ جمال المنظر بعويلهم. ابعثوا بمن يأتي بالأخبار مجردة كأنها أخبار معركة .. إننا في معركة بين الآلهة والبشر لسنا في مأتم ..

أحدهم : سنوفد من يأتي بالأخبار تباعاً ويلقيها بغير تعليق.

رسول : إن النار ..

أحدهم : بغير تعليق.

رسول : النار اشتعلت في الحي المجاور للملعب الأكبر وقد غادرتها وقد تفشت في وسط المدينة وهي تعدو على الأحياء حياً بعد حي بقوة لا تقاوم.

نيرون : اذهب وعد بجديد من أخبارها.

رسول : إن وادي التيبر مشتعل كأنه صفحة من المعدن المحمي وقد سترته الغيوم فأخفت عن الناظرين مدن الوادي وقراه وغدرانه وحقوله وأشجاره، وفي طرف الوادي تبدو رومه كأنها كتلة من اللهب وقد رأيت في بعض جهات المدينة كتلاً سوداء متحركة فاستبنتها فإذا هي جماعات من السكان تحاول الفرار ولا مفر لها، ثم رأيت الدخان المتصاعد وقد سد على النظر أقصر المدى فحجب جبال سابين فكأن المدينة محصورة بجيش من النار لا تجد لها مخرجاً.

نيرون : أسرع ثم عد إلينا بأخبار جديدة. (يخرج ثم يعود بعد فترة وجيزة).

رسول : لم أر في سبيلي في هذه المرة إلا بغالاً وحميراً وخيلاً محملة أمتعة شتى تماشي فقراء السكان وقد ازدحمت بهم الطرق وكل يحمل على كاهله ما استطاع إنقاذه من ألسنة اللهيب المندلعة، وقد بدأ بعضهم ينصب الخيام لإيواء النساء والأطفال والمرضى ممن لا عائل لهم، وعلمت أن المصارعين والأرقاء ينهبون المنازل التي اشتعلت فيها النار ويستبيحون أعراض الضعفاء من أربابها، فإذا قاومتهم امرأة أو عذراء قتلوها شر قتلة، وقد رأيت بعضهم يلقون بالأطفال إلى النار أحياء يصطلونها فرجوتهم أن يجهزوا عليهم قبل إحراقهم رحمة بهم!

نيرون : لا أريد تعليقاً من عندك أيها الأبله .. لقد أفسدت عليّ جمال المنظر .. من ذا الذى دعاك إلى تقييد حرية الناس وقد أطلقتها الطبيعة؟ .. ألا تعلمون يا سادة أن عويل الطفل المحترق صوت من الأصوات التى خلقتها الطبيعة ينبغى أن تسمع أصوات الألم. إن الموسيقى فى احتياج لها وأنا محتاج إلى الموسيقى.

أحدهم : انقل الأخبار بغير تعليق.

رسول : إن صوت النار مرتفع فى كل مكان فهو أعلا من قرقعة المنازل المتهدمة وأرفع من صراخ الرجال وعويل النساء، لقد سقطت رومه حيال قوة النار وديست شرائعها تحت الأقدام وذهبت رهبة القانون من قلوب السكان وقد اختلط الحابل بالنابل وزالت أنظمة الاجتماع الرومانى بل تفككت روابط الحب الإنسانى، فالزوج يضحى بزوجه لينجو والأم تهجر طفلها إذا عاقها عن الخلاص، وكل إنسان لا يسأل إلا عن نفسه، وقد رأيت أرقاء الشيخ دراكوس يضربونه بالهراوات على رأسه ليسلبوه الثروة التى أراد الفرار بها، ورأيت فرقاً من المصارعين سكارى بالخمور التى سلبوها يعتدون على أعراض النسوة على مقروعة الطريق، ورأيت أسواق الرقيق تتهدم جدرانها وتحترق أبوابها فتخرج رهائنها التى كانت بالأمس معروضة للبيع وهم يباركون آلهة النار ويبتهلون لها لأنها كانت سبباً فى إطلاق سراحهم وخروجهم من نير العبودية.

نيرون : هذا قانون الطبيعة، مصائب قوم عند قوم فوائد. ألم تر منهم من يضرب من كان مولاه بالأمس إن فى هذا معنى شعرياً جميلاً.

رسول : رأيت هؤلاء الأسرى من سائر بقاع الأرض ينتقمون من رومه كلها، فهم ينفثون سم أحقادهم فى كل من يلقون فى طريقهم، وإن لهم رطانة تصمّ الآذان، فليس بينهم واحد يعرف لغتنا فهم بين أسيوى بهى الطلعة وأفريقى منحوس السحنة وبربرى مفتول العضل أشقر وإغريقى يصلح للفراش قد تواطؤا على السكان الآمنين وصبوا عليهم جام غضبهم وغضب شعوبهم الذليلة.

رسول : جئت بآخر أخبار النار.

نيرون : تكلم.

رسول : إنهم يقولون إن الأمر بها قيصر وأنه لا يوجد فى رومه من يقدم على هذه الجناية سواه ولا يجرؤ على تنفيذها غير تيجلان وقد شاهدوه فى الطرق معتلياً صهوة جواده ينظم وسائل الحريق لا وسائل الإطفاء وشاهدوا جنداً يشعلون النار فى جهات شتى من البلد فإذا انتهرهم الناس أجابوا إنما هم ينفذون أمر قيصر، وشاهدوا هؤلاء الجند يقتلون كل من يقرب من النار أو يحاول إطفاءها.

نيرون : إنهم معذورون، إن الشعب الرومانى محدد الذكاء فلا بد له من أن ينسب هذا الفعل الجليل لفاعل فلا يرى أمامه أقدر منى ولا أشجع من تيجلان.

رسول : وسمعتهم يهتفون ليمت قيصر ليهلك الأمر بالحريق بين اللهب ليسقط قاتل أمه وأخيه!

نيرون : ما رأيكم يا سادة؟

بترون : لابد من نشر إشاعة تحول التهمة عن قيصر.

نيرون : وكيف يكون ذلك؟

بترون : نطلق المنادين ينادون أن المشترى أمر بركان فأشعل النيران فى بطن الأرض وأن فستا انتقمت من رومه على ما حل بروبريا، وبهذه الحيلة نخلى مسئولية قيصر ونحول نظر الشعب الهائج نحو آلهته.

نيرون : هم وشأنهم مع الأرباب .. ليس لقيصر دخل فى هذا الموضوع .. المشترى وبركان فستا وروبريا .. لا فض فوك. أطلقوا إذن أصوات المنادين بما أشار به بترون. ألم أقل لكم منذ برهة إن هذه المعركة بين الآلهة والبشر. أما أنا وأنتم فعلى الحياد.

أحدهم : ها هى النار قد دنت وأصبحنا نراها ظاهرة.

بترون : هذا حلمك يا قيصر قد تحقق! (يتناول نيرون قيثارته ويغنى).

نيرون : المدينة تشتعل. رومه تلتهب وعن قريب تختفى آثارها وتضيع معالمها. أيتها المدينة الخالدة! أيها البلد المقدس لقد ظنوك باقية دهوا فوق دهر، ولكن الأرباب أرادت لك الزوال. أنت ملكة العالم ولكن ملكك لم ينقذك من الدمار. لقد ذهبت رومه ونيرون باق!

الجماعة : ليحيا قيصر العادل الرحيم!

رسول : لقد أدركت النار جميع الهياكل فاحترق معبد هرقل واشتعلت النار في معبد المشترى وستانور وكذلك التهمت معبد القمران. رومه التى قضى الرومان عشرة قرون فى تأسيسها وتشييدها تختفى لحظة فلحظة.

نيرون : (يغنى) لقد ذهبت رومه ونيرون باق! أيها البلد الخالد يا مهد آبائى وأجدادى. أيها الوطن العزيز لقد أكلتك النار وذكراك تشعل قلبى!

الجماعة : لقد ذهبت رومه ونيرون باق. (تصفيق شديد من الشيوخ والندماء والوزراء).

الشعب : (من أسفل شرفات القصر)ليسقط نيرون القاتل! ليسقط نيرون الآمر بالحريق!

نيرون : أرأيتهم يا سادة كيف يقدر الشعب مواهبى الفنية! أرأيتم كيف يقابلون أعظم قصيدة نظمتها؟

أحدهم : إن القضاء عليهم عن آخرهم أخف علينا من غضبك وانفعالك.

نيرون : لقد ضاع شعرى على هؤلاء الحمقى.

أحدهم : إن حرسك الأمبراطورى على قدم الاستعداد.

نيرون : ما رأيك أيها الصديق؟ ما رأيك أيها القائد؟

بترون : إن جندك بلا ريب موضع ثقتك.

روفوس : إذا وثقنا من الإخلاص يخوننا العدد.

الشعب : ليسقط نيرون! (تسمع أصوات حجارة تلقى).

أحدهم : ها هم قد شهروا أسلحتهم.

رسول : إن الشعب الهائج سائر نحو القصر بسرعة وكلهم مسلحون بالأسنة والرماح والسيوف وقد حمل النساء سهاماً وأقواساً وهروات وأحجاراً كباراً. (يسمع صوت الشعب والأحجار ويدخل تيجلان).

نيرون : ما وراءك.

تيجلان : إن الخطر محدق بالقصر.

نيرون : واخوفاه! يا لها من ليلة مشئومة. النار تأكل البلد والشعب هائج إذن لا مفر لنا من الحرب! مر الحرس الأمبراطورى بالهجوم عليهم من غير إنذار ولا تهديد ..

الشعب : (من أسفل) بترون بترون رب البدع وصديق قيصر.

بترون : (يخطب فى جموع الشعب) أيها الشعب الرومانى. إن قيصر يذرف الدمع السخين على ما لحقكم من غضب الآلهة. لا تصدقوا ما يتهمه به أعداؤه وأعداؤكم. سننشأ المدينة من جديد. ستفتح لكم حدائق لوسولوس ومسينا وأجريبينا وغداً نبدأ بتوزيع القمح والزيت فتشبع بطونكم وتدفأ أجسامكم، وبعد غد ستقام حفلات الألعاب العامة وأثناء الألعاب ستولم الولائم وتوزع الأموال فيصيبكم من الغنى ما لم تحلموا به قبل اليوم.

الشعب : الخبز والألعاب!

بترون : سيكون لكم ما تطلبونه. أعدكم باسم قيصر بتوزيع الخبز وإقامة الألعاب.

الشعب : ليحيا قيصر!

نيرون : لقد هدأ الشعب .. ها هم يهتفون! ما أسهل صنعة الملك فى رومه!

تيجلان : (لنيرون) لقد أمرنا بالهجوم ولكن الجيش أضعف من الأمة.

نيرون : ما العمل إذن؟ ما العمل؟ أتشتركون معى فى أحداث الكرب ولا تساعدوننى فى تفريجه!

تيجلان : خاطب شعبك من شرفة القصر فلعل روعهم يهدأ.

نيرون : لعل وعسى؟ أتجعل حياتى أيها النذل رهينة لعل وعسى؟ ألا تخاف أن تصاب حنجرتى بسهم يمزق أوتارها؟ ألا تخشى أن يهشم فمى حجر كبير فتفقد رومه فى يوم واحد ماضيها وسيدها ويفقد العالم أعظم متفنن؟ .. لا أجرؤ أن أخاطبهم. لا أستطيع الظهور أمامهم. (الشعب يحدث جلبة وصراخ وتهديد).

نيرون : أليس فيكم رجل رشيد؟ أليس فيكم خطيب شجاع؟

بترون : سأنوب عنك.

نيرون : لا عدمتك. أنزل بينهم وعدهم خيراً. بشرهم بكل شىء. (ينزل بترون ثم يعود) أحسنت أيها الصديق (يضمه إلى صدره) .. اسمحوا لى يا سادة أن أغنى النشيد الأخير من أغنيتى .. لقد ضاعت رومه.

الملحنون : ولنيرون البقاء.

نيرون : الخلود لي وحدي.

الملحنون : وهذا نعم العزاء.

ستار

الفصل الخامس

المنظر الأول

أحدهم : تتساءل عن نبأ نيرون في مدينة نابلي؟ إن حب الأمير للظهور بمظهر المتفننين قد ملك عليه نفسه وأمنيته الوحيدة أن يغني ويوقع على قيثارته ويمثل دور أوديب على مرأى ومسمع من الشعب الروماني.

آخر : علمت أن له مطمحاً آخر وهو الفوز في حلبة المصارعة والسبق في امتطاء الجياد وقيادة المركبات السريعة.

أحدهم : صدقت أن للأمنيتين على نفسه سلطاناً، لذا أعزم على أن يصارع ويجالد ويسابق في أثينا ويغني ويطرب ويمثل في رومه ولكنه شاء قبل أن يظهر أمام الشعب الروماني في عاصمة ملكه أن يعجم عود جمهور مدينة نابولي فسافر لهذه الغاية منذ عشرين يوماً.

آخر : وكيف كان تمثيله؟

أحدهم : لقد سيق أهل المدن والقرى المجاورة لذلك الاحتفال سوق الأغنام وبثت عليهم العيون والأرصاد ووزعت الجند بين ظهرانيهم فكل من يظهر الاستياء أو سبق لسان بكلمة قارصة أولا يبالغ في إظهار الإعجاب بذلك المهرج الأمبراطوري أنزل الجند به أشد العقاب .. أمبراطورنا يلهو وشعبنا يئن من مظالمه !! لذا تراني أستنجد بالأرباب كلما اجتمعنا وأدعوها أن توفقنا في عملنا.

آخر : يظهر أن الآلهة قد أجابت دعاءك .. فأننا لم نترك يوماً دون اجتماع هنا في مقره.

أحدهم : هذه فرصة فريدة هيهات أن تسنح فرصة تعادلها.

آخر : حقاً إننا إن لم نفز ببغيتنا ونتمكن من القضاء على الطاغية فقل علينا وعلى رومه السلام .. لقد أقبل الشريف المقنع الذي نعرفه جميعاً ولا يجرؤ على ذكر اسمه.

المنظر الثانى

(يدخل المقنع)

المقنع : طاب ليلكما يا سيدى.

الاثنان : طاب ليلك أيها الشريف.

المقنع : عما قليل يصل سوبريوس فلافيوس وسولبيسيوس أسير.

أحدهم : علمت أن سولبيسيوس أسير مريض وقد يتعذر عليه الحضور.

المقنع : التقيت به منذ هنيهة ولابد من حضوره.

آخر : سمعت أنيوس لوكان الشاعر يقول إن فى اجتماعنا فى قصر قيصر خطراً عظيماً.

المقنع : إن الشعراء يعيشون فى الخيال وهو يخشى أن يكتشف أحد أمرنا وهذا أمر مستحيل. من نحن؟ نحن سوبريوس فلافيوس وسولبيسيوس أسير نائبان منتخبان عن الشعب الرومانى وأنيوس لوكان شاعر الأمبراطور ونديمه وبلوتيوس لانترنوس قنصل رومانى وأنتما فلافيوسيفينوس وأفرانيوس نيتكانوس عضوان فى مجلس الشيوخ وكل من ذكرت من عظماء الدولة ولهم حق دخول القصر فى أى وقت شاءوا بنص الدستور وبأمر الأمير.

آخر : ولكن يوجد اثنان غيرنا.

المقنع : أما أنا فلا أحضر إلى هنا إلا فى محمل على أعناق العبيد وللمحمل ستور تخفينى وأما الآخر سيدنا ومولانا كايوس بيزو المرشح للأمبراطورية فلا يراه أحد وهو ملازم قصره كما أجمعنا رأينا.

آخر : ألا تخشى جاسوساً أو مخبراً. فقد علمنا أن شاطراً منهم يقتفى أثرنا وأن له أعواناً يمدونه بأخبارنا وهو يعمل منفرداً دون الشرطة الرسمية.

المقنع : إن الجواسيس والمخبرين الذين يخشى أمرهم يصحبون نيرون أنى حل، وأما خدم القصر فكلهم فى قبضة يدى، على أن اجتماعنا فى مكان آخر قد يلفت الأنظار وينبه الأذهان أكثر من لقائنا فى القصر.

آخر : يروى عن طبيريوس الجبار أنه كان يقتل كل من يلقاه فى قصره بدون علمه أو بدون إذنه وكان يقول ليس فى رومه مكان أفضل للمؤامرة على الأمبراطور من قصر الأمبراطور ذاته.

المقنع : حقاً لقد كان طيبريوس .. ها كما رفاقنا (يدخل كل من باب ويتبادلون التحية ويجلسون) أيها الأشراف والنبلاء بلغتني اليوم رسالة تتبىء بقرب عودة الطاغية. لهذا أرى أنه قد آن الآوان للاتفاق على وسيلة للقضاء عليه. إن معايبه وذنوبه وجرائمه أمست لا تعد وفى بقائه على عرش رومه مذلة لنا وحطة فى شرفنا.

أحدهم : بل أن فى ذلك خطراً على حياتنا وأموالنا وأعراضنا يتهددنا فى كل لحظة.

المقنع : وقد انضم إلينا منذ جلستنا الأخيرة توليوس ستيسيوس أحد رجال البلاط وسرناريوس بروكوليوس الضابط الشهير وأنطونيوس ناتاليس صديق الطاغية وفنيوس روفوس.

كلهم : فنيوس روفوس! قائد الحرس البريتورى؟

المقنع : نعم فنيوس روفوس بعينه.

أحدهم : ألا ترى بين هؤلاء من قد يخون دعوتنا؟

المقنع : باركت فيكم الآلهة! أتحسبون يا سادتى أن واحداً منا أو من هؤلاء الذين ذكرت يضع يده فى أيدينا ليتآمر على قيصر حباً فى رضانا أو طمعاً فى بدرة مال نجود بها عليه؟إن لكل منا نحن المتآمرين غرضاً نسعى إليه، فسيدنا ومولانا كايوس بيزو من أشرف بيوتات المجد وأجدر الناس بالإمارة طامع وحق له أن يطمع فى عرش رومه. وهذا المطمع وحده كاف لانضمامه إلينا وأنتما أيها النائبان (يشير إلى سوبريوس سولبيسيوس) مدفوعان بدافع حب الوطن وحب الخير لرومه، وأنت أيها الشاعر (إلى أنيوس) يسوقك حقدك على الطاعنين لأنه ضيق عليك سبل المجد وأمر بمراقبة شعرك ومنع نشر ديوانك لأنك لم تعترف له بالتقدم عليك، وأنت أيها القنصل النبيل (إلى بلوتيوس) يأبى عليك مجد آبائك وشرف نفسك أن تعيش فى ظلال الظلم، ففى عروقك تجرى دماء الأبطال الأول، وأنتما أيها الشيخان الجليلان (إلى فلافيوس وأفرانيوس) تعلمان ما يشعل نار الحقد فى قلبيكما على ذلك الطاغية الذى لم يحترم بيتاً ولم يصن عرضاً.أما أنا فلو ذكرت لكم كل ما يدعونى للتآمر عليه لقضينا الليلة دون أن نصل

إلى غايتنا من هذا الاجتماع فلا تدهشوا إذن يا سادة إذا أتيتكم غـــداً بأسماء غير هذه، إن الأرض والسماء والهواء والنار لو اســـتطاعت لتآمرت عليه.

أحدهم : إن الصواعق تنقض والسفائن تغرق والقبور تبعثر ألا يكفـــى هــذا دليلاً على غضب الآلهة؟

آخر : إن ما تقوله حق لا يقبل الشك إنما دهشتنا ناشئة عن خوفنا من الخيانة.

المقنع : أصبت .. إننى أشدكم حذراً، وحيث قد وكلتم لـــى أمــر انتخـــاب الأعضاء وقبولهم فلا تخشوا شراً (ينظر) لقد أقبلت حليفتنا الجديدة.

آخر : نحن مقتنعون بصدق نظرك.

المنظر الثالث

(تدخل امرأة مقنعة)

المقنع : أيها السادة أقدم لكم السيدة أبيكاريس امرأة شريفة بمبدئها ومقصدهــا محبة لوطنها مخلصة فى أقوالها حازمة فى فعلها.

المرأة : أيها الأشراف والنبلاء. الواقفة بين أيديكم جارية ليس لها من شرف المحتد ما يجعل لاسمها فى نفوسكم هيبة ولكن قلب المرأة موضـــع سر الآلهة، وقد جعلت الآلهة من قلبى معبداً لحب الوطن. انظـــروا إلى وجهى (تكشف عن وجهها) إننى فى مقتبل العمر وعلى نصيــب وافر من الحسن واستطيع أن أعيش سعيدة بحب الرجال لو رضيت، ولكننى وقفت شبابى وحسنى على محاربة الظلم.إننى أضحى بحياتى فى سبيل رومه إن صوتى الضعيف قد يصل إلى قلوبكم ويفعل ما لا يفعل صوت قائد عظيم أو أمير كريم، لأن صوتى خارج من أعمــاق قلبى ولأن الإخلاص رائدى ولأن فؤادى خلو من المطامع، فلســـت أرمى إلى العرش أو إلى المال أو إلى المجد إنما أرمى إلى غـــرض واحد وهو إنقاذ الوطن من الطاغية نيرون. وقد علمت باجتماعكم من حيث لا خطر يتهددكم فصحت عزيمتى على أن أمثل بيـــن أيديكـــم وأضع روحى تحت تصرفكم، فمروا بما شئتم فى هذا السبيل.

المقنع : أيتها السيدة النبيلة ليس للمرأة مفخرة بغـــير قلبـــها وقلبـــك كبـــير وغرضك سام ونفسك عالية وعواطفك شريفة، حديثك كقطر النـــدى

جدد في نفوسنا ما جدد وقد فكرت أثناء خطبتك التي ستبقى ما بقيت لغتنا في أن نعهد إليك بأمر الاستيلاء على أسطول ميسنيوم الذي يقوده القبطان فولوسيوس بروكيلوس. لقد كان هذا القبطان لدى مقتل أجربين بحاراً وقد اشترك في الجناية فكافأه نيرون بمنصبه الحالي ولكنه غير راض عن هذه المكافأة.

أبيكاريس : سأسعى في هذا السبيل من غداة غد ولست أسأل عن الغرض إنما لكم إن تسألوني عن التنفيذ .. لقد أحييتم آمال نفسي وأدعو لكم أن تحيي الآلهة نفوسكم إن في موتي حياتي مادام جهادي في سبيل رومه. (تخرج).

أحدهم : لم أر امرأة أصدق منها لهجة!

آخر : ولا أقوى منها قلباً.

آخر : ولا أسمى غرضاً.

المقنع : قد نخون بعضنا بعضاً ولكن هذه المرأة تبقى كتوما إلى آخر نسمة من حياتها .. قد آن أوان عودة نيرون فلنبارح هذا المكان للاتفاق على خطتنا (يخرجون).

أحدهم : لدينا الآن ثلاث خطط، أولاها أن يقتل الطاغية وهو يغني على الجمهور في محفل عام والثانية أن ننتهز فرصة خروجه للنزهة ليلاً فنشعل النار في القصر ثم نأخذه على غرة وهو بلا حرس ولا حاشية، والثالثة الخطة التي أوكلنا أمرها إلى تلك الفتاة.

المقنع : أليس لدينا خطة أخرى؟

أحدهم : لقد تعود الطاغية أن ينزل في أحد قصور سيدنا كايوس بيزو في أرباض بابا ويكون إذ ذاك بغير حرس ولا حاشية ويستطيع أحقر الأرقاء أن يخمد أنفاسه وهو في سكره.

آخر : إن سيدنا ومولانا يأبى علينا هذه الخطة، إن نفسه أرفع من أن تقبل إهراق دم ضيفه على مائدته وفي بيته حتى ولو كان الدم دم قيصر. أتؤذون كايوس بيزو في ضيفه؟ أنسيتم كرم الرومان؟

أحدهم : صدقت أن عاصمة الدولة هي أليق مكان بالقضاء على الظالم. إن رومه مهد الحرية فلا يصح أن تحرم منه مشهد مصرع الطاغية إن

الرجال الذين يبذلون نفوسهم في سبيل الوطن، ينبغي لهم أن يتموا عملهم على مرآى ومسمع من سائر أهل الوطن.

المقنع : إنني أرى أن ننتهز فرصة الاحتفال بالألعاب العامة في عيد سريس وقد تعود نيرون أن ينزوى في قصره في ذلك العيد فيستأذن عليه رفيقنا لاترنوس الشجاع الحازم ثم يدنو منه كمن يلتمس مرحمة أو شفاعة ثم يجثو أمامه علامة الخضوع حتى يبلغ قدميه فيقلبه رأساً على عقب، فإذا حاول النهوض منعه وحينئذ نهجم جميعاً وننقضي عليه بخناجرنا.

سيفنيوس : أريد أن أكون أول من يطعن بخنجرى الذى استحضرته من معبد إلهة القوة في أنترويا، فها أنا أحمله حتى أقضى به حق الحرية.

أحدهم : لقد طال عليه القدم وعلاه الصدأ.

سيفنيوس : الليلة يشحذه رقيق جديد اشتريته منذ بضعة أيام وهو أدنى من وثقت بهم من خدمي لما أرى فيه من الطاعة والذكاء.

المقنع : ما رأيكم في هذه الخطة؟

الجميع : موافقون.

المقنع : أما سيدنا ومولانا كايوس بيزو فيكون في ذلك الوقت في هيكل سيريس نفسه حتى يحضر إليه فينوس ورفاقه ليأخذوه إلى معسكر الحرس البريتورى فيخطب فيهم وينادى به أمبراطوراً على رومه.

الجميع : ليسقط الظالم. ليهلك نيرون الطاغية وليحيا بيزو ولتحيا الحرية!

المقنع : والآن يخرج كل واحد من باب وحذار يا سادتى من الاجتماع في الطريق. (يخرجون).

المنظر الرابع

(تسمع أبواب وأصوات وجلبة ويدخل نيرون باحتفال عظيم وعلى رأسه أكليل الغار ومعه الحاشية)

نيرون : ألم أقل لكم يا سادة إن الشعب الرومانى شديد الغيرة، لقد عز عليهم أن يحظى أهل نابولى بسماع صوتى ومشاهدة تمثيلى قبلهم وهذه المظاهرة تدل على ذلك. إنهم فرحون بعودتى وساخطون لحرمانهم من فنى، ولكن فرحهم يربو على سخطهم.

أحدهم : ليس في الإمكان أحسن مما كان.

آخر : لقد جمعت الآلهة سائر الفنون في شخصك.

نيرون : لقد كنت تعباً من وعثاء السفر على أنني أستطيع أن أبلغ من الاتقان مدى أقصى مما شاهدتم ولا تحبطوا همتي بهذا الثناء بل شجعوني ولطلبوا المزيد إن في هذه الحنجرة أنغاماً لم يسمع لها مثيل في الكون ولكل مجتهد نصيب. لقد أنهكت قواي ولكنني جنيت الثمرة التي كنت أرجوها. والآن أشكركم يا سادة قد آن لنا أن نستريح من تلك السياحة المجيدة. وستكون حجتي إلى أثينا أحفل من هذه وأبهى.

رسول : يحيي قيصر!

نيرون : ما وراءك؟

رسول : غريب عن رومه عليه سيماء اليسار والعظمة يريد المثول بين يدي قيصر.

نيرون : فليقابل أيبافروديت كاتم أسراري.

رسول : أبى ألا أن يلقاك بذاتك لأن لديه أسراراً ذات شأن لم يشأ أن يفضي بها لأحد سواك.

نيرون : ولكنني قادم من السفر وحنجرتي متعبة.

رسول : قال إن أبطأت في لقائه فرت الفرصة.

نيرون : إذن فليدخل ولكن إلحاحه يريبني. فتشوه أولاً لعله يكون حاملاً سلاحاً خفياً. اعلموا إن حياتي منذ اليوم ليست لي إنما هي لأبناء المستقبل لأن حنجرتي ..

تيجلان : سأقف على حقيقة حاله ثم أعود به.

نيرون : حسناً تفعل (يخرج تيجلان ثم يعود بالرجل. ينظر إليه نيرون شزراً).

نيرون : ما وراءك أيها الغريب؟ أراك مرتدياً ثياباً أفريقية أمن مصر أنت؟

الغريب : كلا بل أنا من قرطاجنة يا صاحب الجلالة.

نيرون : ما الذي تريد من لقاء قيصر؟

الغريب : إن لدي سراً عظيماً لا أبوح به إلا على انفراد.

نيرون : هذه حاشيتي ولا يخفى على أحد منهم شيء من أسراري.

الغريب : إذا أمر قيصر عدت أدراجي دون أن أبوح بكلمة مما أنا حامل.

نيرون : تيجلان هل حييت هذا الضيف؟

تيجلان : لقد وفقت في تحيته فلا خوف عليه من الانفراد بك.

نيرون : إذن يا سادة اتسمحوا لنا بالانفراد (يخرجون) تكلم لا يسمعك أحد سواى.

الغريب : يملك عبدك أرضاً واسعة الفضاء فى قرطاجنة وقد عثرت بها على كهف عميق، فلما نزلت إليه ألفيته مملوءاً بالقطع الضخمة من الذهب الخام ورأيت فيه أعمدة من ذلك المعدن النفيس تعلو على أعمدة هذا القصر، فلما رأيت ذلك الكنز العظيم كدت أجن من الدهشة والفرح فثبت نفسى إلى أن أفقت من غشيتى ثم بادرت إلى إخفاء مدخل الكهف وعدت إلى منزلى تنتابنى الحيرة وتتناهبنى المخاوف فنمت فرأيت فيما يرى النائم شيخاً وقوراً فسألته عن حقيقة هذا الكنز لعلى أهتدى بحكمته فقال لى أعلم أن ديدون ملكة فينيقيا لما فرت من صور وأسست مدينة قرطاجنة دفنت ثروتها فى أعمق بقعة من الأرض خشية أن يطمع فيها أمراء نوميديا فقلت له ولمن يكون ذلك الكنز الدفين فأجابنى على الفور إنه لسيدك ومولاك نيرون أمبراطور رومه ليزداد مجده ويعظم شأنه ويكون أغنى ملوك الأرض. هذا هو السر يا مولاى وقد جئت أضع تحت أقدامك تلك الثروة التى حبتك بها الآلهة منذ القدم ولا أريد أن يكون لى فيها نصيب ويكفينى رضاك.

نيرون : (ينهض) مرحى! مرحى! ما أكرمك أيها الغريب وما أشد وفاءك. إن أمبراطور رومه لا ينكر الجميل. ستكون وزيراً لى. أتظن هذا الأمر سراً ينبغى كتمانه.

الغريب : خفت أن يبادر إلى الكنز أحد فيسلبه شيئاً فشيئاً.

نيرون : تخشى أن يسرقوا كنزى، أيجرؤ أحد على أخذ مالى؟ أيسرق ذهبى وأنا فى رومه. لقد صح نبأ لوكاست وصدق المنجمون. لقد تكهنوا لى بثروة طائلة أنالها. فلتكن تلك الثروة على يديك.

الغريب : برئت ذمتى واستراح ضميرى فالسر سرك والمال مالك.

نيرون : إلى يا سادة أطلقوا أصوات المنادين فى المدينة وبشروا شعب رومه بالخير العميم طالما ناءوا بالضرائب وفجعوا من مصادرة أموالهم فى مصلحة الدولة. ليتهم صبروا فإن نجم نيرون في صعود. لقد وجدت الكنز الذى كنت أبحث عنه. هاكم الذهب الذى كنت أنشده. إن الثروة الطائلة التى أريدها مدفونة على مسيرة يوم واحد من رومه لقد جعلت هذا الغريب .. ما اسمك أيها الحبيب؟

الغريب : كاسيليوس باسوس القرطاجنى.

نيرون : (مستطردا) لقد جعلت السيد كاسيليوس باسوس الرومانى أميناً على خزائنى مدبراً لبيت المال ووزيراً لديوان الدخل والخرج .. تيجلان اخلع عن هذا القنصل الرومانى ثيابه الأفريقية ولفعه بحلة أرجوانية وأمر أن يرفع له تمثال فى هيكل المشترى وأن يؤرخ يوم ميلاده فى التقويم واهتفوا أيها السادة (يهتفون معه) ليحيا كاسيليوس باسوس .. مروا رجال الأسطول أن يعدوا سفائن خفيفة لتقل سبائك الذهب من قرطاجنة إلى رومه وافتحوا حدائقى للشعب وأولموا وليمة كبرى ومروا أن تقام الصلاة فى الهياكل ومروا الشعراء أن ينظموا القصائد فى هذا المعنى إن الآلهة لم تكتف بما منحتنى من المجد والقوة فأمطرت علىّ سبائك الذهب. أرأيتم حسن حظى؟ أرأيتم بركتى؟ أرأيتم علو نجمي. سطروا صحيفة بأسماء الأشراف الذين قعد بهم الدهر. سأمنح كلاً منهم ما يغنيه وأسرته جيلاً بعد جيل. سأهدم هذا القصر وأشيد مكانه قصراً دعائمه ذهب. سأصنع لنفسى تماثيل من ذلك المعدن النفيس. سأضرب نقوداً جديدة باسمى وصورتى كلها من الذهب. مروا بمصادرة نقود الفضة والبرونز فليست رومه بعد اليوم فى حاجة إليها.الذهب شعارنا منذ اليوم. وأنت يا تيجلان وهبتك مائة ألف قطعة من الذهب كذلك أنت يا بترون، أنقلوا هذا الخبر السار إلى الأمبراطورة بوبيا واطلبوا إليها أن تتفضل بالحضور لتشاركنى فى فرحى. واأسفاه على أن أعدائى ماتوا قبل أن يعلموا بهذا الخبر فيزدادوا غيظاً على غيظهم من لى بإخبارهم فى قبورهم أن نيرون أصبح أغنى أهل الأرض كما هو أعظم متفنن تحت السماء. (تسمع أصوات من تحت القصر).

الشعب : بشرى لقيصر! ليحيا قيصر! نريد الألعاب والحدائق.

نيرون : هل نشرتم الخبر؟ ها هو الشعب ينادى ويهتف سأخرج لهم هذه المرة. (يطل من الشرفة ويسمع الهتاف بصوت عالى) لقد مات الفقر. سأوزع عليكم الذهب. لقد وجدت الكنز الدفين. طيبوا نفوساً وقروا عيوناً. سأنشىء لكم حمامين أفخر من حمام كاراكلا. (تدخل بوبيا ويضمها إلى صدره) زوجتى المحبوبة لقد فرجت الأزمة وزال الضيق.

بوبيا : لازال نجمك فى صعود وحظك فى سعود.

نيرون : سأضع لك ولابنتنا تماثيل من الذهب.

بوبيا : إن تخليد ذكرك هو أعظم ما تصبوا له نفسى.

نيرون : أيبافروديت أيها الكاتب الحاذق ها هى الإلهة أولما ربة الحساب والأعداد قد أمطرت أرقاماً لا نهاية لها. عليك بإعداد دفاتر ضخمة تقيد فيها قيمة الذهب الذى عثرنا عليه.دوّن ديواناً جديداً وسمه ديوان الكنوز وانتق عشرة أو عشرين أو ثلاثين من أمهر الرياضيين ليكونوا تلاميذ إقليدس بل أيقظ إقليدس من رقاده، إن عظامه لتطرب فى قبرها من ذكر هذه الأرقام.

المنظر الخامس

نيرون – مليكوس (الذى هو لوسيوس) – سفينوس – ناتاليس

رسول : يحيا قيصر.

نيرون : ما وراءك؟

رسول : رجل بالباب يريد أن يمثل بين يدى جلالتك.

نيرون : علىّ به لعله اكتشف كنزاً آخر. (يخرج الرسول ويعود بالرجل).

مليكوس : مولاى! إن لدى سراً أريد أن أفضى به إليك.

نيرون : (بسرعة للرجل) هل اكتشفت كنزاً فقد غاض المال فى خزائنى.

مليكوس : كلا بل اكتشفت ما هو أكبر شأناً من الكنز. اكتشفت مؤامرة!

نيرون : ماذا تقول؟ .. أتركونى مع هذا الرجل وتبقى الأمبراطورة وتيجلان (يخرج الجميع مندهشين).

نيرون : تكلم الآن بإيضاح ولا تخف شيئاً.

مليكوس :تزييت بزى رقيق فاشتراني سفينيوس وكسبت ثقته وبالأمس حضر إلى دار سيدى السيد أنطانيوس ناتاليس وخلا به زمناً طويلاً، فلما انصرف أخذ سيدى يدون وصيته ثم ختمها وأمر بإعداد عشاء ممتع وأعتق على المائدة عدداً كبيراً من أرقائه وأعطى من استبقاه في الرق عطايا من المال وكان السرور بادياً عليه على غير عادته، ثم أخذ يقبل زوجته وأولاده بشغف وانفعال كأنه يودعهم فتبدو عليه الكآبة إذ ذاك ثم يعود إلى ما كان عليه من الانشراح المصطنع، ولما أن نهض عن المائدة ونام أهل البيت دعاني إليه وأمرني أن أعد أربطة لتضميد الجراح ولفائف لقطع النزيف ثم سلم إلى ذلك الخنجر وأمرني أن أشحذه وسمعته يقول كمن يناجي نفسه تباركت الآلهة التي أبقت على هذا الخنجر.

نيرون : (باضطراب) ما رأيكم؟

تيجلان : يعتقل سيفنوس ويستحضر فوراً.

نيرون : قم أنت بهذا العمل. (يخرج تيجلان) .. وعند صفو الليالي يحدث الكدر. مجد عظيم ومؤامرة جسيمة (إلى مليكوس) أيها الثعلب العتيق حذار أن يكون بلاغك كاذباً. إني أعاقب المفترى عقاب الجاني. أحذر أن يكون طمعك في مرضاتي دافعاً لك على هذا البلاغ. إن إذاعة هذا الخبر مضرة بسمعة الأمبراطور والدولة.

مليكوس : هاكم الخنجر الذى تسلمته من سفينوس لشحذه وقد وقع كل ما رويته وأنا مصمم على بلاغي.

نيرون : حسن سنرى إن كنت كاذباً فستلقى عقاب الكاذبين وإن كنت صادقاً فلك عندى جزاء عظيم. (يدخل تيجلان وخلفه سفينوس الذى تبدو عليه الدهشة عند مشاهدة رقيقه الخائن).

نيرون : أيها السيد سيفنيوس أتعرف من هذا؟

سيفنيوس : هذا رقيق جديد اشتريته.

نيرون : أيها الرقيق لوسيوس أتعرف من هذا؟

مليكوس : هذا سيدى سيفنيوس.

نيرون : إن رقيقك يتهمك بالتآمر على قتلي ويؤيد دعواه بهذا الخنجر الذى أمرته بشحذه.

سيفنيوس : (بعد إطراق طويل) إن هذا الخنجر أثر مقدس ورثته عن آبائى وقد احتفظت به تخليداً لذكراهم وكان فى غرفتى إلى أن سرقه هذا الرقيق.

نيرون : هل حررت أمس وصيتك وختمتها؟

سيفنيوس : تعودت التغيير والتبديل فى نص وصيتى وكلما عدلت فيها أعدت تحريرها وختمها بغير قيد للأيام والمواقيت.

نيرون : هل اعتقت عدداً من أرقائك أمس ومنحت سواهم منحاً كبرى من المال وكنت تقبل أهل بيتك بشغف وانفعال كأنك تودعهم؟

سيفنيوس : لقد عودت أرقائى الكرم فما هذه بالدفعة الأولى التى أعتقت فيها من أعتقت ووهبت ما وهبت، أما تقبيل أولادى فأمر فطرى ولم أعلم أنه دليل أو قرينة على الإجرام.

نيرون : لقد أسرفت فى نفقة بيتك وأعددت عشاء فاخراً.

سيفنيوس : يعلم الناس والجان أننى لا أدخر وسعاً فى إتقان ما يقدم على مائدتى ولدىّ طاه إغريقى أدفع له ألفى درهم فى العام.

نيرون : هل أعددت أربطّة ولفائف لتضميد الجراح وقطع النزيف.

سيفنيوس : لا علم لى بهذا.

نيرون : إذن تنكر ما ينسب إليك ذلك الرقيق من تآمرك على مولاك.

سيفنيوس : إن التهمة كاذبة والمُبلغ جاسوس دنىء أعوزته الحجة فاخترع تلك القرائن وليس لديه على صدق ما يقول أقل دليل، فضلاً عن أنه فاسق فلا تقبل شهادته.

نيرون : (إلى مليكوس الذى هو فى الحقيقة لوسيوس) ما قولك فى دفاع مولاك؟

مليكوس : يسأل عن اجتماعه بأنطونيوس ناتاليس.

نيرون : لابد أن تحقق هذه المسألة على انفراد .. تيجلان علينا بأنطونيوس ناتاليس. (يخرج تيجلان). (إلى سفنيوس) هل التقيت بأنطونيوس ناتاليس ؟

سيفنيوس : إنه صديقى وكثيراً ما ألتقى به.

نيرون : ماذا دار بينكما من الحديث فى اللقاء الأخير؟

سيفنيوس : تحدثنا عن عيد سريس وحفلة الألعاب العامة وذكرت له إننى لا أستطيع مشاهدة هذه الألعاب وأفضل قضاء العيد فى دارى.

نيرون : هل هذا كل ما دار بينكما؟

سيفنيوس : لا أذكر غير هذا الحديث (يدخل تيجلان ومعه أنطونيوس ناتاليس)

نيرون : متى التقيت بصاحبك هذا لآخر مرة؟

ناتاليس : لا أذكر يا مولاى.

نيرون : يقول إنكما التقيتما أمس فى منزله.

ناتاليس : نعم لقد نسيت.

نيرون : أى حديث دار بينكما؟

ناتاليس : تكلمنا فى أمور شتى.

نيرون : مثلاً ؟

ناتاليس : مجلس الشيوخ.

نيرون : وغيره؟

ناتاليس : وعن سياحة جلالتك المباركة إلى نابولى وقدومك السعيد.

نيرون : ألم تذكر شيئاً عن حفلة الألعاب العامة فى عيد سريس؟

ناتاليس : كلا يا مولاى كلا لم يدر بيننا هذا الحديث.

نيرون : تذكر جيداً.

ناتاليس : لم تذكر تلك الحفلة بشىء مطلقاً.

نيرون : يقول رفيقك إنها كانت موضوع حديثكما دون سواها.

ناتاليس : كلا كلا لقد خانته ذاكرته.

نيرون : الآن ظهر الحق. إن اختلافكما نقمة عليكما.. تيجلان قيدهما بالحديد وعذبهما أو يعترفا.(يستحضر الحديد وتستحضر آلات التعذيب).

ناتاليس : (وقد خارت قواه) أريد الاعتراف على شرط العفو لأننى واقف على تفصيل المؤامرة وملم بها وأستطيع أن أخدم التحقيق.

نيرون : تكلم إذن .. من رأس مؤامرتكم؟

ناتاليس : كايوس بيزو المرشح للعرش وسنيكا رأس الفتنة والمحرك لنا رجل مقنع لا يعرفه أحد.

نيرون : ما شأن سنيكا؟

ناتاليس : ليس بيزو إلا آلة في يد سنيكا لأن الحكيم هو الطامع فى عرشك دون سواه يريد أن يكون فيلسوف رومه وملكها فى آن واحد.

نيرون : اكتب يا تيجلان كايوس بيزو والحكيم سنيكا (إلى ناتاليس)ومن أيضاً

ناتاليس : وسفنيوس وسبريوس وأنيوس لوكان والمرأة أبيكاريس.

نيرون : ومن أيضاً؟

ناتاليس : إن الرجل المقنع يحمل بياناً بأسمائهم.

نيرون : ومن من رجال الجيش أو الحرس البريتورى؟

ناتاليس : قيل إن فريقاً من الضباط قد انضم إلى الجماعة وسمعت اسم فينوس روفوس همساً.

نيرون : ومن أيضاً؟

ناتاليس : إذا ذكرت أمامى أسماء غير هذه أو رأيت وجوهاً فلعلى أذكر ذويها لساعتى.

نيرون : سيفنيوس لقد شهد عليك شاهدان رفيقك ورفيقك ألا تزال مصراً على الإنكار؟

سيفنيوس : الاعتراف أنفع. اكتبوا عدا من ذكر كنكتيانوس وسينو.

نيرون : والرجل المقنع؟

سيفنيوس : رأيته ولا أعرفه ولعل سواى يدلك على حقيقة أمره.

نيرون : ومن أيضاً؟

سيفنيوس : لا أعرف غير هؤلاء.

نيرون : اكتب أسماءهم وأرسل فى طلبهم جميعاً دون الأولين وأبعث إلى بيزو وسنيكا من ينبئهما بأن سرهما عرف ومؤامرتهما افتضحت وأن الأفضل لهما أن يموتا لساعتهما!

المنظر السادس

رسول : مولاى! إن بالباب قبطان أسطول ميسنيوم يريد المثول بين يدى جلالتكم.

نيرون : علىّ به. (يدخل القبطان). ما وراءك يا كليسيوس بروكليس؟

بروكليس : إن امرأة تدعى أبيكاريس وأظنها معتقة حاولت أمس الاستيلاء على قلبي فلما استسلمت لها أفضت إليّ برغبتها في الاستيلاء على الأسطول للإيقاع بقيصر.

نيرون : وأين تلك المرأة؟

بروكليس : أحضرتها مقيدة وهي في حراسة بحارين بباب القصر.

نيرون : علينا بها ولنشر الجند في أنحاء رومه .. سدوا سبلها بالخيل والجند ولنشروا الحرس البريتوري في شوارعها وأزقتها وهددوا كل عابر سبيل بالقتل واقتلوا كل من يبدى مقاومة عليكم بالإرهاب. إن الدولة وحياة الأمبراطور في خطر. افتحوا أبواب السجون وسلّوا سيوفكم من أغمادها وانصبوا آلات التعذيب فقد آن أوانها. (تدخل المرأة).

نيرون : أيتها المرأة أبيكاريس يتهمك القبطان فوليسوس بروكلوس بأنك حاولت الاستيلاء على أسطول مسينيوم.

أبيكاريس : ومن يكون فوليوس بروكلوس.

نيرون : هو قبطان ذلك الأسطول الحاضر لدينا الآن.

أبيكاريس : إن هذا البحار قاتل ويداه لاتزالان ملطختين بالدماء ولا تقبل شهادة جان على امرأة بريئة. ثم انظر أيها الأمبراطور أي خير في الاستيلاء على أسطولكم؟

نيرون : تقصدين الإيقاع بي.

أبيكاريس : إن رجلاً أعظم من كل رجل في رومه قد استعان بالبحر والأسطول وبمئات من الرجال ولم يستطع أن يوقع بامرأة فكيف بي وحدي أستطيع الإيقاع بك أيها الأمبراطور.

نيرون : الاعتراف أو التعذيب .. ستعذبين أيتها المرأة.

أبيكاريس : إن التعذيب لا يخيفني مادمت أقول الحق.

نيرون : أين روفوس رئيس الحرس؟ (يحضر روفوس). ابعث إلى سنيكا .. قد آن له أن يموت وخير له أن يكون مصرعه بيده لا بيد سواه. (يبدو اضطراب في الحاضرين - يدخل تيجلان وخلفه أعضاء المؤامرة فيزداد الهرج والمرج وينظرون جميعاً شزراً إلى فنيوس روفوس).

تيجلان : الشاعر أنيوس لوكان .. السيد سبريوس .. السيد .. السيد ..

نيرون : مرحى مرحى يا سادة! من المخلص من شعبى إذا كنتم قادة المؤامرة؟ومن يكون لى سواكم؟ كلكم عظيم وكلكم صديق. هل فعلت بكم ما فعل يوليوس قيصر ببروتوس وسنيا؟ أم سلبت رومه حريتها وحقوقها؟أم سقت الشعب سوق الأنعام لتشييد هرم أو تحويل نهر؟ هل هتكت أعراضكم أو سلبت أموالكم؟ هل انتهكت حرمة الأرباب أم أغلقت فى وجوهكم أبواب المجد؟هل اضطهدتكم أو خنت وطنكم؟ .. إن الآلهة تعلم وأنتم تشهدون أن رومه لم تحظ بمن هو أعدل منى وأرحم. لقد ظلمتمونى وغدرتم بى. إن الغدر وخيم العاقبة.

أبيكاريس : لقد فعلت كل هذا !

نيرون : صمتاً يا امرأة .. أيها القائد روفوس باشر تحقيق التهمة مع كل على انفراد ودوّن أقوالهم فى سجل لتكون حجة عليهم.

سفنيوس : أبدأ بى أيها القائد فأنا أول المتآمرين وقد اعترفت بعد رفيقى ناتاليس دقق فى تدوين قولى ولا تخن أمانة التحرير. (الكل ينظرون إليه بدهشة).

روفوس : أيها المتهم سفينوس أكمل اعترافك.

سفينوس : لا يعرف سواك من تفصيل هذه المؤامرة أكثر مما تعرف وتستطيع الآن أن تظهر إخلاصك لعرش أميرك بالاعتراف.

بعض المتهمين : تكلم يا فنيوس روفوس أنت تعرف أكثر منا. (يبدو على روفوس اضطراب شديد).

نيرون : ما لك قد اضطربت أحقاً ما يقولون؟ كاسيوس أقبض على القائد وكبله بالحديد (يتم هذا الأمر) .. إذن أباشر التحقيق بنفسى وأنت يا سبريوس فلافيوس.

سبريوس : أتظن أيها الأمير أن رجلاً مثلى تعود خشونة الحرب وشجاعة الجند يجتمع إلى نفر من المخنثين أمثال هؤلاء الذين اعترفوا بجرمهم قبل أن يمسهم أقل أذى؟

نيرون : تدعى الشجاعة وأنت أجبنهم. ألم تقسم لى يمين الطاعة؟ لقد ساءك اعترافهم عليك.

سبريوس : أتجرؤ على ذكر يمين الطاعة وأنت لا تعرف ما هو القسم؟ أعلم أنه لا تجب طاعة لمثلك. لقد جاء حين من الدهر على جيشك وكل جندى فيه يود لو يبذل نفسه فى سبيلك وكنت إذ ذاك صبياً محبباً محترماً ثم أبغضناك منذ رأيناك جانياً تقتل أمك وخائناً حين تشين سمعة زوجك ثم تقتلها بغير ذنب ولا علة واحتقرناك مذ جعلت من نفسك سائقاً للخيل فى حلبة السباق وممثلاً على مرأى ومسمع من الجمهور ومجرماً لا يرضى غريزته الشيطانية إلا إحراق المدائن وعاقاً تقتل أستاذك بغير دفاع وسلاباً نهاباً لا يقف طمعك فى مال الأمة عند حد.

نيرون : سأذبحك.

يسبريوس : إنك قادر على إهراق دمى ولكنك عاجز عن إخماد صوتى.

نيرون : أنت يا سمبسيوس أسير لماذا تآمرت على قتلى؟

سمبسيوس : لأن فى القضاء على حياتك قضاء على الشر.

نيرون : وأنت أيها الرفيق العزيز لوكان. ألست نديمى وشاعرى هل أدركتك غيرة من نظمى؟ ماذا تقول الأجيال القادمة إذا علمت أن لوكان الشاعر تآمر على مولاه نيرون؟

لوكان : إن أمى هى التى حسّنت إلىّ التآمر على قتلك .. قاتل الله الأمهات!

نيرون : بالوالدة إحساناً حتى ولو كانت سبباً فى هلاكك.

أحدهم : أنت أحق بهذه النصيحة من سواك ولكن وقتها قد مضى لأنك لا أم لك. (يدخل رسول).

رسول : لقد بلغنا رسالة جلالتك إلى الحكيم سنيكا.

نيرون : قصّ علىّ بالتفصيل كل ما حدث له.

رسول : قال لأصحابه الذين كانوا حوله ترون أيها الرفاق عجزى عن شكركم. إننى أترك تاريخ حياتى نموذجاً تنسجون على منواله وهو أثمن ما لدىّ فاعتزوا به.لقد حاولت أن أكون مثال الفضيلة والصداقة والإخلاص. فبكى الحاضرون وهموا بتقبيله فقال لهم أين مبادىء الفلسفة وأين تعاليم الحكمة. ألم تتعلموا بعد كيف تقابلون المصائب بصدر رحب وعزم ثابت ونفس مطمئنة؟ هل كانت قسوة نيرون

مجهولة لديكم؟ لقد قتل أمه وأخاه ولم يبق له إلا أن يقضي على أستاذه ومشيره.

نيرون : (مقاطعاً) فلسفة وكلام فارغ. أكمل حديثك.

الرسول : ثم ضم زوجته إلى صدره وقبلها قبلة الوداع ثم أمر ففتحت شرايينه فلم تقطر دماً فأعددنا له جرعة من الساج فقال وهو في النزع وافرحتاه إنني أموت بالكأس التي مات بها سقراط. وأمر فنقلناه إلى حمام البخار فأخذ يرش أرقاءه بالماء ويقول ها أنا أتوضأ إكراماً للمشترى إلهي ومنقذي من آلام الحياة.

نيرون : هذه جملة جميلة. لقد عرف كيف يموت.

أبيكاريس : ليتك تتلقى عنه هذا الدرس الأخير فتريح العالم من شرك.

نيرون : تيجلان خذ هؤلاء جميعاً واقطع رؤوسهم .. أما هذه المرأة فاقطع لسانها قبل إعدامها .. أما لوسيوس صاحب الفضل في إذاعة هذا السر فقد اتخذته أميناً على حجرتي.

أبيكاريس : إن لسانك أحق بالقطع من لساني لأنك لم تقل الصدق يوماً.

سيريوس : أما وقد حمّ القضاء في أنيوس سنيكا فاعلم أنه برىء وسوف تعلم براءته إذا علمت من هو الرجل المقنع.

نيرون : وما قولك في شهادة ناتاليس؟

سبريوس : إن الذي وشي به بنفسه طمعاً في رضاك وخوفاً من عقابك لا يضنّ على سواه بالوشاية.

ناتاليس : أهذا ثمن اعترافي وخدمتي للعرش؟

أحدهم : لقد خنت رفاقك عبثاً.

لوكان : استحلفك بآلهة الشعر .. ألا تربطنا حرفة الأدب؟ (يخرج المتهمون المتآمرون على نيرون).

المنظر السابع

(نيرون يدق نحاس الاستدعاء)

رسول : مولاي !

نيرون : ادعوا جميع رجال القصر وأعضاء مجلس الشيوخ (إلى تيجلان) واقيموا معالم الأفراح وانصبوا أقواس النصر وقدموا الضحايا للإلهة

إيزيس المنقذة، فقد نجوت ونجت المدينة الرومانية وسلمت أغنى وأجمل حنجرة فى العالم (إلى لوسيوس) أما أنت أيها الصديق المخلص فقيصر عاجز عن شكرك. إننى مدين لك ببقائى. لقد خاطرت فى سبيلى بحياتك ولكن لا يهدأ بالى إلا إذا وقع الرجل المقنع.

لوسيوس : مولاى (يدخل رجال القصر ومجلس الشيوخ).

نيرون : هنا فى رومه فى عاصمة ملكى وبين رجال الحاشية والبلاط تغرس بذور مؤامرة جهنمية وتنمو ولا ينقذنى من خناجر أعدائى الحاقدين الطامعين فى عرشى الناقمين على عهدى ..

أحدهم : (مقاطعاً) عهد العدل والرخاء والمجد الخالد!

نيرون : (مستطرداً) لا ينقذني من هؤلاء الجاحدين إلا رجل صغير القدر ليس قاضياً ولا خطيباً ولا قنصلاً ولا عضواً فى مجلس الشيوخ، إنما دفعه إلى اقتفاء أثر أعدائى حبه لى وتفانيه فى الإخلاص لعرشى.

أحدهم : كلنا ساهرون على سعادة جلالتكم.

نيرون : لا ريب فى أن الموت فى نظركم من صنوف السعادة. إن كلاً منكم لاهٍ عن خدمة العرش بخدمة ذاته. إنكم تحبون أنفسكم أكثر من حبكم إياى مع إنكم تستمدون حياتكم وهناءكم وقوتكم منى.

لوسيوس : كان المتآمرون يجتمعون هنا فى القصر.

نيرون : (لرجال القصر) حقاً يا سادة لقد بلغت عنايتكم بى مبلغاً عظيماً وبلغ حرصكم بحيث كنتم تبيحون للمتآمرين الاجتماع هنا فى قصرى لتكون المؤامرة تحت إشرافكم العالى!!

أحدهم : مولانا.

نيرون : مولاك كاد يكون نهب الخناجر لولا هذا البطل.

رسول : القبطان بالباب.

نيرون : هذه أخبار الكنز لقد أنسيتنيه المؤامرة ليدخل (يدخل أنيستوس).

أنيستوس : مولاى!

نيرون : ما وراءك؟

أنيستوس : وصلت أخبار من أفريقيا.

نيرون : ما قيمة الكنز؟ وكم يقتضى من الوقت لنقله؟
أنيستوس : لا حاجة بنا لحساب الوقت.
نيرون : كيف؟ ولماذا؟
أنيستوس : الكنز حديث خرافة وباسوس القرطاجنى نصاب وملفق ماهر.
نيرون : (بضعف وتخــاذل) الكــنز خرافــة وباســوس أميــن الخزائــن الأمبراطورية ملفق ماهر!
أنيستوس : وقد اختفى ولم نقف له على أثر. فإننا أخفينا الأخبار حيناً لنعتقله ونقف على حقيقة أمره فذهب تنقيبنا أدراج الرياح.
نيرون : لوسيوس.
لوسيوس : مولاى!
نيرون : جعلت حياتك وقفاً على البحث عن باسوس القرطاجنى فإن لم تأتنى به قطعت رأسك.
لوسيوس : سأفعل يا مولاى إنما أنا فى حاجة إلى المال.
نيرون : خذ هذا السوار وبعه فى السوق.
لوسيوس : سوار قيصر.
نيرون : نعم .. لقد خلت خزائنى من الذهب والفضة ولم يبق لـــى إلا تلــك الحلى.
لوسيوس : (لا يأخذ السوار) إن لدىّ من سابق عطائك ما يكفينى (يقبل يده) (لنفسه بصوت منخفض) خزائن نيرون خاوية! هذه بدايـــة نهايتـــه. (يخرج).
نيرون : (إلى تيجلان) ما رأيك لقد أحيينا الآمال فى قلوب الشعب ووعدنـــا بتوزيع الأرزاق وإقامة الألعاب.
تيجلان : هؤلاء الشيوخ والأعيان أغنياء إن ابتزاز أموالهم أفضل من إخلاف وعودك للشعب الرومانى.
نيرون : لاسيما وأنهم لم يبذلوا مجهوداً فى كشف المؤامرة.
تيجلان : والولايات قد أنت من الضرائب الأخيرة ولابد لنا من تركها حينـــاً بغير مطالبة.
نيرون : لقد استنزف تشييد قصر الذهب معظم ما فى الخزانة.

تيجلان : سيقضى تشييد رومه بعد إحراقها مالاً كثيراً.

نيرون : (إلى الشيوخ والأعيان) أيها السادة تذكرون جميعاً إحسانى إليكم.

الجميع : كيف ننسى جمائل قيصر.

نيرون : وقد اقتضت حال الدولة أن يبذل كل منكم نصف ما يملك ليصرف فى الشئون العامة.

أحدهم : نصف ما نملك؟ (يحدث هرج).

نيرون : ألا يرضيكم هذا؟ إذن ليكن كل ما تملكون رهن خزائنى.

أحدهم : كلا يا مولانا ليس قولنا احتجاجاً إنما استصغاراً للطلب. إننا نهب الكل عن طيب خاطر.

نيرون : حسن .. إذن يكفى النصف مؤقتاً ريثما يصل الكنز الدفين من أفريقيا. إن الأخبار تنبىء بخير جزيل ستملأ كنوزى رومه ذهباً (إلى تيجلان) مُرْ بعض الموظفين المكلفين بالحساب بحصر أموال هؤلاء السادة وفرز نصيب الخزانة فى أقرب فرصة.

تيجلان : يتم هذا فوراً وإذا وجدنا عقاراً لا يمكن قسمته؟

نيرون : يقوم ويدفع لنا صاحبه نصف ثمنه وإلا يباع مزايدة.

تيجلان : ومن يخفى لدى الإحصاء عيناً أو منقولاً؟

نيرون : يعاقب بالقتل بدون محاكمة. موافقون أيها السادة؟

الكل : موافقون من أعماق قلوبنا.

المنظر الثامن

رسول : الأمير أنيستوس. (يدخل ويسلم إلى نيرون خطابات فيفضها ويقرؤها ويبدو عليه تغير عظيم)

نيرون : (إلى الأعيان والشيوخ) نيرون يحييكم. (يخرجون). (إلى تيجلان وأنيستوس) لقد ثارت جيوش أسبانيا بقيادة جالبا وجيوش الغال بقيادة فندكس وجيوش لويزتانيا بقيادة أوتون وجيوش أفريقيا بقيادة كلوديوس ولم يبق لنا مخلصاً إلا فرجينوس.

تيجلان : إن هذه الأخبار ذات شأن عظيم.

نيرون : أين سنيكا الحكيم؟ أين بوروس؟أين بترون؟ بل أين فضلى الأمهات؟ إن رأياً من واحد من هؤلاء كان كفيلاً بإنقاذنا من هذا المأزق. لقد

ذهب المخلصون النابغون المدبرون وبقيتم أنتم أيها العجزة. إن هذه الأخبار ذات شأن عظيم. إننى أعلم عظم شأنها ولكننى أريد تدبير أمور الدولة.

تيجلان :إن عقولنا القصديرية لا تصل إلى ما يصل إليه عقل جلالتك الذهبى

نيرون : يا لكم من ضعاف تضرّون فى الشدة ولا تنعمون فى الرخاء.

رسول : رسول من الغال.

نيرون : ليدخل.

رسول : (يقدم خطاباً) البريد الأخير.

نيرون : (يكفهر وجهه) هذا ما أذاعه القائد فندكس فى طول البلاد وعرضها أيها الشعب عبثاً تحاولون الوقوف على علة خراب وطنكم. إن علة الخراب فى رومه والجانى هو أنيوباربوس، فإنه هو الذى أضاع حقوقكم وأشقى بلادكم وأفقر شعبكم وهو الذى نشر ألوية الحداد على بيوتكم بأن انتزع شبابكم وشيوخكم بالقتل ظلماً تارة وبالنفى طمعاً فى المال طوراً. إن هذا الطاغية لا يهاب شيئاً لأنه الوحيد والأخير فى بيت قيصر فلا يخشى مزاحماً ولا مقاوماً وقد أطلق لنفسه العنان واستباح كل مظلمة فى عاصمة ملكه وفى الولايات التى شقيت فى عهده المكفهر ليس أميركم أميراً إنما هو ممثل ومهرج ومغنى يحاول إطراب العاطلين من أهل رومه ولا يستطيع إلى ذلك سبيلاً لعجزه ورداءة صوته، فكيف تحلونه بألقاب العظماء من القياصرة والقواد؟ إنه أحق بأن يدعى أديب دارست لأنه استباح قتل الوالدين. ولم يستقبح تدنيس فراش الأم، لا تحسبوا أننى أرشح نفسى للسيادة عليكم إنما أرشدكم إلى عظيم ذى أصل ملكى امتاز بشجاعته وقوة خلقه ألا وهو الأمير جلبا قائد جيوش أسبانيا أنه رجل لا يشغله الغناء ولا يستميله التمثيل، وقد أظهر ..

نيرون : (وقد أشرق وجهه) كفى وجدت حلاً لهذه المعضلة. لقد أخطأت إذ جعلت لها شأناً كيف يستطيعون خلعى ألا يكون ذلك بالحرب؟

تيجلان : طبعاً.

نيرون : فلنحارب إذن السيف أصدق أنباءً من الكتب.

أنيستوس : ولكن جيوش رومه محتاجة للمال والسلاح والتدريب وجيـــوش الولايات التى تقاومنا لا يعوزها شيء مما ذكرت.

نيرون : هذا ما كنت أريد الوصول إليه. علينا بإعداد الجيوش ولا نســتطيع إعدادها إلا إذا فرضنا ضرائب جديدة.

تيجلان : للدفاع عن الوطن والعرش.

نيرون : والمدينة الرومانية.

تيجلان : وحياة الأمبراطور نيرون العظيم هذه أعظم دعوة.

نيرون : ابعثوا إلى مجلس الشيوخ بهذه الكتب وبلغوه أننى أطلـــب عقـاب فندكس على قذفه فى حقى بصفتى متفنناً.

أنيستوس : ومعدات الحرب؟

نيرون : أجمعوا المال أولاً ثم أكثروا من شراء آلات الموسيقى لأن للأنغــام أثراً فى نفوس المحاربين فتشجع جيشنا وتثبط همة أعدائنا.

أنيستوس : والجند؟

نيرون : اجمعوا ما استطعتم من أقوياء الأرقاء وادعـــوا القبـائل الرحالــة المقيمة حول العاصمة.

أنيستوس : إن هؤلاء وأولئك لم يتعودوا حمل السلاح ولا خـــوض غمـار المعارك.

نيرون : سيخلع عليهم ثياباً زاهية تبهر أبصار أعدائنا. إن ثياب الجنــدى إذا كانت فنية تفعل بالعدو ما لا تفعله الشجاعة والعلوم الحربية. اجمعوا من تستطيعون من هؤلاء ثم أعدوا لى أربعمائة راقصـــــة وقصـــوا شعورهن بحيث يصرن كالغلمان واجعلوهن حرساً لى.

أنيستوس : أيكون هذا الجيش كفيلاً بالحرب والنصر؟

نيرون : إنك أبله .. لن نحتاج للحرب إننى إذا ما وطئت قدمى أرض الغــال سأظهر لأهل هذه الولاية أننى أعزل ثم أبكى لهم فتنـــهمر دموعـــهم على محاجرهم ويلقون بأسلحتهم تحت قدمى وننشد جميعاً نشيد السلم والانتصار.

تيجلان : لقد ذهبت آمالنا أدراج الرياح! فقد فاز فندكس فى موقعة فاصلـــة ونودى بجالبا أمبراطوراً.

نيرون : إني أستنجد بالشعب الروماني.

تيجلان : إن الشعب الروماني هائج لأن السفن التي تحمل المؤن لم تعد من صقلية ومصر وقد مضى على ميعاد عودتها أكثر من أسبوع، فالقحط بالمدينة والحرب على الأبواب.

نيرون : ما الحيلة إذن؟

تيجلان : لابد لنا من حل سريع. (يسمع صوت الشعب من أسفل).

نيرون : والشيوخ والأعيان؟

تيجلان : أبوا أن تقاسمهم ثروتهم فقد وقفوا على سر الكنز وعلموا أنه كان وهماً وتلفيقاً ونشروا هذا الخبر في الشعب.

نيرون : أحرقوا رومه من جديد واطلقوا الوحوش الضارية على المدينة والنار تأكلها وادعوا الشيوخ والأعيان لوليمة كبرى ودسوا لهم السم في الدسم فيهلكوا عن بكرة أبيهم ولا يستطيعوا خلعي.

أنيستوس : إن هذه الخطط محفوفة بالمخاطر في حالتنا هذه.

نيرون : لا تترددوا. (يخرج تيجلان). لا أظن الدنيا تضيق بمتفنن مثلي. إنني إذا أرغمت على التنازل عن العرش سأرحل إلى الاسكندرية فأحترف التمثيل والغناء في تلك المدينة العريقة في الفنون الجميلة والذوق الرقيق.

المنظر التاسع

(يدخل تيجلان)

تيجلان : لقد تجمهر الشعب عند الكابيتول وعقد السناتو جلسة استثنائية وأذاعوا بلاغاً.

نيرون : ماذا جاء في بلاغهم؟

تيجلان : إنك عدو الوطن وقد حكموا عليك بالإعدام!

نيرون : (يقع على الرض) بالإعدام عليّ أنا كلوديوس قيصر؟ (يدخل رجل مقنع). المقنع! المقنع! اقبضوا عليه .. اعتقلوه .. تيجلان .. أنيستوس (يتحركان).

المقنع : لست منذ اليوم كلوديوس قيصر إنما أنت دوميثيوس أنيوباربوس خائن الوطن وقاتل أمك وأخيك. لقد حكم عليك بعقوبة الخيانة!

نيرون : وما تكون تلك العقوبة؟
المقنع : يطاف بك عارياً ثم تجلد حتى تموت.
نيرون : ومن تكون أنت أيها المقنع؟ لقد ألحقت بي أضراراً لا تعد وها أنت تشهد مصرعي. (يزوغ أنيستوس وتيجلان).
نيرون : لقد ذهبا دون أمري!
المقنع : (يكشف عن وجهه) أنا بالاس.
نيرون : (راكعاً) بالاس؟ عزيزي بالاس أذكر العهد القديم أرحمني إكراماً لأمي.
المقنع : لم ترحم أحداً.
نيرون : لا أريد أن أموت.
المقنع : لقد أعدت لك لوكستا بأمرك ما ينقذك في مثل هذا الوقت فسارع بتناوله.
نيرون : نعم ولكن قواي خارت ولا أستطيع تناول السم بيدي.
المقنع : احضر كل من يعاونك على تناوله (يبعث برسول فيعود بأكتية وأيبافروديت وسبوروس).
أكتيه : مولاي!
نيرون : لست مولاك ولا مولى أحد .. لقد انتهى كل شيء وهجرني كل من كان بي لائذاً .. لقد فر من وجهي الأصدقاء والأعداء معاً. وهذا بالاس السيد بالاس الأمير بالاس أتى بك.
بالاس : لتعاونيه على الموت.
نيرون : (يسقط ويأخذ بعض الوسائد ويدق رأسه في الجدران) الموت! الموت! (يسمع صوت الشعب هائجاً).
بالاس : لقد أزف الوقت وحان حينك.
نيرون : أكتية توسلي إليه .. سبوروس .. أيبافروديت.
أكتية : ليتني مت قبل هذا! ليتك قتلتني كما قتلت أمك وامرأتيك أوكتافيا وبوبيا .. (إلى بالاس) سيدي لا تطل تعذيبي بتعذيب هذا الأمير.
بالاس : طالما أذاق الناس كأس الردى فليذقنها مرة.
نيرون : وإذا لم أجرع السم؟

بالاس : أسلمك إلى الشعب فيوقع بك عقاب الخونة.
نيرون : الجلد حتى الموت .. أنقذنى .. أتوسل إليك. (تسمع أصوات).
بالاس : (متردداً) لذ بالفرار .. إننى أنقذك إكراماً لأمك.
نيرون : (فرحاً) شكراً لك ولفضلى الأمهات.

المشهد الأخير

طريق خلوى فيه بيت مهجور هو بيت فارون – أشخاص هذا المشهد نيرون، أيبافروديت، معتق أول، معتق ثان، سبوروس، أكتية ولكهم متزيون بأزياء غريبة ونيرون مقنع.

نيرون : (متعثر فى سيره) أين نحن الآن يا أيبافروديت؟
أيبافروديت : لقد وصلنا إلى بيت فاون يا مولاى.
نيرون : أيستطيع المارة اكتشافنا؟
أيبافروديت : يسترنا الجبل المقدس ونحن فى درب غير مطروق.
نيرون : مهما ندر المرور فإنها طريق يقصدها السابلة.
أيبافروديت : لقد لجأنا إليها مضطرين ريثما يصح عزم جلالتك على أمر تقصده.
نيرون : لم يبق لى إلا الموت .. أين أكتية؟
أكتية : مولاى!
نيرون : إلىّ أتوكأ عليك (تقرب منه فيتوكأ عليها) .. انظرى ما وصلت إليه حال أعظم متفنن فى المدينة الرومانية.
أيبافروديت : (لمعتق أول) خير له أن يصمم على الموت إن فى حياته تعذيباً له.
معتق : وخطراً علينا.
سبوروس : لماذا نتردد فى الإشارة عليه بذلك؟
أيبافروديت : إنه جبان ولن تطاوعه يده على قتل نفسه. (تسمع أصوات وجلبة).
نيرون : إلىّ يا أيبافروديت. يا سبوروس يا لوسيوس ما تلك الأصوات؟ ألم أقل لكم أن السبيل غير مأمونة؟ (يظهر جند على رأسهم ضابط).
أيبافروديت : الأولى أن تتمارض وأن لا تجيب إذا سئلت.

ضابط : أيها المجدون فى السير من أين وإلى أين؟
أيبافروديت : من نابلى إلى رومه.
ضابط : إذن تجهلون ما حدث فى المدينة المقدسة.
أيبافروديت : لم نبلغها بعد فنقف على أخبارها.
ضابط : لقد سقط نيرون الظالم ونودى بالأمير غالبا أمبراطوراً.
أيبافروديت : وماذا وقع للأمبراطور القديم؟
ضابط : فرّ وها نحن نقتفى أثره لننفذ فيه حكم مجلس الشيوخ (نيرون يرتجف) من هذا الذى معكم؟
أيبافروديت : هو أبى شيخ أدركه المرض فوقفنا به قليلاً ريثما يفيق من غشيته.
ضابط : (يدنو منه) إنه مقنع.
أيبافروديت : أمرنا الطبيب ألا نعرضه للضوء والهواء.
ضابط : إذا عثرتم بنيرون فاقبضوا عليه، وإذا قاومكم فاقتلوه فقد أهدر دمه وجعلت لمن يقطع رأسه جائزة عشرة آلاف درهم.
معتق : عشرة آلاف درهم؟
ضابط : أليست جائزة حسنة؟ لعلك تفوز برأسه وتستحق الجائزة. والآن أودعكم.
أيبافروديت : مع السلامة. (ينصرف الضابط والجند).
معتق أول : جائزة عشرة آلاف درهم؟
معتق ثانى : إنها جائزة حسنة ولكن أنىّ لنا أن ننالها؟
معتق أول : الأمر سهل.
لوسيوس : (الذى كان يتسمع إلى حديثهما) حذار أيها الدنيئان أن تفكرا فى شيء من ذلك فإننا نحمى قيصر للحظة الأخيرة من حياتنا.
نيرون : (ينهض) أيبافروديت.
أيبافروديت : مولاى!
نيرون : إن الشوك أدمى قدمىّ وتلك الحفر التى أقع فيها دقت مفاصلى دقاً. وها هى ملابسى قد تمزقت من أغصان الشجيرات النامية على جانبى الطريق.

أيبافروديت : أسمعت حديث الضابط؟

نيرون : سمعت كل شيء وأرى الموت أفضل لى من الحياة.

أيبافروديت : لقد بلغنا فاون حيث يمكنك أن تستريح من وعثاء السفر. سأدخل الدار فأفحصها لعلها لا تليق بإقامتك أو لعل بها مانعاً.

نيرون : افعلى ما بدا لك. (يدخل الجميع ماعدا نيرون وأكتية .. نيرون مستطرداً) لقد دخلوا جميعاً وتركونى وحيداً.

أكتية : تشجع يا مولاى ها أنا بجانبك.

نيرون : ماذا أرى هناك فى ظل الجبل؟

أكتية : لا شيء.

نيرون : ها هى أمى إنها تناديني ألا تسمعين صوتها؟

أكتية : لا أرى شبحاً ولا أسمع صوتاً.

نيرون : لقد رمتك الآلهة بالعمى والصمم. وهذا بريتانيكوس يحاول الصعود على العرش. وها هى بوبيا، لقد حضروا جميعاً إلى هذا المكان ليزيدوه إيناساً أو وحشة .. أوكتافيا أوكتافيا أيضاً يحييها سنيكا ويبتسم يا لك من حكيم جاهل!

أكتية : مولاى.

نيرون : (يفيق) أكتية أريد جرعة ماء.

أكتية : لا ماء فى هذا المكان.

نيرون : أرى الماء فى تلك البركة.

أكتية : إنه ماء آسن لا يصلح للشرب.

نيرون : لابد لى من الماء .. إن فى جوفى ناراً مشتعلة (يلقى بقبائه لتقى أقدامه فعل الشوك ثم ينبطح ويأخذ الماء بكفه ويشرب ثم ينهض وينظر إلى السماء ويستطرد قائلاً) هذا آخر عهد نيرون بالشراب. (يجلس ينقى قباءه من الشوك).

أيبافروديت : مولاى!

نيرون : (بانزعاج شديد) ما وراءك .. لقد أزعجتنى .. إننى فقدت شجاعتى وأصبحت أخاف من لا شيء.

أيبافروديت : إن الغرف مغلقة ولا يمكن الدخول إليها.

نيرون : إذن لا سبيل إلى البقاء.

أيبافروديت : لابد لنا من البحث عن مخبأ آخر. (يظهر سبوروس).

سبوروس : مولاى!

نيرون : ما وراءك يا أخى؟

سبوروس : منشور من فاون.

نيرون : اقرأوا ما به.

سبوروس : لقد أعلن مجلس الشيوخ أنك عدو الوطن وأن البحث عنك متواصل ليوقعوا بك عقاب الخونة.

نيرون : (ينهض) عقاب الخونة بى أنا كلوديوس قيصر؟

سبوروس : ما أنت بكلوديوس قيصر إنما أنت دومتيوس أينوباربوس خائن للوطن ومحكوم عليك بالإعدام كما يعدم الخونة!

نيرون : وكيف يعدم الخونة فى قانون الرومان؟

سبوروس : يطاف بك فى الأسواق والميادين عارياً ثم تجلد حتى تموت.

نيرون : لا أزال قادراً على الفرار، أسافر إلى غابة لاريس فإذا بلغتها دنوت من بحيرة متورن ومن هناك أبحر فى سفينة ما إلى صقلية أو مصر.

سبوروس : ومن ذا الذى يسهل عليك سبيل الفرار؟

نيرون : أنتم.

سبوروس : كلا لن تفر ونحن نضيق عليك الخناق.

نيرون : ولماذا؟

سبوروس : لنسهل عليك الموت.

نيرون : الموت؟ إذن كلكم تنتظرون موتى وترغبون فيه. لقد هجرنى كل الناس. لقد تخلى عنى الأصدقاء والأعداء.

سبوروس : نعم كلنا نريد أن تموت وسنموت معك.

نيرون : إذا صدقتم فالموت أفضل .. أبيافروديت .. أكتية .. لوسيوس.

معتق أول : الأولى لنا أن نربح الجائزة.

معتق ثانى : إننى لا أجرؤ على قتله وأولى بنا أن نرشد عنه الباحثين (يجريان).

لوسيوس : إن هذين المعتقين لاذا بالفرار ليرشدا عنك الباحثين.

سبوروس : الأولى أن تعجل بالموت .. إنك باخع نفسك لا محالة.
أكتية : الأفضل لك يا مولاى أن تموت تشجع!
نيرون : (يأخذ خنجراً ويضعه على قلبه متردداً) أليس من العار أن أجبن عن قتل نفسى وقد لفظتنى الحياة؟ .. لقد عشت عيشة مشينة ولن أموت ميتة الجبناء. أيها الكون لقد أضاعوا عليك أعظم متفنن. (يسمع صوت خيل).
نيرون : أكتية!
أكتية : مولاى.
نيرون : أقسمى بالآلهة أنك لا تسلمين رأسى لأحد وأن تحرقى جسدى قبل أن يدركه العطب. (يضع الخنجر على عنق نفسه – يدخل سبوروس)
سبوروس : لما تمت بعد! ما أجبنك! (يضغط سبوروس على يد نيرون فيغور الخنجر فى عنقه ويقع على الأرض ويحاول قطع النزيف، يدخل قائد).
قائد : هذا نيرون! .. لقد قتل نفسه.
نيرون : ألم تقسموا يمين الطاعة؟ (يقع ميتاً).
قائد : لقد عفا عنه الأمبراطور الجديد.
أكتية : لقد جاء العفو بعد الآوان.

(ستار)

الأهرام فى ١١ سبتمبر سنة ١٩١٨

الساعة ١٢ ونصف صباحاً

محمد لطفى جمعة

في سبيل الهوى

عام ١٩٢٥

رواية

في سبيل الهوى

تمثيلية مصرية جديدة في خمسة فصول

بقلم

الأستاذ محمد لطفي جمعة المحامي

روض الفرج ١٩٢٥ - ١٩٢٦ مصر الجديدة

أنقرتها مختصر من ١٩٢٥ ([illegible] الجديدة [illegible])

1926

الفصل الاول

حوادث تقع في ملعب للقمار بالقاهرة

المنظر الاول

عبد المجيد حافظ

حافظ: الم يكن لنا مناص من دخول هذا الجحيم؟ انظر كيف يتصورون الأمن في وجوههما سيما الغرباء او الآمنين فيهم رفاقهم علامة لا تخفى!

عبد المجيد: انني لا استطيع الحضور يا سيدي الى هذا الجحر، فهو مأواه ما بين الساعة العاشرة قبل الظهر ونصف الليل وقد اختزنت امه والدة قد شاركتنا من الهلاك ومن ان تراه قابعا في حلبة اللعب الا في قمار بدأته الحضور الى لأمه اخته العذراء وخطيبته الاقوى زواجها لا استطيع البحث عنه في ظلام المنازل

حافظ: لستني ما صحبتك فان نفسي مضطربة وقلبي واجف من هذه السحب الشيطانية ومن تلك الايدي الراقدة التي تمتد الى مال الغير من فوق نفوس اشقياء! انظر الى تلك الرجال من دخان الطباق الا اختنق لصعوبة استنشاق الهواء

عبد المجيد: من رسلك يا دكتور حافظ الست هذا الجحيم او القمار او غيرها من معرضا من معارض الحياة الحقيقية؟ كيف يكون الرجل قدوة وذا علم بدون الوقوف على شرور العالم ومصائبه؟ اتكفيك مشاهدة

(الفصل الأول)

حوادثه تقع فى ملعب للقمار بالقاهرة

المشهد الأول

عبد المجيد – حافظ

حافظ : ألم يكن لنا مناص عن دخول هذا الجحيم؟انظر كيف يتبصرون كأن فى وجوهنا سيماء الغرباء أو كأن فى رفاقهم علامة لا تخفى!

عبد المجيد : إننى لا أستطيع العثور بابن عمى إلا فى هذا الجحر. فهو مأواه ما بين الساعة العاشرة قبل الظهر ونصف الليل وقد أخبرتك إن والدته قد شارفت على الهلاك دون أن تراه فأرسلت فى طلبى لأهديها إلى مكانه فلم أر بداً من الحضور إليه لأن أخته العذراء وهى التى أنوى زواجها لا تستطيع البحث عنه فى تلك المغاور.

حافظ : ليتنى ما صحبتك فإن نفسى مضطربة وقلبى واجف من هذه السحن الشيطانة ومن تلك الأيدى السراقة التى تمتد إلى مال الغير مدفوعة بنفوس أشعبية! انظر إلى تلك الهالة من دخان الطباق أكاد اختنق لصعوبة استنشاق الهواء.

عبد المجيد : على رسلك يا دكتور حافظ أليس هذا الجحيم أو الغار أو الجحر كما تسميه معرضاً من معارض الحياة الحقيقية؟ كيف يكون الرجل فكره وخلقه بدون الوقوف على شرور العالم ومصائبه؟ أتكفيك مشاهدة الناس فى العيادة أو على مقروعة الطريق وهم بين مجد ومتمهل لا يبدو على وجوههم أثر لما فى نفوسهم. ألا تحتاج للنزول معهم إلى حومة الوغى الحقيقية؟ هذا هو ميدان حياة الأشرار والبائسين هذا مصرع السراق والطامعين هذا ملجأ الجناة والمجرمين هذا ملعب القمار!

حافظ : كل له رأى وأنا لا أحب هذه الأماكن ولكن أين ابن عمك مختار هذا؟

عبد المجيد : (ويشير بيده إلى مختار) هو هذا الشاب المكب على اللعب إكباب العالم الطبيعى على منظاره واللوذعى على كتابه والمتفنن على تمثاله إكباباً لا يقطعه الوقت مهما أزف ولا تفيقه من غشيته

حاجة الجفون إلى الكرى ولا التواء الأحشاء من ألم الجـــوع ولا جفاف الحلقوم من الظمأ ولا هم الأسرة المسكينة المؤلفـــة مـــن امرأتين ضعيفتين لا حول لهما ولا قوة وهو أملهما الوحيـــد لأن تلك الأكوام من الذهب الوهاج وتلــك الأكــداس مــن صكــوك المصارف قد شغلت كل ذرة من عقله ونفسه واستولت على إدارة جهازه العصبى تتصرف فيه كيف تشاء فلا العيـــن تغمــض ولا البطن تسغب.

حافظ : واحرّ قلباه على هذا الشباب النضير! هلا دنوت منه وأخبرتـــه بما وراءك؟

عبد المجيد : فطالما جربت ذلك ولم أفلح.

حافظ : ومتى ينهض بل متى يفيق من تلك الغشية؟

عبد المجيد : عند نهاية اللعب إن كان رابحاً ولدى إفلات آخر درهم من يـده إن كان خاسراً فهيا بنا نجلس فى هذا الركن نرقب حركات القـوم وسكناتهم فلعل لنا فى ذلك عبرة وعظة!

حافظ : الأمر لك! ولكن هلا حدثتنى عن هؤلاء الأشخاص شيئاً فـــإن فى ظاهرهم ما يريبنى.

عبد المجيد : إنك مرتاب فى أمرهم لأنك تراهم لأول مرة. أما أنا فسبق لـــى مشاهدتهم والوقوف على كل جديد من شؤونهم لأننى أعرفهم فرداً فرداً.

حافظ : هلا أفضت علىّ بشىء من علمك؟

عبد المجيد : أترى هذا البك الحسن البزة والهندام. إنه مراب كبـــير ولكـــن كغيره من المرابين فقد يربح فى ساعتين ما لا يربحه أشباهه فـــى عامين هذا هو داود بك الشهير يا صاح وطريقته أن يحل بـــهذا الملعب محفوفاً بفرقة من جن البشر وزبانية الدنيا بيـــن وســـيط يحبب اللعب إلى الأغرار وفاتنة تفتن العقل فى الليل وتفنى المـــال فى النهار.

حافظ : ولكن ما سبيله إلى الربح الذى ذكرته؟

عبد المجيد :إنه ينزل بالملعب وقد اكتظت جيوبه بالسندات والصكوك ومبينة أقدار القروض وقيمها بدون اسم المدين. فيتصيد بفضل وسطائه ووسيطاته من الأوغاد والغواني من كتب لهم الشقوة على يديه ولايزال يحاربهم برجاله من الشطار حتى يخسروا ما معهم فإذا أصابتهم تلك الخسارة تنبهت فيهم غرائز الطمع والغيظ والأخذ بالثأر فبعضهم يخرج هائماً على وجهه كالمأخوذ وقد حصر همه فى الحصول على المال ولو من وراء جريمة وبعضهم يقع فى حبائل صاحبنا فيقرضه العشرة بخمسين والخمسين بمائتين!

حافظ : ألا يخاطر هذا المرابى بإقراض من يلقاه لأول مرة؟

عبد المجيد : لله ما أطيب قلبك وأسلم نيتك يا دكتور إنه لا يقرض إلا من يثق بثروتهم وقدرتهم على دفع أضعاف ديونه وهو يعلم عن حدود ضياعهم وأثمان ديارهم وقيمة محصولات أراضيهم ما لا يعلمون وقد يوقع أحدهم على عقد رهن أو بيع وهو يظن أنه يوقع على صك بسيط وهكذا فقدت أسرة حسام الدين باشا كل ثروتها على يد هذا الشاطر الذى يحتمى وراء حيل القانون.

حافظ : وهذا؟

عبد المجيد : هذا شاكر بك المقاول الشهير سابقاً وهو الذى مارس ألف حرفة وحرفة ولم يتقن واحدة منها وبدأ فى مائة مشروع ولم يوفق إلى إتمام مشروع واحد ولعله الليلة يحاول النجاح فى مشروع سلفة من داود بك!

حافظ : ومن يكون هؤلاء الشبان؟

عبد المجيد : جمال بك ونصرت بك من أولاد الذوات أولاد المال والفراغ والشباب ولكل منهم حديث يضحك الثكلى.

حافظ : وهذه الطائفة من الأروام.

عبد المجيد : الخواجة مافرو مدير المحل بالامارى وسيط ووظيفته التغرير باللاعبين وهذه أنيتا إحدى صنائع داود بك. أما هذا الفج الذميم فهو جريجورى المصارع الشهير ووظيفته كوظيفة رفيقه بندكتو مقاومة الشرطة وضرب اللاعبين المفلسين عند اللزوم.

حافظ : يا لطيف! ألا يوجد من يكبح جماح هؤلاء الأشرار ويضرب على أيديهم بعصا من حديد أين العدل؟

عبد المجيد : مادامت فى أيدى الشبان تلك الحكة التى تقاومهم وفى نفوسهم تلك القرحة التى لا تبرأ ومادام بعض الأغنياء مثل المرحوم عمى والد مختار وآباء هؤلاء الشبان يهملون تربية أولادهم ويتركون لهم ثروة طائلة بغير رقيب ولا مرشد فلن نجد لهذا النظام المحكم تبديلاً على أن هؤلاء الأنذال يتركون اليتامى والأرامل يتعثرون فى أذيال الفاقة ولا يعودون إلى صوابهم إلا بعد الخسارة والإفلاس فهم جديرون بتلك الوحوش الكاسرة التى تمص دمهم وتنهش لحمهم وتضرب عليهم الذلة والمسكنة باللسان تارة وبالعصا أخرى!

حافظ : يا للهول! إن بدنى يقشعر من صوت الذهب الذى يلعبون به لم اسمع له رنيناً مزعجاً كهذا الرنين. انظر إلى تلك الأنوف المصفرة وتلك الزفرات المتصاعدة وتلك الأيدى المرتجفة وتلك اللفافات من الطباق التى لا تطفأ.

عبد المجيد : هذا تشخيص بيولوجى أنت به أعلم .. بل انظر إلى داود بك وأنصت إلى حديثه فهذا أوقع. اجلس على هذه المائدة لئلا تلفت حالنا أنظار الرقباء أنهم هنا فى غاية التيقظ.

المشهد الثانى

داود بك – شاكر بك

شاكر : ليلتك سعيدة يا داود بك.

داود : سعيدة فقيرة المسئلة عندى سيان!

شاكر : لماذا أليست الأمور على ما يرام؟

داود : كلا لم أصرف إلى الآن صكاً واحداً.

شاكر : ومع ذلك فإن المكان حافل بالبكاوات المعلوم أمرهم لدى سيادتكم!

داود : لقد وقع اختيارى على هذا الشاب ولكن إلى الآن لم يتمكن منه أحد من أبطالنا حتى ولا الملعونة أنيتا.

شاكر : هذا نصرت بك أنا أعرفه جيداً هل تود أن أقدمه إليك؟

داود : لا .. لا أعمل معروف اتركني وشأني لئلا تتلف على خطتي. بالله يا شاكر بك لا تتداخل فيما لا يعنيك.

شاكر : آه .. أنا بودى أن أؤديٍ لك خدمة فوق العادة.

داود : لا وحق رأس والدك أدِ لي خدمة تحت العادة بكونك تتركني وشأني.

شاكر : طيب أنت حر. ولكن ممعكش قرشين؟

داود : لا يا حبيبى اعتقنى أنت تأخذ ولا ترد!

شاكر : والله العظيم ادفع لك.

داود : بس ما تحلفش وتلفت نظر الناس إلينا أنت حُقنة عاوز كام خليني أخلص منك.

شاكر : عشرة جنيه.

داود : هو هو! ولا عشرة ريال أنا افتكرتك عاوز ثلاثة أربعة شلن.

شاكر : طيب هات خمسة جنيه.

داود : (يخرج من جيبه سنداً وقلماً) إمضاءك الشريف هنا مطرح أصبعي.

شاكر : تمضيني على كام.

داود : بس أمضى.

شاكر : (يقرأ) عشرة جنيه وتعطيني خمسة يا أخى لا هو أنا منهم.

داود : (بهدوء) طيب بلا إمضاء وبلا دفع خد لك ريال وحل عن أكتافى.

شاكر : طيب هات ثمانية وأنا أمضى لك الحوجة وحشة.

داود : والله ما أدفع غير ستة عاوز عاوز منتش عاوز على كيفك العايز أهبل!

شاكر : (بغيظ) طيب هات سبعة وأنا أعرفك بصاحبنا.

داود : قلت لك اعتقنا.

شاكر : طيب دلوقت تشوف مين يجىء به لك (يوقع ويأخذ النقود ويزوغ).

داود : (لنفسه ويضع الورقة فى حرز) أهو سند أحسن من قلته يمكن يخبط له خبطة يكسب فيها من يعرف حظ أمثاله.

المشهد الثالث

بالامارى – داود

داود : شد حيلك يا بالامارى ياسو! مالك الليلة مخستك؟

بالامارى : يا حبيبى الولد معه فلوس كتير لسه مجاس معلس أما يجى كسوره أنا بجيبه أنا مش مخستك لكن كل حاجة بالأصول.

داود : والبنت أنيتا مش نافعة الليلة.

بالامارى : أنيتا مين وغيره مين. واحد يلعب وفكره فى واحد مره أنت لسه مش عارف يا داود بك واحد جدع يفتكر فى واحد مره لما يكون عنده ارش فى جيب بتاع إحنا. مفيش ارش مفيش فكر زى دى فى جيفا لبس بتاعه (يحاول الانصراف).

داود : رايح فين (يقدم له سيجارة).

بالامارى : أنا حلف شوية على الطاولة يجى له فى وشه يمكن يغير الزهر بتاعه (ينصرف) (إشارات بين عبد المجيد وحافظ تدل على تفاهمهما).

المشهد الرابع

شاكر – نصرت

شاكر : مش سعادتك نصرت بك ابن المرحوم سعادة نصرت باشا.

نصرت : أيوه يا أفندم.

شاكر : الله يرحمه والوالد كان صاحبى كثير كنت سعادتك لسه صغير.

نصرت : صحيح أوه ده لازم قبل ذهابى إلى مونبليه.

شاكر : (يقدم كرت) شاكر مقاول اختصاصى.

نصرت : (يأخذها) تشرفنا (يبحث) أنا نسيت البورت كارت ومع ذلك اسمى معروف عندك.

شاكر : طبعاً أشهر من نار على علم أظن كذلك يا منبيه سعادتك بتجرب الزهر.

نصرت : والله الزهر مش كويس كثير الليلة.

شاكر : الحرب سجال يوم لنا ويوم علينا ومع ذلك (يدنو من داود بك) سعادتك متعرفش داود بك كان من أصحاب المرحوم الوالد الأخصاء (إلى داود) بونصوار إكسلنس.

المشهد الخامس

داود : (ممتعضاً) بونصوار يا سيدى (ثم يغير لهجته).

شاكر : أقدم لسعادتك سعادة نصرت بك نجل المرحوم نصرت باشا صديقك الحميم (يعمل لداود إشارة بعينه).

داود : تشرفنا يا أفندم حصلت البركة المرحوم الباشا كان أعز أصدقائي المحروس البك بيجرب زهره.

نصرت : تشرفنا يا أفندم أنا مش عادتي أخسر زى الليلة (شاكر يهمس في أذنه) صحيح؟

شاكر : والله صحيح مش كده يا داود بك؟

داود : إيه يا أفندم.

شاكر : إذا كان سعادة البك لا سمح الله ولا قدر يحتاج لشيء على شان يسترد اللى خسره من الأونطجية دول مش سعادتك مستعد؟

داود : بكل ممنونية بكل ممنونية هو أنا في ديك النهار لما أعمل شيء يبسط نجل أعز أصدقائي!

نصرت : والله أنا عاوز مش كثير! أما صدفة غريبة أنا أشوف حضرته كثير ولكن ما حصلش بيننا معاملة. أما صدفة غريبة.

شاكر : (إلى داود) أنا أحسن وألا الأروام بتوعك أحسن؟

داود : اتفضل (يخرج نقوداً) ميه .. ميتين .. تلتمائة؟

نصرت : لا لا أو ميه بس.

داود : (يمد له المال) تفضل.

نصرت : كده من غير إمضاء ولا حاجة.

شاكر : مفيش تكليف ومع ذلك تكفى إمضاء صغيرة على سند بسيط معك يا داود بك ورقة.

داود : بس على إيه (يخرج من جيبه اللازم) مفيش تكليف الخير واحد وسعادة الباشا فضله علينا والجيب واحد.

شاكر : هات بس أنت البك ما يقولش حاجة دى حقوق مدنية هى العبارة إيه دى المسألة فالصوا أمال لو كانوا ألف جنيه.

نصرت : (يتناول الورقة والقلم) وأدى إمضا!

داود : (يلهف الورقة) ربنا يخليك يا سعادة البك إحنا تملى فى الخدمة.

نصرت : مرسى أما أروح أحسن البنت دى عمالة تشاغلنى من الصبح يا ترى عاوزة إيه مش جميلة يا بيه.

داود : دى مثل القمر ومع ذلك استنا دنا برده أعرفها هى بتشبه علىّ على ما سعادتك تعمل برتيتة أكون كلمتها لك والله وتبقى ليلة بيضا بعد ما بطلنا الحاجات دى.

شاكر : بعد ما شاب يا داود بك (يتغامزون).

نصرت : (يصافحهما) إيه والله يا أفندم.

الأثنان : إيه والله يا مونبيه.

المشهد السادس

شاكر – داود

شاكر : أنا وألا الأروام بتوعك ما قلت لك دى حاجة عاوزة فكر وتوفيق مش تيجى بالجهجهون.

داود : (ينقلب بلؤم) أظن حتقول إنك أنته اللى جبته وأنا حاطط عينى عليه من الصبح!

شاكر : حاطط عينك عليه؟ يا نهار أسود حتحمرق بهذه السرعة يا داود بك والله تبقى ليلة مأطرنة والعارف لا يعرف.

داود : بتهدد حضرتك؟

شاكر : لا الأحسن هات الكمبيالة اللى أمضيتها لك من سكات وهات فوقها أربعة جنيهات وخلينا حبايب.

داود : ابلعنى يا خويه اشفطنى!

شاكر : ليه هو أنا ما قريتش الكمبيالة وألا إيه تدّى الولد ميت جنيه نصهم زى ما أنت راسى وأمضيه لك على تلثمائة ومش عاوز تدينى عشرة جنيه يا نهار الشوم. أحسبها الميه سدس هو لازم تأخذ أنت المايه ألف والسمسرة المايه صفر وألا إيه.

داود : ما كان أغنى فؤادى خد يا سيدى أدى كمبيالتك وورينى عرض أكتافك.

شاكر : لا وحياة أولادك الأربعة جنيه قبل الكمبيالة.

داود : علىّ الطلاق من بيوتى الأربعة ما أدفع غير اثنين جنيه هو أنت عاوز تنهب.

شاكر : طيب هات مادام حلفت والأيام بيننا (يمشى).

داود : جتك داهية وأنت حمه. الواد كان جي لوحده راح هو انحشر لى. أما ألف يمكن تنفك العاقة دى باين عليها ليلة معقدة.

حافظ : لو كان نصرت قرأ السند ووجد تلتمية بدل الميه جنيه اللى قبضتها.

عبد المجيد : يعتذر داود بأنها غلطة بسيطة والغلط مردود خصوصاً فى مثل هذه الظروف.

المشهد السابع

نصرت – مافرو – جرسون صامت – جاسبير

مافرو : سعادة البك. إنشاء الله مبسوط الليلة إزاى الزهر بتاع أنت؟

نصرت : والله يا خواجة مافرو كومس كوما.

مافرو : ماليش كله يجى كويس فى الآخر يـا أخمـد (يحضـر جرسـون صامت) هات اثنين وسكى بالصودة سبليت شوبس (يذهب ثو يعـود بالطلب) واحد ويسكى ماركة ودكوفر أحسن من كل ماركة.

نصرت : أفوتر سانيته.

مافرو : الفوتر. سى سى (يعيد الخادم الطلب بإشارة من مافرو) يقولوا فـى البلد بتاعنا أول كاس علشان السلام والثانى علشان الكلام (يشـربان) (يعاد المشروب).

نصرت : أنا غايته أشرب كاسين أو ثلاثة بالكثير. أنا ما أحبش إلا الكونيـاك من أيام ما كنت فى فرانس.

مافرو : شامبا كونياك بتاع البلد بتاع إحنا أحسن من كلو كونيياك علشـان فى البلد بتاع إحنا فيه كثير إنبْ فى السكة.

نصرت : كمان فيه فى فرانس عنب كثير.

مافرو : أحمد هات إزازة شامبا أبو ثلاثة نجمة وافتحه (يدنو جاسبير) البنت دى كويس أنا شايف بيبص لسعادتك (يشير إلى جاسبير بالدنو مـن نصرت فيدنو ويحضر المشروب ويشربان).

نصرت : لكن دى مش قد كده. أنا كنت أعرف بنات فى فرنسا (يقبل أطراف بنانه رمز الإعجاب) رينيه ومارت ونيللـى لاجنجويسـت ولامـوم وابوزيه (يشربان).

مافرو : أنا كمان وأنا زىّ حضرتك عرفت كتير ستات (يشير إلى جاسـبير بالسرقة فيسرق جيب صاحبنا) أنيتا وجورجيت وماريكا وكوسـتانتينا (يسمع من مائدة الملعب) بنكوريان نيقابلو أف من الزهر زهـر دون أنا بخت زى بعضه نهايته شيل فلوسك يا سلام أما حتة لعبة!

مافرو : سعادتك يقوم شوية يجرب زهره حضرتك تشرف آخر الليل فـى إسفنكس بار هو بار خصوصى بتاعنا فيه أوركسترا كويس كل حاجة كمان مشروب كويس كل حاجة.

نصرت : ميرسى.

مافرو : أنا كما غيرت الكروبيه علشان يغير الزهر شويا (يقـف جاسـبير ويحل محل الكروبيه الموجود).

المشهد الثامن

حافظ – عبد المجيد

حافظ : طبعاً أنت رأيت هذه الأشياء كلها عدة مرات فبالله قل لى ماذا يحدث بعد الآن إن هذا الملعب عالم مصغر أرأيت كيف يسـوقون هذا المغفل جهاراً؟

عبد المجيد : إن الرواية لم تتم. ألم تركل هـذه الطيـور الجارحـة وتلـك الوحوش الكاسرة التى تعيش من لحمه ودمه.

حافظ : ألا يشعر؟

عبد المجيد : إنه محجوب النظر مشلول الإرادة معقود اليد واللسـان كأنـه مسخّر لآكليه بفعل السحر اسمع وانظر هذا الخواجـة سـمطان المقامر المتفنن المقول عنه إنه يربح ما يريد ولا يجرأ لاعب على الوقوف فى وجهه.

المشهد التاسع

سمطان – شاكر

شاكر : كنت فين وطريقتك فين قبل ما أخسر الثمانية جنيه.

سمطان : عزيزى أنا هنا تحت أمرك فى الوقت اللى تريده.

شاكر : أحكى يا سيدى طريقتك.

سمطان : أنا كنت من أغنى الناس وقد تعلمت فى مونتكارلو سر المكسب والخسارة وكسرت البنك مرتين! آه مونتكارلو! أنت لا تعرف عنها إلا اسمها ولكن على الأقل أنت أفضل من غيرك لأنك تقامر وتفهم فى القمار. عزيزى اعلم أن المقامرة أمر غريزى فى الإنسان تظهر فى جميع أعماله وأقواله.

شاكر : عجيب .. أنا كنت فاهم المسألة مسألة فلوس فقط.

سمطان : كلا .. تكون مخطئاً .. انظر حولك إلى أصغر الأشياء وأكبرها ترى المقامرة فى كل زمان ومكان. ترى الحظ الحسن والحظ الردىء. ترى الزهر الناهض والزهر النائم. ترى المخاطرة والمجازفة فى كل شىء. الزواج ضرب من ضروب اليانصيب والامتحان بالمدارس والتجارة والسياسة والمحاكم ذاتها يا عزيزى وهى ديار العدل ومهبط القضاء فيها الحظ الحسن والردىء فمن الناس من يكسب القضية ومنهم من يخسر كله بارتيته.

شاكر : أما فلسفة صحيح طيب وإيه العمل دلوقت.

سمطان : لو كان معى نقود لكسرت البنك كما فعلت فى مونتكارلو .. آه.

شاكر : حيث إنك عالم بفنون اللعب إلى هذه الدرجة فما الذى يمنعك عن الربح العظيم.

سمطان : المسألة مسألة شانس. أنا جربت كثير بختى فى الأسود والأحمر.

شاكر : أظن طلع بختك أسود.

سمطان : شوية كده وشوية كده.

شاكر : طيب لما كسرت البنك فى مونتكارلو وديت فلوسك فين أنت اللى جعلت الدنيا كلها قمار فى قمار؟

سمطان : ذهبت من حيث أتت إنك لا تعرف مونتكارلو ولا تعرف الـهاى لايف حالما تصل إلى مونتكارلو ترى من جمال المشاهد ما ينسيك فراديس بابل المعلقة فيسحرك المنظر البديع وينقلك إلى عالم الوهم والخيال.

شاكر : ده إيه ده وصف بهيج يا أخى ياريت كنت غنى جداً لأسافر وياك على مونتكارلو دى.

سمطان : آه من رؤية الذهب والفضة والبنك نوت تنتقل بسرعة البرق من يد إلى يد ما أحلى منظر وجوه اللاعبين الصفراء وعيونهم الشـــاخصة وخدودهم الشاحبة وجباههم التى تتصبّب عرقاً وأياديهم المرتجفة. ما ألذ حاسة الرعب المستولية على جمعنا ونحن لا نسمع إلا رنة الذهب وصراخ المنادين هلو .. هلو.

سمطان : من فضلك سلفنى شلن أجرب بختى.

شاكر : خذ الريال الفاضل بقى ألعب شركة كل واحد نص!

المشهد العاشر

حافظ – عبد المجيد

حافظ : هذا أفصح منك فى الوصف وأبلغ.

عبد المجيد : هذا سمطان الشهير أستاذ فنون القمار كما ذكرت لك إنه يربـح كل ليلة ما يكفيه.

حافظ : ولكننا رأيناه يقترض شلناً من صاحبنا.

عبد المجيد : هذا شلن البخت فأنه من قواعده أنه لا يلعب إلا بنقود مقترضة.

حافظ : هذه أسرار وعجائب.

عبد المجيد : ها هو مختار قد قام إنه لا يرانا ولكنه سيحضر إلينا حتماً.

حافظ : ما أشد إصفرار وجهه واضطرابه.

عبد المجيد : أظنه فقد كل شىء إذا حاول الاقتراض منك فلا تقرضه مسئلة الاقتراض عند المقامر الخسران طبيعية ممن يعــرف وممــن لا يعرف ولا تظهر فى حضرته هذا الانقباض ريثما نبلغه رســالة أهل منزله.

المشهد الحادى عشر

مختار – عبد المجيد – حافظ

مختار : أوه أنت هنا.

عبد المجيد : من أول الليل نتفرج وننتظرك للسلام عليك.

مختار : معك نقود.

عبد المجيد : على الحديدة يا حظ. هل خسرت؟

مختار : كل شىء.

حافظ : إلا الشرف.

مختار : دع عنك هذا القول (إلى عبد المجيد) لم تقدمنى إلى حضرته.

عبد المجيد : صديقى الدكتور حافظ اختصاصى فى الأمراض الـ ..

مختار : تشرفنا. هل معك نقود يا دكتور من غير مؤاخذة.

حافظ : كنت أود ولكننى تركت كيس النقود فى البيت.

مختار : إذن أئذنا لى فى الانصراف لعلنى أستطيع الاقتراض من غيركما لأنه يلزمنى مصاريف كثيرة على العيد فإن البنت طالبة كسوة شيك.

حافظ : (إلى عبد المجيد همساً) ألا تخبره؟

عبد المجيد : (إلى حافظ همساً) دعه الآن (إلى مختار) أية البنات تقصد.

مختار : يا أخى ألا تعلم إننى من زمن طويل تركتهن جميعاً إكراماً لها.

عبد المجيد : عهدتك يا مختار تأنف أن تشم الزهرة إذا رأيت صديقك قد شمها قبلك وتأبى أن تشرب الماء من الكأس التى يكون غيرك قد سبقك إلى الشرب منها أمامك وهاتان مسألتان لا دخل فيهما لغير حاستى الشم والذوق فكيف تحتمل وأنت الفتى النبيل والشاب المترف الظريف أن تقبل على امرأة من هذا القبيل يشترك فيها كل حواس النفس والجسد وأنت تعلم إنها لعبة كل فتى ومورد كل طالب وعلاله كل سفيه وإنها لم تصل إليك إلا بعد أن تجاوزت مئات من الناس مثلك ولعبت بها أيدى ألوف من الرجال دونك.

مختار : إن وجيدة خاصة لى دون سواى وهى لا تلقى أحداً ممن ذكرت وأنا أعرف أسرتها جد المعرفة ولا أسمح لغيرك بمثل هذا الكلام المر.

عبد المجيد : هذا تحسين الشيطان ولو كان قولك حقاً لما زاد قدرها فى نظرى فأنك لا ترد منها على أدب ولا تأنس فيها إلى لطف ولا تشعر فى جنبها بشىء من مودات النساء ولطف المنزل وإنها أمامك آلة صماء لا تقع عينها منك إلا على موضع الجنيه الأحمر وبئست تلك صحبة ينفر منها طيب الوجدان وساعة لا يبقى منها من الإنسان سوى الحيوان.

مختار : أنت مبالغ ودائماً تهول فى المسائل البسيطة ومع ذلك أؤكد لـك أن وجيدة ليست كغيرها من النساء وهى جديرة بأن أقدم لها كـل ما تطلب وأضحى فى سبيل رضاها كل شىء (حافظ يظهر عـدم الموافقة).

عبد المجيد : ألا ترى إلى أين تقودك حاجتك إلى المال إرضاءً لشهوات تلك المرأة ولو لم تكن متعلقاً بأهداب حبها الفاسد لعشت بسعادة متمتعاً بالثروة الطيبة التى خلفها والدك (حافظ يظهر الموافقة).

مختار : عبد المجيد أنا مش عاوز درس ولا نصيحة من فضلك خلينـا نتكلم فى حاجة تانية.

عبد المجيد : الأمر لك سأصمت ولكن تلطف مع الدكتور فهو اختصـاصى فى أمراض الـ

مختار : تشرفنا ولكن إنشاء الله ما نحتاجش إليه.

عبد المجيد : من يدرى مادمت منغمساً دائماً هنا وهناك!

حافظ : المسألة بسيطة كل ما فى الأمر أن هؤلاء النسـوة مملـوءات بالأمراض المعدية والأدواء القتالة الخبيثة وقد يلهو الشاب سـاعة فى سكرة طيشه وصباه ثم يعقبها ندامة وحسرات تدوم إلى الأبـد وبلوى العمر وضياع الصحة وفساد النسل وخطر الموت العـاجل والانحطاط السريع والإنسان لا يغره الجمال والصحة والنظافـة الظاهرة.

مختار : (بضجر) شكراً لكما على هاتين الخطبتين البديعتيـن والحـق أقول لكما إننى أعلم ما تقولان حق العلم وأشعر بأننى أمثـل دوراً خطراً فى رواية محزنة وطالما ساورتنى الهموم والآلام النفسـية من تلك الحياة المضيعة.

حافظ : (بتأثر) مسكين.

عبد المجيد : (له) إننى أسمع منه هذا الكلام كل ليلة (إلـى مختـار) بـهذه المناسبة هل مضى زمن طويل دون رؤية المنزل وأهله.

مختار : لماذا هل حدث أمر مزعج إننى منذ أسبوعين لم أطرق بـاب البيت وأنا كما ترى.

عبد المجيد : مفهوم. فقط أظن أن والدتك مريضة فافرض أن البيت جـــامع وزره مرة فى الأسبوع.

مختار : هل هى فى حالة خطرة يا دكتور؟

حافظ : لست الطبيب المعالج.

المشهد الثانى عشر

نصرت : حرامى خطاف. طلع الورقة. غشاش.

سمطان : معلوم عنده حق ياتريشه.

شاكر : اللعب كله بايظ ترنشير!

جاسبيرو : أوعك تضرب أنا بعدين أحطو سكينة فى بطنك.

نصرت : (يضربه سكينة) حطها فى بطنك أنت يا حرامى أنـــا أوريـــك (يضرب نصرت من خلف).

مافرو : يا أحمد أطفى النور. بنديد كتو. حريجورى أفانتى.

شاكر : يا شاويش. أنا أوريكم (يضرب) آه يا لصوص (ضوضاء وجلبة وضرب ويتقدم الفتوات من نصرت وشاكر تطفأ الأنوار ويتجـــه الناس نحو الأبواب ويسمع صوت صفارة).

مختار : يالله بنا يا جماعة نزوغ من هنا أحسن المسألة حميت.

حافظ : عملتها فىّ يا عبد المجيد ننفد من أين.

عبد المجيد : ما تخفش هات إيدك.

حافظ : توبة من دى النوبة.

شاكر : يا شاويش. آه ياولاد الـــ .. الكيس فيـــه خمســـين جنيـــه ورق وعشرين فضة وساعة وكتينة ذهب.

(ستار)

(الفصل الثانى)

غرفة جلوس فى منزل مختار

المشهد الأول

أم مختار – أخته

الأم : عجباً لأخيك مختار يا عزيزتى بهية كأنه بلا بيت يأوى إليه!

الأخت : إنه يا أماه بلا قلب أو أن له قلباً خلت جوانبه من حبنا نحن اللتين نعيش لأجله وإلا فما فائدة البيت إذا كان خالياً من الحب؟

الأم : لو كنت أعلم مكانه لسعيت إليه بنفسى وعلمته درساً لا ينساه.

الأخت : إن حبك يخيل لك ذلك والحقيقة إنك تنتظرين رؤيته بفارغ الصبر. على أننى حسب إرادتك أرسلت الخادم كما كلفتنى إلى منزل ابن عمى عبد المجيد ورجوته إن هو رأى مختار عرضاً أن يذكره بنا ولم أشأ أن أكلفه بمقابلته خصيصاً. ولكننى واثقة إنه سيبذل قصارى الجهد فى البحث عنه وإرساله إلينا اليوم.

الأم : بارك الله فيك يا بنيتى الله يعلم إننى لم أقصر فى تربية هذا الصبى ولكن النار تخلف الرماد من كان يظن أن أباه يرزق مثله؟ على أننى بعد خيبة أملى فيه لا أرى لى إلا أملاً واحداً فيك وفى حياتك المستقبلة فإننى أريد أن أراك قبل موتى زوجة صالحة سعيدة وحيث إنك ذكرت ابن عمك فانتهز هذه الفرصة وأسألك رأيك فيه وأنت ترينه فى كل صباح ومساء وكلما أزور دارهم تسألنى أمه عنك وتطلبك عروساً له وقد خاطبتنى فى هذا الأمر أمس.

الأخت : (بخجل) إننى لن أتزوج قبل أن يتزوج أخى مختار.

الأم : إذن سيطول انتظارك لأننى لا أظن هذا الغرّ يريد الزواج قريباً بل يجب أن يبقى مخلوع العذار طالما كان فى العود ماء يجرى على أن العادة والعرف على عكس ما تقولين فهو الخليق بتأخير زواجه حتى تتأهلى أنت.

الأخت : أريد أن أبقى حتى أصير من العوانس لأننى لا أريد أن أتزوج وأتركك وحدك. من ذا الذى يخدمك وينظر فى شؤونك ويرعاك فى شيخوختك كما رعيتنا فى طفولتنا وصبانا (تقبل يدها).

الأم : (تغرورق عيناها بالدموع وتقبلها فى خدها) حبيبتى بهية لا فضّ فوك وبارك الله فيك. إننى أريد أن أزوجك من رجل شريف فاضل وأفرح بك قبل موتى وأراك ولو يوماً واحداً ست بيتك سعيدة بزوجك وأولادك وكنت أود أن أرى أخاك كذلك (تبكى) متمتعاً بالحياة الزوجية الطاهرة، كما كانت آماله فى فتوته ولكن الأقدار شاءت غير ذلك.

المشهد الثانى

مختار - أمه - أخته

مختار : صباح الخير يا جماعة (يقبل يد أمه ويقبل يد أخته فيقبلانه).

الأم : (تحاول كتم عواطفها) ما الذى حدث حتى تذكرت والدتك وأختك، حقاً أن النهار لا يصلح للجرى وراء المسرات!

مختار : بالله يا نينة كفى عن توبيخى فإننى كنت فى غاية المشغولية أؤكد لك بارول دونير!

الأخت : وهل هذه المشغولية تقتضى وصل الليل بالنهار أى ديوان وأية مصلحة بل أى ملهى يبقى ساهراً إلى الصباح ثم يستمر من الصباح حتى المساء؟

مختار : بهية؟ ما أفصحك اليوم! يا بختك قلبك خالى.

الأخت : أنت أنت ذو القلب الخالى أما قلبى أنا فمشغول بحب أمى وأخى الذى لا يحبنا وتذكار ألمى وآمال المستقبل ولكن قلبك هو الخالى من حب أعز الناس إليك ومشغول بحب السهر وعشرة أولاد الحرام وبنات الهوى.

مختار : هل هذه خطبة منك أيضاً يا لها من مصيبة خطبة من عبد المجيد بل محاضرة طويلة بأدلة وبراهين و ..

بهية : إن عبد المجيد ابن عمنا من خيرة الشبان ولا يعرف إلا بيته وشغله وقائم بواجباته خير قيام وليتك مثله إذن لكنا كلنا سعداء.

مختار : الله الله هذا دفاع عن عبد المجيد. هل جد شيء يقتضى هذا التحمس وهذه المقارنة؟

الأم : جرى كل خير أختك تقول الحق فلم يغضبك؟ أتنكر أن عبد المجيد رجل تام الرجولة وجدير بأن ينسج على منواله كل الشبان.

مختار : وأنت أيضاً يا أماه! لابد أن يكون فى المسألة سر عميق. أنا أعلم أن عبد المجيد لم يكن يشغل المكان الأول فى قلبكما.

الأم : ليس فى الأمر سر ولم يحل عبد المجيد ولا غيره محلك من قلبنا ولكن عبد المجيد أظهر شهامة واستقامة فى كل الظروف التى احتجنا إليه فيها وربما ارتبطنا قريباً برباط غير رباط القرابة فأن أختك صارت عروساً تستحق الزفاف (يظهر خجل شديد على بهية).

مختار : صحيح بهية صارت بهجة البيت وست البنات ولكن قبل البت في أمر زواجها لابد من أخذ رأيي لأنني شبه ولي أمرها فأنا مثلاً أعارض في هذا الزواج!

الأم : لأى سبب؟ ألحسن أخلاقه وسيره المستقيم؟

مختار : لو عرفتما أين كان أمس ما أظهرتما هذا الميل الشديد إليه وما دافعتما عنه بهذا الاهتمام.

بهية : (بقوة وضحك) نعرف يا سيدى أنه كان يبحث عنك ووالدتك هي التى كلفته بذلك أكنت تريد أن يبحث عن بيك مثلك فى جامع سيدنا الحسين أو فى تكية النقشبندى.

مختار : صحيح يا بهية أرسلت لعبد المجيد يبحث عنى؟

الأم : قلت له إن كنت تعثر بمختار فنكره بنا يمر ببيته ويزرنا ولو في كل أسبوع مرة كأنه بيت أبيك جامع أو كنيسة.

مختار : عبد المجيد لا يدرك النكتة ولذلك قالها لى ببساطة فاستغربت هذه العبارة.

الأم : لا لوم عليه فأنا التى كلفته بذلك لعلك يا ولدى تعود إلى رشدك على أنك لابد تعبان وفى حاجة إلى الطعام.

مختار : جداً جداً لم أذق طول الليل إلا واحد سندوتش.

الأم : ليس عندنا من هذا الصنف الأفرنجى ولكن عندنا أكل بيتى. يا بهية كلفى الخادم بتحضير الطعام لأخيك.

بهية : حاضر يا نينة. البنت عارفة دائماً أن سيدها مختار يعود إلى المنزل على آخر رمق.

مختار : أوصيها وأنا أعدك.

بهية : بماذا؟

مختار : بعدم المعارضة فى الزواج.

بهية : بلا مسخرة يا أخى (تخرج مسرورة).

المنظر الثالث

خادم - الأم

خادم : الست زينب فواز.

الأم : خليها تتفضل من زمن طويل ما رأيتها. وبهية تفرح بها كثيراً (تخرج الخادمة وتدخل الست زينب، الأم تنهض وتقبلها، ويدنو مختار ويقبل يدها).

المنظر الرابع

زينب - مختار - الأم

زينب : ما شاء الله يا مختار بك مضى على زمن طويل لم أقابلك فيه. إن شاء الله تكون بخير وعافية.

مختار : الحمد لله.

زينب : إننى أقرأ الجرائد ولا أجد لك مقالة ولا خطبة كما يكتب كثير من الشبان الذين فى سنك المهتمين بشئون وطنهم.

مختار : لا أميل إلى الكتابة والتحرير لأنه طبعاً يوجد كثيرون أقدر منى على الإنشاء.

زينب : ليست المسألة مسألة إنشاء ولا تحرير ولكن كل إنسان لاسيما الشبان لابد أن يهتم بالشئون العامة.

الأم :يا ليته يهتم فقط بشؤونه الخصوصية أنت يا ست زينب لست بالغريبة عنا وأقرب إليه من خالته ويصح أن يقول لك يا والدتى لأنك حضرت ولادته أنا متأسفة إذا أخبرتك إن أمور ابنك مختار ليست على ما يرام.

زينب : سبق أن شكوت لى مراراً من إعوجاجه ولكن الظروف لم تسمح لى بمقابلته ومحادثته بصفة جدية.

الأم : لعل هدايته تكون علي يديك.

مختار : والله أنا مجتهد أكون مستقيم ولكن الظروف لا تسمح وإن شاء الله ...

زينب : وبعد يا مختار ألا تريد أن تعدل عن طريق النساء التى أنت سالكها. أما أن لك أن ترعوى إلى متى هذا الضلال. أنا أعلم إنك مسوق فى طريق الشر وملقى فى تيار الهوى بدون إرادتك وعلي الرغم من نفسك وقد أمسيت أسير شهواتك ولا تملك لخلقك قياداً وأعلم أن العلم لا يصلحك ولا الوعظ يهديك حتى ولا أبوك يقوم إعوجاجك إذا قدر الله له البعث من مرقده.

مختار : (بابتسام) إذن ماذا يا تيزتى إذا كنت تعلمين ذلك فما فائدة التعنيف والنصح.

زينب : لأننى أعرف الداء والدواء وأعلم أنه لا يصلحك إلا فتاة فاضلة تتزوج منها فتطلقك من قيود الشر وترزق منك بطفل ترشدك يداه الصغيرتان إلى طريق السعادة.

الأم :هذه كانت حال أبيك قبل زواجنا فإنه كان مثلك ملقياً حبله على غاربه لا يعرف للحياة معنى ولا يذوق للعيشة البيتية طعماً فلما صار له بيت وزوج وأطفال تغيرت أفكاره وتبدلت أحواله وهذا ما أرجوه لك.

زينب : الزواج للشبان أهم شيء.

مختار : دعينا من الزواج يا خالتى.

زينب : ماذا تقول يا ولدى؟ رحم الله من قال خلقهما الله ذكراً وانثى وأوصى باقترانهما ما أوصى وجعل الحب عروة الزواج الوثقى وجعل القلب له مأوى يسعد به ويشقى ويموت به ويحيى وهو الحب الذى ينبه النفس من الكرى فتأنس من الجمال ناراً تذكى فوجدت على النار هدى.

مختار : الله الله إذا كانت النصائح كلها على هذه الوتيرة فلا بأس.

زينب : إن البنت تنشأ فى بيت أبيها زهرة جمال موجودة لقطفها وثمرة غبطة وهناء ترجو قدوم جانيها حتى إذا اكتمل جمالها واستتم هلالها ودنت قطوفها تعرضون أنتم الشبان عنها وتفوتونها وقد خلقتم لها وخلقت لكم وانصرفتم تجرون وراء سواها من بنات الليل وفتيات الحانات وتدوسون ذلك الجمال البرىء وتلك المحاسن الطاهرة بتغاضيكم وإهمالكم كما يدوس الصائد أزهار الربى الزاهية وراء طير يطارده وقد لا يصيده وإذا صاده فقل إن يكون فيه نفع أو فائدة.

مختار : يا خالتى وأين الفتاة التى تليق بى وأنا كما تعلمين من طلاب الكمال فى كل شيء أتظنين أننى لا أشعر بصحة قولك وسلامة رأيك أو أننى اندفعت فى تيار الهوى لمجرد السرور واللهو. أين الفتاة المتحلية بالصفات التى ذكرت.

زينب : ملء بيوت أبائهن حظهن فى النهار النظر وفى الليل الفكر وهن يشعرن بحب تضيق به صدورهن ولا تنطلق ألسنتهن ويظهر الغرام

من عيونهن ولا يقدرن أن يبدينه بأفواههن وينادين الشباب أمثالك بجمالهن ولا يجرأن أن يناديهم بقولهن فلما لا يسمع نداؤهن ولا يجاب سؤلهن ييقين كالوردة الناضرة يظهرها الجمال ويخفيها الخجل وتقر فى مكانها كالحمامة الهائمة تدفعها غلة الظمأ فتردها رهبة الوجل.

مختار : يا خالتى إننى لا أزال فى مقتبل العمر ولا أريد أن أتزوج الآن لأن الشباب فسيح أمامى وآمالى أعظم فسحة.

زينب : إنك مخطىء يا ولدى إذا كنت تنتظر الشيخوخة وهذا هو الوقت الذى ينبغى لك فيه أن تذكر العهد الذى أخذته عليك الطبيعة عند ميلادك أى عذر لك فى أن تترك السعادة الدائمة ولذة ذلك الحب النقى المستمر لتجرى وراء أمنية زائلة تعود عليك بالأمراض والشقاء وتتعلق بكل فتانة خادعة تقودك معها إلى مهاوى العار وحضيض الذلة والهوان ثم لا تلبث أن تعقبك من فاسد قربها هجراً طويلاً ويتبعك كاسد جمالها وزائف حبها فتشترى بعفتك وآداب نفسك وصحتك ومالك ثمناً قليلاً تنتظر الشيخوخة! فمتى يعبث فى رأسك طلائع الشيب وعبثت بك يد العجز والكبر وتخرمت جسمك البالى أمراض النساء وعاهات الغواية والفحشاء تلتمس من مصونات المنازل وفتيات الطهارة والآداب ضحية بريئة طاهرة تقدمها على مذبح أمراضك وتشركها فى ما لم تجن به شيئاً من غوائل العلل والأدواء وتجعل نصيبها من عواقب مرضك وعاهاتك وهى المصونة فى خدرها والخالية النفس عن أميالها وأهوائها نصيب التى صرفت أيام صباها فى التهتك والفحشاء وأرضت لنفسها عناق الشهوات فى ميادين الخلاء والبذاء ثم تجنى بعد ذلك على أولادك تلك الجناية القتالة التى يشاركون بها أباهم فى شقائه وهم لم يشاركوه من قبلها فى شىء من ملاذه وهذه حال لو تأملها القلب القاسى لأصبح رقيق الشعور والإحساس فكيف لا يتأملها الظرفاء أمثالك.

مختار : إننى أريد أن أتزوج ولكن على شرط أن تكون فتاة متعلمة متحورة متيقظة إلى حوادث الدهر آخذة من كل شىء بطرف حتى لا أعاشر جماداً أو آلة صماء أو حيواناً أبكم لا يفهم عواطفى ولا يقدر آمالى وأفكارى. هذه صفات لا نجدها فى غير من ذكرت من النساء رغماً

عن الذم والتعيير والاستهجان وأن الحياء يعوقنى عن الإسهاب فى حضرتك.

زينب : رحم الله والدى الذى كان ينشد قول الشاعر!

علموهن الغزل والنسج والرتـ ق وخلوا كتابة وقراءة

فصلاة الفتاة بالحمد والإخـ لاص تجزى عن يونس وبراءة

تهتك الستر بالجلوس أمام الـ ستر إن غنت القيان وراءه

مختار : هذا كلام مضى عهده وانقضى زمنه وهيهات أن نكتفى نحن شبان هذا الزمان بمثل تلك الترهات.

زينب : إذا كنت تدعو هذا القول ترهات فلا سبيل إلى إقناعك بما فيه نفعك وفائدتك. ومع ذلك كيف تلوم المصرية على جهلها إن كانت جاهلة وعلى قلة إلمامها بطرق العشرة وآداب اللياقة ووسائل المعيشة الحديثة. فقد حكم الدهر لكم أيها الشبان بقوة مطلقة وعيشة مستقلة وسيادة كاملة سدتم بها على الدنيا وحكمتم أنفسكم بأنفسكم وحكمت الأقدار على الفتاة بعكس ذلك من التقيد بأهلها والتعلق بأحكام والديها وذويها والاحتباس فى خدر من العفة والخجل هو أشد الخدور صيانة وأوثق السجون تقييداً فهل ينبغى لكم أيها الرجال أن تستعملوا تلك السلطة المطلقة فى ظلم هذه الخلقة الضعيفة المقيدة وهل يليق فى عرف الإنسانية التى وضعت شرائعها لحماية الضعيف من القوى ووقاية المظلوم من قبضة الظالم أن تسمح بهذا الظلم الذى حكمت به الطبيعة كما حكمت لسواه فمنع الرجل كل ظلم طبيعى سواه ولم يردان يتلافاه.

مختار : الآن دخلنا فى تحرير المرأة وبحث الحجاب والسفور.

زينب : سم كلامى ما شئت وأطلق عليه الوصف الذى تريد ولكن أعلم علم اليقين أنكم تطلبون زوجات مهذبات وأنتم تتركون الفتيات الطاهرات تفنى شبابها فى الخدور يعضلها والد قاس أو أخ جاهل فتذوى محاسنهن كما تذبل زهرة الربيع.

الأم : إذن لقد أحسنت بتصميمى على زواج بهية.

مختار : كل يغنى على ليلاه.

زينب : تطلبون بيوتاً آمنة مطمئنة وعيشة منزلية هادئة سعيدة وواحدكم إذا تزوج يعامل زوجته كأقل خادم وإذا نظر إليها بثغر باسم فإن قلبه مبتعد عنها وهو فى قبضة سواها تطلبون فتيات متأدبات يصلحن لتهذيب الخلف الصالح وأنتم تعرفون الحب الصحيح إلى غيرها ممن لا تستحق من بنات الهوى وفتيات الأزقة والحانات وتلقون الكلام الذى يخرج من صميم أفئدتكم كالجواهر وكان يكون فيه أعظم سعادة وتهذيب لفتياتكم على أقدام نساء بغايا يدسن عليه بعد انصرافكم كما يدسن على جواهر أفئدتكم فى حضوركم إنك وأمثالك تفرون من الفتيات الطاهرات فتحملونهن من نقضكم وإخلاف وعودكم ظلماً جديداً فوق ما ظلمتهن به الأيام وتعزون الفتيات الساقطات بابتذال أموالكم وغرامكم فتزيدنهن طغياناً وضلالاً فى سبيل التهتك والابتذال يعود عليكم جميعاً بالمذلة والخسران يا ولدى. إننى توجهت إليك بهذا الكلام لعلمى بأن والدتك تريد أن تبوح به وزيادة ولكن يخونها حبها إياك وخوفها إغضابك وأرجو أن لا تحقد على إنما أردت صلاحك لأنى أعزك كأحد أبنائى.

المنظر الخامس

(تدخل بهية فتقبل يد الست زينب فتقبلها ويتحادثان خفية)

بهية : (لوالدتها) الأكل جاهز.

الأم : قم يا مختار تبلع بلقمة تعد إليك قواك التى فقدتها فى السهر.

مختار : طبعاً سآكل وأنام مباشرة أرجو أن لا يوقظنى أحد لأن دماغى صارت كالطبل.

بهية : مكتوب على ورق الخيار.

مختار : نعم يا ست بهية؟ تفضلى بالجلوس هنا فتسمعى درساً طويلاً مفيداً كالذى سمعته من خالتى زينب هانم.

بهية : استح يا مختار.

مختار : يا خالتى تفضلى على بهية بشىء من الكلام اللطيف الذى سمعته الآن.

الأم : لعلك وعيت شيئاً مما سمعت.

مختار : الأزهار نبلت على أقدام النســاء .. الضعيـف والقـوي والظـالم والمظلوم وهكذا بقيت في رأسي بضع كلمات سأكررها تلذذاً بها إلـى أن أصل إلى غرفة الطعام (يضحك ويحاول الخروج ويقبل يد خالتـه زينب).

الأم : يا خسارة التعليم فيك.

المنظر السادس

مختار - خادم (يدخل الخادم)

الخادم : سيدى عبد المجيد بك في الجنينة.

مختار : عبد المجيد بك (ناظراً إلى والدته وأخته) الظاهر أن حماتـه تحبـه (إلى أخته) لا مؤاخذة هذا مثل سائر أنا لا أقصدهـا خليـه يتفضـل (يخرج الخادم).

المنظر السابع

بهية - مختار

بهية : وإن كنت تقصدها أى شيء في ذلك ولكن المهم إنك تعرف تقابله.

مختار : طبعاً لا يليق في أودة السفرة وإن كان ابـن عمـى ونسـيبى فـى المستقبل ولا يوجد تكليف بيننا ولكن التقاليد العمومية لا تسمح.

الأم : (تنهض) نخرج من الصالون لأننى أريد أن أخلو قليلاً بالست زينب هانم. وقابل ابن عمك هنا (تخرجان).

المنظر الثامن

مختار - بهية

مختار : والأكل؟ هل راحت عليه الفرصة خسرنا كل شيء حتى الغدا.

بهية : سأرسل إليك الخادم يعد لك مائدة صغيرة (تخرج).

مختار : لا بأس (لنفسه) أما كلام السيدة زينب مؤثر وجميل ولكن من يقـرأ ومين يسمع والله لو كانت صغيرة لكنت أتجوزتها آه لو عرف الشـباب وآه لو قدر المشيب يا ليت زرعوها ما خضرتش.

المنظر التاسع

عبد المجيد - مختار - خادم صامت

عبد المجيد : أرجو أن لا تكون زيارتى مزعجة.

مختار : كلا إنك يا ابن عمي تسليني وتفرج همي فأهلاً بك وسهلاً إنني وجدت والدتي بحال من السخط والأسف لم أشهد لها مثيلاً كذلك وجدت السيدة زينب فواز فألقت إليّ كلاماً طويلاً.

عبد المجيد : لا شك أن تعذرها وتفهم سبب سخطها إنني يا أخي مختـــار لا أدعي إدراك الأشياء أفضل منك ولكن أظن أنه يحسن أن تتظــو قليلاً فيما حولك (يدخل الخادم بالأكل ويضعه في مكان).

مختار : ولكن ليس لي من حياتي الحاضرة مخرج فهل أعيش وحيــــداً بلا معشوقة ولا زوجة في عزلة تامة عن الناس لا أختلط بـــهم إلا إذا اضطرتني الأحــوال ولا أعاشــرهم إلا فيمـــا تقتضيــه ضرورات الحياة (يبدأ بالأكل بشراهة).

عبد المجيد : هذا أفضل من أن تعيش في حضن معشوقة متقلبـــة الأطــوار متعددة الرغائب تبغضك وتخدعك بحبها الكاذب لا ترى منك إلا موضع الدرهم والدينار ولا تلتمس فيك إلا أسباب المنفعة.

مختار : كيف أعيش في ظلال قران شرعي ارتبط فيه بامرأة تقدمها لي الأقدار في غلاف لا يفض إلا ليلة الزفاف كأنها سر من أســرار الدهر مرهون بأوان لا يعرف حتى يذاع في وقت معلوم.

عبد المجيد : هل ضمنت حياة العائلة في حضن والدتـــك وأختـــك هـــب أن والدتك لا قدر الله توفيت وأفرض أن أختك تزوجـــت فـــإنك لا تنوي أن تعضلها.

مختار : طبعاً لا (بمعنى أنه فاهم).

عبد المجيد : فهل تنوي أن تعيش عيشة الوحدة والانفراد أما رأيي فلا فإنني عانيتها في الصعيد بعد وفاة والدي ردحاً من الزمـــن إذ كنـــت مشغولاً بأعمال تصفية التركة وكنت أثناءها أعلل النفس بقـــرب نهايتها وأمني القلب باستبدالها بما هو خير منها. كنت يا أخــــي أدخل غرفاً خالية خاوية وألتمس في أركان البيت وجهاً بشـــرياً فلا أجد وأتسمع طول ليلي صوتاً إنسانياً فلا يستأذن على سمعي.

مختار : والخدم الذين كانوا عندك.

عبد المجيد : الخدم! إن كان عندى خدم فما أنا لهم إلا سيد يهاب ويخشى ولا يحب. يطمعون بماله ولا يطمع في إخلاصهم أبقى مغرزاً مادمت مالك ناصية المال ومكرماً ما دمت راضياً أن أسرق جهاراً وأن تنتهك حرمة بيتى فى غيبتى وأن يغتابنى من أقدم له الخير بيدى.

مختار : إنها إذن عيشة مرة (يأكل).

عبد المجيد : يا لها من عيشة. مائدة لا يزينها وجه باش وأركان لا تردد ضحكة. طفل سعيد أو امرأة محبة. ساعات طويلة تمر على خارج الدار ولا من يسأل عنى ولا يحمل لى هماً غبت أو حضرت. تقدمت أو تأخرت سلمت أو مرضت ... كل كل أنا عارف إنك هالك من الجوع.

مختار : وكيف وجدت صبراً على هذه الحال (يأكل).

عبد المجيد : إذا لم يطاوعنى صبرى يوماً وخرجت بحق عن جادة الحلم والإناة رأيت وجهاً عبوساً ويداً تمتد طالبة ذاك الحساب. أجر وعمل. إذ لا صداقة ولا حب ولا مجال للكلام أو العتاب بئست تلك الوحدة ولو كانت تضيئها مصابيح العلم والحكمة. بئس ذلك الانفراد ولو كان حولى مئة أو مئات من الناس إذ إننى أكون دائماً غريباً بينهم وما أفظع الوحدة فى الائتناس المأجور.

مختار : لماذا لم تتخذ معشوقة.

عبد المجيد : معشوقة امرأة تظهر لى حبها ريثما تملك عنان نفسى ثم تتخلى عن كل شيء إلا مالى فإنها تعرفه وتحبه دائماً وتطلبه فى كل وقت ولا تنسى حقوقها عليه ولا تحب أن تحرم من لقائه وقد تخدعنى الساعة والساعتين ريثما تحصل على المال. المال الذى تكنزه لليوم الذى تنوى فيه هجرى لأنها منذ اليوم الأول من لقائنا تحسب حساب هذا اليوم. فرصة سانحة تنتفع بها على قدر الاستطاعة !! معشوقة متقلبة الأطوار متعددة الشهوات مرت قبل أن وصلت إلىّ بألف رجل وعرفت أخلاق عدد لا يحصى ووضعتنى فى الفريق الذى أنا منه حسبما أوحى إليه تقسيمها أنواع الرجال.

مختار : أجعلها فى بيتك بغير زواج فلا تستطيع أن تخدعك.

عبد المجيد :بيت كاذب وسعادة كاذبة وزواج كاذب وحب كاذب وعناية لدى المرض كاذبة وفرح لدى السلامة كاذبة وبسمة لدى اللقاء كاذبة ووعد بالبقاء على الحب كاذب ونظرة دلال لدى الوصل كاذبة آه آه أكاذيب مكدسة كل شيء كاذب حتى ذلك الطلاء الذى تجمل به وجهها لدى المساء وذلك الثوب الذى تتحلي به عند القرب منى كلا وهذا أيضاً مؤلم جداً. قد أحبها عفواً فتتركنى بغير سبب سوى زهدها فىّ أو رغبتها فى تعذيبى لتسلبنى مالى أو الحصول على رجل آخر تصنع به ما صنعت بى ألرضى أن أكون ككرة القدم يلعب بها الصبى ويقذف بها إن شاء سواء ألصابت غرضاً أم لم تصب؟ كلا إن هذا لا يستطاع أيضاً بل أنه لا يستطاع مطلقاً.

مختار : لم يبق إلا الزواج فلنبحثه قليلاً إننى أتكلم بكل حرية وبقطع النظر عن الأشخاص. القران الشرعى بامرأة لا تعرفك ولا تعرفها تحبك ولا تحبها لم ترك ولم ترها أصبحت بأمر الشرع أهلاً لك وأصبحت لها بعلاً. صارت بحق العقد جزءاً منك لا يفصله إلا الموت أو الطلاق ولكن كيف هى وكيف يكون خلقها أصبورة هى على الشدائد أم طائشة تغلبها حوادث الدهر على إرادتها. أقادرة هى على تدبير ذلك المنزل؟ أتكون مصباح بيتك الذى يضيئه بعد ظلامه أم تكون ظلمة بيتك التى تسوده بعد نوره أتكون عوناً على الدهر معك أم عوناً مع الدهر عليك أتكون حرباً لك على حوادث الزمان أم تكون للزمان حرباً عليك أتكون خصبة ذات نسل أم عاقراً لا تلد وإن كنت أنت عاقراً فهل تنغص عيشتك لأنها لم ترزق منك غلاماً أم تصبر صبر الكرام حتى يتم الله نعمته عليكما بنسل صالح أوديعة هى أم جافة الطبع أتعنى بك فى مرضك أم تعود إلى أهلها. أهلها أهلها كيف تكون أخلاقهم ألها أخ فاسد شرير ينغص عيشكما ويطالبك صباح مساء بحقوق أخته وإن لم يكن لها حقوق أم لها أم تتآمر معها عليك أم

والد طامع يتاجر بابنته. وأهلك تكون حالهم مع الزوجة أغـــيرة وحسد ونميمة واغتياب أشقاق دائم وشجار لا ينتـــهى أشـــاكية للقريب والبعيد بغير حق يا رباه ما أشد حيرتنا فى الحياة.

عبد المجيد : إننى قد خرجت من هذه الحيرة ووصلت إلى حل يسعدنى.

مختار : قد أفهم تلميحك ولكن بعد كلامنا بحرية مطلقة لا أســـتطيع أن أدخل معك فى التفصيلات.

عبد المجيد : ولكن أموافق أنت على هذا المشروع.

مختار : إن والدتى أدرى منى بهذا وأقدر على الجواب.

عبد المجيد : وإذا أجابت والدتك بالقبول.

مختار : فلا أخالف لها رأياً.

عبد المجيد : أشكرك يا ابن عمى (يقبله) وأعدك إننى أبذل كل شـــىء فـــى سبيل سعادتكم.

مختار : إنك يا ابن عمى الحبيب رأيتنى فى حالة واحدة منتقدة وهـــى المقامرة ولكن لى لذات أخرى تعوض علىّ أحزانى.

عبد المجيد : إنك ترى فيها محاسن وهى شرور ومصـــائب تقضـــى علـــى المرء فى أيام محنته أن قد يرى حسناً ما ليس بالحسن.

(ستار)

(الفصل الثالث)

المنظر الأول

مختار – عبد المجيد – عبده

عبده : اتفضلوا يا سعادة البهوات.

مختار : فين ستك يا عبده.

عبده : هى هنا بس فى الحمام.

مختار : طيب اديها خبر وأعمل لنا قهوة زى بتاعة إمبارح.

عبد المجيد : أعمل فنجان واحد بس أنا ما أشربش قهوة (يخرج عبده).

المنظر الثانى

مختار – عبد المجيد – عبده (صامت)

مختار : والله عشرة الدكتور حافظ مش حتعـــود عليـــك بخـــير بـــرده ميكروبات وجراثيم وانتقال العدوى.

عبد المجيد : لأ سبنا من العدوى ولكن الوساخة.

مختار : يا سيدى خليها بلدى.

عبد المجيد : أنت اللى تسوى الهوايل فى بيتك إذا رأيت شىء عليه غبار تغضب وتخانق تجى هنا وتقبل كل ما يقدم إليك، الشخص الناظك لازم يكون ناظك فى كل شىء.

مختار : وإذا جلسنا فى قهوة مش برده بتشرب فى فنجان ما تعرفش أصله ولا فصله ولا حالة اللى شرب منه قبلنا بخمس دقائق ولا فين اتغسل كذلك لوكاندات الأكل والحلاق وحكيم العيون وحكيم الأسنان وفوط الحمام البلدى كل دى حاجات عمومية ومعرضة للكلام اللى بيقوله الدكتور حافظ.

عبد المجيد : وكلها بالطبع أشياء مضرة ولازم الإنسان يفتح عينه جداً.

مختار : والله برده وإن كنت أنا مليش حاجة فى العلوم زيك ولكن الإنسان إذا افتكر فى الدنيا دى يقول يمكن يجى يوم يبقى فيه كل شىء عمومى. ما ديك شايف العبادة فى أماكن عمومية والتعليم عمومى والمعالجة عمومى والأكل عمومى والتياترات عمومى والصور المتحركة عمومى ركوب الترامواى عمومى السفر فى البر والبحر عمومى.

عبد المجيد : دى فكرة خطرة يا مختار ويمكن يغلط الإنسان فى تطبيقها أو يبالغ فى تفسيرها.

مختار : أديك برده فهمت من غير ما أقول أنا (يضحك) تعرف إنى مبسوط جداً من وجودك معى علشان بس تعذر أخوك. دلوقت تشوف الجمال والخفة والذوق دلوقت تتجنن يا سى عبده لأ وإيه ده وده كله من الظاهر فما بالك بالحب الحقيقى والعشرة الغرامية وأوقات الخلوة.

عبد المجيد : أنت مسكين يا مختار أنا حضرت معك لأحاول هدايتك لأننى عاهدت نفسى على إقناعك بتحويل سكنك على أننى أعذرك لأن الحب الذى أنت مصاب به هو مرض يعمى ويصم قد تكون تلك المرأة أقبح النساء خلقة وأقلهن أدباً وأبعدهن عن رقة الشمائل

ولكنك ترى رذائلها فضائل ومعايبها محاسن عين الرضا عــــن كل عيب كليلة.

مختار : بس بأه بلا كلام فاضى بلا شعر (يدخل عبده بالقهوة فيشـــرب مختار) الله أدى قهوة العصارى المكيفة وإلا بلاش (يخرج عبده) أسمع يا عبد المجيد لما خلوت بوجيدة بدأت أشرب خمراً هـــى تشرب كذلك. وكنت بين كل كاس وأخرى أشعر نحوها بميـــل شديد وأحاول نسيان أهلى وأسرتى وشرفى وصحتى وتحدثنـــى نفسى إنه ليس فى الحياة إلا هذه المرأة ووجودى بدونها عـــدم ولما بدأت تسكر أغمضت جفنيها واستسلمت للرقاد فاســـترخت مفاصلها وكنت كلما يخطر ببالى أمر أهلى وأمر المستقبل أجتهد فى طرد تلك الأفكار السوداء عن نفسى حتى لا تكدر صفوى ثم قامت وخلعت ثيابها ولبست للنوم ثوباً مـــن الحريــر الأحمــر ونامت فنمت إلى جنبها وقبلتها قبلة حارة فأحسست أن نفســـى تطير شعاعاً ثم شعرت بسعادة غريبة. غرفة النوم المقفلة والليل الهادىء وضوء المصباح وقنينة الخمر ووجيدة فى السرير كــل تلك الدواعى هاجت عواطفى هياجاً شديداً.

عبد المجيد : لقد غابت نفسك عن جسمك فى تلك الساعة المشؤومة فــانتصر الحيوان الكامن فيك وخرج طالباً شهوته الدنيئة إن أمثال تلـــك الساعة هى التى تنسيك كل شىء وتجعلك لا تخشـــى عواقــب فعلك فلا تذكر ديناً ولا أدباً ولا صحة ولولا ضعف إرادتك مـــا تركت تلك الدواعى تتغلب على فكرك وتصغر فى عينيك الفقــر والمرض وضياع الشرف وهلاك الأسرة.

مختار : آه يا ابن عمى أنت تحكم على ما لم تحط به خبراً. لو أنك ذقت لذة ساعة من تلك الساعات! إننى كنت أملأ الكأس وأدنو منـــها فأشرب وأقبلها ثم أسقيها فتشرب وهى بين النوم واليقظة ثم أقــول لنفسى! يا لله هل بين النساء اللاتى خلقن من عهد حـــواء إلـــى الآن امرأة أجمل منها كلا! كل شىء فيها جميل! فى نومها وفى يقظتها فى سكرها وصحوها ... ومازلنا كذلك حتى الصباح ولم

أنم حتى أشرقت الشمس فغلبني التعب والغرام والخمر والعبق المحيط بنا.

عبد المجيد : ألم تنظر إلى وجهها في الصباح؟ وهل وجدت فيه من المعاني ما وجدت وأنت تتخبط تحت تأثير الليل والخمر ألم تنظر إلى وجهك الأصفر الحيواني في المرآة. ألم تر فيه آثار الضعف والخطيئة. ألم تذكر إذ ذاك أيام حياتك الأولى إذ كنت فتى تتيقظ بنشاط وصحة ألم تبك ألماً وخجلاً من حاضرك. هل أصبحت أسير شهواتك فلا تستطيع الفرار منها يا مختار ألا تذكر أمك وأختك؟

مختار : رغماً عن فلسفتك وهمومي وأحزاني أقول لك أن قلبي في يد تلك المرأة. إنني أسيرها جسماً وروحاً لقد سئمت الحياة إلا بجوارها وكرهت الناس ما عداها. يقولون إن الحب الطاهر هو وحده القوي الشديد الذي يملك العواطف ويأسر النفوس أما الحب النجس فتشتعل به النفس أمداً ثم تنطفيء شعلته. فلماذا أحبها أكثر من كل إنسان وأكثر من كل شيء لقد سبب لي حبها الاندفاع في المقامرة والخمر وجفاء أهلي هل حبها ذنب جرني إلى هذه الذنوب كلها. نعم نعم أنا أحبها فلابد لي من رضاها ولو نسفت الجبال وجفت البحار ولو أمسيت فقيراً معدماً ولو سألت الناس كسرة خبز إنني مدفوع بعوامل أقوى من الفقر وذل السؤال والعقل والصبر والفضيلة وأقوى من كل شيء فيا أسفي ويا حسرتي (يبدو عليه التأثر).

المنظر الثالث

عبده – شفيقة

عبده : (من الخارج) الست مش هنا يا ست شفيقة بقول لك يا سلام ما تبقيش كده.

شفيقة : وأنت مالك يا جدع خليني أخش أشرب لي فنجان قهوة واستنا الست (يدخل عبده).

المنظر الرابع

عبده – مختار

عبده : (لمختار وصاحبه) اتفضلوا خشوا جوه الأودة على ما تنزاح البلـــوا دى.

مختار : مين دى.

عبده : دى شفيقة المصرية الشهيرة بتاعة زمان.

مختار : عاوزه إيه.

عبده : بتتجم وتفتح الورق وتسترزق من كده.

مختار : ما تخليها تيجى يا واد يا عبده.

عبده : بعدين تطلب فلوس.

مختار : وماله أنا بدى أشوفها لأنى سمعت عليها وسمعت إنها كـــانت أدب أهل زمانها وأظرف الستات.

عبده : اتفضلى يا ست شفيقة.

المنظر الخامس

(تدخل امرأة شقية الحظ حقيقة ومنظرها يدل على الفقر الشديد بعد نعمة)

مختار : أهلاً وسهلاً (بتأثر).

شفيقة : أهلاً بك يا بيه. لو كنت عارفة حضرتكم هنا ما كنتش دخلـــت قطعت عليكم المجلس.

مختار : إن وجودك يسرنا.

شفيقة : وجودى دلوقت يا بيه ما يسرش ولكنه يحـــزن. وفـــى هيـــأتى وحكايتى عبرة للستات علشان كده أحب أزورهم واللى أعـــزه منهم أحكى له تاريخى أنا كنت أجمل واحدة فى الأزبكية وكانت مصوغاتى سيرتها فى فم كل الناس وكان المشاهير يجو علشان يسمعوا صوتى ويجالسونى وينبسطوا مــــن كلامـــى. وأدينـــى ضيعت كل شيء ولا ليش من الدهر لا بنت ولا ولد ولا حلتيش حاجة وأصبحت عبرة وأصبحت مذهولة ربنا ما يورنيش فيكـــم ردى (تبكى ويبدو التأثر على الاثنين).

عبده : يا الله بقا يا ست شفيقة مش وقته البهوات جايين ينبســطوا والا جايين يتعكننوا ربنا يخلى أهل النظر أنت برده ست العارفين.

عبد المجيد : اخرج بره يا ولد مالكش شغل شايف ياسى مختار بس خلـــى بالك.

مختار : أنا مليش جلد أسمع كلامها. آدى آخرة الجمال والفساد.

شفيقة :ياريتنى لقيت راجل يوكلنى لقمة عيش بدقة ويصوننى فى منزله.

مختار : كل الناس كانوا يتمنوا رضاك.

شفيقة : ولكن ما حدش كان عاوز يجوزنى كلهم عاوزين يتمتعوا شـوية ويروحوا لحالهم.

عبد المجيد : يا ريتك لحقت نفسك يا ست شفيقة.

شفيقة : الشباب شعرة من الجنون الدنيا فتانة والدهـــر غـدار طـول الواحدة منا ما هى شابة وحلوة ومصيغة تظن أن الحال يــدوم كده إلى ما شاء الله – الناس تفهم حالتنا قبل إحنا مـــا نفهمــها يروح شبابنا وجمالنا فى نظرهم وإحنا لسه حلوين وصغـــيرين فى نظر أنفسنا والمراية اللى نطل فيها كل يــوم مــا توريــش الفرق. (يخرج مختار نقود ويمد يده بها إلى شفيقة).

شفيقة : (تبكى) اللى مكتوب على الجبين تراه العيون.

مختار : خدى يا ست شفيقة.

شفيقة : إحسان .. يادى الفضيحة!

عبد المجيد : لأ .. هدية (يخرج نقود هو أيضاً).

عبده : ربنا يخلى البهوات أدعى لهم بقه يا ست شفيقة (عند ذلك تسمع غوغاء وضحك وكلام بصوت عالى).

عبده : ست شفيقة الست خارجة من الحمام وأنت عارفة طبعــها لمــا بتشوفك بيحصل لها كدر (تهم المرأة بالانصراف).

عبد المجيد : أمشى يا ولد بره. لازم تقابلها دى عاوزاها فى شغل ضرورى (لنفسه) هذا هو المنظر الذى انتظره مقارنـــة بيــن الحــاضر والمستقبل وجيدة الجميلة الصبية الغنية المرغوب فيها وشـــفيقة الذميمة العجوز الفقيرة المهجورة المطرودة.

المنظر السادس

(تدخل وجيدة فى ثوب جابونير كيمنيو وشعرها مفكوك فتضحك عالياً عندما ترى الشابين وتجلس وتجلس ثم تستبين شفيقة التى لا تدنو منها فتسلم عليها ويبدو انقباض عليها)

وجيدة : أهلاً وسهلاً ست شفيقة أنت هنا من الصبح لو كنت عارفة كنت خرجت من بدرى. شربت القهوة والا لسه؟

شفيقة : شربت يا ست ربنا يخليك ويخلى البهوات.

عبد المجيد : الست شفيقة كانت بتحكى لنا تاريخ حياتها.

مختار : (له) ما تكدرهاش يا عبد المجيد (لوجيدة) حضرته ابن عمى.

عبد المجيد : (له) لا وهى المسألة فيها كدر.

وجيدة : (لعبد المجيد) تشرفنا يا أفندم. لا يعنى سمعت تاريخ حياتها وعارفاه وأدى حال الدنيا واد يا عبده.

عبده : نعم يا ست.

وجيدة : هات الجزلان من تحت المخدة (يدخل الغرفة).

شفيقة : البهوات ربنا يخليهم سبقوك قدموا لى ... هدية.

وجيدة : طيب وأنا مالى وما للبهوات دى عادة (يعود عبده وتأخذ منه وتخرج نقود).

شفيقة : ربنا ما يقطعلكيش عادة (تعزم على النهوض).

وجيدة : أبقى تعالى.

شفيقة : (تنهض بحالة محزنة) إنشاء الله (تسلم على الجميع وتخرج).

عبد المجيد : مسكينة الولية دى منظرها يقطع قلب الجماد. فين النهاردة من إمبارح دى شفيقة المصرية المشهورة اللى صورها على علب الكبريت وتقاتل الشبان علشانها واغتنى من ورائها الخواجات أصحاب قهاوى الرقص وبنوا من وراها أساطيل دى موعظة كبرى لأمثالها.

وجيدة : آدى حال الدنيا ومع ذلك أنت تفتكر حضرتك إن إحنا مرتاحين لحالتنا والا راضيين بها. ولكن ده وعد لازم نستوفاه وأنا ساعات لما أشوف ست شفيقة اللى كانت هنا أقول فى نفسى بكره أبقى كده وأروح من بيت لبيت وأشحت ولا حدش يسأل علىّ (تبكى).

مختار : (يطيب خاطرها ويقول لعبد المجيد) كده يا أخى ما قلت لك من الصبح إنها ما تتحملش الانفعالات دى.

وجيدة : (تضحك ضحكة عصبية) لا .. لا أنا كده تملّى بعد الحمام وعلشان كده أحب أشرب كاس كونياك زى ما قال لى الدكتور.. عبده هات قزازة المارتيل اللى فوق البوريه وكأس نضيف يمكن كأس الكونياك يفوقنى (يعود عبده بالمطلوب تفرغ) فى صحتكم (تشرب).

مختار : أنا حاخد كاس واحد أنا كمان علشان تأثرت قوى.

عبد المجيد : أيوه أنت تلاقى ألف عذر للشرب قبل المغرب.

وجيدة : بلاش يا مختار أحسن ابن عمك مش عاوزك تشرب أنا مشفتوش إلا النهاردة ولكن باين عليه جد.

مختار : يعنى إيه وأنا مش جد؟

وجيدة : أيوه أيوه طبعاً. قصدى إنه ما يحبش يشرب ومش عاوزك كمان تشرب.

مختار : (يشرب) ده ابن عمى مش عاوزنى أعمل حاجات كتير.

وجيدة : أظن مش عاوزك تعتب البيت ده عنده حق أنا قربت أحبك ومين عارف يجرى إيه بعدين يا هل ترى تجوزنى.

مختار : ليه لأ ؟

عبد المجيد : (لنفسه) الله الله المسألة وصلت لحد كده !!

وجيدة : ما تبصش لحالتى هنا أنا أصلى طيب أنا أبويا الحاج حسن الجزايرلى على سنّ ورمح اللى كان تاجر مشهور فى إسكندرية وفلس ولما فلس همومه كترت فاتعلم الشرب علشان يسكن حزنه وكانت والدتى تقول له ربنا يكره يصلح أحوالنا وحافظ أنت بس على صحتك والحكيم كان ينصحه ولكن ما نفعش فيه كلام حد منهم وفضل يشرب لحد بعيد عنك ما إنشل ورقد فى الفرش وبالحق والدتى ما قصرتش فى الصرف والعلاج والحكما والأدوية ولكن كله راح فى الهوا. وفضل أبويا راقد فى الفرش ثلاث سنين أنا فاكرة الأودة والسرير اللى كان نايم فيه وشايفاه

أصفر ونحيل دلوقت كأنه قدامى وفى إيده كتاب ولما يحس إن حد دخل الأودة يرفع نظره بشويش ثم يحقق فى وش الداخل وبعدين يرجع تانى زى ما كان مذهول وساكت وكان وجهه جميل وله دقن بيضة ويظهر إن عقله ضعف من الشرب والمرض (تشرب كاس كونياك).

مختار : القصة دى مؤثرة بلاش دلوقت.

عبد المجيد : بالعكس دى حكاية مهمة خليها تفتكر أمواتها.

وجيدة : أنت عاوز تسمع أنا أحكى لك أنت وخلى مختار يغير.

مختار : لا أنا عاوز أسمع أنا كمان بس أنت بتتأثرى يا حبيبتى.

وجيدة : طيب اسمعوا أنتو الاتنين .. لما طال المرض على والدى وقطعنا الرجا من شفاه والدتى الأخرى خست وأصفرت وكان لى أخت أكبر منى بقت تخرج تتفسح واستضعفت والدنا لما شافته مريض ما يقومش وتقريباً مايفهمش ووجدت نفسها حرة تفعل ما تريد. وكانت أتجوزت قبل ما يرقد وجوزها مات وورثت فيه قرشين واشترت عربية وعاشت واحدة ست صبية وغنية وعازبة ومش مخلفة وفى يوم من الأيام جابت لنا فى البيت جدع أسمه إبراهيم حليوة وعياقة وقالت إنه خطيبها وأخيراً أتجوزها فعلاً ولكن يظهر أن الزواج طفى نار الحب فمصمصها من القرشين اللى ورثتهم من زوجها وتركتنا إحنا ووالدها فى غاية الاحتياج وكانت والدتى نفسها عزيزة وكان عمرى سبعتاشر سنة وكان جوز أختى الجديد تملى يعاكسنى ويقدم لى هدايا فى السر وفضل يغوينى ويضحك على عقلى إلى أن وصل لغايته .. وفى يوم فاجأتنا أختى وعملت فيه اللى ما يعمل وطلبت أن يطلقها فهددها فعلاً بالطلاق فخافت وانتهت المسألة بالصلح على شوط أنهم يسيبونا ويعزلوا كل ده حصل ووالدنا المسكين راقد فى الغرفة ولا يدرى اللى جرى فى منزله أخيراً ماطولش عليكم مات والدى وضاقت الدنيا بنا فجيت أنا ووالدتى على مصر فالخواجة أنطون صاحب الألدرادو فرح بى وعلمنى الغنا وتوتة توتة فرغت الحدوتة (وتضحك ضحكة عصبية كأنها بكاء).

عبد المجيد : طيب عاوزه تجوزى مختار إزاى بعد ده كله ؟

وجيدة : أنا بضحك يعنى هو يرضى كان أولى الجدع اللى عرفنى وأنا بكر ومع ذلك مين يعرف يمكن واحدة مثلى تصون نفسها وتعرف نعمة الزواج أكتر من ألف واحدة ثانية.

مختار : أنا أتمنى أجوزك بس لو يرضى العذول.

وجيدة : دخلنا بقى فى الهزار. أنا ما عمريش حكيت تاريخى لحد غيركم يعنى ما فيش واحدة مننا راضية بحالتها ولا حد منا عايش فى الهم ده بكيفه.

المنظر السابع

(يدخل عبده)

عبده : يا ست الخواجة أنطون مشيع الشيخ بحر.

وجيدة : قوله مش نازله الشغل الليلة علشان تعبانة قوى وأهو الحكيم قاعد عندى (لعبد المجيد) أعمل أنت حكيم لما أخبى الكونياك (تخبيه).

عبد المجيد : يعمل مختار أحسن (يخرج عبده ثم يعود ومعه الشيخ بحر وهو شخص سُترى أو مطيب وهيأته مضحكة نوعاً).

الشيخ بحر : أسعد الله التماسى على أسيادى البهوات طول الليل وأنا بقاسى من فراق الأحبة؟

وجيدة : جتك إيه يا شيخ بحر (تضحك).

بحر : جتنى بوسة من اليد الطرية (تعطيه يدها) ثم بعد ذلك الخواجة الهالك يسأل مكارم الست أن تتفضل على التخت لأن الناس فى الانتظار ولو قعدوا لحد ما يشقشق النهار!

وجيدة : أنا عيانة سلم على الخواجة وقول له وأديك شايف اثنين حكما جنبى.

بحر : أنا العليل وأنت الطبيب واللى جرح عنده الدوا طيب يا ست سأبلغ الرسالة لأنطون ابن الغسالة اللى حقه يقفل القهوة ويستعوض الله فى ثمن الزجاج ما دامت وجيدة الأقمار متعكرة المزاج.

وجيدة : (تضحك) كتر خيرك (تعطيه نقود).

بحر : خيرك علينا عندى للبهوات لادن زى الفل (يخرجه ويفرق) ثم من بعد ذلك سعد الله التماسى يا ست الكل.

وجيدة : يسعد مساك (يخرج) أما أقوم بقى ألبس هدومى أحسن الليل دخل مش حتتعشوا عندى؟ أنا أحب أكل الحاتى.

عبد المجيد : أنا أستأذن.

وجيدة : جرى إيه.

مختار : خليه يروح أحسن مالوش عادة يسهر (يخرج عبد المجيد ووجيدة تقع بين ذراعى مختار).

(ستار)

(الفصل الرابع)

عيادة طبيب الأمراض الزهرية

المنظر الأول

طبيب - مريض أول

طبيب : إنني أفحص البول كل يوم وأجعل العلاج حسب حالة الميكروب قوة وضعفاً.

مريض أول : إننى لا أزال أتألم كثيراً خصوصاً إذا تيقظت ليلاً وشعرت بحاجة للـ

طبيب : مفهوم .. مفهوم هذا أمر طبيعى إننا لا نزال فى الدور الثانى للعلاج ومع ذلك ..

مريض : لو كنت أعلم متى يتم شفائى بالضبط إذن لا أكون رجلاً إذا لم أجزل مكافأتك.

طبيب : ليست المسألة مسألة مكافأة ولكن للشفاء أدواراً مثل أدوار المرض ومع ذلك ..

مريض : مع ذلك ماذا؟

طبيب : كان يمكننى أن أشفيك فى وقت قصير جداً إذا كنت ...

مريض : أنا مستعد لدفع أى مبلغ ...

طبيب : دع عنك المبالغ إنما إذا كنت تحتمل حقنة نترات الفضة فإن العلاج مضمون وسريع. ولكن يوجد كثيرون من المرضى لا يحتملون ألمها.

مريض : أنا أحتمل أى ألم فى الدنيا! هل الألم شديد جداً؟

طبيب : طبعاً لأن المادة كاوية للغاية ويعقب العلاج بها ضيق فـــى القنـــاة وانتفاخ فى بعض الجهات والتهابات شديدة مؤلمة ولكن نتيجتها ليســت خطرة.

مريض : أنا مستعد لأن أحتمل أى ألم فى الدنيا ولكن هل هـــذه الالتــهابات مؤلمة جداً؟ جداً بحيث ...

طبيب : طبعاً مؤلمة قد يتعسر عليك التحرك من الفراش بضعة أيـــام وقــد تتألم إذا انحبس البول كما هو المنتظر فى تلك الحالة.

مريض : إذا لم يكن هناك خطر فأنا مستعد لأنك يا دكتور لا تتصور مقــدار الآلام البدنية والمعنوية التى أشكو منـــها إن الآلام البدنيـــة المتقطعـــة أتحملها بشىء من الجلد لأننى تعودتها وأصبحت أعتبرها جزءاً مـــن حياتى اليومية التعسة على ما فى هذا الاعتبار من الشـــقاء والحســـرة ولكن الشىء الذى أصبحت لا أحتمله هو الآلام المعنوية.

طبيب : مفهوم .. مفهوم (يظهر علامات ضجر).

مريض : تصور يا حضرة الدكتور إننى إذا مشيت فى الطريق أشعر كــــأن كل الناس تعرف حقيقة مرضى وإذا حدق بى أحد المـــارة أطـــأطىء رأسى حالاً وأقول فى نفسى هذا طبيب قد اكتشفنى وهو يحتقرنى لأنى مريض وإذا صدرت من أحد الناس إهانة لى اضطـــررت لمعانقتـــه خشية أن يعيرنى بمرضى مع أنه قد يكون أجنبياً عنى ولم يقع عليـــه نظرى قبل ذلك الوقت.

طبيب : مفهوم .. مفهوم (يضجر).

مريض : وخصوصاً إذا رأيت امرأة كائنة من كانت فإن الغضب حينئذ يملك نفسى ويخيل إلىّ أنها جديرة بانتقامى لأنها تمثل جميع بنات جنسها بما فيهن تلك التى سببت لى تلك الآلام. ومع ذلك فأننى كنت أحبـــها ولا أزال أحبها إلى الآن ولكننى أخاف أن أدنو منها لئلا ..

طبيب : مفهوم .. مفهوم أرجو أن تخبرنى إذا كنت صممت على اســتعمال العلاج الشديد الذى تكلمنا عنه وهو يضمن لك الشفاء السريع مع بعض الألم بدون خطر أم تفضل أن تستمر على العلاج العادى.

مريض : أنا مستعد لاحتمال أشد الآلام مادام ليس هناك خطر ولكن الانتفاخات والالتهابات وانحباس البول ألا يمكن أن ينتهى هذا العلاج بالموت .. لأن الست والدتى ..

طبيب : كلا إنه ينتهى دائماً بالشفاء إلا إذا استجدت مضاعفات.

مريض : مضاعفات .. غير الانتفاخ والالتهاب.

طبيب : كل علاج عرضة للمضاعفات ولا يستطيع أى طبيب أن يتقيها ولكنه يحسب حسابها ويعالجها.

مريض : كل هذه المصائب والأخطار مقابل لذة دامت أقل من بضع ثوانى. تصور يا حضرة الدكتور كيف كانت حالتى والعياذ بالله لو أصابتنى قرحة من المرض الذى لا أريد أن ... يا لطيف! إذن كانت الست والدتى ... ومع ذلك أنا لم يحصل لى مثل هذا الشيء في فرنسا فقد كنت أتعلم الفنون الجميلة فى مونبليه وتولوز وكنت طبعاً كما لا يخفى على فطنتك ...

طبيب : مفهوم .. مفهوم (يتحرك نحو الباب) أظن أن الأفضل أن تستمر على العلاج العادى فإن حالة أعصابك على ما يظهر لا تسمح بالطريقة الأخرى إلى غد فى مثل هذه الساعة.

مريض : أنا مستعد لاحتمال أشد الآلام .. لأن الست و ...

طبيب : (يفتح الباب) مع السلامة (يخرج).

المنظر الثانى

تمرجى صامت – طبيب – شاب

طبيب : (يدق جرساً فيظهر التمرجى بالباب) غيره بالدور (يختفى التمرجى) (لنفسه) هذا المريض حمى ولكنه معذور (يدخل شاب لطيف الهيأة) تفضل يا أفندم أجلس هنا.

الشاب : عفواً يا دكتور أنا أسمع باسمك لأن شهرتك واسعة جداً.

طبيب : إن شاء الله أستطيع أن أودى لحضرتك الخدمة اللازمة.

الشاب : المسألة بسيطة ولكن يهمنى جداً.

طبيب : مفهوم .. مفهوم.

الشاب : مسئلة دقيقة للغاية. ولكن لا داعى للخجل ...

طبيب : طبعاً .. تفضل دعنى أفحصك أولاً!

الشاب : دعنى أتكلم أولاً .. منذ بضعة أيام شعرت بحكة فى ... وخصوصاً فى جانبى الصماخ ثم شعرت كأن هناك شيئاً يؤلمنى من الداخل فوجه هذا نظرى إلى ذلك المحل مراراً عديدة فى وقت قصير ثم وجـدت أن البول صار متكرراً وبعد ذلك بيومين أو ثلاثة حصل التهاب وانتفاخ ثم صرت أرى سائلاً كريهاً ثم شعرت باحتراق فى البول وكنت إذا حدث ليلاً ...

طبيب : مفهوم .. مفهوم الحالة معلومة لدينا أسمح لى ..

الشاب : من فضلك كلمتين فإنه حصل عندى تعقيد فى المحـــل وألـــم فـــى المثانة.

طبيب : ألم تشعر بشىء من البرد والحمى ..؟

الشاب : نعم شعرت أمس بالحمى وبضعف عام وانحطاط فى سائر أعضـــاء البدن وبالى فى غاية الاضطراب والقلق وهذا سبب حضورى.

طبيب : المسألة بسيطة لا تستدعى الاضطراب .. ويوجد فى البلد عشـــرات الآلاف مصابون بهذه الحالة شباناً وكهولاً .. ونساء.

الشاب : عشرات الآلاف .. إننى أظن نفسى أنا الوحيد عندمـــا أســـير فـــى الطريق أشعر..

طبيب : مفهوم .. مفهوم بأن الناس تحتقر جنابك وأنهم يعلمون حقيقة علّتك.

الشاب : تمام يا دكتور كأنك مريض مثلى.

طبيب : (يتبسم) هذه أعراض معلومة لدينا.

الشاب : أريد أن أخلص من هذا الداء مهما كلفنى ذلك .. لأننــــى موظـــف بالحكومة ولا أستطيع أن أعانيه أكثر مما عانيت.

طبيب : ألم تعالج نفسك بشىء؟

الشاب : (يخرج من جيبه زجاجة وحقنة) أرشدنى أحد أصدقائى إلى صيدلى ماهر فأعطانى هذا العلاج فاستعملته ولكنه زادنى ألمـــاً واضطرابـــاً ناهيك بما يصيبنى من الخوف لإخفاء هذه(العدة)فى البيت وفى الديوان.

طبيب : لقد أخطأت فى استعماله ومع ذلك فأحسن ما يعمل الآن هو فحـــص السائل بالميكروسكوب للتأكد من وجود الجونوكوكس نيسر.

الشاب : أين يوجد هذا؟

طبيب : جونوكوكس اسم الميكروب ونبسر هو العالم الذى اكتشفه.

الشاب : فهمت.

طبيب : فأفضل ما يمكن عمله الآن هو فحص السائل وترك العلاج بالحقن والالتجاء لبعض الجرع التى تقلل الالتهاب وتخفف حموضة البول وبعد ذلك ببضعة أيام إذا تأكدنا من وجود الميكروب نقاومه بالحقن اللازمة. وفى الوقت نفسه ينبغى لك أن ترتاح راحة تامة وتقلل من المشى والحركة العنيفة وأن تحتمى على قدر الطاقة. تفضل خلف هذه الستار وأترك فى آنية عندك أثراً من ذلك السائل (يتوارى الشاب ويأخذ الطبيب يكتب فى دفتر أمامه ثم يدخل إلى حيث الشاب ليفحصه).

المنظر الثالث

مريض أول – تمرجى

(يدخل مريض أول وخلفه التمرجى)

مريض أول : فقط أريد مخاطبة الدكتور فى كلمة لأننى نسيت أسأله عن نظام الأكل. لأن الست والدتى ..

تمرجى : يا أفندى من فضلك ممنوع الدخول فى غير دورك هنا محل أسرار.

مريض أول : طبعاً طبعاً كلنا نعرف ذلك. ولكن الست والدتى كانت قالت لى ..

تمرجى : يا سيدى تخرب بيتى إذا كان حضرة الدكتور يراك فى محل العيادة وهو مشغول مع مريض آخر.

مريض أول : طيب ها أنا خارج ولكن خذ لى إذن بالمقابلة قبل المريض الآتى ... ومع ذلك نظام الأكل أجعله مثل أيام مونبليه .. أحسن فكرة لأن الست والدتى ..

تمرجى : (يسحبه بلطف فيخرج ثم يخرج المريض من وراء الستار وخلفه الطبيب ويكتب الطبيب ورقة).

المنظر الرابع

شاب – طبيب

شاب : كم تريد يا دكتور؟

طبيب : نتفق على أتعاب المعالجة فيما بعد اسم حضرتك.

شاب : عنايت حسنى وموظف بقلم الضرائب عمرى ثلاثون سنة وغير متزوج وقاطن بحارة مغن بشارع الشيخ داود قسم السيدة (الطبيب يدون فى دفتر).

طبيب : تشرفنا تفضل بالمرور بعد ثلاثة أيام واستعمل هذا الدواء من اليوم (يعطيه تذكرة) وامتنع عن أكل اللحوم الحمراء والمواد المهيجة والحريفة وعن شرب المنبهات وابتعد عن السهر على قدر الطاقة.

شاب : متشكر يا دكتور.

طبيب : أغسل يديك وإياك أن تلمس عينيك أو فمك أو أنفك أو عينى أحد فى المنزل أو فمه أو أنفه عقب فحصك فإن الميكروب إذا كان موجوداً ينتقل ويسبب عدوى مؤلمة لمن يصيبه فى تلك الأماكن.

شاب : كثيراً ما فعلت ذلك فما العمل.

طبيب : احترس من الآن وأغسل يديك دائماً بليزول أو ما يقوم مقامه من المطهرات وأغسل عينيك وفمك دائماً بمحلول البوريك ولا تخالط أحداً خصوصاً السيدات والأطفال.

شاب : متشكر يا دكتور.

المنظر الخامس

طبيب – عبد المجيد – مختار

طبيب : أهلاً وسهلاً (يصافحهما) إننى لم أركما من زمن طويل. من ليلة تعرفى بحضرته (مشيراً إلى مختار) فى محل اللعب.

مختار : صحيح.

طبيب : الأيام تجرى بسرعة أكثر من ستة شهور الآن.

عبد المجيد : تقريباً.

طبيب : إن حضرته مشغول بالحياة العالية والتمتع والسهر فأنا أعذره إذا لم يجدد مودتنا ولكن أى عذر لك أنت .. أنت طليق لا يشغلك شىء من ملاذ هذه الحياة.

عبد المجيد : إن ملاذ الحياة لا تشغل. ولكن همومها هى التى تشغل ومع ذلك فإننا لا نريد أن نضيع وقتك الثمين لأن عندك فى غرفة الانتظار عدد عظيم من الزائرين كان الله فى عونك.

طبيب : هل رأيتهم؟ إن منظر المرضى غير مبهج خصوصاً هذا النوع من المرضى لعل ابن عمك لم يتكدر. لو علمت بمقدمكما لاستقبلتكما فى مكتبى هل تودان الانتظار قليلاً ريثما أفرغ من العيادة ثم ننصرف معاً .. نصف ساعة على الأكثر.

عبد المجيد : هذا غير ممكن.

طبيب : لماذا؟

عبد المجيد : لأننا زائران فى استشارة طبية.

طبيب : (بدهشة) ما هى؟

عبد المجيد : إن ابن عمى مختار بك ..

طبيب : آه .. من أى شىء يشكو؟

عبد المجيد : هو يظن أنه لم يسمع نصيحتك فى تلك الليلة الأولى فعاقبته نجمة الصباح بأكثر مما يستحق. ولكن هل أتكلم مكانه إنه شديد الخجل وكان يريد زيارة طبيب آخر خجلاً منك.

طبيب : اللى تعرفه أحسن من اللى ما تعرفوش. ومع ذلك ليس فى الأمراض ما يدعو للخجل الأفضل أن يتكلم مختار بك (متلطفاً بابتسام) إننا كلنا شبان وأصدقاء وما يحصل له اليوم حصل لنا بالأمس أو سيحصل لنا غداً.

مختار : إن لطفك يا دكتور ذهب بكثير من الوحشة التى كانت تقتل نفسى ولكن شعورى بما جنيت يكاد يقضى علىّ القضاء الأخير.

طبيب : ما هذه المبالغات؟

عبد المجيد : إن ابن عمى يظن أن صديقته أساءت مكافأته.

طبيب : إن الأمراض التى أعالجها ربما كانت مخيفة فى الأجيال الوسطى ولكنها صارت الآن أمراضاً عادية فلا يخشاها الناس لا لأنها تغيرت أو تحولت بل لأننا صرنا على يقين من أمرها وصارت محاربتها من أهون الأمور علينا.

مختار : إن صدق ظنى فقد يكون مرضى شر الأمراض.

طبيب : قد لا يصدق ظنك وقد تكـون متوهمـاً لأن تشـخيص هـذه الأمراض من أصعب الأمور على الطبيب الاختصاصى نفسه فما بالك بالشخص الذى يظن نفسه مريضاً.

عبد المجيد : لقد قلت له قد يكون مخطئاً فلم أتمكن من تهدئة خاطره ويقـول إنه يشعر شعوراً باطنياً.

طبيب : إن هذه الأمراض وخصوصاً أخطرها لا يوجد بغتة ولا يظـهر بدون إنذار وكثيراً ما يزورنى شبان متوهمون بأنـهم مصـابون ويقصون علىّ من أخبارهم أشكالاً وألواناً وكل قصصهم أوهـام تولدت فيهم من خوفهم أو من كلام طبيب لا ضمير له.

عبد المجيد : أظن الدكتور يعرف حالاً بمجرد ...

مختار : ولكن قل لى يا دكتور على فرض صحة ظنى فهل هناك أمـل فى الشفاء؟

طبيب : كيف لا .. طبعاً إن أفضل واسطة هى صيانـة النفـس عـن الإصابة ولكن إذا كان الأمر قد وقع فالعلاج موجود حقيقة توجـد بعض الحالات الخبيثة التى تحدث إذا كان المصاب بكراً.

عبد المجيد : أظن أحسن شىء هو الفحص.

طبيب : إذا تفضل مختار بك.

مختار : (لنفسه مضطرباً) إننى أريد أن أرجىء هذه اللحظة على قـدر ما أستطيع ليتنى زرت طبيباً آخر يكاد الخوف يقتلنـى والخجـل يقضى علىّ.

عبد المجيد : لا تتردد يا مختار الأمر أهون مما تظن إن الدكتور صديقنا.

طبيب : تفضل وأذكر لى شيئاً عن حالتك باختصار ثـم أسـمح لـى بفحصك.

مختار : إننى منذ بضعة أسابيع أشعر بضعف وانحطاط فـى قـواى البدنية وكل من يعرفنى يقول لى إننى أصفر اللون وأنا أحسـب الإصفرار من كثرة السهر ولكننى أشعر أيضاً بكآبة دائمة ولا لذة لى فى نوم ولا طعام وتعاودنى حمى خفيفة ويسرع نبضى فـى بعض الأحيان.

طبيب : هل تشعر بأوجاع فى بعض أعضاء بدنك.

مختار : فى عامة جسمى وخاصة فى الليل فإنه يتملكنى صداع قتال وأشعر بأوجاع عصبية بين الأضلاع وفى الظهر والساقين كأننى أشعر بقدوم نجار يدق عظمى ومنشار ينشر أعصابى.

طبيب : هل تنام؟

مختار : نادراً .. انظر إن كل من يرانى يلفت نظرى لهالتين .. الهالتين الزرقاوين تحت العينين أظنهما من الأرق وفوق ذلك أشعر بألم شديد فى العين وخصوصاً ليلاً وأخاف الضوء وتفرز عينى دموعاً غزيرة جداً.

طبيب : شىء غريب هل تذكر إنك شاهدت أثراً ..

مختار : منذ أسابيع قبل حدوث الحالة التى وصفتها لك أظن إننى رأيت أثراً صغيراً مستديراً ولكننى لم أعلق عليه أهمية لأنه لم يكن يؤلمنى ولم يزعجنى ثم زال تماماً.

طبيب : هل تذكر إن هذا الأثر كان قاسياً كالغضروف أو ليناً رخواً.

مختار : لم ألاحظ قسوة الأثر ولكننى أذكر جيداً إنه كان مستديراً كفلقة الحمص ولم يكن سطحه غائراً بل ناعماً لماعاً وهذا الذى صرف ذهنى عنه وجعلنى أظنه التهاباً بسيطاً وقد سألت الإنسان الذى ذكره ابن عمى عبد المجيد فأكد لى مقسماً بأنه سليم من سائر العاهات البدنية ولم أتعود منه الكذب.

طبيب : إن وصفك دقيق جداً يا مختار بك وأرجو أن لا ينطبق التشخيص على هذا الوصف أما الإنسان الذى ذكرته فيندر أن يصدق هو وأمثاله فى مثل هذه الأحوال وقد يكون كل هذا وهماً أو أثراً من كتاب قرأته أو تشخيص طبى سمعته وهو باق فى ذهنك بغير انتباهك. هل شعرت بتورم فى الغدد اللمفاوية فى جزء من أجزاء بدنك.

مختار : لا أعرف ما هى الغدد اللمفاوية.

طبيب : الحق بيدك. هل تذكر إنك لمست عنقك وتحت أبطك وطى كوعك فوجدت أشياء متجمدة مثل البندق تحت أصابعك.

مختار : لا أتذكر (يلمس نفسه) قد يكون.

طبيب : تفضل خلف هذه الستار (ينهض وينظر إلى عبد المجيد ويتبادلان التأثر).

عبد المجيد : تشجع الأمر أهون مما تظن. إن العلم الحديث لم يترك للأمراض سلطاناً على الإنسان (يخرج مختار).

المنظر السادس

عبد المجيد : ما رأيك يا دكتور حافظ.

طبيب : إن بعض المرضى يشخصون أدواءهم أفضل من تشخيص الطبيب وهذا المسكين منهم.

عبد المجيد : أمريض هو؟

طبيب : لا أستطيع أن أجزم ولكنه أرجح ذلك جداً ألا يزال في صحبة تلك المرأة التي كان لا يبرح دارها ثم حصل بينهما شقاق لخيانتها ففارقها ثم ظهر المرض فقابلها ثم افترقا فراقاً حقيقياً منذ شهرين إذن هي سبب هلاكه إذا كان مريضاً إن الأجسام التي كجسم ابن عمك تذبل وتذوب بسرعة من تأثير هذا المرض. ألا تراه نحيلاً ذاوياً. إذا كان في جسمه أثر من النفاط الأحمر فقل عليه السلام.

عبد المجيد : أعمل جهدك.

طبيب : (ناهضاً) هل أنا محتاج لتوصيتك.

عبد المجيد : هذا أشأم ما حدث لهذا الفتى المسكين يا ويل أخته ولمه المسكينتين أن من يقع في أحبولة هذا الداء لا ينجو. دكتور! ..

طبيب : (ملتفتاً) خيراً ؟

عبد المجيد : أرجو أن لا تقفه على الحقيقة إذا كان مريضاً.

طبيب : لا أستطيع ... لابد أن يعلم كل شيء لا أقدر أن أخفي عنه من أمره شيئاً إذا كان السفلس يخفى عن المصاب به فأي الأمراض إذن يعلم أمره أطلب مني كل شيء إلا هذا لأنه منذ وطئت قدماه عيادتي فقد أسلم نفسه لي وأصبحت عنه مسؤولاً أمام ضميري وأمام العلم.

عبد المجيد : إنني أخشى عليه إذا علم الحقيقة.

طبيب : ليس اللوم علينا ولا عليه ولكن اللوم على التربية الناقصة إن العلم الحديث يدعو أولياء الأمور أن يعلموا كل راشد من أولادهم كل ما يتعلق بوظائف الأعضاء إن نصف مصائب البشر راجع إلى الجهل والخجل والحياء الكاذب هذبوا العقول .. علموا الحقائق .. أتركوا التهويل والإيهام .. قولوا بالشيء لمجرد اعتقادكم بصحته.

عبد المجيد : الحق بيدك ولكننى أؤكد لك إنه إذا كان مريضاً ووقف على الحقيقة فقد يقتل نفسه خصوصاً وإنه لا يستقر على حال منذ قطعته تلك المرأة وقد تغيرت أخلاقه تماماً وصار مدمناً وهو لا ينقطع عن الشراب ليلة.

طبيب : سأحاول جهدى تلطيف حالته.

عبد المجيد : دعنا نتفق على عبارة تقولها لى إذا كان مريضاً ثم دعنى أخاطبه.

طبيب : فليكن ولكن أعلم إنه لن يبرح عيادتى دون أن يعلم حقيقة مرضه.

عبد المجيد : أنا أتولى ذلك فى حضرتك أذكر لى عبارة نتفق عليها.

طبيب : إذا قلت لك إن الورد أزهر فى هذا الأوان.

عبد المجيد : فى أى شهر نحن؟ مايو .. لا بأس.

طبيب : فأعلم إنه مريض وإن لم أقل شيئاً فلا خوف عليه.

عبد المجيد : حسن .. اتفقنا (يخرج الطبيب) لقد أصاب الدكتور .. لا يعقل أن يخرج المريض وهو متوهم إنه سليم. بئست التربية التى لا تنير عقل الشبيبة لو أن الحكومة عممت العلوم الصحية والأدبية ونشرتها بين الفقراء والأغنياء ما وقع أمثال مختار فى هذا الداء الوبيل أين الكتب والنشرات التى يعلم الناس ما هية الأمراض وخبثها وسوء عواقبها وطرق مجانبتها والوقاية منها أين صراحة الوالدين فى التربية وحسن عناية المجتمع التى تكفل شجاعة المريض وتحثه على عرض نفسه على الطبيب للعلاج. مازلنا وراء المعتقدات الكاذبة حتى ضل معظمنا لا خير فى رجل يستقيم

خوفاً من عذاب النار الخير كل الخير فى رجل يستقيم لاعتقـــاده بأن الفساد ضرر على الهيأة البشرية ولا فضل لامـــرىء يـــترفع عن الدنايا لذاتها لأن فى ترفعه واجباً نحو بنى الإنســـان عامـــة ونحو نفسه خاصة ترى ماذا تكون نتيجة ذلك الفحص إن قلبـــى مضطرب ونفسى واهمة إن نفسى تحدثنى إن مختار مريـــض .. ها هو الطبيب قادم نحوى. لقد انتهى الفحص (يدخـــل الطبيـــب وعليه علامة انقباض بسيط).

عبد المجيد : ماذا وجدت؟

طبيب : الورد أزهر.

عبد المجيد : أى ورد؟

طبيب : ألم نتفق؟

عبد المجيد : أمريض هو ...

طبيب : ومرضه خبيث أمر عجيب يندر وجود هذه الحالة ولكن كلمـــا كان البدن قوياً وسليماً قبل العدوى كلما كان فتك الداء به ذريعـــاً. إن الميكروب بذار وبدن العليل تربته وتربة ابن عمك صالحة جداً لنمو ذلك البذار المشؤوم.

عبد المجيد : كيف تركته؟

طبيب : يلبس ثيابه بين الرجاء والخوف.

عبد المجيد : هل أخبرته بكل شىء.

طبيب : كلا إنما قلت له فقط إنها عدوى بسيطة وتحتاج لعناية شديدة.

عبد المجيد : والحقيقة؟

طبيب : مرة .. لأنه مريض فى الدرجة الثانية ولكن لم يظـــهر علـــى بدنه النفاط الوردى وقد خففت هياجه لأننى وجدتـــه فـــى غايـــة الانفعال بعكس حالته الأولى التى كان عليها هنا!

عبد المجيد : وهل يطول العلاج؟

طبيب : إن حالته تدل على أن سير المرض متقلقل متغير وأعراضه لا ضابط لها فأعراض الدرجة الثانية بعضها ظاهر ومعظمها كـــامن وهذا وجه الخطر لأن سم الداء قد انتشر فى عموم البدن بواسـطة

الأوعية اللمفاوية الدموية والشعرية ولما تجد لها إلى الآن مخرجاً أو مظهراً سوى الحالة النفسية المنزعجة التى رأيتها.

عبد المجيد : وما العمل؟

طبيب : نقفه على الحقيقة ملطفة ثم نبدأ بالعلاج العادى.

عبد المجيد : وهل حياته فى خطر؟

طبيب : إنه يشكو من التهاب فى قزحية العين وهذا الالتهاب خطر جداً على وظيفة البصر والذى يخيفنى أكثر من كل شىء ضعف صاحبنا فقد يتمكن منه الداء فيصيب جلده وعظام عضلاته وجهازه الهضمى ودورته الدموية وكذلك حالته العصبية فقد يصاب مجموعه العصبى بعد ذلك بوقت لا ضابط له وتصل الإصابة إلى المخ فتتلف الأنسجة والخلايا وتظهر عليه أعراض أفظع الأمراض العقلية وهو الشلل العام.

عبد المجيد : ياالهول ما تروى؟ أتحل هذه المصائب كلها بشاب كمختار؟

طبيب : لقد رأيت من هم أنضر شباباً وأبهى جمالاً وأصح بدناً وقد فعل بهم هذا الداء الوبيل الذى عده القدماء بحق وباء الإنسانية ما تقشعر من هوله الأبدان. إن الطبيعة تسير على قوانين معينة.

عبد المجيد : إن الطبيعة قاسية ظالمة إذ جعلت لتلك اللذة الطفيفة ذلك العقاب الأليم. إن العقوبة أكبر وأشر من الجريمة أتوسل إليك أن لا تقفه على كل تلك الفظائع.

طبيب : لا تخف سأخفف عنه ويل المصاب.

مختار : (داخلاً فى غاية الاضطراب) لقد وقفت على كل شىء وعرفت هول مصيبتى.

طبيب : هل كنت تتسمع. أخطأت أن الحديث كان يتناول أحوالاً غير حالتك.

عبد المجيد : هدىء روعك إن لكل داء دواء.

مختار : إلا ذلك الداء الذى يفنى الجسم ويخطف البصر ويذهب بالعقل فى بضع سنين أو بضعة أشهر.

طبيب : لقد عالجت مرضى فى حالة أشد خطراً من حالتك وشفيتهم.

مختار : والتهاب القزحية؟

طبيب : قد يقف الداء عنده بالعلاج السريع الشديد.

مختار : وإصابة المخ والنخاع.

طبيب : قد لا تحدث بتاتاً.

مختار : إن علمك أيها الصديق عظيم وكرم أخلاقك أعظم.

عبد المجيد : لنبدأ بالعلاج حالاً!

طبيب : دون شك المبادرة خير من الإبطاء.

مختار : أمهلونى ليلة ويوماً ريثما أفيق مما أصابنى خذ أيها الطبيب أتعاب عيادتك (يخرج مالاً).

طبيب : إننى أتقاضى أتعابى بعد الشفاء (يخرج مختار مسرعاً وخلفه عبد المجيد فى غاية الاضطراب بدون تحية الطبيب).

المنظر السابع

طبيب : (لنفسه) ما أشقى حظ الإنسان لقد خلق ليفنى فى خدمة شهوتين شديدتى البأس الجوع والحب فمازال معظمنا يتفانى فى سبيل المال خشية الفقر حتى يغنى ومازال أكثرنا يجثون أمام الزهرة ويضحون لها بزهرة شبابهم ويحرقون أمام هيكلها الفاتن نضرة الصبى بخوراً أو يسهرون على عبادتها لياليهم المشتعلة ويسودون بذكراها العذبة المعذبة أيامهم المضطربة (يطرق) أرانى فى احتياج إلى جرعة من شراب منبه ... (يشرب ثم ينظر فى الساعة) الساعة السابعة (يدق الجرس فيدخل مريض أول).

المريض : أفندم أرجو عدم المؤاخذة أنا مستعد لاحتمال أشد الآلام على شرط أن لا يكون هناك خطر لأنك لا تتصور يا دكتور مقدار آلامى المعنوية.

طبيب : (متنبه كمن كان فى غيبوبة) مفهوم .. مفهوم (يحاول يخرجه من الباب).

المريض : مستعد لاحتمال أشد الآلام على شرط ...

(ستار)

(الفصل الخامس)

في حانة إسفنكس بار

المنظر الأول

مختار – قدرى

قدرى : وعلى هذا يا أنسى يكون قد تم الاتفاق. جمال الزهر فى أكمام الهوى لأن بدائع الريحان تشتم من نسمات ظرفك ما لى أراك سابحاً فى عالم آخر غير العالم المادى.

مختار : إن نفسى حزينة ولا يدخلها السرور.

قدرى : هذا كلام لا يقال يا تمام لأنه بمجرد ظهور بدرك فى هذا الأفق فلابد من أن يشرق إن المواقف المادية فى أكمل المواقف.

مختار : ولكنك تفضل الخيال على سائر المواقف المادية.

قدرى : لا يا أنسى إن الخيال فقط وسيلة للوصول للمواقف المادية.

مختار : لا أفهم بل سمعتك كثيراً تقول إن المواقف المادية توصلنا إلى الخيال.

قدرى : هذا مستحيل يا أنسى فإن هذا الخيال (يخرج قرطاساً به حبوب ويتناول منها) والخيالات التى أمامنا من قنب وخشخاش وخندريس كلها خيالات توصلنا إلى حقيقة واحدة وهى الموقف المادى الأكبر وهو المعلوم لديك يا أنسى.

مختار : ولكن إذا تأملت لوجدت أن الموقف المادى ذاته هو من الخيالات.

قدرى : المواقف تختلف يا تمام! وإرضاء النفس عبارة لو وصفت فى الكتب كانت أخت المستحيل فى المعنى ومرادف النجم فى البعد وشبه الكبريت الأحمر فى الندورة والقلة وإن شئت فقل إرضاء النفس كلمة تقال ولا تخال حتى يصاغ من الخاتم خلخال!

مختار : بالعكس يا صاحبى إن إرضاء النفس سهل ولكن الصعب إرضاء الجسد.

قدرى : الجسد والروح شيء واحد يا أنسى فقط اختلاف فى الأسماء والحقيقة لا تتغير والذى يصرف أيامه فى الصبابة والغزل على سبيل التجربة غير الذى يضحى بتجاربه على مذبح الصبابة والغزل.

مختار : وما قولك فيمن لم يتمتع بالصبابة ولم يصل إلى التجارب.
قدرى : ضاعت عليه الدنيا والآخرة. يا أنسى والأفضل له أن يتوفى.
مختار : وهذه حالتى ورغبتى.
قدرى : تريد أن تموت – حاشا للشباب النضر والكـرم الصميـم والفضـل الفياض إنك إذا أردت أن تموت فإن ملك الموت يتردد دون أن يقضى لبانتك ومع ذلك من يدرى الموت أقرب لنا من حبل الوريد.
مختار : أسبيرو هات دور (الجرسون يسمع ويذهب لإجابة الطلب).
قدرى : إنما أنا الذى أريد أن أموت ولكننى لا أريد أن أموت قبل أن أحب.
مختار : إن الحب سهل يا قدرى وتستطيع أن تلمسه فى كل مكـان وزمـان ولكن لا تقع كوقعتى (يحضر الجرسون أسبيرو الخمر).
قدرى : إننى لا أريد الحب الذى تعنيه إنما أريد الحب الذى ذاقه أنطنيـوس من كليوباترة لا أريد أن أموت قبل أن أذوق من لذته ما تذوقـه ذلـك الجبار الذى أستهان بالمجد فى سبيل قبلة من فم معشوقته.
مختار : أما أنا فليس لى أن أتطلب شيئاً مما تتمنى لأن قلبى قد أغلق بابـه وأصبحت لا أشتهى شيئاً (يشرب كأساً من الخمر) لقد كنت يوم شرف الحب قلبى بأول زياراته منذ سنتين ابن ثمانى عشرة سـنة أى فـى زهرة العمر وقد أخذت تتفتح أوراقها لنسيم الصبابة وندى الغرام وفـى فجر الشبيبة وقد أخذت تبدو من أفقه شمس الحياة فتنير له ما تقدم وما تأخر من الأيام (يشرب) وقد أسعدنى الدهر بحب تلك المعشوقة الحسـناء فكانت بين ذراعيها أول كلمة همسها فمى من كلمات الـهوى وعلـى عنقها الأبيض أول قبلة وضعتها شفتاى من قبلات العاشق الولهان وفى قلبها أول نقطة سكنها قلبى من نقط غرامه أو نقط دمائه وفى حبها لى أول مرآة رأيت بها وجه حبى وتمثل لى خيال قلبى كما أحب أن أتمثله وأراه ولقد خلت من شدة حبى إياها وفرط هيامى بمحاسـنها إننـى لا أتأخر عن القران بها راضياً (يشرب خمر ويحقن مورفيناً) وقد بذلـت فى سبيل هواها كل شيء فقد ماتت والدتى فى غيبتى وتهدم بيت أبـى وتخرب (بصوت منخفض) وأصابنى داء من أشد الأدواء بل هو شرها جميعاً على أن حبيبة قلبى ومنتهى آمالى وملاك صبوتـى وغرامـى

كانت تخدعني وتسخر مني فأنكر لذلك قلبي وشعرت كأن جارحة نزلت بصدري وأن وتراً رناناً قد انقطع من عود حياتي (يشرب خمراً).

قدري : ألم أقل لك يا همام إنني لا أريد أن أموت قبل أن أتذوق حب الجبابرة للملكات إن الحب الذي من قبيل حبك خدعة وخيانة وكل عاشق لمثل محبوبتك إنما هو لعبة وفكاهة وأنا الذي أتمثل دائماً.

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن عليك شجى في الحلق حين تبين

وإن هي أعطتك اللبان فإنها لغيرك من خلانها ستلين

وإن أقسمت لا تنقض العهد والهوى فليس لمخضوب البنان يمين

مختار : ما أشد ندمي على ما فات وما أقل اكتراثي بما هو آت.

قدري : أكبر دليل على جهل الإنسان وضعف عقله ندمه على ما يفوته من متاع الدنيا وحرصه على ما لديه منه وطمعه فيما لم يقع له لو أنه فرغ من الندم والحرص والطمع وحصر فكره في تأمل حاله برهة فلربما تغير (يشرب).

مختار : كيف يتغير الإنسان وأنت تقول إن الإنسان لا يتغير.

قدري : فلربما تغير وجه الأرض وتحولت أحوالها انظر أيها المخلوق (يقف ويخاطب شخصاً خيالياً) إلى ما قبلك ترى ماضياً طويل المدى لا تدركه العقول (يجلس) ثم أعدا البصر إلى ما بعدك ترى مستقبلاً طويل اللبس لا يحيط به إلا ذراك وما حياتك بين هذا الماضي السحيق وذلك المستقبل العميق إلا ثانية لا تكاد لقصرها تدقها ساعة بل هي بالنسبة للوقت كالنقطة فرض خيالي يقرب الحقيقة للإفهام ووهم لا وجود له في الحقيقة (في هذه الأثناء يكون الشاعر مصغياً جيداً لما يدور في هذا المجلس ويتكلم الندمان فيما بينهم همساً).

مختار : أنت مبالغ يا قدري في هذه التقديرات أتظن الماضي بعيداً جداً والمستقبل سحيقاً للغاية؟

قدري : الماضي هو الأزل يا أنسي والمستقبل هو اللانهاية.

مختار : ومن يدريك أن المستقبل ليس قريباً جداً ولكن قبل كل شيء يحسن التفاهم عن حقيقة المستقبل ألا يمكن أن يكون مستقبلنا قد انتهى.

قدري : أي إننا نعيش الآن فيما وراء المستقبل أي في العدم في الفناء.

مختار : نعم فى العدم والفناء.

قدرى : إذاً فلنشربن كأساً فى صحة العدم (تضرب الأوركسترا أنغام مارش فنبر MARCH FUNEBRE) ... العدم يتكلم يغنى ألا تسمع أنغام الغناء ؟! (يبدو عليه هياج فيجلس ويخرج دفتراً عتيقاً ويأخذ يدون فيه أشياء ويبدو على وجهه اضطراب).

المنظر الثانى

(يدخل عبد المجيد والطبيب فيلتقيان بمختار وجهاً لوجه فلما يراهما لا يظهر عليه أقل اهتمام بهما فيجلسان بجواره ثم يظهر كأنه تنبه فجأة)

مختار : أهلاً بابن عمى أنت الذى حضرت ساعات أمى الأخيرة هل كان موتها مؤثراً ماذا تريدون منى هكذا حصل أمر الله أنا أعظم الناس مصاباً بها كما كانت هى أعظمنا مصاباً بأبى ولكن أنا الذى شربت غصة الاثنين معاً ولا أزال فى ريعان الشباب. ولم أذق للحياة طعماً بل سأذوق طعم الموت قبل طعم الحياة.

حافظ : إنك تخطىء كثيراً لو خطر ببالك الأمر الذى نشير إليه من طرف خفى مادامت الحياة أمامك فسيحة.

قدرى : (متنبهاً بعد الكتابة ويضع دفتره فى جيبه) أهلاً بكم يا سادة لقد أشرقت أقماركم فى هذا الأفق فحق للحمل أن ينصرف أنا الحمل ولكن مولدى فى زحل ومعبودتى الزهرة.

مختار : صديقى قدرى شاعر فيلسوف فاضل.

قدرى : من كان فاضلاً كان مثلى فاضلاً عند قسمة الأرزاق (وينهض يأخذ كأسه بكل احتراس ويجلس منفرداً).

المنظر الثالث

عبد المجيد : الآن يا مختار وقد حدث ما حدث بعد وفاة المرحومة والدتك (كثيرون من الجالسين يصغون إلى الحديث ويبدو عليهم ذلك).

طبيب : الأفضل أن ننصرف من هذا المكان أو نرجىء الحديث إلى وقت آخر لأن الحاضرين يسمعون كلامنا.

مختار :لماذا ننصرف من هذا المكان هذا إسفنكس بار يا جناب الدكتور أشهر محل فى مصر يدخله العظماء والكبراء فهذا البرنس

وحيد الدين (يشير بيده إلى شخص صامت) وذلك مدير بنك فيلبار وهذا حسنى بك شاعر الملك وحوله ندماءه الشيخ مصطفى الجمل صاحب جريدة المخلاة .. على إننى أقول لكم بحرية إن هذا المكان أفضل من غيره وهذا الوقت هو أفضل الأوقات فلربما لا يتيسر لنا لقاء آخر.

عبد المجيد : ألست مقيماً فى القاهرة؟

مختار : ربما سافرت.

عبد المجيد : إلى أين؟

مختار : سياحة بعيدة يا ابن عمى وسفرة طويلة جداً لأننى أمسيت لا أهتم بأحد ولا أهتم بشىء.

طبيب : لماذا؟

مختار : لأننى أصبحت بلا أمل فى الحياة لا أمل فى السعادة ولا أمل فى حياة الأسرة ولا أمل فى الصحة والشباب.

طبيب : إنك لا تزال فى مقتبل العمر.

مختار : أنت تعلم نهاية حياتى وكيف يكون رجل مثلى بعد قليل كائناً بغير فكر ولا إرادة. إننى أشعر من الآن كأن نور العقل ينطفىء شيئاً فشيئاً. أشعر كأن رأسى علبة فارغة من كل شىء وأشعر فى بعض الأحيان كأنها ممتلئة بأكثر ما تسع من الهواجس والمخاوف وفي كثير من الأوقات أحاول الهرب من نفسي.

طبيب : كل هذه حالات تعتريك من الإدمان. لا أخفى عليك إنك مريض. ولكن لو أعتنيت بنفسك فلا تشعر بشىء مما تصف.

مختار : هل نسيت الكلام الذى قلته فى عيادتك لعبد المجيد هذا من سنة ونصف.

طبيب : ولو إنك قضيت السنة ونصف فى مداراة الداء ومكافحته لم تكن الآن لتشكو مما أنت فيه.

مختار : على أننى يا حضرة الدكتور قد قرأت .. آلام ورتر وأعجبتنى خاتمة ورتر المسكين إنه كان مثلى.

طبيب : هذا لا دخل له فى الطب.

مختار : قد لا يكون له دخل فى طب الأجسام. ولكن له دخلاً فى طب النفوس. إن النفس المريضة مثلى نفسى كالزجاجة التى كسرت. لقد صادفتنى الخيبة فى كل شىء.

طبيب : (لعبد المجيد على انفراد) إن ابن عمك مصمم على الانتحار.

عبد المجيد : إنك ابن عمى لم يصل بك الجهل والكفر إلى هذه الدرجة ألا تخاف الله ألا تخشى يوم الحساب.

مختار : إنك يا ابن عمى مع سعة علمك واستقامتك لا تزال طفلاً فى الحياة إن الشاب الذى أصبح مثلى لا يخاف شيئاً لأنه لا يعرف شيئاً لقد خبت فى كل شىء فى المدارس وفى الحياة المنزلية وفى الحب وفى القمار حتى الحب خبت فيه.

عبد المجيد : إن أختك لو علمت بهذا لا شك تموت حزناً عليك وحينئذ.

مختار : لا يتم الزواج بينكما كل من فى الوجود يطلب صيداً وأنا أطلب الخروج من هذا الوجود الذى كثرت فيه الحبائل والشباك.

طبيب : هدىء روعك وأعلم إننا كلنا عرضة للسفر يا مختار بك وحيث إنك تريد المحادثة هنا وفى هذا الوقت فعبد المجيد يريد أن يخاطبك فى موضوع الخطبة التى تمت بينه وبين شقيقتك المصونة.

مختار : أنا لست ممانعاً فى شىء بل أريد لها السعادة.

طبيب : ولكن السيدة لا تريد أن يتم قرانها بدونك وأنت لا تزور بيتك وهى لا تريد الخروج من البيت بالرغم من الخراب الذى حل به ولا يقوى أحد على إقناعها بغير ما تعتقد وتريد وهى من فرط حزنها مرضت وأصبح على وجهها من آثار السقم والذبول ما لا يخفى على ناظر وقد يكون من وراء مرضها الموت السريع.

مختار : الموت السريع! الموت السريع كلمة ما أحلى وقعها فى نفسى وما أجمل رنينها فى أذنى لأنها مجمع آمالى ومطمع مآربى الموت السريع هو يا سيدى الطبيب الخروج من هذا العالم

الضيق بآلامه وهمومه وأمراضه وغدره وخداعه إلى ذلك العالم الواسع الرحيب الذى هو الفناء.

طبيب : أسمع يا مختار بك إنك متطرف فى أحزانك مثل تطرفك فى التماس مسراتك الأفكار السوداء التى تجول فى نفسك وليدة ساعتها ولا تلبث أن تزول وأنا الكفيل بعلاجك وشفائك من جميع أدوائك إذا وثقت بى واعتمدت علىّ.

مختار : تعالجنى من هذا أم من هذا أم من ذلك أم من هؤلاء؟ (يشير إلى الخمر وإلى رأسه وإلى علبة مورفين).

طبيب : أعالجك منها جميعاً ... ولكن الآن تذكر إن احتملت ما أنت فيه فإن أختك لا تحتمله إنك رجل ذقت من الحياة حلوها ومرها ولكنها عذراء طاهرة بريئة وقد نكبت فى أبيها وأمها وفى سعادتها المنزلية بفقدك وهى لا شك تفكر فى سوء حالتها وتتمنى لنفسها ما تجده فى أمثالها الفتيات من لذة الصبابة وسعادة الحب والقران. فماذا يضرك لو تكرمت عليها بهذه السعادة وسررتها بزهو الحب وسهلت لها إتمام الزواج بخطيبها عبد المجيد وهذا لا يكلفك شيئاً.

مختار : (يبكى بصوت مكتم) آه .. لقد خسرت كل شىء حتى هذا الأمل الأخير. إننى سأموت قريباً قريباً جداً ولا أجد من يبكى علىّ ولأنى اقترفت جناية كبرى جناية على نفسى وعليها وخيانة لوالدى ولها.

عبد المجيد : إذن صحيح ما سمعنا؟

مختار : (دون أن يرفع وجه) ماذا سمعت؟

عبد المجيد : إنك ستزوج أختك من داود بك بدون رضاها لأنك قبضت منه مبلغاً ضخماً بددته على مائدة القمار وفى حجر البغايا ..

مختار : صحيح.

عبد المجيد : الخطبة التى عقدناها فى حياة والدتك هل نسيتها؟

مختار : نسيتها ونسيت نفسى.

عبد المجيد : أترضى أن تكون أختك بهية زوجة لذلك الفاجر الذى بلغ أرذل العمر وبنى بأكثر من ست نساء على ما بلغنا.

مختار : ولكنه دفع مبلغاً ضخماً بصفة نشان وسيدفع مبلغاً أضخم.

عبد المجيد : إذن أختك سلعة تباع وتشترى. ألم أكن أنا سأدفع مهراً.

طبيب : (بغيظ) يا لها من جناية لا توصف ولكنها جناية لا تعاقب عليها القوانين.

المنظر الرابع

(يدخل داود بك رجل أشيب خليع متصابى وهو الذى كان بالفصل الأول)

داود : بنصوار مختار (يرفع مختار نظره ولا يتكلم).

قدرى : (عن بعد) داود بك أسعد الله مساءك كلمة من فضلك (يحـــاول داود الجلوس مع مختار بصفاقة).

مختار : (لداود) كلم قدرى (بعد أن ينظـــر داود لوجـــه عبـــد المجيـــد والطبيب اللذين يبدو عليهما إشمئزاز ينصرف).

عبد المجيد : من هذا ستزوجها؟ وتقول لى يا دكتور حافظ إن أملك فيه لـــم يضع إذن أنا الذى فقدت كل أمل فى الحياة وينبغـــى لـــى أن أموت.

طبيب : تموت ماذا تقول يا رجل هل الحياة هينة فى نظرك إلى هـــذا الحد. أنت أيضاً ميال للانتحار المسألة إذن وراثية.

عبد المجيد : إية حياة تعنى بعد الذى ترى وتسمع؟

مختار : جناية كبرى وخيانة عظمى.

عبد المجيد : هل وكلتك أختك عنها لتبيعها لهذا؟

قدرى : انظروا إلى هذا الوغد ... السافل المنحط (مشيراً إلى داود).

طبيب : هيا بنا فإنهم يتشاجرون.

عبد المجيد : هيا بنا مختار! قم معنا.

مختار : انتظرانى بالباب قريباً (يخرجان متأثرين ويستمر قدرى فـــى المشاجرة).

قدرى : يظن إننى أقترض منه نقوداً فيعلنني سلفاً بأنه (بطل التسليف) إنه كف عن الاقتراض بالفوايظ الفاحشة بعد ظـــهور القـــانون الجديد يا مرابى! يا شيخ متصابى!

المنظر الخامس

داود : جارسون إسبيرو أرميه بره (جرسون ينظر صامتاً).

نديم : هذا لا يليق إن الكمال لا يقتضى إننا كلنا إخوة على بساط المساواة الأنيق الجارى على الشر ندمان مهما تكن الحال لا يصح جرح إحساس رجل أديب.

داود : عندك حق ولكنه مفلوك ولحوح.

نديم : إن الفلاكة ليست عاراً ولكن العار هو النصب وإقتناء الثروة الطائلة من الطرق الدنيئة.

داود : إنك تعرض بى.

نديم : ما تطولش لأن صدرى ضيق وأنا حافظك تمام.

داود : إسبيرو أرمى ده بره (ينظر الجرسون صامتاً).

نديم : تعالى يا سى قدرى عند سعادة البيك.

قدرى : (للشاعر الصامت) هذا ذنبى لأننى رأيت بدرك فى هذا الأفق ولم أجالسك. رزأنى الله بهذا المذنب.

نديم : إنه أفظع من كوكب مذنب.

قدرى : مع الفارق.

نديم : وما هو؟

قدرى : الكوكب المذنب ينذر بالدمار وينير الأفق ولكن هذا ينذر بالدمار من غير نور (ضحك شديد).

المنظر السادس

نصرت : (لداود) كل الناس تكرهك شايف!

داود : ومن تكون أنت أيضاً؟

نصرت : الآن تتكرنى ولا تتنكرنى.

داود : أمر غريب.

نصرت : ليس أغرب من السندات والصكوك المزورة التى استغويتنى حتى حصلت على توقيعى عليها.

داود : لاحظ يا أفندى إن كلامك يعرضك لعقاب القانون هذا يعد قذفاً وخدشاً بالشرف يقلل من قدرى فى نظر أبناء وطنى.

قدرى : أحم.

شاكر : أحم أحم.

نصرت : لأنك يا حبيبى تحب دائماً التقليل من ثروة أبناء وطنـــك لحســاب خزانتك العامرة.

داود : ولكن يا أفندى هل خاطبتك الليلة؟

نصرت : لا ولكنه تار قديم كل صغير يكبر وكل مجنون يعقل.

المنظر السابع

شاكر : أظن سعادة البيك لا يتذكر سعادتك.

داود : أرجوك يا سى شاكر أن تتركنى.

شاكر : فقط أذكرك إنك تقول إنك أحسن صديق للمرحوم والد سعادته.

نصرت : هذا يكون من شقائى.

داود : أبداً والله ما أعرفه ولا رأيت وجهه.

شاكر : يا داود بك ليلة أول سند فى محل اللعب.

داود : أنت دائماً ورائى.

نصرت : الآن لا تعرفنى ولا تعرف والدى.

شاكر : حاجة فى نفس داود قضاها..

داود : لو استشهدت بجميع الأحاديث والحكم والأمثال من جميع الكتــب لا يمكن أعطيك ولا دانق واحد.

شاكر : (لنصرت) أنا أشهد معك على كل ما جرى. الحمد لله ستجد شــهود أصحاب ذمة لابد من إحالة الدعوى على التحقيق.

نصرت : أنت الذى عرفتنى به.

شاكر : بحسن نية. الواحد منا يأخذ أخاه أو ابنه للسفر فيدهمه القطار وأنــا كذلك قدمتك لهذا الوابور.

نصرت : بمجرد حصولى على المبلغ فى أول هتور.

شاكر : فى استطاعتى أن أجد لك حالاً من يقدم لك ما تحب.

نصرت : تفضل بنا ناخد شىء بسيط (يجلسان).

المنظر الثامن

(يدخل سمطان بحالة عرج وإفلاس)

سمطان : هلو! شاكر بك حماتك تحبك ذى ما بنقول عندنا بالشام.
شاكر : دا أنت اللى حماتك تحبك لأنك داخل علينا اتفضل.
سمطان : باين عليك كسبان إنشاء الله.
شاكر :اجتهدت كتير ومع ذلك يا خواجة كل مساعى ذهبت هباء أنا طلعت عينى فى تطبيق حسبتك على الروج ونوار مطلعتش مضبوطة أبداً.
سمطان : شوف يا حبيبى دى مسألة سستيم. أنا دارس عنها كتير. وأعطيتك واحد كمينزون. يمكن يخل معك وما يخل معى ٨٢٤ فى ٩ و٨٢٥ لازم يطلع ويمكن الشنص بتاعك تجى قبل العدد ٥ ولكن نادر والمسألة مع ذلك فيها سر.
شاكر : سر إيه مادام المسألة حسبة بسيطة.
سمطان : لا كل لعيب منا له لفتة يد ونظرة. حاجة زى ما تقول إلهام فى الوقت المناسب أجت الشنص أو ما أجت أدى الكلام. ومع ذلك تقدر تقعد معاى شوية وأنا أعطيك كمنيزون آخر من السستيم نفسه.
شاكر : تأمر بأى مشروب.
سمطان : ما بتحرز وسكى وكوفر الماركات التانية ماتوفقنيش.
شاكر : هات واحد وسكى وكوفر بالمية.
سمطان : لا من فضلك بالصودا. من فضلك ورقة وقلم رصاص (يخرجها له وينحنى نصرت وسمطان وشاكر على الطاولة للنظر فى الرسومات التى يضعها سمطان ويتكلمون همساً).

المنظر التاسع

مختار : عبد المجيد! خرج هو وصديقه الدكتور. ترك الطبيب أعظم مريض بدون معونة.
قدرى : هل ينتقل الحمل فى دور السرطان (يحضر إليه).
مختار : ما أحلى الحياة لمن يستطيع التمتع بها.
قدرى : أى خير فى هذه الحياة الدنيا وعلام تحب وترتمى! فيفنى المرء فى التعلق بأهدابها ما يستطيع وما لا يستطيع من القوى ويا ليته يبقى بها سعيداً ولو إلى مدى. إنما يمارس فيها الأذى ويلبس فيها لباس الضنى ويشرب كأس الحمام مرغماً ثم يسكن الأجداث كغيره ممن مضى.

مختار : أراك شديد اليأس والنفور من الحياة مثلى على أننى كنت أحبها ... الحياة فرقت بيننا فى المسار وجمعتنا فى الشقاء (إلى الساقى) إسبيرو دور كوكتيل بالبيرمنت (يذهب ليعود بالمشروب).

قدرى : إسبيرو فى أسمه معنى الحياة أم معنى الأمل (بصوت منخفض) إسبيرو ألا ترى لوناً للحروف الألف أصفر والسين بنفسجي والباء أحمر قاني والراء أخضر (يحضر إسبيرو بالكوكتيل ويضعه) الراء أخضر. وهذا العفريت أخضر أيضاً ولكنه مسجون فى تلك الأقداح حتى إذا انطلق وأسلم رجليه إلى أفواهنا ورؤسنا أغرب فى الرقص والغناء.

مختار : طبعاً إنه عفريت أخضر ذو أجنحة فلنبادر إذن إلى قص أجنحة هذا الشيطان (يشرب).

قدرى : (بعد أن يشرب نصف القدح) انظر عفواً أيها المخلوق الناقص العاجز إنك لا تستطيع النظر.

مختار : انظر إلى أى شيء (بذهول).

قدرى : أنا لا أخاطبك إنما أخاطب الحظ ولكننى تذكرت.

مختار : تذكرت ماذا؟

قدرى : (يشرب) تذكرت أن الحظ كالعدل أعمى.

مختار : الحظ كالعدل أعمى! حقاً الحظ أعمى.

قدرى : فقد يرزق المستغنى أقوات أمة ويحرم المحتاج قوت عيلة وقد ينجو الهجام الأهوج ويهلك الحريص المتأنى وقد ينال الراقد سعى الجد ويجنى المجد جزاء الخامد وقد يفوتنا ما نرجو ويجيئنا القدر بما لا نشتهى.

مختار : القضاء والقدر والمقدور والمصادفة والحظ والدهر والزمان والأحداث.

قدرى : تلك أسماء متعددة لقوة لا نعلمها أما الاسم الأهم فهو إسبيرو كوكتيل!!

مختار : لما كان أبى فى النزع دخلت عليه ليودعنى الوداع الأخير ... كلام .. إن الميت لا يتكلم ولا يعى .. أوهام .. كيف ينصحنى وهو فى غيبوبة الموت.

قدرى : غيبوبة الموت ليست ألذ من التى أنا بها الآن غير إننى الآن أتكلم والميت لا يتكلم.

مختار : الغرفة كانت رائحتها لا تطاق من كثرة الأدوية!

قدرى : رائحة الموت (تعزف الموسيقى أنغام محزنة).

مختار : ولكن الطبيب الاختصاصى أشار علينا بالمورفين لأنه يقلل الآلام وكانت وجيدة قد حببتنى فى المورفين لكن ليس بهذه الدرجة.

قدرى : المورفين! لا تنكر حسناته لعدو ولا تكتمها عن حبيب أعظم دواء لاسيما يا أنسى.

مختار : هذا ما قاله الطبيب إنه أعظم دواء لداء الحياة. وعلى هذا صممت على تجربته.

قدرى : ولكن لابد من مقدار كافى. جرام على الأقل.

مختار : جمعته البركة فى بعض أصدقائى من الأطباء وبعض الصيادلة خمسة سنتى فى خمسة سنتى.

قدرى : يكون المجموع عشرة سنتى.

مختار : وهكذا يا حظ (ويخرج الحقنة ويملأها جيداً).

قدرى : هل عقدت النية على التجربة الآن.

مختار : (يشرب خمراً ويضحك) ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والموت واحد (يحقن نفسه تبدو عليه علامة نشاط) اضربوا نغمة الوداع (ثم يسقط على الأرض ميتاً فيحدث اضطراب ويزدحم الجالسون حول مختار ويحضر صاحب المحل منزعجاً).

المنظر العاشر

(يدخل عبد المجيد والطبيب)

عبد المجيد : (يرى الازدحام) ماذا جرى؟ ماذا جرى؟

قدرى : لقد خسرنا أظرف شاب.

عبد المجيد : مختار! ابن عمى أخى .. دكتور انظر .. أعمل جهدك لإفاقته .. الأفضل نقله إلى المنزل لنمرضه.

حافظ : (يدنو ويفحص مختار جيداً وينهض وعليه علامة التأثر ظاهرة) انقله إلى المنزل ولكنه لن يفيق.

عبد المجيد : اعمل جهدك.

حافظ : إنه جثة لا حراك بها (يبكى عبد المجيد ويـــأخذ النـــاس فـــى الانصراف باضطراب ماعدا قدرى فإنه يجلس بجواره ويبكى).

صاحب المحل : الليلة مسك شرب كتير من كل ليلة مين يدفع الخســـاب دى مش كويس يا ناس مش خرام عليكم تموتوا فى مخلى وتخســـروا الاسم بتاعى. مش عندكم بيت تموتوا فيه دلوقت مش مختار بـــك بس اللى مات دى كمان قسطندى مافرو وإسفنكس بار.

(ستار)

يقظة الضمير

سنة ١٩٣٥

الفصل الأول

(المنظر فى غرفة جلوس فى منزل برعى بك والد ملكة بمصر القاهرة)

(عبد الحكيم – برعى)

عبد الحكيم : إنى وإن كنت فقيراً .. ولكننى أمت إليك بحبل القرابة .. وأود أن أقوى هذه العلاقة بالنسب .وليس الفقر عاراً يا عمى .. وإن كان فى عرف بعض الناس عاراً فهو بلا ريب عار طارىء .. ولا يشين الناس إلا المعايب .. وقد قضيت زهرة الشباب فى تحصيل العلم .. وعن قريب أنال ما أبغى من المال والشهرة .. وسيكون لى شأن كبير فى عالم الطب والمال.. ولن تندموا على مصاهرتى ومساعدتى. وإنى أعاهدك على أن أذكر جميلك طول حياتى وأبذل كل جهدى فى سعادة ابنتك ملكة هانم التى بلا ريب وعلى ما أظن ...

برعى بك : مفهوم.. مفهوم يا عبد الحكيم يا بنى. أنا لا أنكر إنك شاب مهذب ومجتهد وإنك ستصل حقاً بعد قليل إلى ما تحب. وهذا شىء يسرنا بوصف كوننا قرباء ولو قرابة بعيدة. ولكن مسألة النسب يا ولدى مسألة فيها نظر وقد تكون مستحيلة لجملة اعتبارات. أولاً المسألة المالية .. صحيح إننى لم أتعلم فى المدارس العليا ولكننى رجل عملى. زواجك الآن من ملكة يقتضى صداقاً وجهازاً وحفلة زفاف ونفقة منزل فمن يقوم بهذه الميزانية المهولة كلها؟ ثانياً المركز الاجتماعى ولا تؤاخذنى. أين عبد الحكيم الطالب بمدرسة الطب ابن المرحوم يوسف أفندى زهدى (بازدراء) من الآنسة ملكة هانم بنت برعى بك البقلى وحفيدة سعادتلو عبده باشا ناظر خاصة جنتمكان سعيد باشا؟

عبد الحكيم : طبعاً يا عمى .. يا سعادة البك أعرف كل هذا ولكن ..

برعى : ثالثاً ألا تعرف بلا مؤاخذة إن ملكة هانم بنتى أصبحت من عهد قريب محط أنظار كثيرين من الأعيان الراغبين فى مصاهرتى؟ .. وكلهم أغنياء ومشاهير ومكانتهم كمكانتنا فى العز والجاه .. وبالطبع نحن أميل إلى مصاهرتهم ..

عبد الحكيم : ولكن يا عمى يا سعادة البيك كل هذه الاعتبارات تافهة.

برعى : تافهة ؟ أشكرك يا بنى.

عبد الحكيم : عفواً أريد أن أقول غير جدية.

برعى : إذن هى فى نظرك اعتبارات هزلية!

عبد الحكيم : لا سمح الله لا أقصد هذا. إنما أعنى أنها تزول أمام كرم أخلاقك وحسن نيتك ورغبتنا الأكيدة فى هناء كريمة سعادتك .. فقد يقوم الحب مقام الغنى والجاه. ولا تنسى تناسب أعمارنا واختلاطنا منذ نعومة أظفارنا وتبادلنا الأفكار والآمال وتطلعى منذ أدركت قيمة الحياة إلى الاقتران بها لأبذل فى سبيل سعادتها كل شيء حتى حياتى ذاتها. ولا تنسى يا عمى ..

برعى : متذكر .. متذكر .. ومتفق معك ولكنى أخالفك فى مسألة الحب. هذا كلام تفرنج يا ولدى. والزواج الذى يبنى على الحب قصير الأجل .. وهيهات أن يثمر ثمرة صالحة. أما الزواج الذى يبنى على المصلحة فهو الزواج الحقيقى. لأن الحب ذاته عمره قصير. أما المصلحة فحبالها طويلة .. وأنا يا ولدى من أصحاب المصالح الحقيقية. وأحب أن أدافع عنها فى كل سبيل من سبل الحياة حتى فى الزواج. وفضلاً عن ذلك فمن يدريك أن ملكة تحبك؟ وإن كانت تحبك فمن يدريك أنها لن تحب زوجها الذى سأختاره لها؟ وبعد أن تذوق طعم السعادة الزوجية تنساك ولا تعود ذكراك فى ذهنها إلا كالحلم البعيد.

عبد الحكيم : تنسانى كالحلم البعيد ...

برعى : وكذلك أنت تتزوج من غيرها وتنساها .. وهذه حال الدنيا .. المال زينة الحياة ثم البنون يا ولدى.

عبد الحكيم : يا عمى إن حياتنا ليست سلسلة نسيان كما تظن وليس المال كل شيء فى الحياة .. أرحم شبابنا.

برعى : أرحم أنت بنتى وماليتى (بصوت منخفض).

عبد الحكيم : لم يبق على الامتحان الانتهائى سوى بضعة أشهر .. فأتخرج وأنجح فى الجراحة نجاحاً عظيماً .. وأصير مثل الدكتور ظيفلى باشا والدكتور رامز بك.

برعى : لا يا سيدى! لا يوجد أمامك إلا وظيفة طبيب مركز .. تتنقل من مركز الدر إلى كوم حمادة ومن البدارى إلى الصف .. والمرتب معلوم وفوق هذا وذاك انتقالات الليل وتفتيش المصلحة وتشريح الجثث والأمراض المعدية.

عبد الحكيم : سأكون بإذن الله طبيب أمتياز يا عمى وأسافر مرسلاً للتخصص كما وعدنى مدير المدرسة والأساتذة.

برعى : عليك نور! فضلاً عن الأسباب المتقدمة. رابعاً (بانتصار) هل تظن إننى أزوج بنتى ممن ينتظر سفره إلى أوروبا؟ فهل تتركها تترمل فى غيبتك قبل انقضاء شهر العسل؟ أو تصطحبها وترسل إلىّ تستنجد المال بالتلغراف وتقول: بنتك مريضة وبنتك تطلب مصاريف وبنتك حامل وبنتك ولدت توأمين!

عبد الحكيم : إن أسوأ افتراض بين الافتراضات التى فى فكرك أفضل من القطيعة بيننا يا عمى. فأتوسل إليك!

برعى : (ينهض) أظن يا عبد الحكيم أفندى يا ابنى أن المجلس قد أخذ حقه. والمجلس استوفى من جميع وجوهه ومع ذلك فإن المسألة لا تحتاج إلى المناقشة (يهم بالقيام).

عبد الحكيم : إذن ترفض مصاهرتى وتطردنى من مجلسك! هل هذا ما أوصاك به والدى فى أيامه الأخيرة؟ ألم تقل له إنك ستكون لى والداً ومعيناً ومرشداً وصديقاً؟ ألم يخدمك والدى طول حياته فى كل ما عاد عليك بالمنفعة ولم يسألك جزاء ولا شكوراً؟

برعى : (بضجر) متذكر ومتشكر (يتأثر قليلاً ويتردد) الله يرحمه ويحسن إليه الفاتحة إلى روحه (يتمتم باسطاً يديه وعبد الحكيم يتمزق غيظاً).

عبد الحكيم : من رحمة الله أن ترحم أنت شبابنا وحبنا .. ومن الإحسان أن تفى بعهدك لأبى فتكون لى والداً وحما ولعل هذا الزواج يكون فاتحة خير عميم عليك جزاء برك بوعدك لذلك الصديق المتوفى.

برعى : ومع ذلك أنا مدين من قمة رأسى إلى أخمص قدمى. جميع أطيانى مرتهنة للبنك العقارى والدين من دأبه ينفر النوم ويورث الأرق .. فضلاً عن أننى لم أبع القطن حتى الساعة. حقاً أنه عندى ثمانمائة قنطار سكالاريدس وزاجوراه وأشمونى ولكن ما الفائدة إذا لم أبعها فتبقى مختزنة .. لقد عرضوا علىّ سعراً جيداً. ثمانية وثلاثين ريالاً فرفضت وأنا الآن بين اليأس والرجاء وأخشى أن أكون قد ضيعت الفرصة. ولكن القطن صاعد وأعطيت بياناً وأصدرت أمراً إلى وكيلى طنطاوى أنه إذا عرض عليه سعراً أربعين ريالاً فليبع. هذه حقاً مجازفة. ولكن لعل فى المجازفة بركة ..

عبد الحكيم : ولكن مشغوليتك يا عمى بالقطن لا تنافى تفكيرك فى مستقبلنا نحن الاثنين.

برعى : سبحان من أودع فى كل قلب ما أشغله من الديون والرهن لفرصة بيع القطن بأعلى سعر ممكن إلى التفكير فى سعادتك. بالله عليك يا ولدى لا تحرج صدرى (يدخل الخادم).

المنظر الثانى

الخادم : ساعى التلغراف.

برعى : (بلهفة) تلغراف.

الخادم : ها هو (يقدم رسالة البرق).

برعى : (يفضها بلهفة ويقرأ) بعنا القطن كأمر سعادتكم بأربعين ريالاً. وكيلكم طنطاوى .. (يطوى الرسالة) باع بأربعين ريالاً فقط مع أن القطن فى صعود! لعنة الله عليك يا طنطاوى. ومع ذلك أنا الذى أذنت له بذلك. لا بأس. (كأنه يحادث نفسه فى مناجاة) ستة آلاف جنيه .. يكاد الثمن يسدد الأقساط فنفيق من الأزمة ولو قليلاً. ومع قليل من التدبير وعقد قرض صغير أستطيع أن

أشترى الخمسين فداناً التي يملكها منصور أغا بشرنقاش فــإني من زمن طويل أصبو إلى وضع يدى عليها.

عبد الحكيم : (بخوف وتردد) مبروك يا عمى. أهنئك من صميم فؤادى!

برعى : (بغيظ) شكراً لك. المسألة لا تحتاج إلى التهنئة. فماذا يكــون تسديد القسط وشراء بضعة أفدنة. هل هذا مال؟ هل هذه أطيان؟ لقد مضى وانقضى زمن الكسب والثراء.

عبد الحكيم : (فى نفسه) ما أشد مطامعه.

برعى : ومع ذلك فإن هذه فرصة انتهزتها وفائدة استحققتها!

عبد الحكيم : إن شاء الله تدعوك هذه الفرصة للعطف علينا.

برعى : مؤكد مؤكد .. غير إننى مشغول الآن جداً بــهذه الصفقــة .. وبلا ريب سأنظر بعد قليل فى مسألتك (لنفسه) لعله يكتفى بــهذا الوعد وينصرف.

عبد الحكيم : (مستبشراً) أحقاً ما تقول يــا ســعادة البــك؟ زادك الله خــيراً وسروراً.

برعى : (بغيظ وتصميم) ولكن أنا أقول لك منذ الآن إن تيــأس تمــام اليأس من إتمام هذا الزواج الذى تتمنى.

الخادم : (وهو لم يزل واقفاً بخوف) ساعى التلغراف يا ســعادة البــك منتظر على الباب.

برعى : (يتغير) منتظر! ماذا ينتظر؟ قل له لا يجوز إعطــاء مكافــأة بأمر الحكومة (يقرأ على الغلاف) لا يجوز دفع شىء لحامله.

الخادم : لا يا سعادة البيك. هو ينتظر الإيصال.

برعى : آه الإيصال. هذا شىء آخر! أين الإيصال؟

الخادم : مع التلغراف ذاته.

برعى : (يجد الإيصال فى الغلاف) ها هو (يمــهره بإمضائــه) قــل للساعى يا حبذا كل يوم رسالة كهذه (يخرج الخادم).

عبد الحكيم : (منتهزاً فرصة السرور الطارىء) طبعاً يا عمى الآن تســتطيع أن تعطف علينا قليلاً فالبركة فى المجازفة كما قلت لنا عند تمام صفقة القطن.

برعى : ألا تزال تتكلم فى الحب والزواج والحب والسعادة؟ هذا عجب عجاب .. لماذا أنا فى شبابى لم أعرف شيئاً اسمه حب أو عواطف أو سعادة؟ وطول حياتى فى الأرض والطين والزرع والتوفير. صدق من قال : من السماد للسداد.

عبد الحكيم : الدنيا تغيرت والأفكار أيضاً تحولت وتبدلت.

برعى : أستحلفك بالله أن لا تحرج صدرى. ومع ذلك سأقول لك شيئاً شريطة أن لا تتأثر.

عبد الحكيم : عفواً يا عماه.

برعى : أنا لا يحق لى أن أقوله، ولكن الدين النصيحة. مهما يكن علمك ومهارتك فلن يكون لك شأن يذكر.

عبد الحكيم : (بدهشة وغيظ) لماذا ؟ .. لماذا ؟

برعى : (مبتسماً) ألم أحذرك من التأثير والانفعال ؟!

عبد الحكيم : طبعاً لم أكن أنتظر هذه الصدمة.

برعى : طيب! طيب! لا لزوم إذن للكلام.

عبد الحكيم : لا! بعد هذه المقدمة لابد أن أعرف مقصودك من هذا الكلام الأخير.

برعى : قصدى يا ولدى أن أقول لك إن كل شيء فى بلدنا هذا يحتاج للتوصية والاختلاط بالطبقة العالية ورحم الله من قال: إذ لولا الوساطة لما كان الموسوط. أفهمت؟ ومن كان يتيماً فقيراً فهيهات أن يخترق الصفوف المكتظة بطلاب المراكز والمال والشهرة والمناصب العالية.

عبد الحكيم : (يتحمس) العلم والذمة يتغلبان على كل شيء.

برعى : يمكن العلم والذمة يتغلبان على كل شيء بعد عمر طويل وبعد أن يفنى العالم ذو الذمة والاستقامة. ومع ذلك فإذا بلغت المال والشهرة فأنا مستعد لتزويجك من بنتى ملكة هانم وإن كانت تزوجت فأنا كفيل أيضاً أن أرغم زوجها على الطلاق.

عبد الحكيم : (بصوت منخفض) يا لطيف ما هذه الذمة؟ وما هذا الضمير؟!

برعى : ومع كل هذا فإنه توجد ألف بنت أفضل وأجمل وأغنى من ملكة فيمكنك أن تختار من بينهن من تشاء.

عبد الحكيم : (بيأس وألم) حسن جداً يا عماه والشكر لك.

برعى : عبد الحكيم! لا مؤاخذة ولا غضب. الدار دارك وملكة أختك وإذا هيأت لك الأقدار أن تختار عروساً أخرى من أسرة نعرفها فأنا لا أتردد فى مساعدتك. فعمتك تخطبها وربما دفعت الصداق الذى أستطيعه وأقمت لك معالم الأفراح التى تليق بكرامتك.

عبد الحكيم : (بذعر) أفراح ؟ .. اية أفراح ؟

برعى : لابد من ذهابى إلى البنك قبل إغلاقه وأريد أن أرسل إلى طنطاوى رسالة برقية. فهو بلا شك ينتظر الرد. أستودعك الله الآن. وكف عن الأمانى التى لا فائدة فيها. والتعقل والثبات أولى بك. الزعل مرفوع والزواج ممنوع والرزق على الله (يضحك ويخرج تاركاً عبد الحكيم فى حيص بيص). (يجلس عبد الحكيم مفكراً وحزيناً ويسود المسرح سكون عميق وبعد قليل تسقط أمامه وردة من داخل المسرح فيتناولها وينظر إليها ثم يرفع بصره بثبات فتدخل ملكة على مهل فى ثياب الخروج ومعها زهور وكتب ثم تدنو منه وتحادثه بتلهف)

المنظر الثالث

ملكة : ماذا جرى ؟ .. هل قبل ؟ .. لقد رأيته ذاهباً منذ هنيهة فتقابلت سيارتى بسيارته أمام القصر العينى.

عبد الحكيم : لقد خاب كل رجاء يا ملكة.

ملكة : (بذهول) كيف ؟! .. ألم يقبل ؟! .. ألم تستطع إقناعه ؟

عبد الحكيم : لقد عييت فى محادثته ولم أدخر وسعاً فى استجلاب رضاه.

ملكة : أنت عبد الحكيم الفطن .. الشجاع الفصيح .. الحلو الحديث لم تقدر على إقناع والدى .. الضعيف الغير متعلم !

عبد الحكيم : إن ضعفه وجهله - أعذرينى - هما سبب عجزى عن بلوغ مأربنا .. بل سبب ضياع أملنا فى سعادة الحياة.

ملكة : عجباً ! على أن أبى هذا أطوع لأمى من بنانها. بل هو لا يعص لها أمراً .. ولا يخالف رأيها أبداً لاسيما منذ اشتدت عليها وطأة الداء .. فإنه يخشى على حياتها إن هو خالفها فى أمر

تريده. إن أمى تحبنى وقد تعمل على بلوغ سعادتى. فلنلجأ إليها. ولكن أعلم يا عبد الحكيم إنها هى الملجأ الأخير .. فـإن خـاب أملنا معها فلا سبيل إلى تحقيق أمانينا.

عبد الحكيم : وهل تظنين أن أمك توافق على زواجنا ؟!

ملكة : لا أستطيع الجزم بذلك فإنها كوالدى من الطراز القديم. ولكـن أملى منوط برقة قلب الأم فهو أبداً أقرب إلى الحنان والشفقة من قلب الوالد. فإن وافقت فلعلها تنجح حيث فشلنا وتقدر على مـا عجزنا عن إتمامه.

عبد الحكيم : هل أنت واثقة من حنانها وشدة عطفها عليك وهل.. تستطيعين؟

ملكة : ماذا ؟ .. تكلم ..

عبد الحكيم : أن تبوحى لها بحقيقة أمرنا إذا اقتضت الحال ذلك !

ملكة : (مضطربة) هل وصلت بنا الشدة إلى هذا الحد ؟ .. أيصبـح زواجنا الشرعى رهن الفضيحة والعار ؟ .. (تبكى) إننى أفضـل الموت على ما نحن فيه.

عبد الحكيم : الموت ! .. الموت ! .. ونحن فى أولى مراحل الحياة !!

ملكة : إذن بماذا تشير علينا للخروج من هذه الورطة ؟ .. إن الوقـت يأزف .. والخطر يزداد ويتحقق .. ولا أكتمك أننـى أفضـل استعجال العاصفة على الاستنامة للأمانى العذبة .. فما دامـت الصاعقة منقضة حتماً فالأفضل أن نستعجلها قبـل الأوان دون رهبة أو وجل.

عبد الحكيم : عزيزتى ملكة ! .. ملكتى العزيزة ! .. أستحلفك بحبنا الطـاهر أن لا ترعجينى عليك .. لا تيأسى من رحمة الله.

ملكة : رحمة الله ! .. حبنا الطاهر ! .. ما أعذب وقع هذه الألفـاظ على أذنى فى هذا الوقت الحرج .. الحـب الطـاهر (تضحـك بتهكم) كان هذا الوصف صحيحاً منذ ثلاثة أشهر، أى قبل فصل الربيع الذى أزهر فيه البنفسج.

عبد الحكيم : نعم نعم حبنا الطاهر. فإن اتصالنا كان وسيلة للاتصال بالروح. التسليم واسطة والحب الحقيقى غاية تبررها. هكذا خلق الإنسان

ضعيفاً تلهو به الطبيعة وتلعب وتسخره فيما تشاء وهى لا تسأله إلا أمراً واحداً هو أعظم الأشياء وأقدسها. لأجل هذا أريد أن أقف حياتى على تحقيق أمنية الطبيعة فيما حكمت به بينك وبينى وهذا التحقيق لا يكون إلا بالزواج.

ملكة : (مضطربة) عبد الحكيم ! .. عبد الحكيم ..

عبد الحكيم : حبيبتى ملكة.

ملكة : (تستجمع شجاعتها بجد وقوة) أعلم أن هذه الأمنية قد تحققت.. (تجهش بالبكاء وتسقط على الأرض فتنتثر الأزهار والكتب على البساط فيبادر إليها عبد الحكيم فيسندها حتى تستفيق وتجلس).

عبد الحكيم : حبيبتى.

ملكة : (كمن تتذكر أمراً) أسمع يا عبد الحكيم إننى تركت والدتى عند دكان أكتير تاجر الجواهر بشارع المناخ لأستطيع أن أخلو بك هنا برهة ولكنها لا تلبث أن تعود وأنا أريد أن أحادثك فى أمر ذى شأن (يزداد اهتمامه) سأفضى إلى أمى بكل شىء ثم أحادث أبى لأقف منه على حقيقة أفكاره فإذا علمت أن لا أمل لنا فى الزواج سأترك هذا المنزل.

عبد الحكيم : تتركين هذا المنزل ؟! .. ماذا تقولين ؟ .. أنت فتاة صغيرة .. تتركين دار أبيك ! .. كيف تقدمين على هذا ؟

ملكة : طبعاً إننى قادمة على أمر كان خطيراً منذ ثلاثين سنة .. أما الآن فهو من بسائط الأمور .. ولكننى فى حالة تحتاج إلى البعد عن الأهل .. لأننى لا أريد أن أقترف جناية .. أفهمت ؟

عبد الحكيم : (بألم وحسرة) نعم فهمت.. واحسرتاه .. ولكن إلى أين تذهبين؟

ملكة : أذهب إلى مكان معلوم لدى .. لأنه لا يوجد سوى مكان واحد يمكننى أن ألجأ إليه دون أن يعلم مقرى أحد .

عبد الحكيم : حتى أنا ؟

ملكة : سنرى.

عبد الحكيم : ولكن والدك .. هل يكف عن البحث عنك واستقصاء أخبارك ؟

ملكة : سأكتب إليه خطاباً يقطع عليه خط البحث والاستقصاء.

عبد الحكيم : وأمك المسكينة المريضة التى يكاد يقضى عليها داء القلب المكين .. ألا يصعقها قرارك ؟! ألا تخشين على حياتها من شدة الحزن عليك؟

ملكة : لقد ذكرت أمى وقلبها المريض .. تكاد تقتلنى من شدة الوجد عليها .. ولكن إذا كان فى قلبها حنان فسوف تساعدنا على الزواج .. فلا تكون ثمة حاجة إلى الفرار.

عبد الحكيم : ومن أين لك الـ .. ؟

ملكة : تقصد المال.

عبد الحكيم : (يطاطىء الرأس باكياً) نعم ..

ملكة : عندى هذا السوار .. وهذه الخواتم .. وفى الحاجة القصوى هذه الحلية المعلقة بتنديف وهى تساوى فى مجموعها خمسمائة جنيه .. وقد قدرت ثمنها اليوم .. ولم تدرك أمى مقصدى .

عبد الحكيم : ليس لى فى هذه الخطة مكان .. فكأنك لم تفكرى بى .

ملكة : أجل ! أنت أصل هذه الخطة وعلتها وسببها (يُسمع نفير سيارة) إلى اللقاء يا حبيبى وأترك لى الميدان خالياً وها هى والدتى قادمة سأخلو بها. (يدنو منها ليقبلها ثم يتراجع ويأخذ يدها ويقبلها فتلتقط زهرة من الباقة التى انتثر عقدها وتعطيه إياها فى صمت فتنحدر الدموع من عينيها ويخرج باضطراب فتشيعه ببصرها ثم تتبعه بضع خطوات فيلتفت إليها ولا يتمالك نفسه فيعود إليها فتسرع إليه فيقبلها فترتمى بين ذراعيه فيخرج مسرعاً وتتهالك على مقعد فى حزن شديد).

المنظر الرابع

(تدخل الأم فى انزعاج يسير)

الوالدة : أين كنت يا حبيبتى ؟ لقد انشغلت عليك منذ افترقنا لدى تاجر الجواهر بشارع المناخ .. فانتظرتك ربع ساعة عند بائع السجاد .. فقد ظننت أنك تشترين كتباً فرنسية .. فلما طال الوقت ظننت أنك افتقدتينى.. فلما لم تجدينى عدت إلى الدار بمفردك .. ولو أننى عدت ولم أجدك فلشد ما تكون حيرتى إذا سألنى عنك أبوك فى غيبتك ..

حبيبتى أرجو أن لا يحدث مثل هذا فى المستقبل .. فإننى أعهد فيك العقل والحكمة والمحافظة على كرامتنا .. ما بك ؟ لماذا لا تجيبين؟ (تتناول يدها فتجدها دافئة) ما بك ؟ .. كأنك كنت فى مغطس ماء حار! .. وعينيك أراهما محمرتين ! .. ووجهك محتقن ! (باضطراب) ماذا أصابك يا ملكة ؟ (تنظر حولها باضطراب) وهذه الكتب .. والأزهار المنتثرة .. ماذا جرى ؟

ملكة : جرى أننى رأيت الشخص السمين .. الذى ترغبون فى زواجى منه فى سيارته مع والدى .

الوالدة : ربما لا يكون هو .. وحتماً ليس هو من تقصدين .. لأن مرعشلى بك ليس مفرطاً فى السمن كما تقولين .. حقاً أنه رجل وسط ولكنه متناسب القوام.

ملكة : لا داعى يا أماه لإخفاء الحقيقة عنى .. فإن عينى لا تخطىء .. وقد تأكدت من سيارته .. بعددها .. ولونها .. وهى التى كان والدى يعود بها منذ أيام .. وقد تأكدت من وجهه .

الوالدة : ربما لم يكن هو .

ملكة : فلنفرض أننى أخطأت فى رؤيته .. لأنه شخص أجنبى عنا .. فهل يجوز أن أخطىء أيضاً فى رؤية والدى ؟!

الوالدة : لا .. ولكن لوالدك أصدقاء كثيرين .. لا يبعد أن يكون بعضهم بادناً

ملكة : إلا هذا .. فإنه هو الشخص الذى سمعت ذكره .. أليس قلب الإنسان يدله فينفر من المصائب وأهلها ؟

الوالدة : مصائب .. ماذا تعنين بهذا القول يا ملكة ؟ لا يجوز لك أن تصفى خطيبك الذى أرتضاه أبوك بهذا الوصف البشع .. ألا تعلمين أن للألفاظ فألها وشؤمها ؟ .. إلىّ يا حبيبتى .. إلى صدرك أمك الحنون .. ونامى فى حجرى كما كنت تفعلين طفلة .

ملكة : لا .. لا يا أماه .. أنا لا أستطيع أن أعود طفلة .. بل لا أطيق الآن صبراً على شىء .

الوالدة : لا يليق بك أن تستسلمى إلى الحزن واليأس .. فلعل هذا الخطيب الذى لم ينل رضاك – بافتراض أنه هو الذى أبصرت به فى السيارة

مع أبيك - إذا تأهل بك يسعدك خيراً من أى شاب من شباب هذه الأيام .. بل ثقى أن زوجاً كمرعشلى بك يخلص لزوجته إخلاصاً عظيماً جداً بشرط أن تحسنى معاشرته وتعرفى كيف تتحكمين فيه وتتصرفى فى شؤونه.

ملكة : أتحكم فيه .. وأتصرف فى شؤونه ؟ .. أنا لا أريد زوجاً من هذا النوع .. لأن الزواج فى نظرى يجب أن يكون مظهراً للعيشة الراضية بإتفاق الزوجين معاً .. لا أن يكون تحكماً .. ثم إنى أصارحك القول يا أماه .. لقد كنت أنفر من هذا الشخص وأبغضه فى سريرتى .. أما الآن فلابد لى أن أجاهر ببغضى إياه .. ونفورى من الزواج منه .. بل من مجرد ذكر اسمه .. وأنا واثقة من أنه لن يحدث وفاق بيننا أبداً .

الوالدة : (بتؤدة بعد أن سمعت ابنتها وتأكدت من تعنتها) هونى عليك يا حبيبتى .. هذه هى عادة البنات قبل الزواج .. يظهرن النفور والتقزز .. ولكن بعد الزفاف يهون كل أمر عسير .. فتتساهلين قليلاً فى أفكارك .. وهو أيضاً يسعى فى رضاك بكل ما لديه من قوة ومال .. وشيئاً فشيئاً يحل الوفاق محل النفور وتملك السعادة قلبك .. وهل أنت فى حاجة إلى مثل هذا النصح من والدتك ؟ .. ألا تجدين ألف نصيحة فيما تقرأين من الكتب الأفرنجية لاسيما كتاب الفريد موسيه ؟

ملكة : (تضحك بحزن على الرغم منها) الفريد موسيه يا نينة ! ليس فى كتبه شيء من هذا القبيل .. وليس فيها ما يبرر للوالدين أن يرغما ابنتهما على الزواج من شخص ثقيل لا تحبه لمجرد كونه غنياً أو عاقلاً أو موزوناً .. والزواج الذى يتم على هذه الصورة يكون تجارة لا عشرة شرعية شريفة .. والبنت التى يضغط عليها .. فإما تلجأ إلى الفرار .. وإما إلى الانتحار .

الوالدة : (بذعر وانزعاج) لو صح قولك هذا إذن لخربت كل البيوت ولم يتم زواج واحد .. وإن كان هذا القول صحيحاً فى أوربا فهو لا ينطبق علينا فى مصر .. وإن كانت كل بنت تتشدد كتشددك هذا فلن يعقد على واحدة من البنات.

ملكة : ولكن أنت والدتى .. لابد أن تكونى أحببت والدى .. وقد أخبرتنى إنه لم يكن إذ ذاك فى مصاف الأغنياء .. وقد عشتما عيشة سعيدة .. ولم تقصرى فى واجبك نحوه .. كما أنه لم يغضبك .. ولم أسمع منك قط ثناء على نفيدة هانم التى تزوجت من شكرى بك لأجل أطيانه .. ولم تطرِ يوماً سميرة هانم التى سددت ديون زوجها للستر على حقيقة أمرها .. ولم تذكرى يوماً بخير بنت خورشيد بك تلك التى باعت بنتها وفية للشيخ حمودة طمعاً فى تغيير وقفية السلانكلى.

الوالدة : (بشىء من الحدة) أنت دائماً متطرفة .. بل متهورة .. هل سبق لى أن وصفت لك هؤلاء السيدات أنهن من الملائكة أو القديسات ؟ .. ثم ماذا يجدى هذا الحوار فيما تقولين فى حالتنا هذه ؟ لقد تم الأمر أو كاد .. فماذا أنت فاعلة ؟ (تتردد عندما ترى انزعاج ملكة) أنا لا أقول لك هذا القول ليبلغ اليأس من قلبك مبلغه كلا .. إنما أريد أن تتساهلى .. إنك لا تزالين فى عنفوان الشباب وما ترينه الآن حسناً .. قد ترينه بعد قليل ليس بالحسن .. وربما ينقلب مرعشلى بك الذى لم يرقك منظره اليوم فيحوز رضاك ويصير أفضل الأزواج .

ملكة : أفضل الأزواج ! .. أتهزلين يا والدتى .. كيف ذلك وهو قريب إلى أبى فى عمره ؟ أنا الآن فى الثامنة عشرة من عمرى .. وأبى فى منتصف العقد الخامس .. فإذا ما بلغت أنا الثلاثين صار زوجى فى حدود الستين .. فكيف يكون هذا الشيخ أفضل الأزواج ؟

الوالدة : افترضى أن عمره كما تصفين .. فهذا فى الحقيقة أفضل لك لأن الفرق بينكما فى السن سيجعله دائماً طوع إشارتك فيقدرك حق قدرك ولا يجد مجالاً للدلال عليك كما لو كان فتى فى مقتبل العمر مشغول بجماله وشبابه.

ملكة : النتيجة الحاسمة يا والدتى ! .. مرعشلى بك هذا لن أتزوجه ! .. لن أتزوجه .. أبداً .. أبداً .. أبداً .. مهما تكن العاقبة .

الوالدة : يا بنت ! .. أسمعى لعلك تكسرين بهذا الرفض قلبين .. قلبى وقلب أبيك .

ملكة : وإذا تزوجت منه فحتماً سأكسر قلبين أيضاً .. قلبى وقلب آخر .

الوالدة : (باهتمام) قلب آخر .. فلمن يكون هذا القلب الآخر ؟!

ملكة : قلب عبد الحكيم ! .. ومن حيث أننا بلغنا هذا المدى .. فأنا أخبرك إننى أحبه .. وهو يحبنى .. ولابد لنا من الزواج .

الوالدة : أنت تحبين عبد الحكيم ؟!

ملكة : نعم .. وأكثر من هذا أيضاً .

الوالدة : أتقولين هذا فى وجهى ؟ أكثر من الحب ! إذن ماذا يكون أكثر من الحب ؟

ملكة : فليكن ما يكون.. لقد قلت وأرحت ضميرى.. فأفهمى كيف تشاءين .

الوالدة : (تضرب وتضع يدها على قلبها ويصفر وجهها) آه .. آه .. لقد عاودتنى الآلام .. شكراً لك .. هذا جزاء تربيتنا ورعايتنا (تحاول النهوض فتخونها قوتها فتتأثر ملكة وتدنو منها وتساعدها على النهوض وتسيران بتؤدة نحو الباب ثم تعود ملكة بمفردها فتفكر قليلاً ثم تنهض بقوة كمن صحت عزيمتها على أمر مهم .. فتلمس زر الكهرباء لاستدعاء الخادمة)

المنظر الخامس

(تدخل نعيمة)

الخادمة : سيدتى .

ملكة : أريد أن أفضى إليك بأمر ذى بال .

الخادمة : تفضلى يا سيدتى مرى .

ملكة : أنا مسافرة فوراً من هنا .. سأترك بيتنا هذا بعد قليل إلى مكان لا يعرفه أحد سوانا أنت وأنا .

الخادمة : لماذا يا سيدتى؟ .. بعداً للشر الذى يدعو إلى هذا الرحيل المفاجىء

ملكة : سأخبرك بكل شيء بعد برهة .. إنما الآن عليك بإعداد ما أحتاج إليه من ثياب .. خذى الحقيبة الوسطى التى يأخذها أبى فى سفره إلى الوجه القبلى وضعى فيها ما تستطيعين من الثياب البيضاء التحتانية وملابس الخروج والكتب الصغيرة التى تجدينها فى غرفة نومى و...

الخادمة : (تتردد) لو علمت والدتك بهذا فربما تلقى حتفها .. فإنها مريضة ولا تستطيع فراقك طرفة عين .

ملكة : لا بأس .. لقد فكرت فى هذا .

الخادمة : وكيف يتسنى لى البقاء فى البيت دونك ؟ فلابد من اكتشاف الأمـو بعد حدوثه ونسبته إلى .. فتصبح جريمة فرارك معلقة فى عنقى .

ملكة : لا تخشى شيئاً فى هذا السبيل .. ألا تحبيننـــى ؟ ألســت كــأختك الصغرى ؟

الخادمة : أحبك ! .. كيف ؟! .. أننى أفديك بحياتى (تبكى بإخلاص) .

ملكة : كفكفى دموعك الآن لئلا يفتضح الأمر .. أسرعى فى تنفيـــذ مـــا طلبت إليك (تخرج الخادمة ثم تعود بعد قليل) .

الخادمة : سيدتى .. إن والدتك تشعر بضيق شديد فى التنفس .. وقد أشــارت بيدها لأدعوك .

ملكة : (تتردد) حسناً .. سأوافيها ريثما تعدين أنت ما كلفتـــك بـــإعداده (تخرج ملكة من الباب الأمامى) .

الخادمة : يا حبيبتى يا سيدتى الصغيرة .. ترى ماذا جرى لـــها ؟ (يدخــل الخادم) .

الخادم : أنت هنا والحاجة ماسة إليك .. دائماً تكلمين نفسك .

الخادمة : ماذا أصابك ؟

الخادم : أصابنى الجوع متى نتغدى ؟ ألا تخاطبين الطاهى ؟ هل نسيتمونا؟

الخادمة : هل نتغدى قبل أن يحضر سعادة البيك ويتغدى هو ؟

الخادم : إننى لم أفطر .. ولم أتناول طعاماً من ساعة التلغراف .

الخادمة : تلغراف ! .. أى تلغراف ؟

الخادم : تلغراف القطن .

الخادمة : حسن جداً .. عد إلى مكانك وسيصل إليك الغداء فـوراً (تخــرج نعيمة ويتلكأ الخادم قليلاً ثم يخرج) (تدخل ملكة وتجلس) .

ملكة :الحمد لله على أن حالتها لم تكن شديدة .. فلعل ذلك كان يعوقنى عن تنفيذ خطتى التى اعتزمتها .. (تسمع أصوات فى الخــارج) هــذه خطوات أبى يسير نحو غرفة والدتى .. ترى هل تفضى إليـــه بمــا علمت منى ؟ .. أم تحفظه لذاتها .. هل أعدت نعيمة كل شــىء ؟ إن كل ساعة تدنينى من الخطر.. فقد فهمت من كلام والدتى أن الأمر قد تم أو كاد (تدخل نعيمة).

ملكة : هل تم كل شيء كما طلبت إليك ؟

الخادمة : (بصوت خافت) نعم .

المنظر السادس

(يدخل الوالد فتقطع حديثها وتخرج الخادمة مسرعة وتنهض ملكة لاستقباله)

الوالد : (بحدة وغضب) لقد أخبرتني والدتك بكل شيء .. فلا فائدة في إعادة الحديث .. ومهما تكن جريمتنا في نظرك فإنها لا تعادل جزءاً من ألف مما سمعت وعلمت .. إن عصيانك عن الزواج جريمة لا تغتفر .

ملكة : إذن يا والدي إذا كنت قد حكمت بأن عصياني جريمة لا تغتفر فما فائدة الحديث بيننا ؟

الوالد : أنا لم أحكم عليك .. بل أنت التي قضيت على نفسك .. حقاً أنه لا يوجد أحد سواي يستطيع التصرف فيك (تشمئز ملكة اشمئزازاً ظاهراً عند سماع كلمة التصرف) ولكنني لا أريد أن انتفع بسلطتي عليك .. ولو أنني أردت إهانتك وإرغامك ما كنت بذلت كل ما بذلت في تربيتك .. ولأسخرت ما أنوى على تنفيذه لدى زواجك .. فإنني سأقيم لك معالم الأفراح وأجهزك جهازاً فخماً يداني جهاز الأمراء .. وأهدى إليك صنوفاً من المصوغ والحلي .. نعم إن البلد يشكو من أزمة وأنا أخشى الحسد .. ولكنني مصمم على هذا كله في سبيل سعادتك .

ملكة : ليست الأفراح والجهاز مقصودة لذاتها .. إنما هي وسيلة لسعادة الزوج .

برعي : وهل قلت لك غير ذلك .. مرعشلي بك رجل غني .. وكل بنات الأعيان تود لو تزف إليه .. رجل غني جداً وليس مديناً لأحد وأطيانه خالية من الرهن وإيراده كبير وقد أتاه الله بسطة في الجسم وفي الرزق .. وربما في العقل أيضاً .

ملكة : يا والدي .. أنا ملك لكِ فتصرف بي كما تشاء .

برعي : هكذا الطاعة وإلا فلا .. إنك تشرحين الصدر بهذا القول الجميل .

ملكة : إن مسألة الأفراح والجهاز والجواهر لا أكترث لها في مثل هذه الظروف وأقل شيء يرضيني إذا كان يرضيك .

الوالد : بارك الله فيك من فتاة كأمك وأبيك لا تهمك سوى المصالح الحقيقية. آه لو عرفت (يتقرب إليها وتبدو عواطفه القطنية) صفقة القطن التى تمت لنا اليوم إذن لفرحت. صحيح أن البيك الذى رأيته معى اليوم هو مرعشلى بك بعينه وليس أحد سواه. رجل يزين مجالس الرجال ويحل كبرى المعضلات وتوقيعه فى البنوكة لا يرد واسمه كالذهب الإبريز. غنى جداً.

ملكة : ولكن يا والدى ثق أنه من المستحيل علىّ أن أقبل هذا الزواج.

الوالد : (يبغت ويذهل) إيه ! مستحيل ! مستحيل تقبلين زواجك من مرعشلى بك!

ملكة : نعم مستحيل (بحزم) نعم مستحيل.

الوالد : (يتهيج ويحتد) أحذرى هذا الكلام. لقد صبرت كثيراً فاتقى غيظ الحليم. إن البنت التى تخرج عن طاعة والديها تطرد من المنزل وتحرم الميراث.

ملكة : إذا أمرتنى بالخروج من المنزل فإننى لا أعصى لك أمراً.

الوالد : أنت إذن مجنونة يا ملكة! ماذا جرى لك؟

ملكة : هذا قول والدتى بعينه. إنى حقيقة مجنونة وأقبل منكما هذا الوصف على الرأس والعين وأترك لكما وحدكما كمال العقل وحسن التصرف فى الأمور.

الوالد : (يعود إلى شىء من الهدوء) أسمعى يا ملكة يا بنتى يا حبيبتى. أنت بنتنا الوحيدة ونريد أن نفرح بزفافك قبل أن نموت.

ملكة : تستطيعون أن تفرحوا بزفافى لو أردتم أن أكون أيضاً أنا فرحانة.

الوالد : نريد أن نفرح بك فى دار زوج يلائمك ويكون كفؤاً لك فى الجاه والمال. مرعشلى بك غنى جداً وزوج نادر المثال وقد قرأت معه أمس الفاتحة.

ملكة : وأية جريرة لى فى ذلك؟

الوالد : فإذا عدلنا عن إتمام الزواج يكون تفسير الأمر خادشاً لشرفنا ولشرفك. نحن ربيناك وأنفقنا عليك دماء مهجتنا وتعهدناك حتى صرت تقرأين روايات فكتور هوجو ولم ندخل على قلبك الحزن فى يوم من الأيام.

ملكة : ولا أنا أدخلت الحزن على قلبيكما. إنما يدخل الحزن في قلبي إذا تزوجت بدون رغبتي.

الوالد : إن زوجك يبيع حياته في سبيلك. طبعاً أنه ليس جميلاً جداً. وليس في عنفوان الشباب. وليس من أتباع الطراز الحديث ولكنه مثل بقية الأعيان الذين من طبقته منذ أصاب الرتبة الثانية مع لقب بيك وضع العمامة واتخذ الطربوش وصار بيك وحلق لحيته.

ملكة : وكان حضرته أيضاً من ذوى العمائم واللحى.

الوالد : وماذا عليه في ذلك؟ يوجد الآن في مصر باشوات من ذوى العمائم واللحى وعن قريب يصير باشا ويأخذ رتبة ميرميران.

ملكة : حتى لو صار ملك الملوك أو سلطان السلاطين فإنني لا أريد أن أكون ملكة بجانبه.

الوالد : عجايب! مرعشلي بك يساعدنا في بيع الأقطان ويضمنا في البنوك خير ضمان وله قصر في المنيرة وسيارتان فيا بنتي ..

ملكة : (تقاطعه) أعرف كل هذا ولكن مستحيل أن أتزوج منه أبداً.

الوالد : (بغيظ) إذن ممن تريدين أن تتزوجي؟

ملكة : ليس الأمر في حاجة إلى السرعة. وربما كان التأجيل أفضل.

الوالد : التأجيل أفضل! كيف ذلك؟ ماذا تقولين؟ (بتهكم) إذن تقبلين أن تتزوجي من عبد الحكيم فوراً!

ملكة : لا بأس إني أقبل ذلك بكل سرور.

الوالد : (ينفجر) آه يا خاسرة يا عصية. هذا أبعد من أن تناليه ولو لم يبق في الدنيا سواكما. فلن تتحقق لكما هذه الأمنية. وهذه حرب بيننا قد أعلنتها عليكما. (تدخل الأم صفراء الوجه ضعيفة النفس، تلهث وتستند إلى الأثاث وتجرر أذيالها).

الأم : ماذا جرى يا بيك؟

الوالد : البنت عقلها طار وأظهرت العصيان فلابد أن تفارق منزلي منذ هذه الساعة.

الأم : (تخور قواها وتجلس) وامصيبتاه .. آه

الوالد : أخرجي .. أخرجي إلى حيث تشائين.

ملكة : سأخرج حالاً حسب أمرك.

الأم : ملكة حبيبتى .. بنتى

ملكة : (تدنو منها) أستودعك الله يا أماه (فتقبض أمها على يدها).

الأم : (للوالد) كيف تقول يا بيك هذا القول؟

الوالد : أتركيها تذهب. النار ولا العار. موتها أفضل من عصيانها. (تتخلص ملكة من يد والدتها وتقصد الباب).

الوالدة : ملكة .. ملكة .. (تنهض وتحاول الكلام فلا تستطيع فتسقط على الأرض مغشياً عليها).

(ستار)

(الفصل الثانى)

المنظر الأول

(المنظر فى قاعة استقبال بفيلا بحدائق القبة وبها تليفون)

الخادم : ألو! ألو! .. سنترال ٢٣٠٥٦ من فضلك مستعجل جداً .. مشغول! من ساعة .. دقى يا مدموازيل من فضلك! .. ألو! من؟ .. أنا إدريس بمنزل سعادة مرعشلى بك .. الدكتور فتحى بك موجود .. من فضلك يشرف حالاً بمنزل مرعشلى بك بحدائق القبة .. نعم؟ الدكتور مشغول .. ابنه مريض جداً .. نعم .. نعم .. حاضر بالعجل من فضلك بجوار الفيلا المزدوجة بالسيارة على الأكثر عشر دقائق من باب الحديد. منتظرين سعادة الدكتور (يترك التليفون، وتدخل الخادمة).

الخادمة : الطبيب سيحضر يا إدريس!

الخادم : لا .. الدكتور فتحى لا يمكنه الحضور لأن ابنه مريض جداً بحلقه .. يظهر أنه دور مرض حلق الأطفال مثل ابن سيدنا .. ربنا يسلم.

الخادمة : ما العمل إذن؟

الخادم : الدكتور فتحى بك ملازم فراش ابنه فضلاً عن أنه لا يستطيع أن يزور أحداً خوفاً على أولاد الناس من العدوى.

الخادمة : طيب .. فليدلنا على طبيب آخر.

الخادم : عمرك أطول من عمرى! قلت له ذلك فقال إنه سيرسل إلينا أحد زملائه المشهورين. طبيب اختصاصى فى أمراض الحلق والأطفال.

الخادمة : عظيم جداً. يجوز أن يكون ذلك من حظ أسيادنا. ويكـــون شـــفاء سيدى الصغير على يديه. سأخبر سيدتى بذلك.

المنظر الثانى

(يدخل الزوج مرعشلى بك وبيده جريدة يقرأ فيها)

الزوج : الموحد بستين جنيهاً. نزول لم يسبق له مثيل! لو لا ســـمح الله! لا سمح الله ألف مرة وأردت أن أبيع أسهمى لخسرت فى طرفة عيـــن ألوفاً مؤلفة. يا لطيف من الاضطرار. (يلتفت فجأة للخادم) ماذا تعمل هنا يا إدريس؟

الخادم : كنت أتكلم فى التليفون مع الطبيب كما أمرتنى سيدتى الهانم.

الزوج : وماذا قال لك؟

الخادم : سيحضر تواً بالسيارة.

الزوج : (كأنه يناجى نفسه) وهذه نفقة جديدة ومصاريف بدون فـــائدة. كـــل شوكة صغيرة تدخل فى قدم الصغير يستدعى الطبيب وتحسب علـــى العيادات والزيارات. لا أدرى لماذا لا نترك هذه الأشياء الصغـــيرة على جانب الله سبحانه وتعالى. الولد يشكو من ألم فى حلقـــه آمنـــا وصدقنا. لو أنه تمضمض بعصير الليمون والملح يشـــفى بـــإذن الله وعلى الله الشفاء.

الخادم : لكن الدكتور فتحى بك نفسه لن يحضر. إنما سينوب عنـــه طبيـــب آخر اختصاصى.

الزوج : كلهم أحذق من بعضهم. اختصاصى وامتصاصى المســـألة ترجـــع لزيادة العيادة والسلام. ومع ذلك استدعاء الطبيب أفضل. نعمل مـــا علينا عمله والله يفعل ما يشاء .. أتمم عملك أنت يا إدريس.

المنظر الثالث

(تدخل الزوجة منزعجة)

ملكة : ألم يحضر الطبيب إلى الآن؟ ما سبب تأخيره؟

مرعشلى : لا تأخير ولا شيء. لا لزوم للانزعاج.

الخادم : الطبيب سيحضر فوراً يا سيدتى.

مرعشلى : أخرج أنت يا إدريس وانظر ما وراءك من الأعمـــال. (يخــرج الخادم) هدئى روعك. الاضطراب لا يعود بفائدة. إن شاء الله تـأتى العواقب بالسلامة.

ملكة : ولكن يا بيك لا يجوز الإهمال فى أمراض الأطفـــال. أنــت لا تشعر بكل ما أشعر به أنا الأم نحو هذا الطفل.

مرعشلى : لماذا؟ ألست أنا أيضاً والداً؟ ولكن الله وضع الصبر فـــى قلبــى والحلم فى صدرى والإيمان فى فؤادى. قل لن يصيبنا إلا ما كتــب الله لنا. يا هانم.

ملكة : نعم نعم .. أنا لا أنكر عليك هذا البرود. عفواً قصـــدت الفتــور والتجلد ولكننى أغبطك عليهما. بيد أننى لا أستطيع أن أرى ابنـــى فى هذه الحالة ثم أجلس مكتوفة الأيدى.

مرعشلى : قالوا فى الأمثال : درهم وقاية ..

ملكة : خير من قنطار علاج. هذا مثل صحيح صادق ولكننا وقعنا فـــى هذه الورطة فما العمل ؟ (يُسمع نفير سيارة) .

الخادم : سيارة الطبيب يا سعادة البيك. الدكتور حضر (يخرج الخادم).

ملكة : الحمد لله.

مرعشلى : نعم .. ولكن ليس الدكتور فتحى بك هو الذى حضر وهو طبيــب العائلة.

ملكة : لماذا؟ وأين إذن الدكتور فتحى؟

مرعشلى : الدكتور فتحى بك ابنه مريض وهو مشغول بـــه وأرســل آخــر اختصاصى بدلاً منه.

ملكة : عجبا! وأنا للأسف لا أرتاح إلا للطبيب الذى يعرف مزاج الولـد منذ نشأته إلى الآن. (تقصد التليفون).

مرعشلى : سيان يا سيدتى. ربما يكون مقدم الطبيب الجديد خيراً من يعلــم! وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم. (يدخل الخادم).

الخادم : (بسرعة) الدكتور يا سيدى.

مرعشلى : تفضلى يا هانم إلى الحرم. ودعينى أخاطبه أنا أولاً.

ملكة : ولكن يا بيك هذه حالة استثنائية. يجب عليّ أن أقابله لأصف له حالة الولد من أول شعوره بالمرض منذ أول أمس إلىْ الآن.

مرعشلى : أنا أقوم مقامك خير قيام.

ملكة : أنا أخشى أن يكون المرض ..

مرعشلى : لا سمح الله. فقط أدخلى.

ملكة : أسمح لى بإذنك أن أكلمه ولو من وراء حجاب.

مرعشلى : إذا احتجنا إليك دعوناك لمحادثته كما ترغبين (تتردد ثم تهز كتفيها متألمة ثم تخرج ببطىء) زوجة متعلمة ونبيهة وذكية لا يمكن منع هذه الأفكار عن عقلها. العلم نور يا أفندم.

المنظر الرابع

(يدخل الطبيب بمعطف كبير وبيده شنطة صغيرة)

عبد الحكيم : طاب ليلك يا بيك. هنا الطفل المريض .. عفواً .. الدكتور فتحى أخبركم طبعاً بالتليفون.

مرعشلى : أهلاً وسهلاً بك يا دكتور العفو! أنت والدكتور فتحى سيان. الله يجعل الشفاء على يديك.

عبد الحكيم : أين المحروس نجلك. هل الحرارة عالية؟

مرعشلى : الحرارة؟ جنابك مرتدى هذا المعطف الضخم. ولكن فى الخارج برد شديد طبعاً.

عبد الحكيم : (يتردد وقد أخذ يخلع المعطف) قصدت حرارة المريض.

مرعشلى : آه .. السخونية!

عبد الحكيم : هل قستم الحرارة؟

مرعشلى : هل هو أخذ برداً؟ سأخبرك فى الحال (يلمس زر الكهرباء لاستدعاء الخادم) (يدخل الخادم) خذ المعطف من جناب الدكتور وسر قدامه إلى غرفة سيدك الصغير.

المنظر الخامس

(يفعل إدريس ما أمر به)

الخادم : حاضر يا سيدى. (يخرج هو والطبيب خلفه)

مرعشلى : الحرارة! أنساها فى كل مرة. فى السنة الماضية أخطأت مثل هذه المرة والله عجيب كلام الأطباء. اصطلاحات غريبة. ومــاذا تفيــد معرفة الحرارة. أنا شخصياً أسخن وأبرد فى اليوم عدة مرار. ومع ذلك فإن صحتى جيدة ولم أحتاج فى حياتى إلى أى اختصــــاصى. صدق من قال : من عاش بالحكمة مات بالمرض. لكن كيف يسقط الموحد هذا السقوط المريع. إذن المركز المالى مزعزع والبلاد فـى خطر من أزمة شديدة. سنة ١٩٠٧ لا أعادها الله ولكن فـــى تلــك السنة لم يهبط الموحد مثل هذا الهبوط. (تدخل الخادمة).

المنظر السادس

الخادمة : (بلهفة) سيدى.

مرعشلى : (كمن ينتبه من غفوة) خيراً.

الخادمة : سيدتى الهانم تبكى بكاء شديداً حاراً فى غرفتها وحالتــــها سـيئة جداً.

مرعشلى : هى دائماً كذلك تزعجها أتفه الأشياء. مزاج عصبـــى. أمـــا أنـــا فالحمد لله مزاج ليفى. ومع ذلك هدئيها وانصحى لــــــها بـــالصبر. الصبر مفتاح الفرج. الطبيب حضر كطلبها فلا حق لها فى البكـــاء. اذهبى وأخبريها بما سمعت منى (تخرج).

المنظر السابع

(يدخل الخادم)

الخادم : الدكتور يسأل عن أمور كثيرة لا أعرف الجواب عنـــــها. وهـــو يطلب ممرضة ليلية فى الحال وأعطانى عـــدد تليفـــون مستشـــفى رعاية الأطفال فتفضل سعادتك بمخاطبته.

مرعشلى : (باكتراث) يظهر أن المسألة معقدة وطويلة وستحتاج إلـــى دور طويل. يا إدريس أدع الست هانم (يخرج الخادم) أتاك الـــ .... يـــا تارك الصلاة. ممرضة ليلية وممرضة نهاريـــة ســنرى .. لكـــن الموحد هبط هبوطاً شنيعاً جداً.

المنظر الثامن

ملكة : (تدخل وخلفها إدريس وبيدها منديل مبلل بالدموع وأثر البكـــاء ظاهر عليها) طبعاً طبعاً وبكل سرعة (تقصد التليفون) ألو! .. ألو!

.. ١٤١٧ ألو (تنتظر وتضرب الأرض بقدميها علامة الاستعجال والضجر). ألو .. مستشفى رعاية الأطفال. نحن هنا منزل مرعشلي بك بحدائق القبة. بجوار الفيلا المزدوجة. مطلوبة لدينا ممرضة للقيام على طفل مريض (تختنق بالعبرات) نعم .. سيارة .. لا مانع من ذلك.

مرعشلي : (بصوت منخفض) هاكم سيارة ثانية. ونظام عيشة خاص بالممرضة ولابد من ممرضة نهارية أيضاً. لست أدرى والله لماذا هبط السند الموحد هذا الهبوط الشنيع فى هذه الأحوال السيئة.

ملكة : (ملتفتة إليه بغتة) سعادتك طبعاً لم تشرح للطبيب حالة الصغير شرحاً كافياً. لابد له من الوقوف على جميع الأعراض بالتفصيل.

المنظر التاسع

(تدخل الخادمة)

الخادمة : الدكتور يريد التكلم بالتليفون مع مصلحة الصحة.

مرعشلى : يتفضل طبعاً (ثم يتنبه الزوج للمفاجأة ولكن تكون فرصة تنبيه الهانم قد فرت فيدخل الطبيب مسرعاً ويفاجىء الزوجة ملكة هانم وجهاً لوجه قبل أن تتمكن من الخروج فيقف برهة قصيرة جداً وتعروه دهشة لا يدركها الزوج ثم يسير الدكتور قدماً إلى التليفون) (وتحصل للزوجة هزة شديدة للمباغتة فتتغير هيأتها وتخور قواها وتنظر إلى زوجها فتجده مبهوتاً ولكنه لم يلحظ شيئاً مما جرى أمامه فتتجلد ثم تقصد مقعداً فتجلس عليه متهالكة).

عبد الحكيم : (فى التليفون بصوت متهدج) ألو .. ألو ٢٦٥٠ مصلحة الصحة. ألو .. أنا دكتور عبد الحكيم أريد مخاطبة الطبيب المقيم .. نعم نعم الدكتور النوبتجى بسرعة حالة مستعجلة. (تهم السيدة من المقعد وتتسمع).

الزوج : يا ست هانم لا يليق بك هذا الانزعاج. إن شاء الله تأتى العواقب سليمة.

ملكة : عفواً يا بيك. أعطينى قلبك. كيف أستطيع أن أمنع نفسى.

عبد الحكيم : دكتور نجيب .. بونسوار .. سأرسل إليك أنبوبتين من حدائق القبة منزل (ويلتفت خلفه ليعلم الاسم).

مرعشلى : مرعشلى بك. بجوار الفيلا المزدوجة.

عبد الحكيم : مرعشلى بك بجوار الفيلا المزدوجة. طبعاً منتظر النتيجة. السيارة ستقوم فوراً (يخرج الساعة من جيبه وينظر فيها) طبعاً حوالى الساعة ١١ أنا منتظر .. لا يمكنى ترك المريض فضلاً عن أن المسافة طويلة والجو غير ملائم والحالة مهمة تقتضى العناية .. يجوز .. غير متأكد .. على أن الأعراض تدعو للشك الشديد .. أو .. أو .. وإن كانت النتيجة إيجابية أرسل إلى كمية من المصل المضاد فربما كان الذى معى لا يكفى. (يقفل التليفون ويلتفت خلفه للخروج) أرجو سعادتك أن تأمر الخادم باستدعاء سائق سيارتى.

الزوج : وهو كذلك (يدنو من زر الكهرباء ولكن إدريس يكون على مقربة فيدخل فوراً) أدع سائق سيارة سعادة الدكتور.

الخادم : حاضر يا سيدى (يخرج).

ملكة : (لزوجها بصوت متأثر وعزم أكيد) عن إذنك يا بيك أسمح لى أن أخاطب الدكتور (فيصمت الزوج ولا يخير جواباً من شدة المباغتة فيشير بيديه إشارة العجب والقبول والاستسلام ويتناول الجريدة يقرأها). يا جناب الدكتور (تخنقها العبرات).

الدكتور : (بتأثر شديد) سيدتى الهانم أنت والدة الطفل المريض (يدخل سائق السيارة مصلحة الصحة للدكتور نجيب، يناوله صندوقاً صغيراً مغلقاً) على جناح السرعة. وقت وصولك خاطبنى بالتليفون فربما أحتاج إليك. خذ نمرة التليفون.

الخادم : ١٨٠٧ زيتون (هنا تبكى الزوجة بصوت منخفض).

الدكتور : وإذا كانت النتيجة إيجابية فلستحضر معك مصل. (يخرج السائق دون أن يتكلم).

ملكة : إذن الحالة دفتريا.

الدكتور : (بعد صمت قليل) أخشى كثيراً أن يكون كذلك. ولكن تشجعى يا هانم ليست كل الحالات خطرة. أخبرينى بالتفصيل عن الحالة (يسمع صوت بكاء طفل وضوضاء فتحاول السيدة الإسراع إلى الدخول فيمنعها الطبيب بإشارة من يده) لا لزوم يا سيدتى لدخولك. هل خاطبتم الممرضة وطلبتموها؟

ملكة : نعم .. أنا بنفسى.

الدكتور : لقد اتخذنا الآن كل الاحتياطات اللازمة. أرجو أن لا تنزعجى. وترك المريض الآن أفضل من مضايقته.

ملكة : أمس حوالى الظهر رأيت عبد الحكيم ..

الدكتور : هذا اسم المحروس.

ملكة : نعم .. نعم .. رأيته ذابلاً وشديد التعلق بى بحيث لا يريد مفارقتى ثم رأيت وجهه محتقناً جداً فقست حرارته فإذا هى ثمانية وثلاثون وخطان وفى العصر بدأ يشكو ضيقاً فى حلقه ويتكلم كثيراً. ورأيت فى عينيه العزيزتين (تبكى) بريقاً لم أتعوده (تنتحب فيهتز عبد الحكيم وتسقط من عينيه الدموع فجأة ولكنه يسارع إلى التجلد فلا يبدو عليه شىء).

مرعشلى : (لنفسه والجريدة فى يده) والممتاز أيضاً ٤٩ جنيهاً. سهم قيمته كالذهب الإبريز. بل هو والموحد أكسير السندات المالية يهبط إلى النصف (يتبادل الدكتور والسيدة نظرات ذات معنى).

الدكتور : تصفين الأعراض وصف طبيب. لابد أنك قرأت فى أحد الكتب.

مرعشلى : حقاً تقول يا جناب الدكتور. فإنها دائماً تقرأ فى الكتب وتسير بآراء الأطباء.

الدكتور : حسناً تفعل يا سيدى. (يسمع نفير سيارة فيبغت الزوج لحرصه)

المنظر العاشر

(يدخل الخادم)

الخادم : الممرضة حضرت. الست الممرضة. (تدخل الممرضة فوراً دون انتظار الإذن بالدخول).

الممرضة : بونسوار يا هانم. سعيدة يا بكوات.

الدكتور : الآنسة ...

الممرضة : حافظة عبد المجيد.

الدكتور : من مستشفى رعاية الأطفال.

حافظة : نعم يا أفندم بتوصية من المستشفى.

الدكتور : تفضلى .

ملكة : إدريس .. كلف نعيمة أن ترشد الآنسة إلى غرفة الفراندا لتخلع ثياب الطريق وتبدلها بثياب العمل (يخرج إدريس وخلفه حافظة) هل تظن يا دكتور أن حالة عبد الحكيم ..؟

الدكتور : لا تدعو الآن إلى القلق الشديد. ولكننى .. جئت فى الوقت المناسب (يخرج ورقة ويكتب بسرعة وبدقة) فى الوقت المناسب جداً (تعود الممرضة بثيابها البيضاء والطبيب مكب على الكتابة والزوجة تنظر إليه بانفعال مزدوج) تفضلى يا مودموازيل حافظة. كل التعليمات اللازمة. ولا داعى لدخول أحد وأعدى وعاء الليزول بباب الغرفة كالعادة. وشددى ما استطعت. والحالة تهمنى جداً وأنا موجود معك هنا ونفذى كل شيء كما بينت لك فى الورقة (تتناول الورقة).

حافظة : لك ذلك يا دكتور (تخرج).

ملكة : حضرتك باق معنا؟

الدكتور : أظن يا هانم الحالة لا تسمح بانصرافى الآن.

مرعشلى : (بصوت منخفض) كم يكون يا ترى أجر هذه العيادة الطويلة فى ليالى الشتاء؟ لابد أن يكون لها تعريفة خاصة تفوق كل حساب (للدكتور بصوت مسموع) مرحباً بك يا دكتور. الخير فى التأخير.

الدكتور : أسمحا لى أن أدخل قليلاً إلى غرفة المريض العزيز.

مرعشلى : تفضل مع مزيد الشكر. (يخرج الدكتور) والله أنه طبيب عالم لطيف الخلق جداً. أظرف بكثير من الدكتور فتحى بك. لأنه شاب والشباب أقرب إلى السرور والملاطفة لما يزهق من

الجمهور. لكل شيء أوان. ربما يصير هذا الطبيب في المستقبل متكبراً لا يطاق .. تتبع الشهرة والغنى. آه نسيت أن أنهي إليك خبراً في غاية الأهمية.

ملكة : ما هو. هل يوجد شيء أهم مما لدينا!

مرعشلي : أوراق الدين الموحد والممتاز هبطت.

ملكة : أرجو يا بيك (تظهر مللاً وضجراً وتدير وجهها)

مرعشلي : أرجو المعذرة. أنا مخطيء. ومع ذلك ها أنا ذاهب لأخذ لي سنة من النوم. أسعد الله مساءك. (ينهض).

ملكة : نوم سعيد إن شاء الله (بتهكم) وأحلام الهناء (تتناول كتاباً صغيراً وتبدأ تقرأ فيه ثم يدركها التفكير العميق فتبقى ساهمة تنظر إلى النار في الموقد وكأنها تستعيد ذكرى الماضي فيدخل الدكتور ببطيء كمن يبحث على شيء ويكون قد نسي قلماً وورقاً على المنضدة).

ملكة : (ناهضة) دكتور (بصوت منخفض مكتم وهي تلتفت ذات اليمين وذات الشمال) عبد الحكيم ..

عبد الحكيم : سيدتي. (بصوت منخفض) ملكة .. أين البيك؟

ملكة : دخل لينام فترة قصيرة.

الدكتور : في مثل هذه الليلة ؟!

ملكة : وفي أشد من ذلك .. البركة فيك أنت أيها العزيز.

الدكتور : من كان يظن أننا نلتقي على هذه الصورة بعد هذا الفراق الطويل؟

ملكة : خمس سنين .. من ديسمبر سنة ١٩٠٧ إلى ديسمبر سنة ١٩١٢.

الدكتور : تاريخ لا ينسى .. الأيام تمر مسرعة.

ملكة : لقد تغيرت حياتي.

الدكتور : وحياتي أنا أيضاً.

ملكة : رحمة الله على من كان سبباً في عذابنا.

الدكتور : طبعاً كان والدك يرغب في ضمان سعادة مستقبلك. هذا واجبه وحقه.

ملكة : وهل كانت ثروته غير كافية؟
الدكتور : ثروته لنفسه أحسن الله إليه. لم يكن اشتراكياً.
ملكة : بل كان قصلباً فذبحني. (يسمع نفير السيارة فيبغت الاثنان) هذه هي النتيجة حتماً !!
عبد الحكيم : لا تحاولي أن تعلمي شيئاً. دعيني أقم بواجبي (يبدو عليه الجد وينهض. ويدخل الخادم ومعه سائق السيارة وبيده خطاب وطرد صغير فيتناولها الدكتور ويقرأ الخطاب) أسمحي لي أن أدخل إلى المريض أبق أنت هنا وإن أردت أن تلجأي إلى مضجعك فلا بأس. (يخرج الخادم والسائق).
ملكة : ألا أصحبك إلى فراشه. إنني شجاعة وسترى شجاعتي وقد أزددت شجاعة بوجودك .. لأنني أعلم مقدار عناية الوالد بولده.
عبد الحكيم : ماذا تقولين .. عناية الوالد؟
ملكة : نعم بولده (يسرع الدكتور إلى الداخل دون أن يلتفت إليها أو يتكلم) هل أخطأت فيما بحت به؟ لعل هذا الخبر يملك عليه مشاعره فيلهيه عن عمله ليتني لم أبح .. هل أذهب إليه وأنقض ما قلت لساعتي. ولكن كيف هل يصدقني؟ إني أكاد أجن. لقد كانت حياتي مع هذا الزوج البليد جحيماً. ولم أشعر يوماً ما بسعادة الزواج التي كان يمنيني بها أبي سامحه الله. لقد ضحى بي على مذبح مطامعه. ولكنه لم يعش ليجني ثمرات جنايته على أنا وحيدته العزيزة. وهاك ولدي العزيز الوحيد المبرد لحياتي الشقية التي أعاني آلامها من يوم الزفاف إلى الآن في خطر الموت بذلك الداء الوبيل (تركن رأسها إلى يدها وتنظر إلى النار وكأنها تتأمل ولكنها تغلب على أمرها من شدة التعب فتغمض عيناها فترة ثم تهب فجأة وقد عاد الطبيب).
عبد الحكيم : (برفق) ملكة. عبد الحكيم ابنك أنت.
ملكة : وابنك أنت أيضاً.
عبد الحكيم : ابني أنا !!
ملكة : نعم ابنك أنت أيضاً .. لماذا تتعجب ؟!

عبد الحكيم : وهذا الرجل السمين الذى كان هنا. الذى دخل لينام!

ملكة : طبعاً زوجي الذى أرغمني والدى على الزواج منه بعد فراقنا بأيام. ولكن طمني أولاً. هل ولدنا فى خطر؟

عبد الحكيم : خطر. نعم فى خطر.

ملكة : واولداه .. (تكاد تسقط).

عبد الحكيم : ولكن اطمئني. أنا باق هنا حتى الصباح. سأبذل أقصى مجهودى والله تعالى يأخذ بيدى. سيأخذ بيدى. أنا أفديه بحياتى. وأنقذه لك .. ولى.

ملكة : وكيف تركته الآن ؟! .. قل لى كيف تركته ؟

عبد الحكيم : لقد أعطيته الحقنة الأولى وأنتظر النتيجة. سأخبرك بعد قليل. وكيف اسميته باسمى.

ملكة : ليذكرنى بك وليكون على مثالك. ولسيعدنى باسمه وصورته فى هذا الوسط الكريه.

عبد الحكيم : لى عندك طلب واحد.

ملكة : ما هو ؟

عبد الحكيم : أن لا تبكى وقللى من انفعالك وأشربى جرعة من زهر البرتقال بمغلى الزيزفون. وأريحى نفسك بالنوم ولو قليلاً.

ملكة : أنا أنام. حاشا أن أنام وولدى على هذه الحال. إن قلب الأم ..

عبد الحكيم : وقلب الوالد .. أنا أطمئنك.

ملكة : حبيبى عبد الحكيم.

عبد الحكيم : (بصوت منخفض) أنا.

ملكة : أنت وهو .. أنظر إلى عجائب المصادفات. نحن نتقابل بعد وداعنا الأخير هنا! وفى بيت رجل أجنبى وبجانب ولدنا المريض. من كان يظن.

عبد الحكيم : القضاء والقدر. إننى متفاعل بهذا اللقاء.

ملكة : وكيف جئت بديلاً من الدكتور فتحى بك ؟

عبد الحكيم : محض مصادفة. محض اتفاق عجيب. ابنه مريض باحتقان فى اللوزتين وكان يخشى ذلك الداء فاستدعاني فزرته وطمأنته

ورأيت أن يلاحظ ابنه وفى هذا الوقت جاءت إشـــارة التليفــون منكم. فرجانى أن أحل محله.

ملكة : لعل الله يريد هذا اللقاء. وأين عيادتك؟

عبد الحكيم : التليفون ٧٧٧٧ أربع سبعات. لا تخطئها الذاكرة.

ملكة : والبيت .. (تدخل الممرضة).

المنظر الحادى عشر

الممرضة : انتهت الربع ساعة يا دكتور.

عبد الحكيم : حسن جداً. سأذهب إليه. يمكنك أن تستريحى قليلاً هنا بجـــوار السيدة (بصوت منخفض للممرضة) طمئنيـــها مــا اســتطعت (يخرج).

ملكة : كيف حاله الآن؟

حافظة : إنه نائم نوم العافية.

ملكة : نائم. لا تطمئنينى بالكلام العذب. أصدقينى بشرفك.

حافظة : الحق أن الحالة شديدة. ولكن الدكتور الذى لم أره قبل الليلـــة ماهر جداً ولم يسبق إنى رأيت علاجـــاً كعلاجـــه. أو عنايـــة كعناية يظهر أنه يعالج المرضى بطريقة حديثة.

ملكة : والحرارة. هل هبطت؟

حافظة : أظنها هبطت خطين ومع ذلك فإنها الآن لا تهم. (تتقدم الزوجة نحو زر الكهرباء وتلمسه، فتدخل نعيمة).

ملكة : هل أعددت عشاء للآنسة؟

الخادمة : أجل سا سيدتى. إنه معد.

ملكة : هاتى هنا فتأكل الآنسة وأنا أتحدث إليها.

الخادمة : لك ذلك يا سيدتى (تخرج).

ملكة : (إلى حافظة) وأنت متخرجة من القصر العينى!

حافظة : نعم من عهد الدكتور شكرى باشا رحمه الله.

ملكة : كان ماهراً.

حافظة : جداً. لم يكن يدانيه مدان فى أمراض النساء. (يدخل إدريـــس بالطعام ويضعه على منضدة ثم يخرج).

ملكة : تفضلى.
حافظة : (بتعفف) لم أكن أريد هذا التكليف فى الساعة الثانية بعد نصف الليل.
ملكة : لا تؤاخذينا فقد تأخرنا عليك. أسمحى لى أن أدخل قليلاً عند الولد.
حافظة : (وقد بدأت تأكل) لقد شدد الدكتور علىّ أن لا يدخل عليه أحد.
ملكة : سأراقبه عن بعد دون أن يشعر بوجودى ...
حافظة : لا لزوم لذلك وقد طمأنتك.
ملكة : أنا أصدقك. ولكن ليطمئن قلبى دقيقة واحدة ثم أعود.
حافظة : (بتردد وتسامح) الأمر لك تفضلى. (تنهض الهانم ببطىء وفى وجهها نظرة غريبة وتقول للممرضة وهى خارجة).
ملكة : إلى اللقاء. كلى بهناء وسرور.
حافظة : قلب الأم. الحمد لله على عدم الزواج. العذوبة عذبة.

المنظر الثانى عشر

(يدخل الزوج وهو لابس معطف الراحة - روب دى شامبر - مهرولاً وهو يفرك عينيه، فترتبك حافظة قليلاً وتمتنع عن الطعام) .

حافظة : عفواً يا سعادة البيك.
مرعشلى : (ينظر إلى المائدة بغيظ ثم ينظر إلى وجه الممرضة فيبتسم) العفو .. العفو .. تفضلى! أتأكلين فى هذه الساعة المتأخرة؟
حافظة : السيدة شددت علىّ وألحت فلم أستطع مخالفتها. وقالت إن عملى يستلزم كفاية الغذاء. ثم إنى سأسهر بقية الليل مع أننى تعشيت فى الساعة الثامنة.
مرعشلى : أو تجوعين بعد العشاء ؟! هل استطعت أن تهضمى ؟
حافظة : (بخجل) لقد ضغطت السيدة علىّ وأجبرتنى ..
مرعشلى : هذا عمل فى محله (يجلس على مقربة من الممرضة) أما أنا فإذا تعشيت عشاء دسماً كهذه الليلة فيدركنى الأرق. فإننى لم أوشك أن أضع رأسى على الوسائد حتى رأيت رؤى مفزعة.
الممرضة : كابوس!

مرعشلى : هو هو بعينه .. كابوس. ثم شعرت هنا (يشـــير إلـــى معدتـــه) بالتهاب كأنه صاروخ من النار !!

الممرضة : خذ مزيجاً من أملاح سيدلتزلو بيكربونات الصودا.

مرعشلى : كربونات! لا لزوم لذلك. إن الأكل سينحدر حالاً. لقد أخذت مـرة هذه الكربونات وحصل لى شىء فظيع منها.

حافظة : ماذا حصل لسعادتك؟

مرعشلى : جعت جوعاً شديداً جداً فأكلت (يضحك).

حافظة : (تنظر إليه باستغراب وتضحك) بالهناء والشفاء .. سعادتك والـــد المحروس الصغير على ما أظن؟

مرعشلى : أى نعم ولى الشرف. أليس ولداً لطيفاً جديراً بوالده؟

حافظة : السيدة الهانم مشغولة جداً عليه.

مرعشلى : وأنا أيضاً. ولكن أنا مسلم أمرى إلى الله (يلمح الجريدة فيلتقطـها ويقرأ فيها قائلاً) إلا الموحد. الموحد الذى اشتريته باثنين وثمـانين ونصف ينزل إلى ستين. وإلى تسعة وخمسين. يا له من خـــراب. دين الحكومة ينزل إلى هذا الدرك الأسفل !!

حافظة : (بدهشة) ما هو الموحد يا سعادة البيك؟

مرعشلى : سهم من الأسهم.

حافظة : سهم ! أى سهم ؟

مرعشلى : سهم من الأوراق المالية اسمه فى الجريـــدة بورصـــة الأســهم والسندات والأوراق المالية فهو فى البورصة.

حافظة : آه .. الآن فهمت.

مرعشلى : فهمت .. والله شىء لطيف.

حافظة : ما هو الشىء اللطيف يا بيك.

مرعشلى : منظرك يا حضرة الست الحكيمة يفرح النفـــس ويبـــهج القلـــب الحزين.

حافظة : أنا لست طبيبة. إنما أنا ممرضة فقط.

مرعشلى : كل الممرضات والقوابل يغضبن إذا لـــم يقـل لــهن طبيبـات وبعضهن تضيف إلى اسمها لقب أفندى. إلا أنت. وهذا يدل علـــى حسن أصلك. شرف الله قدرك.

حافظة : أسمح لى يا سعادة البيك. فإن الدكتور فى حاجة إلىّ (تنــــهض) طاب ليلك يا سيدى البيك (تخرج بسرعة).

مرعشلى : ممرضة ظريفة تحبب إلىّ المرض والعياذ بالله.

المنظر الثالث عشر

(يدخل الدكتور فيبغت إذ يرى مرعشلى بك)

مرعشلى : أهلاً وسهلاً جناب الدكتور.

الدكتور : صح النوم .. الحالة الآن جيدة والحمد لله.

مرعشلى : البركة فى همتك. أنا مطمئن مذ رأيتك. نرجو المعذرة يا جنــاب الدكتور نحن أقلقناك فى ليل الشتاء.

الدكتور : عفواً .. إن واجبى يقضى علىّ بذلك فى كل وقت.

مرعشلى : لو كنت طبيباً ما أقلقت نفسى فى مثل هذا الوقت (لنفســـه) لقــد أخطأت فإن هذا يكبر من شأن العيادة. أنا دائماً أقترف مثــل هــذه الأغلاط وأدفع ثمنها غالياً.

الدكتور : ولكن حياة الناس الذين وضعوا فيك ثقتهم. ماذا أنت فاعل بها؟

مرعشلى : يجوز أن يلفحنى البرد فيصيبنى مرض يقضى علي حياتى. وقــد لا أنجح فى معالجة المريض فنموت نحن الاثنين معاً.

الدكتور : إذن تذهب فى سبيل الواجب الإنسانى.

مرعشلى : الواجب الإنسانى لا. أعمل بى جميلاً ودعنى بعيداً عن الواجــب الإنسانى نحو ثلاثين عاماً مقبلة.

الدكتور : (مبتسماً) ومع ذلك فإنك يا سعادة البيك ذهبت مع أسوأ افــتراض. ولم تحسن ظنك لا بالعلم ولا بالقدر.

مرعشلى : يجوز أن أنجح فى شفاء المريض وأمرض أنا ..

الدكتور : يجوز أن تشفى مريضك ولا تصاب بسوء وتفيد أصدقـــاء كمــا أرجو أن يحدث فى حالتى هذه الليلة.

مرعشلى : فى غاية اللطف! جنابك تعمل فى مصر من مدة طويلة على مــا أرى.

الدكتور : منذ سنة فقط.

مرعشلى : حضرتك نشأت فى الأرياف فى الغربية مثلاً.

الدكتور : كلا يا بيك أنا نشأت وتربيت فى القاهرة لأنه لا يوجد مدرسة طب فى الأرياف ولا فى الاسكندرية ذاتها.

مرعشلى : صحيح. مسألة التعليم العالى غابت عن فكرى. ولعلك أيضاً تعلمت فى باريس أو فى فرنسا.

الدكتور : لا ! تعلمت فى مصر وسافرت إلى أوروبا للتخصص فى أمراض الأذن والأنف والحنجرة فى لندن عاصمة إنجلترا.

مرعشلى : (باكتراث) كان يجب عليك فتح عيادة فى القاهرة فوراً لتتبوأ مكانتك التى تستحقها.

الدكتور : إن بعض أمور خاصة بغضت إلىّ الإقامة فى القاهرة. فأقمت فى الاسكندرية فترة من الزمن عقب عودتى من أوروبا ثم جئت إلى القاهرة.

مرعشلى : لابد لنا من تقدير عملك حق قدره ولا تغيب عنا أهمية عملك الجليل فى علاج ولدنا بهذه الهمة.

الدكتور : عفواً. أنا مكلف كما أخبرتك من زميل وفى مثل هذه الحالة لا أسمح لنفسى بتكليف المريض بشىء.

مرعشلى : (بفرح شديد) والله نعم الأخلاق الطاهرة. طبعاً أفندم صنعة شريفة جداً حتى ولو أن جنابك قضيت الليل بطوله لا تقبض أجراً.

الدكتور : طبعاً هذا واجبى. بيد أن المرة الأولى لا تحتسب.

مرعشلى : هكذا العلم وحسن الذوق وإلا فلا. الله يطمئنك كما طمأنتنى.

الدكتور : (بدهشة) على أى شىء اطمأنيت يا بيك؟

مرعشلى : على ولدنا العزيز عبد الحكيم. إنما كنت أريد أن أطمئن أيضاً على الموحد من اثنين وثمانين ونصف إلى ستين. أكاد أجن. هذا هبوط يقصم الظهر.

الدكتور : غداً يصعد ! إن غداً لناظره قريب. (تدق الساعة ويبدو الشفق من نافذة).

مرعشلى : الساعة الخامسة صباحاً. هذا هو النهار. لابد لى من صلاة الفجر حاضرة (ينهض) المنزل منزلك (ينظر إلى الجريدة) بين غمضة عين وانتباهتها. أسعد الله صباحك يا دكتور. يا حبذا لو ينفع الطب فى الأسهم.

الدكتور : أسعد الله يومك (يخرج الزوج) حقاً أنها معذورة. كيف استطاعت أن تعاشره كل هذه السنين؟ أية ثمرة ترجى من هذا الزواج المشؤوم؟ إن معاشرة مثل هذا الشخص تحتاج إلى قدر وافر من البطولة.

المنظر الرابع عشر

(تدخل ملكة وقد تولاها الضعف والذبول. ولكن فى عينيها بريقاً غريباً وتبدو كأنها تقاوم الضعف بهمة لا تعرف الكلال)

ملكة : أنت هنا بمفردك (تدنو منه بعطف لتحادثه فيبتعد عنها).

الدكتور : نعم. سعادة البيك صعد ليصلى الفجر حاضراً. أسمحى لى هنيهة (يخرج مسرعاً كأنه يريد التخلص من الحديث).

ملكة : (لنفسها) لقد أخبر الممرضة إن النتيجة الحاسمة تظهر فى الساعة الخامسة. وها هى الساعة الخامسة ولكننى لا أجرؤ على سؤاله (تدنو من زر الكهرباء فتدخل نعيمة) أعدى لهم طعام الأفطار (تخرج نعيمة).

الدكتور : (يدخل مسرعاً وعليه علامة الفرح) بشرى.

ملكة : هل نجا ؟

الدكتور : لقد فات الخطر.

ملكة : شكراً لك .. شكراً لك (تضحك قليلاً ثم تبكى وتجلس على مقعد فيدنو ليسندها ثم يعود).

الدكتور : ولكنه يحتاج إلى العناية. غداً يبدأ فى التحسن الظاهر. ولكن النقاهة طويلة ودقيقة.

ملكة : (تفتح عينيها) شكراً لك يا عبد ... (تدخل حافظة ولكنها لا تلحظ ولا تسمع شيئاً) .

الدكتور : ما ورائك يا آنسة.

حافظة : المحروس فتح عينيه وطلب ماما.

الدكتور : لا بأس يمكنها أن تذهب إليه الآن قليلاً.

ملكة : (إلى الممرضة) هل طلب ماما فقط؟

حافظة : نعم .. وهل يحق أن يطلب سواها؟ (تبتسم بمعنى).

ملكة : ألم يطلب بابا أيضاً (وتنظر إلى الطبيب).
حافظة : لم أسمع (تبتسم) سوى كلمة ماما.
ملكة : هو غلطان .. لابد أن يرى ماما وبابا. أليس كذلك يا دكتور؟
الدكتور : طبعاً هذا يكون أفضل وأتم (ينظر إلى ملكة محذراً).
ملكة : إذن هيا بنا نحن الاثنين ما دام البيك نائماً فنكون معاً بجانبه ماما و
الدكتور : الطبيب المعالج ..

(ستار)

(الفصل الثالث)

(فى صالون فى منزل مرعشلى بك بحدائق القبة غير الصالون الذى جرت به حوادث الفصل الثانى)

المنظر الأول

مرعشلى : (بحدة) يا نعيمة .. يا بنت .. يا إدريس .. يا جمعة .. أين الغداء. الساعة الآن الثانية بعد الظهر ولم تعدوا الغداء. إلى متى .. إلى متى (يدخل إدريس).
إدريس : الغداء حاضر يا سيدى فى غرفة المائدة (تدخل نعيمة).
مرعشلى : غرفة المائدة! لم تزدد بتعدد الغرف إلا وبالاً وتعباً وإسرافاً فى النفقات. أنا لا أطيق كل هذه المصاريف (الخادمان يتغامزان، وتدخل ملكة) أين الغداء؟ أنا لا أريد أن انتقل من هنا فلتكن المائدة ها هنا.
ملكة : ماذا جرى يا بيك؟ أفى كل يوم شقاق وشقاء وشجار بغير سبب؟ الغداء معد من الساعة الواحدة.
مرعشلى : طبعاً .. طبعاً إن هذا الشجار سببه الارتباك فى حياة الأسرة والبيت فى فوضى بسبب كثرة الخدم .. وكثرة الخدم توجب زيادة فى النفقات. وصيفة لحضرتك ومربية للولد وطاه وصبى وخادم السفرة وبواب وبستانى وزوجته. كل هؤلاء الأشخاص لهم مرتبات وأكل ونوم وكسوة فى الأعياد ونحن اثنان لا ثالث لنا.
ملكة : لا ثالث لنا .. والولد هل نسيته؟
مرعشلى : ولد صغير كالبعوضة .. الخدم أكثر من السادة. ومع هذا فلا خدمة ولا راحة بال ولا اقتصاد.

ملكة : هل هذا هو الذى يغضبك ويخرجك عن طورك وحلمك. هذه حياتى التى نشأت عليها. وأنت تعلم ذلك جيداً.

مرعشلى : حياتك التى نشأت عليها؟ ولكن اللبيب من دار مع الزمن والدنيا أزمة والقطن فى هبوط. وكذلك الموحد لم يصعد كما كنت أظن!

إدريس : الغداء معد يا سعادة البيك.

مرعشلى : طبعاً طبعاً .. أعددتم الغداء بعد هذا الإلحاح والطلب. إنه غداء فى غاية الغلاء. الغداء .. ألست أنا دافع الأثمان الباهظة؟ لو أكلت فى أعظم مطعم فلا أكلف عُشر ما أدفعه هنا فى منزلى.

ملكة : يا بيك لا يليق بنا هذا القول أمام الخدم. إن الغداء ليس لك بمفردك، بل هو لجميع من بالمنزل.

مرعشلى : هذه هى الطامة الكبرى والجرح الدامى دائماً. فماذا يصيبنى من هذا الغداء إلا النصيب الذى أستطيع أن آكله (يخرج غاضباً قاصداً غرفة الطعام).

ملكة : (باشمئزاز وازدراء لنعيمة) هذه حياة لا تطاق. تنغيص مستمر بسبب الغداء والعشاء (وتجلس مفكرة).

نعيمة : سيدتى لا تحزنى. رحمة الله على سعادة البيك الكبير. ما كان أكرمه فى منزله. قضيت فى خدمتكم أكثر من عشر سنين لم أسمع فى أثنائها كلمة من هذا القبيل.

ملكة : رحمه الله! رحمه الله .. تلك الرحمة الواسعة التى تدرك الجميع وتسع كل شيء. ألم يكن هو السبب فى كل ما أعانى الآن من صنوف الشقاء .. أنا وأنتم .. ألم يكن سبب ما نقاسى من عذاب وضيق وألم؟

نعيمة : لم يكن يظن أن البيك على هذا الجانب من الحرص الشديد و ..

ملكة : القسوة التى لا حد لها .. انطقى.

نعيمة : يا سيدتى أنا لا أستطيع الكلام.

ملكة : تكلمى فأنت لست بالغريبة عن الدار وأهلها بل لست غريبة علىّ ولا أجنبية عنى.

نعيمة : الحق يا سيدتى أن البيك ظالم نفسه وظالم من معه.

ملكة : تأملي يا نعيمة أنه لا يريد أن يدفع ثمن الدواء ولا الثياب!

نعيمة : ولم نره يوماً يحمل لعبة أو حلوى كما يفعل سائر الآباء! حتى أفقرهم.

ملكة : سائر اللآباء .. نعم لقد ألح على أبى كثيراً. ولكننى قاومته إلى النهاية وصحت عزيمتى على ترك الدار. ولكن أمي سامحها الله هى التى أرغمتنى بمرضها الذى كان يهدد حياتها على الوقوع فى هذا الشرك. ولولا ما قاله الأطباء من أن حياتها فى خطر. ولا ينقذها إلا زوال الهم الذى كان يشغل بالها ما كنت الآن فى هذا البلاء.

نعيمة : ولكن يا سيدتى ما سبب شكوى سعادة البيك؟ إنه دائماً يشكو من المصاريف والنفقات والتبذير والإسراف. على أن البيت لا يكلفه ما لا يطيق .. ولكن

ملكة : ولكن ماذا ؟!

نعيمة : ألم يترك سعادة البيك المرحوم الشيء الكثير من الأطيان والأموال فى البنوك. كذلك المرحومة والدتك. ألم تترك مصوغاً وجواهر وأموالاً متوافرة؟

ملكة : نعم .. ولكن ربما لا تعلمين أنه هو الواضع اليد على الأطيان والأموال. أما معظم جواهرى وحليها فقد اشترى بها سندات الموحد وجعلها باسمه بدون علمى (يسمع من الداخل صوت مرعشلى بك الزوج وهو يزمجر ويصخب فتضطرب ملكة والخادمة تخرج).

مرعشلى : (داخلاً وفي عنقه فوطة السفرة) الغداء. أكل كثير وأصناف متعددة وطبعاً هكذا يكون العشاء. فأين يذهب كل هذا الطعام يا ترى؟ إننى أرتاب كثيراً فى سلوك هذا الطاهى وصبيانه (يدخل إدريس).

المنظر الثانى

إدريس : (متردداً) سيدى.

مرعشلى : ماذا تريد من سيدك؟ ألم تتغد أنت ومن معك؟

إدريس : (بغيظ) الحمد لله! ولكن جماعة من الريف حضروا للمقابلة. السيد متولى والشيخ عبد الفضيل أبو الذهب.

مرعشلي : آه (يظهر فرحاً ثم يكتمه بغتة) لابد أنهما حاضران للاعتذار عن السداد أو لطلب إنقاص الإيجار بسبب عجز المحصول. فليحضرا لينظرا بأعينهما ماذا تكلفنا البيوت التي نفتحها وننفق عليها في القاهرة. (يخرج إدريس وتخرج السيدة وبعد قليل يعود إدريس وخلفه الفلاحان).

المنظر الثالث

مرعشلي : (بتكلف) أهلاً وسهلاً بمشايخ العربان وأسياد البلد.

متولي : الحمد لله على السلامة يا سعادة البيك (يجلسون جميعاً ويخرج إدريس).

مرعشلي : خيراً إن شاء الله. لابد أن تكونا قد أحضرتما جميع الأقساط المستحقة والمتأخرة بعد سداد الأموال.

عبد الفضيل : البركة في سعادتك. طبعاً أحضرنا الأقساط بعد سداد الأموال ولكن البعض والبعض ..

مرعشلي : (بحدة) ماذا تعني يا شيخ عبد الفضيل .. أنا واثق في ذمتك!

متولي : يعني البعض حضر والبعض تأخر .. وموعدنا بسداده الأسبوع القادم على الأكثر.

مرعشلي : الأسبوع القادم. يا سلام! هذا لا يطاق. ألا تعلمان أنني مديون وأن الدائنين لا يرحمون والخواجات هنا في مصر لا يعرفون التأخير بل يحتمون الدفع في المواعيد. وكل شيء هنا يحتاج إلى مصاريف. هل تظنان أن الملاك يكنزون؟ كل شيء منصوف أولاً بأول وهيهات أن يبقى لدينا شيء سوى النذر القليل.

أبو الذهب : البركة في سعادتك.

مرعشلي : ونفقات البيوت. ومرتبات الخدم .. والسيارة .. وكسوة الشتاء .. كل هذه آلات تشتغل ليلاً ونهاراً مثل وابور الطحين، تطحن في مالي.

متولي : نحن أحضرنا اليوم ألفاً وخمسمائة جنيه من أقساط أرض المرحوم برعي بك.

مرعشلى : (بانزعاج) صه .. صه .. لخفض من صوتك يا رجل خشية الفضيحة ووقوعي في الملام .. (ينظر في الجهات الأربع) لأن هذا المبلغ ضئيل جداً (يفرك أنامله كمن يهنيء نفسه ثم يمد يده ليقبض المال، وفي هذه اللحظة المباركة يدخل إدريس بالقهوة فيرى عملية القبض فيرتبك مرعشلى ولكن الفلاحين لا يلحظوا ارتباكه ويستمروا في العدد بصوت مرتفع مع إظهار النقود فينظر إليها وإلى إدريس شزراً. ثم يكلفه بترك القهوة بغضب ويعيد العد خشية الخطأ ثم يضع النقود بفرح شديد في محفظته الضخمة ويضعها بتحفظ وحرص في جيبه الداخلي) آه هذا قليل من كثير. إنما إن شاء الله في الأسبوع القادم ستأتي البقية.

أبو الذهب : إن شاء الله البقية تأتي الأسبوع القادم.

متولى : سنبذل غاية جهدنا.

مرعشلى : غاية الجهد .. إذن لا أعطيكما صكاً بالسداد حتى تحضرا البقية.

أبو الذهب : بارك الله فيك يا سعادة البيك. لا يعلم أحدنا في أي وقت يموت ونحن آباء أطفال صغار وأرباب نساء وبيوت.

مرعشلى : حسن .. حسن .. سأكتب لكما صك السداد معلقاً على شرط الوفاء في آخر هذا الأسبوع.

متولى : (بغضب) أكتب ما تشاء فقد دفعنا لك والله يفعل ما يريد. (يشربان القهوة بغيظ وهو يكتب الصك ثم يتلوه).

مرعشلى : استلمت أنا الموقع في أدناه مرعشلى بك حمد الله مبلغ (بصوت منخفض) ألفاً وخمسمائة جنيه مصري من أصل إيجار أطيان الست ملكة هانم كريمة المرحوم برعي بك أبو النصر بصفتي وكيلاً للست المذكورة وحرمنا وذلك من يد المشايخ عبد الفضيل أبو الذهب والسيد متولى متولى من ناحية سرياقوس ولا يصير طرفهما خالياً إلا بعد سداد القسط الثاني والأخير وقدره ألف وخمسمائة جنيه وذلك في مدة أسبوع يمضي من تاريخ هذا الإيصال (يمتعض الفلاحان ويتململان) الإمضاء مرعشلى بك حمد الله وكيل الست ملكة هانم حرمه. (يدخل إدريس لينقل صينية القهوة) يا إدريس

(يمد يده بالورقة فيأخذها متولى ويضعها فى جيبه دون أن يقرأها) يا إدريس ..أصحب المشايخ حتى الباب .. مع السلامة يا مشايخ العرب.

الاثنان : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (ينهضان ويقلبان نظرهما فى أثاث الغرفة).

مرعشلى : وعليكما السلام (يخرج إدريس والفلاحون).

المنظر الرابع

(تدخل ملكة حزينة وتنظر إلى زوجها نظرة طويلة كأنها تستشف ما فى نفسه فيلتفت إليها مرعشلى ويجتهد فى أن يلاينها ويغير مسلكه الذى سلكه فى بداية هذا الفصل).

مرعشلى : طبعاً مزاجك الآن صار أكثر اعتدالاً من الصباح.

ملكة : مزاجى أنا! .. إنه دائماً معتدل. (تدخل نعيمة وتهمس فى أذن سيدتها).

مرعشلى : آه يا خسارة دائماً أسرار وأخبار وهمس ووسوسة .. ما وراءك يا نعيمة؟ تكلمى بصوت عال يسمعه الجميع. هل أنا أجنبى عن المنزل وأهله؟ (ترتبك نعيمة).

ملكة : يا بيك ليس هناك أسرار ولا وسوسة .. إنما نعيمة كثيرة الخجل.

مرعشلى : ماذا تقولين يا نعيمة؟ ماذا تقول يا ست؟

ملكة : لا شيء. فقط تخبرنى بأن المعطف الذى خاطته مدام تيبو قد أنجزته وأرسلته مع فتاة من فتياتها. يا نعيمة دعيها تدخل ومعها المعطف.

مرعشلى : المعطف ! .. أى معطف !

ملكة : المعطف الذى طلبته منك بإلحاح منذ شهر أكتوبر ونحن الآن فى الشتاء.

المنظر الخامس

مرعشلى : آه المعطف .. (تدخل الفتاة ومعها علباً كبيرة مربعة فتحيى الجميع بابتسام وتلاطفها ملكة ثم تفتح العلباء وتظهر المعطف فتنهض لقياسه فتبدو ذات جمال وتنظر إلى نفسها فى المرآة ويظهر المعطف مناسباً لها وليس به عيب فتعيده إلى العلباء وعند ذلك

تخرج الفتاة ورقة الحساب من العلباء وتقدمها إلى السيدة فتنظر إليها ملياً وتقدمها إلى البيك) ما هذه الورقة؟ إنها مكتوبة باللغة الأفرنجية!

ملكة : هى بيان الحساب.

مرعشلى : آه الفاتورة .. طبعاً معطف مثل هذا لابد له من فاتورة كبيرة.

ملكة : (تدير بصرها إلى الفتاة وإلى الزوج بخجل كمن يريد أن لا تطلع الفتاة على هذه المناقشة) طبعاً الفاتورة أى شىء غريب فى الفاتورة. ومع ذلك فإن الثمن ليس باهظاً. وأنت تعرفه من قبل.

مرعشلى : ربما عرفته. ولكن معرفة الثمن قبل دفعه بمدة شىء ومعرفة الثمن عند دفع الشيء شىء آخر. فكم قيمة هذه الفاتورة؟

ملكة : أحد عشر جنيهاً فقط.

مرعشلى : أحد عشر جنيهاً! هذا نهب وسلب .. معطف بسيط كهذا (يقف وينشر المعطف بغيظ وإزدراء فتنزعج الفتاة المرسلة من قبل الخياطة) بأحد عشر جنيهاً قطعة جوخ وقطعة حرير وبضعة زراير من الصدف وذراع من الفرو بأحد عشر جنيهاً! ما هذا؟ فى أى زمن نعيش!

ملكة : يا بيك لا لزوم لهذا القول الآن. أدفع أولاً ثم نتكلم فيما بيننا. ثانياً لأنه لا يجوز تعطيل هذه الفتاة وتضييع وقتها فى سماع مناقشتنا.

مرعشلى : أدفع أولاً طبعاً! لأننى أنا الذى سأدفع ولا يوجد غيرى يدفع هذه الفاتورة. وغيرها من الفواتير. على الأقل هذه فاتورة مكتوبة. ولكن تقدم إلىّ فى كل يوم فواتير شفوية لا يعلم قيمتها إلا الله. هذا هو سبب شكواى وغضبى وغمى.

ملكة : يا بيك .. (تغضب)

مرعشلى : ما علينا! ألا يمكن خصم شىء من هذه الفاتورة (الفتاة تتضجر) يا صبية يا مدموازيل. ألا يمكن خصم شىء عند الدفع فوراً؟

الفتاة : يا سعادة البيك لا علم لى ولا إذن لدى بذلك. إنما أنا أحمل البضاعة وأسلمها وأعود بالثمن المبين فى الكشف كاملاً.

مرعشلى : جميع التجار وأرباب المخازن الكبرى تفرح عند الدفع فوراً (يبتسم للآنسة) لأجل خاطرى تنزيل بسيط. خصم قليل. ولو ثلاثة جنيهات مثلاً.

ملكة : خصم ثلاثة جنيهات! كفى .. كفى يا بيك. هل تريد أن تدفع أو لا تريد؟ (يبدو عليها الغضب الشديد).

مرعشلى : (يقصد ركناً من الغرفة بحيث يكون أمام المرآة فيراه الجميع وهو لا ينتبه لذلك لشدة ارتباكه ويخرج المحفظة الضخمة ويعد النقود ويقبض عليها بيده ويعود إلى وسط الغرفة) ها هى النقود (يبدأ بعدها بصوت مسموع) الله واحد. ليس له ثان! ثلاثة .. أربعة .. خمسة (إلى أحد عشر. فتأخذها الفتاة بغيظ).

الفتاة : (إلى السيدة) شكراً لك يا سيدتى (تحيى وتنصرف).

مرعشلى : (للفتاة وهو على وشك الانصراف) عدى النقود مرة ثانية. حسب أوامر الشرع الشريف ربما أكون مخطئاً فى جنيه زدته أو نقصته (تخرج الفتاة دون اكتراث لكلامه الأخير).

المنظر السادس

مرعشلى : (ملتفتاً إلى ملكة فإذا هى فى غضب شديد) أنت دائماً غضبى. لماذا هذا الغضب والعبوس؟ أنت بحمد الله عائشة فى منزل جميل وعندك ملابس جديدة (يشير إلى المعطف) وبيانو وفونغراف .. وزوج ..

ملكة : زوج .. ماذا تقصد .. أى زوج ؟

مرعشلى : أنا .. طبعاً أنا ولا فخر. زوج عاقل جداً يعرف قدرك. حقاً إننى لم أتعلم بالمدارس ولكنى أفهم كل شىء. في الزراعة والأسهم والفونوغراف. والجرائد .. فلماذا أنت دائماً مطرقة؟ تفكرين كأنك تحملين هموم الدنيا بأسرها؟

ملكة : من فضلك يا بيك! ربما كنت مشغولة.

مرعشلى : مشغولة! بماذا؟ ابنك والحمد لله بخير وقد تعبنا كثيراً وأنفقنا كثيراً فى المرض والنقاهة حتى شفاه الله. أنا أمامك زوج الدنيا والآخرة إن شاء الله بعد عمر طويل.

ملكة : (تضحك بتكلف وغيظ) الدنيا والآخرة. يا لطيف يا بيك ألا تكفيك الدنيا؟ من فضلك يا بيك هل يمكنك أن تعطينى خمسين جنيهاً لمسألة ضرورية؟

مرعشلى : (ينقلب غاضباً) خمسين جنيهاً! لماذا مسألة ضرورية؟ ليس عندى الآن.

ملكة : عفواً لا تغضب. أريد نقوداً من إيرادى الخاص.

مرعشلى : من إيرادك الخاص! هل لك إيراد خاص؟

ملكة : طبعاً وأنت تعلم جيداً أن لى إيراداً خاصاً وهو ريع الأطيان التى ورثتها عن أبى. وأنت تتسلمها منذ وفاته إلى الآن.

مرعشلى : طبعاً ليس بيننا خاص وعام. إيرادك إيرادى لأن المصالح مشتركة. من دفع ثمن هذا المعطف؟ ومن يدفع كل يوم مصاريف المنزل والخدم والحشم والنفقات الهالكة والمطلوبات النثرية التى لا يمكن حصرها؟

ملكة : طبعاً أنت لأنك ملزم بذلك. الزوج ينفق على الزوجة. أفترض أننى لم أرث عن والدى شيئاً مما ورثت من مال وعقار.

مرعشلى : طبعاً كنت تتزوجين من رجل من طبقة أقل من طبقتى. وهم كثيرون وتعيشين عيشة محدودة.

ملكة : أنا الآن مثل من ليس لهم إيراد.

مرعشلى : لماذا؟

ملكة : لأنك أنت تستولى على جميع دخلى. وقد أستوليت اليوم فعلاً على ألف وخمسمائة جنيه من إيجار أطيانى.

مرعشلى : من ذا الذى أخبرك بذلك؟

ملكة : لم يخبرنى أحد. ولكنى سمعتك بأذنى تقرأ صك السداد بعد أن عددت النقود وتسلمتها ووضعتها فى تلك المحفظة (تشير إلى جيبه الضخم).

مرعشلى : (يلين كالأفاعى) يا ست. كل شىء له لزوم. هل هذه النقود التى تسلمتها سأختزنها لنفسى؟ كلا إنما أدخرها لك واستثمرها وأنميها.

ملكة : إذن حاسبنى من فضلك عن جميع دخلى وأخبرنى كم أدخرت لى وكيف استثمرت رأس مالى؟

مرعشلى : أحاسبك! أهازلة أنت أم جادة فيما تقولين. هذا خروج. هذا نشوز هذا عصيان. أحاسبك! كلمة لم أسمعها من أحد طول حياتى.

ملكة : ألست وكيلى فى إدارة شؤون ما أمتلك؟ إذا كانت هذه الكلمة لا ترضيك فلنا شأن آخر.

مرعشلى : أى شأن آخر؟

ملكة : أنت تعرف طبعاً نتيجة الشقاق المستمر بين الزوجين. إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. فإذا كنت لا تستطيع معاشرتى بالجميل فالأولى لنا أن نفترق.

مرعشلى : نفترق!

ملكة : طبعاً هذا هو أمر الشرع الشريف الذى تذكره دائماً. لماذا أوجد الطلاق؟ هل سنة الشارع عبثا؟!

مرعشلى : الطلاق للرعاع والأوباش. أبغض الحلال إلى الله الطلاق.

ملكة : هو أحب الحلال إلى الله فى مثل هذه الحال.

مرعشلى : الطلاق مستحيل. ثقى وتأكدى أننى لا أطلق أبداً وأنك زوجتى فى الدنيا وفى الآخرة.

المنظر السابع

(يدخل الولد الصغير فجأة فيسكت الزوجان خوفاً من سماعه موضوع المناقشة فيلجأ إلى أمه فتضمه إلى صدرها وتقبله وتبكى فينتهز مرعشلى هذه الفرصة وينسحب من الغرفة دون أن يشعر به أحد)

ملكة : (للولد) حبيبى .. ولدى .. نور عينى.

الولد : لماذا تبكين؟ هل طلبت شكولاتة ولعباً من بابا ولم يحضرها لك مثلى؟ ماما لماذا لم يحضر لى الشكولاتة واللعب؟ هو دائماً يقول سأحضر لك اللعب باكر ولا يحضرها!

ملكة : هو ينسى كثيراً يا حبيبى لأنه مشغول.

الولد : وهل عمى الدكتور مشغول أيضاً مثل بابا؟

ملكة : نعم هو مشغول وربما كان أكثر من بابا

الولد : لماذا؟ إذن عمى الدكتور يحضر إلىّ اللعب والشكولاتة ولا ينسى. أين هو الآن؟ متى يحضر؟ أريد أن أراه. ماما أريد أن أراه. فلعله يحضر لى معه لعباً جديدة.

ملكة : يا حبيبى عندك لعب كثيرة (تنادى) يا نعيمة (تدخل نعيمة) هات الحصان الأبيض والسكة الحديد.

الولد : لا .. أريد الآن الدب الكبير والسيف. (تخرج نعيمة وتعود بـاللعبتين المذكورتين فيلعب بهما الصغير ويلهو والأم تداعبه) ما اسم هذا الـدب يا ماما؟

ملكة : اسمه الدب الأكبر.

الولد : وما اسم هذا السيف؟

ملكة : سيف ... سيف نابليون.

الولد : وهذه السكة الحديد؟

ملكة : سكة حديد حلوان (يسمع بوق سيارة، فتتسمع وتنفعل) من يكون هـذا القادم؟ (تنظر فى ساعة اليد) الساعة الرابعة. هذا يوم الجمعة. لابد أن يكون الدكتور (تنهض).

الولد : لماذا تنهضين؟ ألا تلعبين معى؟

ملكة : عمك الدكتور حضر يا حبيبى. (تدخل نعيمة وعليها سيماء الفرح).

المنظر الثامن

نعيمة : سيدتى حضرة الدكتور. (يدخل الدكتور عبد الحكيم ويقصد الطفل مباشرة).

الولد : عمى! .. عمى!

عبد الحكيم : حبيبى عبده (يحمله ويقبله والولد يرد القبل بمثلها)

الولد : ماذا أحضرت لى؟

الدكتور : أحضرت لك كل شىء (الولد يضع يده فى جيب الدكتور ويخـرج منها شكولاتة وصفارة وصوراً فيفرح الطفل ويقبل الدكتور ويجلـس فى حجره ثم يأخذ اللعب الجديدة ويضمها للعب القديمة ويلـهو بـها فيخلو الجو للسيدة والطبيب).

ملكة : هل هذا يرضيك؟ أتقبل دوام هذه الحال؟ أنا وابنى الذى هو ابنـك نعيش بعيداً عنك فى منزل رجل أجنبى عنا دون أن أستطيع أن أخبر الصغير بحقيقة نسبه مع شدة نفوره من الآخر.

الدكتور : وأى ملام أستحق أن توجهيه إلىّ بعد أن قاسيت فى سـبيلك مـا قاسيت ولا أزال حتى الآن أشعر بألم الصدمة التى أصـابتنى مـن أبيك. إنه كان وحده مسئولاً. فقد أعماه الطمع الأشعبى عـن حقيقـة سعادتك. ولكن لا يجوز لى إلا أن أنكر محاسنه.

ملكة : طمعه الأشعبي! .. لقد انقلبت الآية وصرت أنا فريسة لطمع هـذا الرجل الثقيل. هل تظن أنه اغتال ثروتي ووضع يده على تركة أبـي وأمي. وهو الآن مستولي على جميع إيرادي بغير شريك أو حسيب؟

الدكتور : هل هذا الرجل الغني الذي فضله أبوك عليّ لضخامة ثروته اغتال ثروتك؟

ملكة : نعم واليوم فقط أستولى على أقساط إيجار أطيان والدي.

الدكتور : ولماذا لا تطالبين بها؟

ملكة : لا فائدة من المطالبة لشدة جشعه وحرصه وقد ظهر لـي الآن أن والدي كان ألعوبة في يد هذا الرجل فخدعه ولم يكن ذلـك التعـس يحبني أو يهواني إنما كان يرمي إلى الاستيلاء على ثروتي. لعلمـه بأني وحيدة والدي وأنهما لن يعيشا إلى الأبد. وقد تـم لـه مـا أراد وتحقق له هذا الحلم الذهبي كما تحققت شقاوتي.

الدكتور : إذن لا خروج لك من هذا المأزق إلا بالطلاق.

ملكة : الطلاق .. لقد طلبته منه مرات عدة فكان طلبي يهتاجه فيظهر لـي كالذئب الجائع أو النمر النهم ويؤكد لي أن الطلاق مسـتحيل. بكـل قوته حتى علمت أنه لست أنا الذي يحرص علي ولا يريد طلاقـي. إنما هو لا يريد طلاق ثروتي. حتى لو علم علم اليقين إنني لا أحبـه وأن الولد ليس ابنه فقد لا يكترث لذلك.

الدكتور : هل هذه سعادتك التي كان يسعى إليـها والـدك وهـو يصدنـي ويطردني. ما أشد تهكم القدر. تأكدي يا ملكة إنني كنت مسـتعداً أن أضحي في سبيل حبنا بكل شيء. ما أملكه وما لا أملكه. بشـبابي .. بحياتي .. بعلمي. وكنت واثقاً إنني لو تزوجت منك لكنت الآن أعظم مما أنا عليه ألف مرة. فلا تندبي حظك وحدك بل أندبي حظينا معاً.

ملكة : ولكن الآن .. الآن يا عبد الحكيم يا أخي .. مـا العمـل؟ فلنـدع الماضي جانباً ما تدبيري؟ .. ما حيلتي؟ إنني في أشد ضيق .. بلـغ بي اليأس مبلغاً لا تكاد تصدقه. خمس سنين قضيتها في بغض وشقاء وشقاق لا تنتهي.

الدكتور : (يتأمل) على أن ذاك الرجل لا يظهر لمن يـراه بـهذا المظـهر المزري به.

ملكة : إنك لا تعرفه كما أعرفه أنا. إنه كالحرباء يتلــون بــألوان شــتى ويظهر أمام كل إنسان بما يلائم غايته. وهو فى عشرته كـالأخطبوط حتى يكاد الواقع بين خراطيمه يظن أن لا خلاص له. حتــى الولــد الصغير قد نشأ نافراً منه لأنه لم ير يوماً شفقة تغريه أو حناناً يجذبه. فهو يفتأ ينظر إلى الصغير شزراً ويحاسب فى كل ما يتكلفه ويمــانع فى شراء أبسط الأشياء له.

الدكتور : ولكن يا ملكة كيف قبلت منه فى حياة والدك؟

ملكة : نعم قبلت كما تقبل الحمامة ذبحها ورضيت معاشرته كمـــا يقبــل القمرى سجنه فى القفص. وقد رفضت إلى أن كاد أبى ينفجــر مــن الغيظ والكدر. ولكن أمى سامحها الله هى التى تنبأ الأطباء بشدة دائها ودنو أجلها فأرغمت على هذا الزواج بأمل شفائها أو علـــى الأقــل لتحسين حالتها وتخفيف وطأة الداء عنها ونجاتها من الخطر. فــهل ألام إذن على أننى بذلت حياتى رخيصة وضحيت بشــبابى وولــدى وحريتى فى سبيل إنقاذ تلك التى ولدتنى وربتنى صغيرة؟

الدكتور : كل ذلك جرى لك!

ملكة : وأكثر منه ..

الدكتور : وأنا لا أعلم به ..

ملكة : طبعاً لأنك استبحت لنفسك أن تنجو بها من تلك المشــكلة فبقيــت خمس سنين ولا أخطر ببالك مرة فلم أقف على أخبارك من أحد ولــم توافنى منك طوال هذه المدة رسالة.

الدكتور : لقد خشيت من شدة الألم .. وأنت لماذا لم تتحرى ولم تسألى؟

ملكة : لقد سألت عنك بعد أن أفقت من نكبة الزفاف فلم يهدنى إلى مقــرك أحد فكنت كالمجنونة أريد أن أراك. فتضاربت أقوالهم فعلمت حينـــاً أنك فى الأرياف وحيناً آخر أنك فى الاسكندرية. وعلمت أيضاً أنــك سافرت إلى أوروبا.

الدكتور : كل هذا صحيح. ولكن صورتك فى كل هذه الأوقات العصيبــة .. كانت أمامى .. وكانت ذكراك نبراس حياتى .. ونــبرات صوتــك وألفاظك العذبة لم تبرح عقلى وقلبى لحظة حتى تلك الفوتوغرافيــة

الصغيرة التى أخذتها بيدى منك فى القناطر الخيرية لم تفارقنى طرفة عين.

ملكة : وصورتك أنت أيضاً لاتزال عندى وكنت أطيل النظر إليها حتى أن الطفل لو تأملت ملامحه تجده أقرب إليك منى. فالناظر إلى وجه عبد الحكيم (بصوت مسموع يلفت الطفل) يكاد يراك مصغراً.

الولد : (ملتفتاً فجأة عند سماع اسمه) ماما .. إية صورة تقصدين؟

ملكة : (مرتبكة) الصورة التى أحضرها عمك الدكتور اليوم. الكارت بوستا.

الولد : (يتناولها وكانت مهملة) ما هذه الصورة؟

ملكة : هذه صورة بنت صغيرة تلعب مع عصفورها فى الحديقة.

الولد : ماما .. ماما أريد عصفوراً كهذا.

الدكتور : حبيبى .. عزيزى عبد الحكيم .. ولدى (يندفع نحوه ويحمله ويقبله فتغرورق عيناه بالدموع).

الولد : (يتأثر وجزع) عمى .. ماما لماذا يبكى عمى الدكتور؟

ملكة : (وقد أغرورقت عيناها بالدموع أيضاً) لأن له ولداً صغيراً لطيفاً يشبهك تمام الشبه واسمه ..

الولد : من هو ؟ .. أريد أن أراه .. أين هو؟

ملكة : هو فى الاسكندرية يا حبيبى عند البحر.

الولد : ما اسمه؟

ملكة : اسمه كاسمك.

الولد : عبد الحكيم مثل اسمى (يصفق بيديه علامة الفرح) أريد أن أراه.

ملكة : (تحمل الولد وتتقدم به إلى المرآة فتبدو فيها صورته منعكسه) انظر يا عبد الحكيم فى هذه المرآة. يا نور عينى يا مهجتى.

الولد : (ناظراً إليها) يا ماما ..

ملكة : ماذا ترى؟

الولد : فيها أنا ..

الدكتور : (مطرقاً .. ثم يتقدم إلى المرآة) هذه بالضبط صورة الولد الصغير الذى تريد أن تراه وهو عندما يرانى يقول لى يا بابا.

الولد : أريد أن أراه .. (يجلس الدكتور ويسند رأسه بيده ويبكى).

الدكتور : (ناهضاً) لابد من الخروج من هذه الورطة البشعة .. دوام هذا الحال محال.

المنظر التاسع

الزوج : (من الخارج بصوت جهورى) عظيم عظيم والله. فيه الخير سعادة الدكتور. (يملك الاثنان حواسهما فلا يبدو عليهما شيء. أما الطفل فلا يزال متمسكاً بها وعندما يدخل الزوج يضع الطفل خده على كتفها كمن يريد أن ينام خوفاً) هكذا .. هكذا عناية الأطباء وإلا فلا ! السلام عليكم ورحمة الله (يحاول الدكتور النهوض لتحيته) لا تقم من مكانك .. أقسمت عليك.

ملكة : حضرة الدكتور سأل عنك عند حضوره فلم أدرِ كيف أعتذر له لأنك كنت خرجت فجأة مع أنك كنت تعلم بموعد زيارته. وكان ينبغى لك أن تكون فى انتظاره.

مرعشلى : المنزل منزله وأنا أخوه الأكبر والولد ابنه.

الدكتور : (مبتسماً) عفواً يا بيك .. هذا صحيح وواجب علىّ.

ملكة : (تصرف النظر عن زوجها وتستمر فى حديثها كمن كانت تتكلم فى مسألة طبية) إذن ترى أن شربة الزيت شديدة فى الشتاء يا جناب الدكتور. وتفضل المانيزيا باليَنسون.

الدكتور : طبعاً ولابد من إعطائه زيت السمك مستحلباً وفى فصل الربيع يعطى له البلاتول مع وجوب الرياضة اليومية.

ملكة : ها هو سعادة البيك حضر فاسمح لى حضرتك فى الانصراف. (تأخذ الولد وتخرج).

الولد : لا .. لا .. لا أخرج .. لا أترك عمى الدكتور.

الدكتور : لا بأس يا حبيبى أخرج مع ماما إلى الفسحة.

الولد : أريد أن أرى الولد الذى رأيت صورته فى المرآة.

ملكة : (بسرعة) نعيمة .. نعيمة ..

نعيمة : (تدخل) سيدتى ..

ملكة : خذى اللعب (تجمع نعيمة شتات اللعب وتنقلها وتأخذ الأم ولدها بشبه عنف والدكتور يداعبه ويلاطفه صامتاً حتى باب الخروج).

مرعشلي : الولد والحمد لله قد أثمر فيه الجميل وهو متأثر بمعروفك معه ومنذ أن عالجته ومنّ الله عليه بالشفاء على يديك وهو متعلق بك أشد من تعلقه بي أنا ..

الدكتور : العفو يا بيك .. الأطفال يحبون الملاطفة .. وأنا لا أقصر في ذلك نحوهم.

مرعشلي : تمام .. ولكني لا أعرف أن ألاطفه كما تلاطفه جنابك.

الدكتور : إن معالجة الأطفال تحببهم إلينا .. وكل إنسان يشعر بألم إنسان آخر لابد أن يعطف عليه والعطف يولد الحنان .. والحنان يولد الحب.

مرعشلي : هذه فلسفة زادك الله .. أنا أحب أن أفهم مثل هذه المسألة وأقرأ الجرائد والروايات .. ولكن لا أزال أحتاج إلى سماع مثل هذا الكلام العذب. إنه حلو كالعسل .. ولا أتذكر إنني قرأته في أية جريدة أو كتاب.

الدكتور : العفو .. هذا من حسن أدبك وتواضعك.

مرعشلي : العفو .. أريد أن انتهز هذه الفرصة وأسألك عن صحتي.

الدكتور : (باهتمام مصطنع) أفندم .. كلي أذان صاغية.

مرعشلي : منذ أيام أشعر بدوار وقد فقدت بعض شهية الطعام. وفي رأسي طنين كطنين الذباب.

الدكتور : أظن هذا نتيجة عسر هضم بسيط.

مرعشلي : لا .. لا .. عسر هضم. هذا يحصل لي من يوم نزول القطن وأيضاً منذ هبوط الموحد. صحيح أن الموحد أخذ يستعيد قوته ولكن أين؟ من اثنين وثمانين ونصف ثمن المشترى إلى خمسة وستين.

الدكتور : (بتململ) هذا تعكير مزاج يزول مع الزمن وصعود القطن والسندات (ينهض) أرجو أن تأذن لي بالانصراف لأن لدى بضع زيارات ذات شأن.

مرعشلي : العفو ضروري .. لأجل هذا (يضحك) لم أستطع أن أدعو سعادتك لشرب الشاي معي. مع أن الساعة الخامسة.

الدكتور : في الأفراح إن شاء الله (يتصافحا فيصحبه إلى الباب).

مرعشلي : (لنفسه) دكتور فصيح كأنه محامي. كلام مرتب منظم كسلاسل الذهب يقوله برزانة وتؤدة. كأنه أمير ابن أمير (بأسف) لماذا يا ربي المرحوم والدي لم يعلمني في المدارس؟ ولكن من يدري! هل كنت أفلح في المدارس وأتعلم بفصاحة مثلهم؟ شاعر بألم. يولد المحبة والمحبة تولد العواطف والعواطف تلد لا أدري ماذا؟ كأنها سلسلة نسب. هكذا الكلام وإلا فلا (ينظر في أرض الغرفة فيجد قطعة من الحلوى التي تركها الطفل) هذه حلوى. خد الجميل محشواً باللوز (يزدردها) ولكن من أتى بها إلى هنا؟ أنا لم أشترِ شيئاً من هذا .. يا نعيمة .. يا إدريس (تدخل نعيمة).

المنظر العاشر

نعيمة : أفندم

مرعشلي : نادي السيدة بسرعة (تخرج نعيمة وبعد قليل تدخل ملكة).

ملكة : (بغضب) حضرتك تدعوني؟

مرعشلي : حلاوة خد الجميل من أتى بها إلى هنا؟

ملكة : أين هي؟

مرعشلي : أكلتها (ثم يلتقط من الأرض غلاف الورق الذي كانت به الحلوى فتراه).

ملكة : هذه ليست خد الجميل إنما اسمها نوجاه.

مرعشلي : نوجاه !

ملكة : نعم نوجاه .. أحضرها الدكتور عبد الحكيم.

مرعشلي : ولماذا نقبل من جناب الدكتور هذا التكليف؟

ملكة : هو أخبرك أنه محب للأطفال لأنه يعالجهم ويلاطفهم.

مرعشلي : أنا وعدت الولد بإحضار الحلوى والشكولاتة. ألم يكن يستطيع الانتظار؟

ملكة : (بغيظ مكظوم) طبعاً ليس لديك الوقت الكافي؟

مرعشلي : من الآنف صاعداً (يضع يده على أنفه).

ملكة : من الآنف صاعداً! ماذا تقصد؟ أي شيء يصعد من أنفك؟

مرعشلي : الكلام صاعد من أنفي من شدة غيظي.

ملكة : (تضحك جداً بعد أن تفطن لخطأه فى فهم اللفظ الـــذى يريـــد أن يقوله) آه تقصد أن تقول من الآن فصاعداً .. تعنى من هذا الوقـــت إلى ما بعد الآن.

مرعشلى : بالله عليك .. أقسم بشرفى أننى كنت دائماً أظنـــها مـــن الأنـــف صاعداً .. ومع ذلك من الآن فصاعداً سأحضر له كل يوم ما أعـــد به من الحلوى مهما يكبدنى ذلك من المصاريف.

ملكة : وأنا الأخرى من الآن فصاعداً ومن الأنف صاعداً لابد أن أجـــد طريقة أدخل بها السرور على قلب عبد الحكيم فيفرح فرحاً شـــديداً بحيث لا يفارقه.

مرعشلى : ماذا تنوين أن تفعلى له؟

ملكة : ماذا تظن أنه يفرحه فرحاً شديداً لا يفارقه!

مرعشلى : تحضرين له شكولاتة ونوجاه.

ملكة : (بعدم اكتراث) كلا !

مرعشلى : إذن حلوى من مولد النبى.

ملكة : ولا هذه أيضا.

مرعشلى : حقا عجزت عن التخمين.

ملكة : (بقوة وعزم) سوف أجعله يعرف أباه حق المعرفة ويحبه من كـل قلبه ولا يفارقه أبدا ليلا ونهارا.

مرعشلى : آه .. هذا ما كنت أتمنى .. لقد أدخلت على السرور وقد نويت أن أسدد جميع أثمان مشتريات الشتاء .. أما أنت فخذى هذه (يخـــرج بتحفظ ورقة مالية) الورقة ذات الخمسة جنيهات مصرية.

ملكة : (ضاحكة بتهكم) احتفظ بها إلى أن يعرف الولد أباه ..

(ستار)

(الفصل الرابع)

(هذا الفصل تقع حوادثه فى عيادة الطبيب عبد الحكيم. المنظر يســـتمر فـــى غرفة العيادة نفسها وبها الأدوات التى تكون عادة فى قاعة الفحـــص وهـــى مكتب ومضجع لرقاد المرضى لدى فحصهم ودولاب أسلحة العمليات ومكتبة بها كتب وسجلات وتليفون وميزان صغير للأطفال وكرسيان كبيران وموقـــد

ومروحة كهرباء والدكتور عبد الحكيم جالس بثوب العمل الطبـــــى وأمامــه مريض يخاطبه).

المنظر الأول

الطبيب : أمامى هنا .. تفضل بالجلوس (يجلس المريض بارتباك).

المريض : أشكرك يا جناب الدكتور. إننى منذ رأيتك فى غاية الانشراح.

الطبيب : مم تشكو؟ وهل أنت مريض من زمن طويل؟

المريض : عند النوم عادة يذهب النوم عنى. ولكن عند الصحو أنام.

الطبيب : تقصد أنك مصاب بالأرق ليلا وبالخمول نهارا. إذن لا تنام!

المريض : أبدا .. ولا أذوق للنوم طعما.

الطبيب : (بشىء من العجب) وبعد !

المريض : الأحلام يا دكتور .. الأحلام الفظيعة! دائما أغرق فى بحر عميـق أو أهلك فى حريق أو يدهمنى قطار سريع فأذهب مذعورا جزعا.

الطبيب : أحلام ! .. فى أى وقت تراها وأنت كما قلـــت لا تـــذوق للنـــوم طعما؟

المريض : طبعا أرى هذه الرؤى فى النوم.

الطبيب : إذن تنام أحيانا.

المريض : طبعا .. سبحان من لا ينام .. أحيانا أنام نوما عميقا جدا ..

الطبيب : ولكن متى نهارا أو ليلا؟

المريض : كلا .. لا ليلا ولا نهارا ولكن عندما يأتى النوم ..

الطبيب : (ضاحكا) ما عمرك الآن ؟

المريض : هذه مسألة لم أعرفها بالدقة على الرغم من أننى حاولت كثيرا أن أهتدى إلى حقيقة سنى من المرحومين والدى فلم أنل مرامى! وليس لدى شهادة ميلاد!

الطبيب : من أربعين إلى خمسين أى منتصف العقد الخامس.

المريض : يجوز وربما كنت أصغر من ذلك بقليل أو كثير!

الطبيب : ثم ماذا تشكو بعد ما ذكرت؟

المريض : عصفورة قلبى يا دكتور ترفرف.

الطبيب : (مستسلما) هل شهية الطعام لديك حسنة.

المريض : آكل كل شىء وفى أى وقت لأن البطر حرام. وربما أفطــرت أو تغديت مرتين ولكن عشائى نادر جدا.

الطبيب : هل سبق لك أن مرضت فى صغرك بإحدى الحميات الحادة؟

المريض : كثيراً جداً يا دكتور كل أنواع الحميات وخصوصاً الزكام الشديد فى أوائل الشتاء.

الطبيب : الزكام ليس حمى! أقصد الحمى القرمزية أو الحصبة أو التيفوس أو التفوئيد (يدق التليفون) نعم .. ألو .. أنا .. متى يمكنك أن تحضرى .. فوراً بالعيادة.

المريض : لابد .. لا يخلو الأمر فى الصغر .. لكن الزكام!

الطبيب : هل وراثتك نظيفة أو ملوثة؟

المريض : الحمد لله على كل شيء. مات المرحوم والدي ولم يترك لى شيئاً لأنهم قالوا إن لا تركة إلا بعد وفاة الدين وفعلاً سددناه.

الطبيب : لا أقصد هذا .. ولكن أسأل إن كنت ورثت مرضاً معدياً مثل الزهرى أو السل؟

المريض : لا .. لا يا دكتور الحمد لله .. أظن والدى كان أصيب بشيء من هذا القبيل. ولكننى لم أرث منه شيئاً.

الطبيب : هل أنت متزوج وعندك أولاد؟

المريض : عندى أولاد ولكننى لم أتزوج.

الطبيب : عندك أولاد ولم تتزوج! .. فمن أين رزقت بهم؟

المريض : من الزوجة الأولى ولم أتزوج بعد أن طلقتها.

الطبيب : هل تعيش الآن حياة عائلة أو بمفردك؟

المريض : طبعاً كل إنسان له بيت.

الطبيب : (بيأس مع إظهار الحلم) ما صناعتك؟ ما عملك اليومى؟

المريض : أنا إيرادجى.

الطبيب : ماذا؟

المريض : إيرادجى أى أعيش من إيرادى الخاص الذى تركه لى المرحوم والدى.

الطبيب : (يضحك) حسن .. أخلع ثيابك العليا (يفعل ذلك فيفحصه الطبيب فحصاً عادياً وفى هذا الوقت يكون المريض قد أخرج لسانه

وأغمض عينيه ومد ذراعه الأيمن بغير طلب من الطبيب) أدخل لسانك وأفتح عينيك وأقصر ذراعك فلا لزوم لهذا الآن. (يجلس ويكتب له تذكرة الدواء) تأخذ ملعقة من هذا السفوف ثلاث مرات في اليوم وتشرب جرعة من الشراب قبل النوم.

المريض : (بعد سكوت) وما العمل الآن؟ إنني لم أشعر بالشفاء!

الطبيب : طبعاً ستشعر به بعد أخذ الدواء.

المريض : (بتردد) هل انتهت العيادة؟

الطبيب : طبعاً (ينظر في ساعته قلقاً) لقد مضى أكثر من ربع ساعة على نبأ حضورها ولم تحضر!

المريض : (يمد يده بنقود قليلة) تفضل يا دكتور.

الطبيب : ما هذا؟

المريض : أنا لا أقصد أن هذا قيمة الفيزيتة. ولكن أجر مركبة لانتقال سعادتك.

الطبيب : مركبة لي أو لك! أنا لم انتقل بل أنت في حاجة للانتقال فأبقها معك.

المريض : أبقاك الله يا دكتور (يحيى ويخرج فيشيعه الطبيب بأدب وابتسام ويعود فيدون في سجله وعند اشتغاله بذلك يدق التليفون فيتناول السماعة).

الطبيب : ألو .. ألو ٧٧٧٧ نعم أنا الدكتور نفسه .. نعم متذكر .. متى الحرارة هبطت .. عظيم يستمر على الدواء نفسه والغذاء شوربة خضروات مع مغلي الشعير اللؤلؤي .. أربعة أيام أخرى .. نهارك سعيد (لنفسه) ظننتها هي التي تتكلم لتخبرني بعدولها .. إن حديثها الأول يدل على شدة انفعالها! (يفتح باب الغرفة وتدخل ملكة بحالة انفعال شديدة فينهض للقائها) ما بك .. لقد شغلتيني عليك. ماذا جرى؟ أين عبد الحكيم؟ هل يشكو شيئاً؟ منذ تكلمت بالتليفون لعشرين دقيقة خلت وأنا انتظرك على الجمر وقلبي شديد الخفوق كأنني أتوقع أمراً خطيراً.

المنظر الثاني

ملكة : (تجلس) كلا .. أطمئن على عبد الحكيم فإنه بخير. أما أنا فقد تمزق قلبي إرباً من شدة الانفعال والألم. إنني أشعر بدنو أجلي .. لابد أن أموت قريباً جداً لأنني لم أعد أستطيع تحمل هذه الحال.

الدكتور : أية حال؟

ملكة : حياتي المنزلية في كنف هذا الوحش المستتر بشكل إنسان.

الدكتور : هل جد شيء منذ زيارتي في يوم الجمعة الماضي؟

ملكة : نعم جدت أشياء وأشياء (تدنو منه وتحادثه بصوت منخفض).

الدكتور : (مشمئزاً) مهما يكن ما حدث فظيعاً فخففي عنك فإن بنيتك ومزاجك لا يتحملا هذا الانفعال الشديد المستمر.

ملكة : ولكن ماذا أفعل؟ أغثني .. فكر معي .. دبر لي حيلة .. أبحث لي عن مخرج من حياتي مع هذا المخلوق الفظيع الجشع الأناني.

الدكتور : ماذا تريدين أن أفعل؟ أطلبي منه الطلاق بإلحاح .. أجعلي بينك وبينه وسطاء.

ملكة : هذا حلم لا يتحقق لأنه لا يريد كما قلت لك في يوم الجمعة .. إنه ليس متعلقاً بي بل بدخلي ومالي. فهو لا يريد أن يطلق الأطيان ولا أرى فائدة في المقاضاة لأنها طويلة الأجل مملة مبددة للمال والأمل. وربما مت قبل الوصول إلى الأحكام النهائية التي تعيد إليّ حريتي ومالي.

الدكتور : إذن أتركي المنزل وأذهبي إلى مكان آخر. فلعله يطلقك إذا غبت عن نظره وفقد الأمل في استرجاعك.

ملكة : أغضب كما يفعل نساء من الطبقات النازلة من الشعب! أنا لا أعرف الغضب على هذه الصورة. وأفترض أنني فعلت ذلك. فأين أذهب؟ إن أبي مات وبيته مغلق وليس لي صديق أو حبيب من أهل أقربين أو غير أقربين.

الدكتور : هنا في بيتي فإنه مفتوح على مصراعيه للترحيب بك وبولدنا.

ملكة : هنا في العيادة! كيف ألجأ إلى العيادة؟ إنه مكان عام ومحل مطروق يغشاه القاصي والداني! فالحياة فيه لي ولطفلي غير ميسرة.

الدكتور : إذن (ينهض ويسير فى الغرفة ذهاباً وإياباً بانفعال).

ملكة : إذن ماذا؟

الدكتور : انتظرى قليلاً (يدق الجرس فيدخل صالح خادم العيادة وهو نوبى فى ثوب أبيض ومتمنطق بحزام من قماش أحمر) أعتذر إلى حضرات الزائرين وأخبرهم أننى مشغول ومتعب ولن أستطيع للأسف أن أقابل أحداً. ومن شاء منهم فليتفضل بالحضور غداً قبل الظهر.

صالح : (ينحنى) سأفعل يا سعادة البيك (يخرج).

ملكة : ألأجلى فعلت هذا وضحيت بعيادتك الليلة؟

الدكتور : كلا .. لأجلهم .. لأجل هؤلاء المرضى فإننى لا أستطيع أن أفحصهم وأنا مشغول البال. ولا يمكننى إرجاء المناقشة معك فيما حضرت بسببه. إننى أمدك بما تطلبين من المال. أعطيك ما تشائين من دخلى. خذى كل شىء وأنا يكفينى القليل.

ملكة : (تقف) عبد الحكيم .. عبد الحكيم .. ماذا تقول؟ تفعل بى حسنة وهى التضحية بوقتك وعملك .. وتتبعها بسيئة فتعرض علىّ العطاء. هل جئتك مستجدة للمال .. كلا .. هذا قول شديد يجرح حاسة العفة والإباء. ولم أعهدك قاسياً تهرق دماء الكرامة لمن يحبك مخلصاً.

الدكتور : (مرتبكاً ويدنو منها مطيباً خاطرها) عفواً .. عفواً يا عزيزتى .. لم أقصد أن أجرح عاطفتك ولكننى فى مجال الاقتراح واستعراض الحلول الملائمة لما نحن فيه. تكلمى أنت .. قدمى رأيك .. ماذا تريدين أن أفعل؟ (تجلس راضية).

ملكة : انظر أنت فى نفسك كيف تستطيع أن تساعدنى للخروج من هذا المأزق الحرج؟

الدكتور : إذن افترضى إننا لم نلتق وأنا أنسحب من حياتك فلعل تجديد معرفتنا هو الذى أقلق راحتك وإهتاج عواطفك الكامنة؟ لعلك كنت قبل لقائنا راضية بقسمتك كما كنت أنا راضياً؟

ملكة : (بحدة) ما شاء الله. طبعاً أنت تفكر الآن فى قطيعتى! فربما سئمت لقائى ومشاركتى فى الرأى. فأنا بلا ريب أضيع وقتك الثمين وأشغل فكرك بعد أن كان خالياً. فقد أعدت إليك ذكرى الماضى وهو أليم وشغلتك بالمستقبل وهو خفى مظلم. وربما ظننت أيضاً إننى أريد أن أضع على كاهلك ولداً كنت بوجوده جاهلاً وعن أمه منصرفاً.

الدكتور : ملكة .. ملكة ماذا تقولين؟ ما هذا؟ أنت محمومة يا حبيبتى (بتأثر جداً) أنا أريد التخلص منك ومن ولدك! ولدى .. كبدى .. قلبى .. أملى فى الحياة. صورتى فى طفولتى .. ثمرة حبى الأول والأخير .. إنه جنون .. مرى .. تكلمى .. ماذا تطلبين؟ لقد عرضت عليك كل شيء .. إنى متأهب لأنفذ لك كل ما ترغبين.

ملكة : كل ما أرغب .. لا أرغب شيئاً سوى الخلاص .. الخلاص من هذه الحياة. أيهون عليك ولدنا عبد الحكيم؟ تتركه مع ذاك الرجل يتربى فى منزله وهو ليس له والداً ولا قريباً حتى ولا فى حكم الصديق.

الدكتور : أترك عبد الحكيم كيف؟ وأين أنت إذن؟ هل عبد الحكيم فى بيت ذاك الرجل بمفرده؟

ملكة : أنا ! .. أنا .. لا تذكرنى بعد اليوم فليس لى وجود .. بل أن حياتى أفضل منها العدم. وإما أخلص من عشرة هذا الرجل ونعيش معاً وابننا العزيز الوحيد فيعرفك ويتأكد أنك أنت والده ويتمتع بحنان الأبوة الصادقة التى عاش منها حتى الآن محروماً فى كنف ذاك العتل البغيض ذى القلب الخالى من الرأفة والحنان. وبهذا نكون قد ألتمسنا وسيلة لإصلاح الخطأ الذى قضت علينا الأقدار به فافترقناه. ونحن فى عزور الصبى وطيش الشباب. أما هذا الحل وإلا فإنى باخعة نفسى. حقاً أن قتل النفس مجبنة ولكن فى حالتى هذه الموت أفضل ما يريحنى.

الدكتور : الانتحار .. تقضين على نفسك بيدك! إنك لا تدركين معنى ما تقولين! أتقضين على ثلاثة نفوس؟ أنت وولدك وأنا!

ملكة : أنت تعيرني بفكرة الانتحار مع أنك أوجدتها في نفسي مذ كنا في حوار حول موضوع سعادتنا. فهددتني به إذا لم تنجح في إقناع والدي بالموافقة على زواجنا.

الدكتور : حقاً لقد كانت الحياة هينة في نظري إذا حرمت السعادة بقربك.

ملكة : والآن صارت هذه الحياة بذاتها غالية لأنك صرت ذات مكانة سامية.

الدكتور : أبداً .. أبداً ولكنني ربما كبر شأن الحياة في نظري لأن صناعة الطب تعلمنا احترام الحياة الإنسانية ولأنني الآن أخدم الكثيرين وأخفف من آلامهم ما استطعت. وليس هذا بالأمر الهين. وأيضاً كبر شأن الحياة في نظري من أجلك وأجل ولدنا فقد لقيتكما بعد الفراق الطويل وبعد اليأس من الهناء بقربك.

ملكة : (بعد تفكير ونظر حولها في عدد الجراحة ودولاب الأدوية) إذن لا توجد سوى طريقة واحدة.

الدكتور : (بفرح) ما هي؟

ملكة : طريقة العلم الحديث.

الدكتور : (بدهشة) أية طريقة للعلم الحديث!

ملكة : ألم يخترع العلم الحديث طريقة؟

الدكتور : العلم الحديث! أية علاقة بينه وبين الزواج والطلاق؟

ملكة : ليس في استطاعتي أن أعبر عما في ضميري بأوضح من هذا.

الدكتور : ولكنني لم أفهم حتى الآن مقصدك!

ملكة : (بتململ) سأفصح لك .. ألمانيا التي لخترع علماؤها دواء لكل داء .. ألم يخترعوا وسيلة لخلاص امرأة ضعيفة مثلي من براثن وحش كاسر كذاك الرجل؟

الدكتور : (بوجل وذعر) ماذا تقصدين؟

ملكة : هل حياة مثل ذاك الرجل تستحق الاحترام؟ ماذا علينا لو ..

الدكتور : لو ! .. لو ماذا؟

ملكة : لا أدري ماذا أقول لك بعد ذلك؟

الدكتور : (محدقاً فيها ومأخوذاً من هول الاقتراح وفظاعته) يا لطيف! يا ملكة .. هل بلغت بك الحال النزول إلى هذا الدرك الأسفل من الخلق؟ أتطلبين منى أنا هذا الطلب ؟! أرجعى إلى رشدك ولا تجعلى للبغض سلطاناً على نفسك.

ملكة : هذا ليس بغضاً يعمي ويصم. ولكنه الحب الأعظم لك ولولدنا. أنا مسكينة أنا معذبة أنا محرومة من الحنان حولي ومن العطف عليّ وعلى ولدى. انظر إلى جسمي ووجهى! لقد أمسيت من فرط الهم والنحول فى دور الفناء .. وأنا لا أزال فى مقتبل العمر.

الدكتور : ولكن أنت التى تحبينى وتحبين ولدك كيف يخطر ببالك ويدخل فى روعك أمر كهذا الذى ذكرت؟

ملكة : ولكن هل فهمت مقصودى؟

الدكتور : فهمت ما فهمت ولا حاجة بنا إلى التفسير.

ملكة : لقد تكلم معى منذ أيام عن صحته وهو فى حاجة إلى العلاج بحقن للتقوية .. وطبعاً هذه الحقن توجد فى أنابيب .. وهى إن زادت عن مقدارها المعين لكل حالة فقد تورد المحقون بها موارد حتفه. وأنا التى أقوم له بتفريغ هذه الحقن بين جلده ولحمه. فإذا ما سلم إليّ ذراعه الضخم آمناً أفرغت فيه سماً زعافاً مهلكاً لا يظهر له أثر كغيره من السموم.

الدكتور : أنت مجنونة! .. لقد فقدت عقلك .. إن فقر الدم وتحمل الهم فعلا بك فعلهما فأورثاك هذه الحال التى هى أشبه بالاستهواء الذاتى أو بحران الحمى منها بأى شيء آخر. فقومى إلى الهواء الطلق وانزعى من فكرك هذه الهواجس المزعجة. (يسرع إلى النافذة فيفتحها فيدخل الهواء بارداً فتهتز ملكة كمن أصابه قشعريرة البرد فيلمس عبد الحكيم زر الكهرباء فيدخل صالح) أحضر فوراً قدحاً من شراب الليمون المثلوج (يخرج صالح).

ملكة : (ناهضة) أستودعك الله الآن يا دكتور .. فقد عرفت ما كنت أريد الوقوف على حقيقته.

الدكتور : إلى أين تذهبين؟

ملكة : لأرى عبد الحكيم فقد طال عليه الانتظار.

الدكتور : أين هو؟

ملكة : (تتردد) في السيارة مع نعيمة أمام الباب.

الدكتور : فى السيارة كل هذا الزمن؟ لابد أن أراه (يدخل صالح حاملاً شراب الليمون المثلوج) يا صالح أدع المربية التى فى السيارة إلى هنا ومعها السيد الصغير الذى تحرسه (يخرج صالح بعد أن يضع الشراب على المائدة).

ملكة : لماذا تحضره؟ هل بلغ بك حبه درجة يهمك معها أمره ؟!

الدكتور : يا ملكة .. أجلسى .. أسمعي وتعقلي .. أنا رجل شريف ورأس مالى شرفى فى صنعتى.

ملكة : وهل مسست بسوء ذلك الشرف؟

الدكتور : فلنضرب صفحاً عما إذا كنت مسست أو لم تمسسى .. إننى منذ تقابلنا بعد فراقنا الطويل محافظ على شرفك بوصف كونك زوجة لرجل آخر ولم أحاول يوماً أن أحط من كرامتك.

ملكة : لا فائدة ترجى من الكلام عن الكرامة وعن الرجل الآخر. لأن الفرق بيننا فى هذه المسألة شاسع ومسافة الخلف لا حد لها. إن كرامة المرأة هى الحب والسعادة وليس فى قلبى متسع لغيرهما. وها أنا قد خاب رجائى للمرة الأخيرة فى الحب والسعادة.

الدكتور : ولكننى نسيت نفسى فى سبيلك ومحوت اسم السعادة من صفحة حياتى لأجلك ولم أرد قط أن أعرف امرأة سواك فلم أتزوج.

ملكة : وماذا يعوقك عن الزواج؟ أما وقد فكرت فيه فأنت تطلبه!

الدكتور : إن قلبى لا يتسع للحب مرتين. فلما اختبرت حظى فى المرة الأولى عولت على أن لا أعيد الاختيار مرة ثانية.

ملكة : ولكن هذا القلب الذى أحبك ولا يزال مشغوفاً بك (تبكى بكاءً مراً) فأرحمنى ودع هذا الحب القوى يعد سيرته الأولى.

الدكتور : (يدنو منها متأثراً) ولكننى يا ملكة لا أستطيع أن أستعيد عهد الحب الطاهر النقى الشريف بجريمة ممقوتة شنعاء تلوث أيدينا وتقتل ضمائرنا وتنغص عيشتنا .. فأبحثى عن حل آخر .. انظرى فى

وسيلة أخرى فإني قابل بها مهما تكلفني من الوقت والتضحية بالمال. ولكن بعداً وسحقاً لذلك الخاطر الذى طرأ على قلبك (تجلس كمن تقبل عذراً مؤقتاً، ويدخل صالح ومعه نعيمة تحمل الطفل، فيقصد إلى والدته ثم يرى الدكتور فجأة فيلقى بنفسه بين يديه فينسحب صالح وتشير ملكة على نعيمة بالانسحاب).

الولد : هذا منزلك يا عمى؟

الدكتور : نعم يا حبيبى.

الولد : أريد أن ألعب هنا فى منزلك وأخذ هذا وهذه وذا وهذه (يمد يده إلى المكتب ويأخذ تمثالاً صغيراً وقلماً ومقصاً وصورة ويجمعها فى يديه ويصعد على كرسى ويحدث انقلاباً فى الأشياء الموجودة على المكتب وفى أثناء ذلك تنزل دموع صامتة من عيون الأم والدكتور يطرق برهة وينظر برهة إلى الطفل وهو يلعب لاهياً).

ملكة : ولكن أنت أخطأت قصدى .. وأريد أن تفهم غايتى جيداً.

الدكتور : تكلمى .. أفصحى .. أريد أن أفهم أكثر مما فهمت.

ملكة : نحن لا نريد أن نرثه فى أطيانه وماله .. فإن تركته لأهله وقومه الذين يحبهم ويحبونه .. أما نحن فلا نريد إلا الخلاص منه.

الدكتور : كيف تكون لأهله وقومه ؟! ألست زوجته وهذا الطفل البرىء منسوب إليه؟

ملكة : سأبوح لك فيما بعد بسر تدهش له ويكفى الآن أن تعلم إننا لن نرثه. وإننى لا أريد إلا الخلاص.

الدكتور : هذا هو ما فهمت ولم يخطر ببالى إنك تريدين أن ترثيه. لأنك قنوعة وقد عرفت ذلك فيك منذ الصغر.

ملكة : إننى لست متمتعة بنفسى ولا بولدى. وأعيش كل يوم عيشة الرهبة والإرهاق. خمس سنين قضيتها على هذه الحال.

الدكتور : لقد خطر ببالى فوراً حل لهذه المعضلة.

ملكة : (بانفعال) ما هو؟

الدكتور : تدبير طريقة لخطف الولد.

الولد : (منتبهاً فجأة) ولد من يا عمى؟ لماذا تخطفه؟ وممن تخطفه؟

الدكتور : الولد الذي رأيت صورته في المرآة يا عبد الحكيم (نحـــو ملكــة) ونضعه في منزل خاص مع خدم مخلصين لنا. وأتولى أنا جميـــع شئونه ولك أن تزوريه في أي وقت شئت.

ملكة : إذن أنت تريد تخليص الولد لا تخليصنا معاً. فكرت في طريقـــة إنقاذه وضربت صفحاً عني أنا كأنني عقبة كؤود في سبيل تربيتــه. مع أنني لم أشكُ لك عجزي عن القيام بشؤونه ولكن أريـــد الحيـــاة سعيدة معه في قربك.

الدكتور : هذا آخر ما فكرت فيه وليس لدي طريقة غيرها.

ملكة : فلنفرض إننا نفذنا هذه الفكرة بحذافيرها فمن يدرينا أن ذلك الرجل لا يحاول أن يظهر بمظهر الشهم البطل فيأخذ في البحـــث حتـــى يهتدي إلى مقره فيلحقك بسببنا أذى وتكون عنـــد تلــك فضيحــة مزعجة.

الدكتور : هذا صحيح. ولكن الفضيحة مهما كانت مزعجة فإنها أخـف مــن الجريمة. فإن خطف الطفل أهون من قتل رجل. علــى أن الطفــل سوف يكون مكرماً معززاً ثم نترقب الحوادث وننتهـــز الفــرص. فلعل الله يهدي صاحبنا فيطلقك من تلقاء نفسه.

ملكة : لقد فكرت في هذا بل في أكثر من هذا وقلت صبراً لعله يصـــاب بداء وبيل.

الدكتور : وهل تمنيت له الأمراض كلها أو تمنيت له مرضاً معيناً.

ملكة : ومع ذلك فلو مرض فإنك بلا ريب ستكفل علاجه.

الدكتور : كلا .. سوف أنسحب لأنني إذا تقدمت لعلاجه فلابـــد أن أنصحـــه وأخلص له في العمل وعسى أن يشفى من دائه.

ملكة : هذا حل جميل هادىء. ولكنه يحتاج إلى الصبر العميـــق والعمــر الطويل. وصبري قد نفذ وعمري قصر.

الدكتور : أنت متوهمة.

ملكة : هل هذا آخر رأي عندك .. خطف الولد والقيام بخدمته!

الدكتور : نعم .. هذا أقصى ما أستطيع. وقد عولت قبل إبدائه على أن أقـف حياتي على راحته وخدمته والصبر مفتاح الفرج.

ملكة : أسمع .. أنا حضرت إلى هذا المكان لغاية واحدة هى أن أعــرف هذا الولد بأبيه وأجعله يحبه وقد كشفت عن قصدى لذاك الرجــل. فقد قلت له لابد أن أعرف هذا الطفل بأبيه ليتمتع بحبه.

الدكتور : أقلت له هذا القول؟

ملكة : نعم.

الدكتور : فماذا قال لك؟

ملكة : ماذا تظن أنه قال ؟ لقد حسب أننى سأعلم الطفل محبته هو ولــم يمر بفكره خاطر غيره.

الدكتور : ما أشد تهورك. العقل بركة يا ملكة.

ملكة : إن كان العقل بركة واحدة فالحب بركتان. والآن أدركـت حقيقـة مركزى فإننى وإن كنت امرأة. فقد وجدت فى نفسى شجاعة كافيـة فاحتفظت بشرف أمومتى. صحيح أننى أخطأت إذ قبلت الزواج فى تلك الحالة التى أنت عالم بها ولكننى كنـت فـى مـأزق حـرج محصورة بين أمرين كلاهما شديد الخطـر. الأول قتـل الجنيـن وتعريض حياتى للضياع وفقد الشرف. والثانية دخول منزل الزوج بحالتى. وهذا أمر شنيع لا أزال أقشعر منه كلما ذكرته. ولكن مـا حيلتى لقد اعترفت لوالدتى وأشرت لأبى من طـرف خفـى بـل هددتهما بالانتحار. وفعلاً حصلت على سـم ونويـت أن أشـربه لأخرج من الحياة بأسرها ولكننى لم أستفد شيئاً من هذا كله وذهبت متاعبى إدراج الرياح. فلما غلبتنى الحوادث وناءت علـىّ بثقلـها. استسلمت لحكم القضاء والقدر وعملت بـرأى والدتـى الصالحـة اليائسة.

الدكتور : وهل كان رأيها ؟

ملكة : نعم لقد كان رأيها وعملت به فعشت هذه السنين الخمس فى حلـم مزعج (تبكى).

الولد : (يسرع إليها ويطوقها بذراعيه) ماما .. ماما .. ماذا يبكيك؟

الدكتور : (يتأثر وينهض ويسير فى الغرفة ذهاباً وإياباً) أنا المسـبب لـهذه المصائب كلها. جنيت عليك فى سبيل حبى وهونت عليك علاقـة أنتجت كل هذه الآلام! ولكن يا حبيبتـى إذا افترضنـا أن العلاقـة الأولى جريمة فى سبيل الحب فكيف نمحو أثرها بجريمة أخرى؟

ملكة : حاشا لله أن تظن أننى أريد أن أحملك على إتيـان أمـر يخـالف ضميرك وشرف صناعتك. إنما أقصـد أن أتقـى جرائـم عـدة ومصائب متتابعة. فلابد أن أقتل نفسى بعد الخروج من هنا. إذ مـا قيمة الحياة بعد الذى جرى. (يتكىء على النافذة ثم يفيق لدى سماع كلامها الأخير).

الدكتور : حذار من هذا التفكير فيما تقولين! فقد ظننتك مازحة!

ملكة : مازحة .. أنا ! تقول هذا وأنت الذى عرفتنى منذ الصغـر. نعـم إننى كنت أحب المرح وأميل للهو الحياة البريئة فأروح عن نفسـى بالدعابة والممازحة. ولكن الآن من أية الطرق يأتى قلبـى الفـرح وأنا أقضى معظم أيامى فى هم وغـم لا يفـارقنى الأسـى إلا إذا نظرت إلى ولدى واهتممت بشؤونه. فأنـا إذن غـير هازلـة ولا مازحة فيما اعتزمت تنفيذه (ملتفتة إلى ولدها فجأة) عبـد الحكيـم. حبيبى هل أنت مدرك كل ما تعانيه أمك فى سبيل راحتك؟

الولد : ماما ..

ملكة : هيا بنا إلى منزلنا فقد دخل الليل علينا.

الولد : اتركينى هنا يا ماما أنام عند عمى.

الدكتور : (بانفعال واضطراب) طيب يا حبيبى أبق هنا ونم عندى ودع مامـا تذهب وحدها.

الولد : ماما تذهب وحدها عند نعيمة والدب!

ملكة : (بدهشة) أى دب تعنى يا حبيبى؟

الولد : الدب الذى ألعب به .. الذى لا يتكلم ولا يضحك.

ملكة : كان هذا قصدى وقد سعيت له .. أن نبقى هنا أنت وأنا.

الدكتور : ملكة .. إن كان هذا قصدك حقاً فلابد أن أنفذه مهما يكن فى الأمـر من خطر. أعطيتنى حياتك وأغلى ما عندك. وأنـا إذ ذاك شـاب صغير بائس وأنت سعيدة وغنية. لقد استهنت بكل شىء فى سـبيلى فهذا دين لك علىّ فلابد أن أسدده.

ملكة : (تدرك معنى قوله وتلمح التصميم على مطاوعتها فى عينيه فتدنو منه وتأخذ بيده فيتخلص منها بلطف) لا .. أنا لا أريد أن يكون عزمى وليد فكرتك بل أقصد تكوين عقيدتى بعيداً عن المؤثرات الخارجة عن إرادتى.

ملكة : أحقاً عزمت على خلاصنا من الحال التى نئن من حملها؟

الدكتور : أنا عزمت ولكن الخلاص ليس بيدى.

ملكة : (تفتح حقيبتها الصغيرة باضطراب وتخرج منها طرداً صغيراً وتمد به يدها إلى عبد الحكيم) أنت وحدك صاحب الحق فى هذا الطرد الصغير بما يحتوى!

الدكتور : (يتناول الطرد ويفضه بانفعال فيجد به قنينتين صغيرتين وخطابين مغلقين فيفحص القنينتين) سلمانى مركز وسيانور البوتاس! من أعطاك هذا السم الزعاف؟ خطابان أحدهما باسمى والآخر باسم زوجك (يفض الخطاب الأول) هذه شهادة ميلاد عبد الحكيم. ماذا أقرأ؟ اسم الوالد عبد الحكيم .. صناعته طبيب. اسمى أنا .. لقد نسبت الولد إلىّ بدون عقد زواج بيننا ! .. كيف تسنى ذلك لك؟

ملكة : هذا سرى الذى لن أبوح لك أو لسواك به .. فقد أقسمت على كتمانه للأبد.

الدكتور : (يستمر فى قراءة الخطابين) هكذا كل شىء أوضحته بالتدوين فى الورق! إن الخطاب المرسل إلىّ معلوم غايتك منه. ولكن زوجك لماذا تطلعينه على تاريخ المسألة فيعرف فجأة أننى أبو الولد؟

ملكة : لأجل أن لا يحتفظ به ويسلمه إليك بغير منازعة فيرتاح ضميرى وأرقد هادئة تحت الثرى وليعلم أيضاً أننى كنت زوجته بالاسم فقط وأنه كان مكروهاً طول مدة قرانه.

الدكتور : (يقلب نظره فى الخطابين ويضع القنينتين فى دولاب الأدوية ويغلقه بالمفتاح) هذه أعمال لا تصدر حقاً إلا عن نفس يائسة (يغلق النافذة ويطرق ملياً ثم يرفع رأسه كمن أدرك حقيقة يريد التصريح بها).

ملكة : مالك معرض عنى! هل ندمت على إخلاصك لى؟ هل عدلت عن معونتى؟

الدكتور : (كأنه يخاطب شخصاً أمامه) كل شيء يأتيه المرء في ميعة الصبا لابد أن يدفع ثمنه في الكبر باهظاً. لذا سأدفع عن خطأي في الصغر أعظم ما يستطيع المرء دفعه من ثمن. حياتي كلها ومستقبلي. فأعلمي أنني اليوم أحبك مثلما أحببتك فيما مضى وقد وهبتك نفسي وروحي وقلبي جعلتهما لك فدى .. (يأخذ الولد بين ذراعيه ويقبله ويبكي)

(ستار)

(الفصل الخامس)

(الوقت الساعة الأولى من صباح يوم من أيام الربيع في العوامة [محاسن] ملك مرعشلي باشا مربوطة على ضفة النيل الشرقية بين كوبري البحر الأعمى وكبري الزمالك. وهي مكونة من طبقتين. السفلى وفيها المدخل ونوافذها مضاءة وتبدو فيها حركة خدم يذهبون ويجيئون يحملون مستلزمات الحفلات والطبقة العليا مضاءة بأنوار ذات جملة ألوان ومفروشة بأثاث الجلوس ومزدانة بشجيرات خضراء في براميل من الخشب وقد نشرت أمامها الأعلام. وبالعوامة حفلة استقبال وغناء شرقي سروراً بالإنعام على مرعشلي بك برتبة الميرميران الرفيعة الشأن. وعند رفع الستار تسمع نغمات الموسيقى الشرقية يوقعها جماعة من الآلاتية. وقد جلس على المقاعد المصففة حول بعض الموائد بشكل بوفيه أو مقصف جماعة من المدعوين البكوات والأعيان بملابس السهرة وبعض مشايخ وهم يتكلمون ويضحكون ويتناول بعضهم صنوفاً من الحلوى والفاكهة. ويدخن البعض الآخر سجاير لفافات من الطباق من نوع هافانا والبعض جالس والبعض واقف وبالجملة تدل الحركة في الطبقتين على أن العوامة ومن فيها في أواخر حفلة كبرى لا تزال آثارها)

المنظر الأول

مرعشلي : (وقد لبس بذلة سموكن من صنف جيد وياقة متوسطة، وهو يشعر بأنها ثياب غير لائقة به فيلمس ظهره تارة وطوراً ينظم ربطة الرقبة ويظهر قلقه على الزهرة البيضاء التي ازدانت بها عروة سترته العليا فيتقدم إلى الدكتور عبد الحكيم ويوجه الحديث إليه) لقد آنسنا بلقائك كثيراً يا حضرة الدكتور (يقدم له سيجار هافانا).

الدكتور : (يهم بالوقوف) شكراً لك يا سعادة الباشا. أنت تعلم أنني لا أدخن (يخرج ساعته من جيبه وينظر فيها) وأرجو أن تسمح لي بالانصراف فإننا في الساعة الواحدة بعد نصف الليل.

مرعشلي : الانصراف من هنا ! في مثل هذه الليلة المباركة! لقد بذلت وسعي في الاستعداد لراحتك فأعددنا لك أفضل الغرف لتقضي فيها هذا الهزيع الأخير من الليل.

الدكتور : (بتردد) لا بأس.

مرعشلي : أكرمك الله كما أكرمتنا.

الدكتور : أرجو أن تأمروا إدريس أن يحضر لي الحقيبة الصغيرة من سيارتي وأن يودعها الغرفة التي تفضلتم عليّ بها.

مرعشلي : لك ذلك. (يشير إلى أحد الخدم ويهمس في أذنه).

الدكتور : المنظر هنا جميل جداً .. الطبيعة في غاية العظمة.

مرعشلي : بالطبيعة يا أفندم هذا من بعض فضلك .. لاسيما المصابيح فإنها من ألوان متعددة .. الأحمر .. والأخضر .. و ..

الدكتور : (مبتسماً) لا .. أقصد النيل وهو زينة مصر كلها والأشجار الباسقة في ضوء النجوم وسكون الليل وتلك الضفة الهادئة.

مرعشلي : والكواكب والنجوم الزاهرة ..

المنظر الثاني

أحد المدعوين : (يدنو منهما) إن شاء الله يا سعادة الباشا.

مرعشلي : العفو .. العفو .. والله إنني أخجل عند سماع التفخيم بها. الباشا جاء والباشا ذهب. رتبة البيك لا يوجد أفضل منها وصاحبها مستور. أما الباشوية فمنظور إليها بعين التعظيم وذلك لندرة الباشاوات في البلد.

أحد المدعوين : ولكن يا سعادة الباشا أنت لم تسعَ لها بل جائتك الرتبة تجرر أذيالها.

مرعشلي : سعادتك تستحق الباشوية أيضاً من زمن.

المدعو : إن شاء الله ربنا يحقق هذا الأمل. أنا مثل سعادتك لا أحب السعي في هذا السبيل.

عبد الحكيم : عند بلوغ الدعوة إليّ حسبت إنكم تحتفلون بعيد ميلاد عبد الحكيم. وبعد ذلك فهمت الغرض.

مرعشلى : لا فرق بين فرحي وفرحه. لو علم أنك ستشرفنا هذه الليلة ما غمضت له عين لأنه لا يفتأ يذكرك ليلاً ونهاراً قائلاً : عمي الدكتور .. أريد أن أراه .. أريد أن أزوره وألعب معه وأنام عنده.

الدكتور : يا الله ؟ صحيح ! .. ليحفظه الله لوالديه وليقر أعينهما به.

مرعشلى : ومع ذلك سوف يراك غداً في الصباح. لم يبق بيننا وبين النهار إلا وقت قصير. إن غداً لناظره قريب. (هنا تدق الآلات أنغاماً ختامية ثم يأخذون فى الانصراف ويبدأ الخدم فى نقل بعض الأدوات التى لا لزوم لها).

المنظر الثالث

مدعو ثان : (لمرعشلى) نستودعكم الله يا سعادة الباشا. وإن شاء الله تكون الرتبة الرفيعة مباركة تجلب إليكم طول العمر والسعادة والخير العميم (ينصرف، ثم يتقدم بقية المدعوين وتحصل تحيات صامتة وينصرف جميع المدعوين وينظر مرعشلى باشا للأنوار النظرة الأخيرة، ثم يتقدم إلى الدكتور ويضع يده فى يده ويتجهان نحو السلم وينزلان ويبقى سطح العوامة مضاء خالياً فيصعد بعد قليل بعض الخدم ويطوفون بالمكان ويطفئون الأنوار ما عدا نوراً ضئيلاً يبقى مضيئاً)

المنظر الرابع

مرعشلى : (صاعداً من سلم فى الوسط بثياب النوم وعليها روب دى شامبر وعلى رأسه غطاء ويبدو عليه الأرق والألم والاضطراب) آه .. عندى أرق .. أرق شديد من النوع الذى كنت أعانيه فى السنة الماضية. وقد رأيت عندما اضجعت أبشع الأحلام وأفظع الرؤى. لابد أن يكون هذا نتيجة لعسر الهضم. هل أفرطت فى الطعام يا ترى؟ يجوز فقد اضطررت للعشاء بضع مرات من قبيل المجاملة .. ما العمل؟ الأكل كثير جداً والطهاة قد تفننوا وأحسنوا صنع

المآكل كلها .. هل هذه نكسة أم أنا شاعر بالشبع الشديد من كثرة الفرح ؟! إذن فلأنم ولأنتظر على هذا الألم. وفى الصباح أسأل الدكتور عبد الحكيم فربما يشير علىّ بجرعة ناقعة (يسير قليلاً ثم يجلس ثم ينهض وينزل فى بطء وتؤدة)

المنظر الخامس

(يصعد على ظهر العوامة الدكتور عبد الحكيم ويسير بمفرده ذهاباً وإياباً فى ضوء ضئيل ويبدو عليه القلق ويحاذر أن يدنو من الأماكن التى قد يراها فيها أحد. ثم يقف فجأة عندما يرى شخصاً صاعداً فيتبينه فإذا هو ملكة ملتفة بمعطف وعلى رأسها نقاب من الحرير الأسود فيدنوان من بعضهما بعضاً فى حذر واضطراب)

عبد الحكيم : ملكة .. ملكة

ملكة : هل أتاك خطابى؟

عبد الحكيم : طبعاً .. ولأجل هذا حضرت. ولما ألح علىّ بالمبيت هنا منذ ساعة قبلت غير متردد ومع كونى متعباً ولم يسبق لى المبيت على سطح الماء فى عوامة كهذه سيما وأن الإسراف فى العمل والإفراط فى التفكير والسهر قد أنهكا قوتى. ولكننى لم أستطع أن أخالف أمرك وخفت أن تظنى إنى عدلت عن تنفيذ الخطة التى اتفقنا عليها فى عيادتى.

ملكة : شكراً لك .. وطبعاً تسلمت الإشارة التى أودعتها غطاء الشفرة أمامك.

عبد الحكيم : لقد أخذتها فى حذر وعلمت أننا سنلتقى هنا فى الساعة الثالثة بعد انصراف المدعوين.

ملكة : حبيبى .. ما أشد وفائك.

عبد الحكيم : (فى جد وثبات) كنت أنوى منعك عن المقابلة هذه الليلة .. ولكنى لم أتمكن من فرصة لقائك فى الوقت المناسب لإرجائها. حتى إننى لم أستطع أن أطلب إلى البيك .. أستغفر الله الباشا (تبتسم) أن يسمح لى برؤية عبد الحكيم نائماً.

ملكة : كيف كنت تريد منع لقائنا؟ وما نحن موفقان إلى مكان وزمان أكثر ملائمة لنا من هذا المجال فى هذه الساعة.

عبد الحكيم : كنت أفكر فى تأجيلها إلى يوم آخر غير هذا اليوم وهو يوم حركة غير عادية.

ملكة : تؤجلها إلى متى ؟ لقد نفذ الصبر (تسعل سعالاً جافاً فيوجس عبد الحكيم بإشارة منه خيفة).

عبد الحكيم : بيد أننى وإن كنت مثلك أميل إلى المبادرة في تنفيذ ما اعتزمنا إلا أننى أخشى عليك خطر التعرض للبرد أولاً وثانياً من أعين الرقباء.

ملكة : لا خوف عليّ من البرد. وقد أحسنت التدثر قبل الصعود. ولم أكن نائمة فأخشى صدمة الهواء. لأن النوم لا يأخذ الآن بمعاقد أجفانى منذ صممنا على تنفيذ فكرتنا. أما الرقباء وهم من الخدم فقد ناموا ولا تزال نعيمة يقظة فى خدمة الصغير. أما هو فإنه يغط غطيطاً فظيعاً كعادته منذ أصابه دوار التخمة بعد إنهماكه على موائد العشاء وتردده على المقصف مرات لا عديد لها.

عبد الحكيم : ونعيمة .. ما رأيك فيها؟ ألا تزال موضع أمانتك حتى النهاية؟ ألا تعلمين ما يتهدد السادة فى أسرارهم من طايفة الخدم؟

ملكة : ليست نعيمة كغيرها من أهل هذه الفئة وكفانى دليلاً على وفائها طول معاشرتها وصبرها على المكاره معي طول حياتى الشقية فى عصمة ذاك الرجل وقد كانت يدى اليمنى فيما مضى وهى لا تزال كذلك مهما يحصل لى ولها وأن تعلقها بعبد الحكيم كفيل بإخلاصها.

عبد الحكيم : الرأى لك .. ولكن الحذر أفضل من التهاون فى مثل ما نحن فيه.

ملكة : أنا مسؤولة عن أمانتها وصدقها.

عبد الحكيم : (ينظر إلى الماء والسماء حيث يوجد ضوء الكواكب) آه يا ملكة .. كان أملى فى الحياة أن تكونى لى وأن أكون لك. وأن تكون لنا عوامة كهذه نغشاها كلما شئنا فى حرية واطمئنان دون خوف واضطراب كالذى نحن فيه. ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن.

ملكة : سوف يتم كل شيء على ما نروم وإن شئنا في المستقبل القريب تكون لنا عوامة أفضل من هذه وأفخم رياشاً وأثاثاً وأجمل موقعاً.

عبد الحكيم : أحقاً ما تقولين ؟! هل تتحقق أحلامنا ويتحرك في سبيل سعادتنا ميزان القدر ؟!

ملكة : نعم يا حبيبي سيكون لنا ما نتمنى .. ولكن علينا أن نبادر إلى العمل فإلى التنفيذ بأسرع ما نستطيع وفي أقرب فرصة. فإن فرت الليلة من يدنا فقد ضاع الأمل.

عبد الحكيم : (ينظر إلى السماء) كلما أقلب نظري في السماء وأرى بريق الكواكب في القبة الزرقاء يدركني حزن عميق وتتملك نفسي عوامل الألم.

ملكة : لماذا يعروك الحزن ويتولاك الجزع؟

عبد الحكيم : لأنني لم أبلغ في الحياة شيئاً إلا ذقت في سبيله صنوف العذاب. وأعظم أمل كان يضيء ظلمات حياتي وهو تمتعي بقربك ومشاركتي إياك مسرات الحياة والسعي جهدي في إسعادك. حتى هذا الأمل قد خانتني فيه الأقدار.

ملكة : حبيبي هون عليك. لقد أوشكت همومنا أن تنجلي. وها نحن قد دنونا من السعادة المنشودة.

عبد الحكيم : كلما أتخيل ذلك الأمر المرهب الذي نحن قادمون على تنفيذه يقشعر بدني ويضطرب قلبي وتهتز نفسي وأكاد أسمع من صدري صدى صوت الضمير الصارخ في أعماقها.

ملكة : هذه أوهام وهواجس يا حبيبي يصورها لك الخوف من القدوم على عمل تحسبه خطيراً وتحسب نفسك عنه مسؤولاً. على أنني أنا وحدي المسؤولة عن تنفيذه. كما أنه هو مسؤول عن أسبابه. لقد جنى عليّ وهو الآن يجني على نفسه.

عبد الحكيم : أنا أعلم ذلك؟. وقد حدثتني بكل شيء ولهذا صح عزمي ولن أتردد.

ملكة : أسمع .. كل شيء معد للعمل.

عبد الحكيم : (كمن يحاول تغيير وجهة نظرها) ألا تخشين أن يفاجئنا أحد هنا؟

ملكة : لا تخشى مفاجأة .. إن نعيمة بالمرصاد وقد أمرتها أن تنبهنى بإشارة متفق عليها بيننا لدى حدوث ما يخشى منه افتضاح أمرنا.

عبد الحكيم : أية إشارة ؟

ملكة : انظر إلى هذه الفتحة (تشير إلى منور أو مسقط للنور فى وسط السطح) إنها الآن مظلمة ولكن بها مصباحاً كهربائياً. فإذا شعرت نعيمة بحركة تشككها فهى تبادر إلى إنارة المصباح فأرى النور فجأة فأسرع إلى هذا الدرج (تشير إلى السلم الخلفى) وهو أقرب سبيل إلى غرفتى.

عبد الحكيم : ولكن أنا ماذا أفعل؟

ملكة : أنت لا اعتراض على بقائك هنا بمفردك. فأنت رجل وأعز الضيوف مكانة ولك فى أى وقت أن تنام أو تبقى ساهراً. فلعلك تتأمل جمال السماء أو تتنشق هواء السحر.

عبد الحكيم : لقد فكرت ..

ملكة : فيم فكرت ؟

عبد الحكيم : فى الأمر الذى تكلمنا فيه واتفقنا على تنفيذه.

ملكة : لقد انتهى دور التفكير ولم يبقَ إلا العمل. وأنا الليلة فى انتظارك للانتهاء.

عبد الحكيم : وأنا أيضاً أنجزت إعداد الأنابيب وأحضرتها لتعلمى أننى لا أتردد فى الوفاء لك وقد صدقتك الوعد.

ملكة : (بلهفة) أعطنى ! هات .. أين هذه الأنابيب التى انتظرها بفارغ الصبر.

عبد الحكيم : أصبرى .. أصبرى .. ها هى معى.

ملكة : أصبر .. لقد صبرت حتى لم يبقَ فى قوس الصبر منزع.

عبد الحكيم : لقد فكرت فى الأمر. وها نحن معاً وسوف ينتهى فى هذه الليلة كل شيء وتقفين معى على حقيقة هذه المسألة.

ملكة : الأنابيب أولاً .. ثم تكلم بعد ذلك ما شئت فى شؤوننا (يخرج من جيبه ملفاً به أنابيب فتأخذه بلهفة وتقبض عليه بيد من حديد وتدنيه من نظرها) هذه هى الأنابيب المنقذة (تدنو من عبد

الحكيم وتضعه إلى صدرها) الآن وثقت من حبك إياى ومن بذلكَ نفسك لأجلى كما ضحيت بنفسى فى سبيلك منذ الصغر.

عبد الحكيم : ونحن الاثنين نضحى بهذا المسكين فى سبيل سعادتنا.

ملكة : أبداً .. أنت واهم .. هذه ليست تضحية به ولكنه عقاب قد استحقه.

عبد الحكيم : وهل لنا نحن أن نعاقبه؟ متى كان للإنسان أن يأخذ فى يده بعنف حق العقاب يوقعه على من شاء من البشر؟

ملكة : انتظر ! .. انتظر قليلاً واسمح لى أن أنزل لأضع هذه الأنابيب فى مكان أمين بعيد عن الخطر .. الآن قد أطمأن قلبى وخفتْ عنى وطأة القلق. (تهم بالنزول فيمسك بيدها ليعوقها عنه).

عبد الحكيم : انتظرى .. إنك لا تعرفين طريقة الاستعمال (تتأفف وتظهر حالة عصبية) أنت الآن على حال غير عادية. حال شذوذ عقلى لها خطرها. تقولين وتفعلين تحت تأثير الهياج وسوء الظن بالدهر والناس. ولكن لعلك إذا أنفذت ما أنت مقبلة عليه ومات ذلك الرجل أدركك الندم.

ملكة : الندم .. أى ندم تعنى؟ كيف يدركنى الندم وأنا أريد أن أقضى على حياتى لأنجو مما أنا فيه .. وأتركك أنت وولدى الوحيد دون أن أتمتع بشىء مما كنت أمنىّ نفسى به. فكيف إذا شارفت الخلاص من مسبب هذه الويلات يدركنى الندم؟

عبد الحكيم : لما كنت فى أوروبا شهدت تمثيل قطعة فاجعة حوادثها تشبه ما نعانى الآن هنا. فلما أن أخرجت الزوجة عزمها من حيز الفكر إلى حيز العمل أصابتها نوبة فظيعة من الندم كانت على عقلها القاضية فجنت جنوناً مطبقاً.

ملكة : لابد أنها كانت مجنونة قبل أن يحدث لها ما حدث. ومع هذا فأى خير لنا فى أن تروى لى مثل هذا الخبر؟

عبد الحكيم : كلا ! .. لم تكن مجنونة .. وعلم الطب لا يدلنا على ذلك. ومثل هذا الطارىء الذى أصاب الزوجة بعد الندم قد يصيب

أعقل الناس وأكثرهم ثباتاً. إن لمثل هذه الحوادث تـأثيراً سـيئاً على العقول والأجهزة العصبية لا يظهـر إلا بعـد أن يسـبق السيف العذل.

ملكة : (بشيء من الخوف) أراك تميل الليلة إلى التشاؤم.

عبد الحكيم : كلا .. لا تشاؤم ولا تفاؤل .. هذا كلام عادى لـم أفكـر فيـه مطلقاً .. بل كنت أفكر في أمر آخر أشد خطورة.

ملكة : ما هو ؟

عبد الحكيم : هو السؤال الآتي .. من أين للإنسان الضعيف مثلنا حق الإقدام على إعدام شيء لا يستطيع إيجاده من العدم؟ فما بالك إذا كـان هذا الشيء هو أعظم الأشياء بل هو النفس التى حرم الله قتلـها إلا بالحق منذ الأزل.

ملكة : (بجد وتفكير) إن قولك هذا حق وله فى نفسـى وقـع وفـى ضميرى أقوى صدى. وأنا متفقة معك على أمهات هذه المسألة. ولكننى أستسهل الصعب فى سبيل السعادة المنشـودة وتمتعنـا بالحياة معاً وتربية الطفل فى كنفنا.

عبد الحكيم : هذا حسن .. ولكن أسمعى إن السعادة التى تقوم على جريمـة هى جحيم مستعر. وكل بيت يبنى على الشر مآله الخراب ومآل أهله العدم. حياة منغصة وآمال يكتنفها اليأس ويحف بها الألم.

ملكة : (تطرق مفكرة) ليست سعادتنا لذاتها هى مأربى. بل مـأربى سعادة ولدى. فإن أهتديت إلى وسيلة أخرى أتبعتها.

عبد الحكيم : إذا كان حبك لولدك وحبى هو الدافع لك علـى سـلوك هـذا المسلك الوعر فكيف يمكن أن يجتمع فى قلبك الرحيم حب ولدك وحبى إلى بغض هذا الرجل بغضاً يدفعك إلى أن توردیه موارد العدم.

ملكة : وأية غرابة فى ذلك؟

عبد الحكيم : لقد كنت أحسب أن القلب المملوء حباً لا يدخـل فيـه البغـض مطلقاً.

ملكة : هذا قياس مع الفارق .. إننى لا أبغض ذلك الرجل لأننى لـم أحببه مطلقاً والمرء لا يبغض إنساناً إلا إذا كان أحبه.

عبد الحكيم : لقد أصبح لك الآن فى الحياة رجلان. ولذلك وأنا ومن يدرى ماذا تفعل الأقدار بنا .. فربما يقع أحدنا أو كلانا فى أيدى جبابرة من الرجال أو النساء .. ولعل من يأتى فعلاً منكراً يقابل بمثله فى أعز الناس على قلبه. هذا إذا نجا هو من العقاب فى شخصه!

ملكة : (باضطراب) فى أعز الناس على قلبه! ومن أعز لدى منكما؟ إننى أفضل أن أكون لكما الفدى.

عبد الحكيم : من يدرى؟ إننا تحت تأثير الحب والضمير. حكمنا هنا بالإعدام على رجل أبله لا ذنب له بجانب حبه الأعمى للمال سوى أنه تخيرك فى غفلة من والديك وتأهل بك. وهو لا يدرى أنك مشغولة بغيره. فماذا يكون حكم الله علينا إذا نفذنا حكمنا؟

ملكة : بماذا يحكم الله علينا إذا نفذنا حكمنا؟

عبد الحكيم : طبعاً أنا لا أقصد تنبيهك من جهة الضمير والشرف لأننى استنزفت قوتى فى هذا السبيل ولم أنل مأرباً. ولكن لى أن أسألك. ما قولك فى حكم الله الذى يسمع ويرى؟

ملكة : (تنظر إلى السماء كأنها اكتشفتها لساعتها بتأثير قول عبد الحكيم الذى يكاد يكون استهواء) الله .. يسمع .. ويرى!

عبد الحكيم : نعم .. يسمع دقات قلوبنا .. ويرى أدق وأخفى ما يجول فى لفائف عقولنا.

ملكة : إذن لماذا لم يسمع الله شكوانا ولمَ ينظر بعين رحمته إلى حالنا ونحن فى نضارة العمر وسلامة الضمير نلتمس العيش الحلال فى ظل الهناء.

عبد الحكيم : (يدنو منها) من يدرى يا ملكتى المحبوبة! أين موضع الرحمة؟ .. لعلها كانت سارية فى حوادث حياتنا ومختفية كتيار الكهرباء فى كل ما جرى. وأيضاً هناك أمر لا أستطيع أن أفاتحك به.

ملكة : كلا .. لا تخف .. قل فإننى لكلامك جد مرتاحة ما دمت قد أطعتنى وأنفذت رغبتى.

عبد الحكيم : (يدنو منها ويقول بهمس) ألم نخطيء فى شبابنا؟ .. ألم نقترف ذنباً تمقته الشرائع وتأباه القوانين كلها؟ .. تكلمى !!

ملكة : (بصوت خافت) نعم أخطأنا. ولكن لم يكن لنا مناص عن فعلنا.

عبد الحكيم : لعل فى تعذيبنا الآن تكفيراً لسيئاتنا. وعسى أن يكون الله خفف عنا ولطف بنا. فجدير بمن كان مثلنا بدلاً من أن يدبر مقتل هذا الرجل أن يطلب العفو ممن يملك غفران الذنوب !! انظرى .. تأملى .. إن كان هذا الرجل سوف يموت حتماً بفعلنا فإرادة الله هى السابقة.

ملكة : أتؤمن إذن بإرادة الله المطلقة. وتيقن أن الأعمار محدودة؟

عبد الحكيم : طبعاً .. لا يؤمن بهذا الأمر حق الإيمان إلا نحن معشر الأطباء. سلى أى طبيب يخبرك .. فكم حالة تعرض لنا يكون المريض فيها ميؤوساً من حياته فنيقن بموته ونؤكده لأهله بأنه لا محالة ذاهب .. ولكن هذا المريض نفسه ينجو بمعجزة لا نعلم سرها! وقد نرى المنية تنشب أظفارها بشاب فى مقتبل العمر بدون مرض ظاهر أو علة طارئة!

ملكة : (باضطراب) ولكن .. ماذا تقصد من هذا القول؟

عبد الحكيم : قصدى أن نؤجل تنفيذ هذه المسألة .. نؤجلها خوفاً من الله وانتظاراً لرحمته.

ملكة : الرحمة ..

عبد الحكيم : نعم رحمة الله لأجل ولدك .. لأجل ولدنا .. لا نريد أن نلوث أيدينا بتلك الجريمة المنكرة.

ملكة : ولدى عبد الحكيم (تبكى).

عبد الحكيم : نعم ولدك وولدى يجب أن نسهر عليه ونوليه عنايتنا. وأنا صديقك وخادمك. فقد اعتزمت أن أبقى تحت أقدامكما مدى الحياة. لا بوصف كونك معشوقة .. ولكن لأنك أم حنون صابرة.

ملكة : (تبكى) عبد الحكيم .. ماذا فعلت بى؟ .. لقد أضعفت عزمى وقضيت على إرادتى.

عبد الحكيم : كلا .. إن الحقيقة على عكس ما تظنين .. إن ما تشعرين به الآن ليس ضعفاً فى الإرادة ولا زعزعة فى العزيمة. إنما هو عين القوة وعين الأمل. قوة الإيمان بالله والأمل فى رحمته .. قوة الصبر على تحمل المكاره .. وقوة الاستمرار فى البذل والتضحية انتظاراً للفرج.

ملكة : الفرج ..

عبد الحكيم : عسى أن يكون الفرج قريبا .. أقرب مما ننتظر (تبكى) كل إنسان فى الورى رهين إشارة القضاء والقدر .. وإن له نصيباً من البلاء بالصبر والمجاهدة وأن تحمله نصيبه من البلاء بالصبر والمجاهدة هو الواجب.

ملكة : (تمد يدها بالأنابيب) إذن .. خذ هذه الأنابيب وأبقها معك.

عبد الحكيم : (بفرح) هل عدلت عن تنفيذ خطتك ولو مؤقتاً؟

ملكة : مؤقتاً ؟ .. لا .. أنا عدلت إلى الأبد .. ليعيش ولدنا سعيداً .. فربما متنا وتركناه وحيداً ولعل الله يغفر لنا.

عبد الحكيم : (بقوة) لقد غفر الله لك ..

ملكة : كيف ؟ .. متى ؟ ..

عبد الحكيم : غفر لك منذ عدلت عما كنت نويت فعله .. لأن المرأة التى تلبى نداء ضميرها ولو فى اللحظة الأخيرة قبل فرار فرصة التوبة ولها رجعة إلى نفسها .. لا شك مفقودة الذنب ناجية.

ملكة : (فى حيرة) إذا كان هذا لب أفكارك فكيف قبلت اقتراحى وأتفقت على تنفيذه معى؟

عبد الحكيم : كلا .. يا ملكة لم أقبله ولم أتفق على تنفيذه إلا ظاهراً خوفاً عليك من اليأس وجريرة الانتحار التى حدثتك نفسك باقترافها.

ملكة : وهذه الأنابيب ؟

عبد الحكيم : ها هى .. سأشرب ما فيها أمامك!

ملكة : (بذعر) حذار (تحاول منعه)

عبد الحكيم : (يضحك) لا تخافى إنها ماء قراح يطفىء الظمأ ولا يزهق الأرواح (يشرب، وفى فترة الشراب يسمع من المسجد القريب من قرية العجوزة أذان الفجر) الله أكبر .. الله أكبر .. أشهد أن لا إله إلا الله .. إلخ .. الآن فقط وجدت ملكة حبيبتى الشريفة الطاهرة (يضىء المصباح الموجود فى المنور فجأة فتضطرب ملكة).

ملكة : ما هذا ؟ .. لقد ضاء المصباح ضياءً منبئاً بأمر جلل!

عبد الحكيم : (متنبهاً) هيا أسرعى إلى الدرج.

-

ملكة : (بتؤدة كمن استعادت هدوءها) لا لزوم للهرب. كنت رسمت خطة التحذير بالنور لأننى كنت خائفة وجلة .. وكان الرعب يمتلك نفسى لإقدامى على عمل سيىء. أما الآن فقد عادت الطمأنينة إلى قلبى.

عبد الحكيم : ولكن لابد لك من معرفة السبب (حينئذ تصعد نعيمة من الدرج الخلفى وتدنو منها).

المشهد السادس

نعيمة : سيدتى .. سيدتى ..

ملكة : ما وساوسك ؟ .. ماذا جرى ؟

نعيمة : الباشا لا يتكلم ! .. عيناه محملقتان ووجهه محتقن.

ملكة : وكيف رأيت ذلك؟

نعيمة : سمعته ينادى بصوت مختنق فأسرعت إليه فإذا به متمدد على أرض غرفته ووجهه وعيناه كما وصفت لك (ينصت عبد الحكيم لهذا الحديث باهتمام فلا تكاد نعيمة تفرغ منه حتى يسارع إلى النزول وتتبعانه. فيسود السكون قليلاً ثم يسمع صوت بكاء من الطبقة السفلى من العوامة ثم يظهر الدكتور فى الطبقة العليا).

عبد الحكيم : لا حول ولا قوة إلا بالله .. إنّا لله وإنّا إليه راجعون .. ذهب المسكين فى يوم فرحه برتبته ضحية الشراهة والنهم.

ملكة : (صاعدة وهى تبكى) هل قطعت الرجاء يا عبد الحكيم؟ ألا من وسيلة تنبه قلبه فربما كان مغمى عليه من شدة التعب؟

عبد الحكيم : (فى أسف) كلا .. هذه سكتة مخية صاعقة .. يموت المصاب بها فوراً ولساعته.

ملكة : ألا يمكن إسعافه بأفضل وأقوى من هاتين الحقنتين؟

عبد الحكيم : كلا .. إن الحقن بالكافور والكافيين أقصى ما وصل إليه العلم للإسعاف فى مثل هذه الحالة .. وقد استعملتهما له يائساً لأننى لدى رؤيته فحصت قلبه ونبضه فتحققت وفاته .. لكل أجل كتاب.

ملكة : إننى أسامحه وأسأل له من الله رحمة واسعة.

(ينزل الستار)

الأم المتعبة

دراما عائلية فى فصل واحد
القاهرة سنة ١٩٤٥ (*)

المنظر الأول

(رأفت - محمود - مديحة - الأم)

رأفت : فين فطورى؟

الأم : يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم! أنت أول ما تفتح عينك على الأكل ... ما تطلب من أبوك.

رأفت : خلاص أسكتى .. موش عاوز آكل .. هاتى شاى بس.

الأم : التموين فرغ .. لا شاى ولا سكر .. النهاردة ١٥ فى الشهر.

رأفت : عندك تعريفة أجيب عسل.

الأم : عندى .. آدى قرش من فلوس أخوك ذكرى، أتفضل ... حاكم أنت مدبأنى بالعسل!

رأفت : تعرفى يا ماما إن ماكنتيش تدينى أربعة صاغ دلوقت أعمل حاجة وحشة.

الأم : أطلب من أبوك، أهو نايم فى الدور الفوقانى ... هوه أنت مالكش لسان؟

رأفت : طيب والله ما أنا فاطر ولا واكل حاجة (يخرج ويغلق الباب خلفه بغضب).

(*) - قال لطفى جمعة فى مذكراته المخطوطة فى يوم ١٤/١٢/١٩٤٥: "قضيت اليوم من صباحه الباكر مع أولادى رابح وأنوار ورفيعة فى حلوان وقد دعوت مطيعة فاعتذرت وزرنا بستان الحياة وجلسنا فى الشمس وصعدنا وهبطنا فى الجبال وجلسنا على هضبة عالية بجوار المرصد وأكلنا أكلا بسيطا وضحكنا كثيرا واشتركنا فى تأليف قصة مضحكة عن حياة المترل (الأم المتعبة) وعدنا فى الغروب وكانت الشمس مشرقة طول اليوم فنحمد الله ونشكر فضله". وهذا كل ما كتبه لطفى جمعة عن هذه المسرحية.

الأم : (بصوت عالى) خد بيضة أهه اشتريتها لك ... إندهيله يا بهيــــة .. شوف الواد نازل من غير فطور إزاى؟ أعمل إيه؟ ... يتقلق رأفت.

المنظر الثاني

(الأم - محمود - بهية - يوسف - نكرى - رئيفة - أحلام - لطيفة)

محمود : (بصوت غليظ وهو يعض بالنواجذ على شفتيه ويــده فــى جيــب البنطلون ورأسه إلى أسفل) هاتى ثلاثة ثاغ علشان أجيـــب كـرّاث وإرث ثاغ للترمواى أحثن الكمثارى ينزلنى.

الأم : وأنا أجيبك ثلاثة صاغ منين يا واد؟

محمود : (بصوت أغلظ) مش رايح المدرثة.

الأم : عنّك ما رحت .. (محمود يزمجر ويصدر أصواتاً مثــل النحلــة، ورأفت مطلاً برأسه من الباب).

رأفت : بهية .. هاتى البيضة والكتاب الإنجليزى اللى نسيته.

الأم : الله! هو أنت جيت؟ البيضة ما خدها أخوك محمود .. خبر أبيــض أشرب كباية الشاى دى بتاعته (يسمع صوت من داخل المنزل) عـــا .. قميصى .. يا بهية تعالى .. (يرفع عقيرته ويجأر) .. ها .. ها .. ها يا ناس قميصا .. ى حلجا باردا .. (ثم كلام غير مفهوم).

الأم : ده نكرى صحى .. ده ما بقلوش ساعتين جىّ .. مين صحاه يـــا أولاد؟

بهية : (مرتبكة) أنا اللى صحيته .. واحد صاحبه عاوزه ف التلفون (بهية تهمس فى أذن أمها) .. ده بيملى المسدس سامعه الصوت! (تظـــهر مديحة وتسرح شعرها وتقول للأم).

مديحة : عوزه قرش وده خللى فى بالك غير قرش ركوب الترمواى.

الأم : والقرش اللى إدّاهولك بابا؟ .. أنت تخدى وتتكرى زى القطط.

مديحة : حاروح لوحدى.

رئيفة : (أختها) روحى .. خليكى توفرى .. بس ما تنسيش آية الكرســى (تشرع مديحة فى الذهاب إلى المدرسة بغير فطور وتخرج الأم مــن جيب جلبابها لقمة عيش وبصلة وتقول لها).

الأم : كلى دول على ما يجى الفول (يسمع صوت بائع الفول المدمــس) البليلة المسخنة .. مدمس .. بياع اللوز ..

الأم : (لابنتها بهية) إندهيله يا بت لحسن بيجــرى .. لحسن يخلّص (تخرج بهية ويظهر الأخ الأكبر يوسف).

يوسف : يا بت يا مديحة.

الأم : مديحة راحت المدرسة.

يوسف : يا بهية.

الأم : بهية بتجيب فول مدمس.

يوسف : يا محمود!

الأم : محمود غضبان وقاعد بره ولسه ما فطرش.

يوسف : مين اللى بيزعق ده؟

الأم : ده أخوك ذكرى .. معاه مسدس وخمسين رصاصة فى كيس جلد وبيصوّت علشان قميصه البنت بهية هبّبته عند المكوجي.

يوسف : وإيه يعنى؟ (يسمع صوت ذكرى).

ذكرى : هاتى الجرايد .. فين الجرنال .. مين بيقراها (يجــأر بصــوت مرتفع) ها .. ها .. (يظهر ذكرى علي المسرحِ وهو يغطى جســمه بملاءة سرير ويجرجر فى رجليه حذاء قديمــاً ويظــهر كمصــارع رومانى، ويقول لأخيه يوسف) صباح الخير.

يوسف : سعيدة مبارك .. (لأمه) فين النص ريال .. ناوية تاخديه.

الأم : ما خدتهوش من رأفت؟

يوسف : فين ده رأفت؟

أحلام : (من تحت البطانية على السرير) حرلم عليكى رأفت ما عندهــوش نص ريال.

الأم : أنا بس بقول كده علشان أخلص منه.

يوسف : (لوالدته وهو ألتغ فى حرف الراء) طيب دى أخغ مغة تاكلى على فلوسى (يخرج).

لطيفة : فين فلوسى يا ماما؟

الأم : اسألى اللى بيخدو الفلوس.

لطيفة : حرلم عليك .. تصبحى تفطرى أنت وأولادك وأنا ماكلتش.

الأم : (تخرج لسانها وتشاور عليه بأصبعها) آهوه على ريق النــوم أنــا ماكلتش حاجة.

رئيفة : (لأختها لطيفة) خدى الفلوس أهيه .. سابهم رأفت (يسمع صوت بائعة فول نابت).

لطيفة : (تنادى) يا بتاعة الفول النابت ... أدينى بقرش.

بائعة الفول : اسم الله عليكى النبى حارسك وضمنك يا نور عينى ... ربنا يخليك لأخواتك وأبوك.

لطيفة : فولك معفن وحامض.

البائعة : دى فولة حلوة والنبى زى الشهد.

لطيفة : ماتكيلى كويس .. مال إيدك مربوطة؟

البائعة : والنبى يا ست متوصيّة بك .. أنا وأختى على باب الله .. وكانت أمنا تشكر فيكو أوى وموصيانا عليكو.

لطيفة : الله يرحمها.

البائعة : الشر برة وبعيد .. دى لسة عيشه ربنا يخليها هى بس اللى ملتبنش كتير .. أهى قاعدة على بنتى هدى .. أنا محدش تاعبنى إلا جوزى كل يوم فى المحكمة مسخم على عينه.

الأم : (تتدخل) هو فولك فيه شطة؟ مرقته زى الفلفل.

البائعة : دا والنبى زى القشطة .. وألا أقولك أنا موش جاية (يسمع ذكرى من الداخل يجأر بصوت مرتفع).

ذكرى : فين فطورى؟

أحلام : (تتيقظ منزعجة على صوت ذكرى) يا ماما .. يا ماما بابا صحى بينده لك.

رئيفة : ده موش بابا يا أحلام .. ده ذكرى عاوز فطوره (أحلام تعود إلى النوم وتغطى رأسها بالبطانية) طيب.

لطيفة : (لأمها) متعملى لذكرى فول نابت ده كله حديد وفوسفور وفيه فيتامين.

الأم : فيتامين .. فيتامين إيه؟ ... كلهم بيفطروا إلا أنا (يسمع جرس تليفون وترد عليه رئيفة).

رئيفة : ألو .. حضرتك مين؟ .. عاوز ذكرى .. أقول له مين؟ مين؟ بتقول إيه؟ (لأمها) واحد لذكرى.

ذكرى : (فى التليفون بكل أدب) صباح النور .. لا .. خلاص الوزراء سحبوا استقالتهم .. آه الرجل بتاعنا كان بيهوش .. مشفتهوش .. أنت عاوز بدلة والمعلم فصّل القماش اللى جبته له .. إزاى أخوك حسن؟ .. ده عاوز ستة متر .. قابلنى فى قهوة الفردوس نشرب قهوة هناك (ذكرى يخرج من المنزل).

لطيفة : إملى لى الزجاجة ديه زيت يا ماما.

الأم : وأنا عندى زيت منين .. استنى أول الشهر.

لطيفة : بقى علشان أحط شوية زيت على الفول استنى تلاتين يوم .. بيه بقت عيشة ما حدش يقدر عليها!

الأم : (متهيجة) أطلعى لأبوك فوق وقولى له لحسن هو ناقص اطلعى له علشان يديلك قرش تشترى به زيت .. ماحدش ناهب الزيت غيرك .. والتموين كله والسكر رايح عليكى!

لطيفة : يا شيخه حرام عليكى.

الأم : إيه اللى حرام عليكى؟ .. أنا حآبل ربنا بوش أبيض محدش يعرف ديانة أدّى ولا تسوّف أدّى.

لطيفة : تسوف إيه ونيلة إيه .. عاوزة تقولى تصوّف .. بقى أكمن بابا قرأ لك القصيدة العينية تبقى متصوفة؟

أحلام : (من تحت البطانية) بابا قرأ إيه؟ قرأ لك إيه يا ماما؟ .. العينية .. يا بختك .. دى فيها وحدة الوجود.

رئيفة : وحدة وجود إيه؟

أحلام : اسكتى أنت ماتعرفيش الحاجات ديه .. ماتعرفيش غير تمن الصوف والحرير والجزم المودة .. خليكى أنت عند باتا وشيكوريل.

رئيفة : هو ربنا قال إنى ما ألبسش كويس؟

الأم : يا حسرة علىّ .. لا جزمة ولا بالطو زى الستات ولا شراب فى رجلى والشتا داخل علىّ وبقى لى تلات سنين أطلب شال من أبوك ويقول لى شال جنسه إيه؟ اكتبى لى قايمة بطلباتك ... اشمعنى زمان كان يعرف .. والله لأنا كاتبة له قايمة .. ويبقى عملت اللى علىّ.

لطيفة : يا ماما القميص بتاعك مقطع.

الأم : الحمد لله! أنا مبسوطة ربنا عاوز تقطيع الهدوم ده لأنه هـو اللـى عاوز كده وهو اللى مخلينى أقول كده وهو اللى مخلينـى راضيـة بكده.

أحلام : (من تحت البطانية) حرام الكلام ده .. دا كفر .. ربنا ما قالش تستتى بالهدوم المقطعة .. بابا ديك النهار خلانى أخيط لك القميص وأنـت اللى قلت مش عاوزة.

الأم : بتعيّرينى! ... ياما خيطت لك وخيطت لإخواتك.

لطيفة : تستاهلى يا ماما إنك إديتى لإخواتى الشنطة بتاعة التيـل والحريـر والفوال .. اللى إشى أحمر واللى إشى أخضر وبنى .. ولا عرفتيـش تخلى لنفسك حاجة.

رئيفة : وكمان أدّوروا على شنطة بابا ونهبوا البفتة والتيل الأبيض .. وكـان ناقص ياخدوا البنطلونات والياقات والفانلات (يسمع صوت تصفيـق من أعلا).

الصوت : فين الفطور يا ست .. الساعة تسعة ونص .. هى بتاعـة الفـول النابت ماجاتش؟

الأم : يا بهية .. هو الفول اتسلق؟

بهية : ولا انحط على النار.

الأم : (تخبط على صدرها) يوه .. ياندامة .. ليه .. وبابا حيفطر إيه؟

بهية : البابور أتخرب.

الأم : خربتيه؟

بهية : لا .. عاوز له البلف.

الأم : الفونية؟

بهية : البلف بقول لك .. حاجة تمنها زى أربعين قرش.

الأم : أهو بقى يفطر لبن زبادى وفول سودانى .. لما يبقى يصلح حاجـة بيته يبقى ياكل .. أنا تعبت تلاتين سنة فى البوابير الخربانة والبلاليع المسدودة .. اللى يفطر يفطر واللى ما يفطرش ما يفطرش!

المنظر الثالث

(ينزل الأب من الطابق العلوى وكان قد سمع ما قالته الأم)

الأب : بتقولى تعبت تلاتين سنة خدمة؟

الأم : (بانفعال) أنا مجنونة اللى بخدم واحد زيك .. أنا خدمتـــــى بملايين الجنيهات .. أنت خلاص موش عاوز تدينى ريال أتصحح به .. أنـــا عاوزة أجيب دوا .. ولحدة خدمت زى خدمتى تستاهل مليون ريـال .. ولكن أنا الحق علىّ اللى بأخدمك وأخدم أولادك .. خـــلاص مـــابقتش أطلب منك حاجة .. أنا مالى ومال أولادى تحاسبنى علـــى فلوســـهم ومصروفهم .. هو علشان تصرف على بيتك تخلى صحتى مهملة؟

الأب : يا ست روقى دمك وقولى لنا أنت عاوزة إيه.

الأم : أنا معرفش .. هو كلامى ده كله موش مفهوم .. أنا عاوزة ريـــال .. أنا مالى تشترى حمام وبيض لأولادك أهم بياكلوا قناطير وأنـــا لســـه على ريق النوم .. أنا ظهرى وجعنى بعيد عنك .. أنا رايحة أرتـــاح محدش له عندى كلام .. أنا مش إنسان .. أنت عايز حاجة منى؟

الأب : لأ .. اتفضلى روحى ارتاحى (يسمع صوت جـــرس التليفـون والأم ترد).

الأم : مين حضرتك؟ .. مين؟ نمرة غلط .. نعم .. عاوزة مين؟ غلطانة.

الأب : يعنى يا ست موش عاوزنا.

الأم : دا بيقول نمرة غلطانة .. قطيعة.

(ستار)

فهرس

	ص
مقدمة	٥
مسرحيات لطفى جمعة بين الواقع والتاريخ	١٣
هرماكيـــــــــس (عام ١٩٠٩)	٤٥
قلب المــــــــــرأة (عام ١٩١٥)	٦٥
كانت لِقيّة مقتدلـــــــة (عام ١٩١٧)	١٣٩
حبيب القلب وحبيب الجيــب (عام ١٩١٨)	١٦١
الوالد والولـــــــــد (عام ١٩١٨)	١٨٣
خضر أرضـــــــك (عام ١٩١٨)	٢٢٥
نيـــــــــــرون (عام ١٩١٨)	٢٧٥
فى سبيل الهــــــوى (عام ١٩٢٥)	٤٢٥
يقظة الضميـــــــر (عام ١٩٣٥)	٤٩٣
الأم المتعبـــــــة (عام ١٩٤٥)	٥٧٥

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٣٥٩٣ / ٢٠٠١

المجلس الأعلى للثقافة

لقد كان محمد لطفي جمعة كاتبًا متعدد الاهتمامات كثير الإنتاج ، بل كان رائداً فى بعض مجالات التأليف كالقصة والمسرحية ودراسة الأدب الشعبى . وإن الإنسان ليتساءل : من أين كان له ، فى زحمة اشتغاله بالمحاماة وبالقضية الوطنية فى الداخل والخارج ، بالوقت والجهد اللذين يقتضيهما ذلك العدد الكبير من المؤلفات التى خلّفها وراءه مطبوعة ومخطوطة ؟

عندما توقف قلب هذا الأديب الموسوعى عن نبضه فى ١٩٥٣/٦/١٥ ، توقف بالتالى هذا السيل المنهمر من الكتابات الأدبية الثرية ، التى خُطّت بيد هذا الأديب ، وصار أدبه فى طىّ النسيان ، إلا من بعض المقالات اليسيرة ، التى كانت تُدبج فى بعض المناسبات ، وخصوصًا من قِبل أوفى أبناء الأدباء ، المستشار رابح محمد لطفي جمعة ؛ ذلك الابن الذى حافظ على تراث أبيه المخطوط ، أكثر من حفاظه على حياته وصحته ، بل ودافع عن أبيه وعن أدبه دفاع المستميت ، الذى لا يتورع عن فعل أى شىء فى سبيل الحفاظ على اسم أبيه نقيًا ، وعن أدبه مرفوعًا إلى عنان السماء .

تصميم : وائل أحمد